الدكتور
أحمد عبد الرحمن

# الشيعة والسنة

## دراسة مقارنة

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٢٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٢٣٩٠٣٧٤٦

**اسم الكتاب:**

**الشيعة والسُّنة**

**دراسة مقارنة**

**الطبعة: الأولى .**

**١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م**

**اسم المؤلف:**

**الدكتور أحمد عبد الرحمن**

**مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة.**

**٣٦٠ صفحة ١٧ × ٢٤ سم**

**رقم الإيداع : ٢٣٢١٠ / ٢٠٠٧**

**الترقيم الدولى : .I.S.B.N**
977-17-5184-0

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾

[الأنبياء: ٩٢]



## الإهداء

إلى كل مؤمن بأن وشائج الأخوة الإسلامية هى قارب النجاة الوحيد
لأمتنا فى مواجهة محنة الإزالة التى تواجهها اليوم !



## قالوا . . . .

■« الويل لمن كذب علينا ! وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا ، نبرأ إلى الله منهم ! »

**الإمام علي بن أبي طالب**

■« إنا أهل بيت صادقون ، لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس ! »

**الإمام الصادق**

■ « نحن لا نقول : إن جميع طوائف أهل السُّنة مصيبون ، بل فيهم المخطئ والمصيب ، لكن صوابهم أكثر من صواب الشيعة ، وخطأ الشيعة أكثر . »

**شيخ الإسلام ابن تيمية**



بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

انشقاق الأمة المسلمة إلى سُنَّة وشيعة وإشعال أتون الحرب بينهما لا يستفيد منه إلا المعسكر الأمريكي الصهيوني .والخاسر فى جميع الأحوال هو الأمة المسلمة. وعلى هذا يتوجب على كل مسلم أن يبذل أقصى ما يستطيع لإطفاء ذلك الحريق المهول قبل أن يأتى على الأخضر واليابس . **والعلماء والمفكرون والكُتَّاب والدعاة عليهم واجبات جسيمة يجب أن ينهضوا بها دون تأجيل . فهم الذين يهيئون الرأى العام الإسلامى لنبذ التعصب والتطرف والانغلاق المذهبى ، وهم الذين يستطيعون إظهار الحقائق ، وتسفيه الأباطيل ، والتقريب - من ثم - بين الفريقين ورأب الصدع فى كيان أمتنا المسلمة ، لكى تواجه الغزو الأمريكى الغربى الصهيونى الراهن .**

ومن المحزن أن نشاهد ونسمع كل يوم ادعاءات ومزاعم باطلة يرددها خطباء على أعواد المنابر ، ومتحدثون يملأون شاشات التلفزة الأرضية والفضائية ، وكثير منهم يهرف بما لا يعرف ، وبعضهم يفح فحيح الأفاعى إذْكاءً للفتنة وإشعالاً لنيران التعصب . وتنشر على «النت» كتب عديدة تحاول إعادة الأمة إلى معركة صفين سنة ٣٧ هـ بين على ومعاوية وكأن يوماً واحداً لم يفصلنا عنها ! وتدور رحى الحرب الأهلية فى العراق ، ويتساقط المئات يومياً ، وتدمر المرافق والبيوت على رؤوس أصحابها المسلمين !

ويتحرك العرب والمسلمون هنا وهناك بُغْية تحقيق مُصَالَحَةَ وطنية ، لكن

الجهود كلها تذهب هباءً ، وتزداد النيران التهاباً . ويساعد على ذلك جهل الفريقين أحدهما بالآخر ، وشيوع التكفير بالجملة تبعاً لذلك . **وهذا هو ما يفسر لنا استحلال بعضهم قتل البعض الآخر . هذه الحقيقة تُبرز الأهمية البالغة للتوعية ونشر الحقائق، لدَحْضِ مزاعم التكفيريين على الجانبين المسلمَيْن .** وهذا هو دور العلماء والمفكرين والكتاب . وهذه الدراسة إسهام متواضع فى هذا السبيل.

ويجب أن نتذكر دائماً أن الخلاف بين البشر قَدَرٌ مقدور لا يمكن تحاشيه .

فالإيمان بالله يمثل الخلاف الجذرى مع الوثنية والإلحاد والمادية ،أو هكذا يجب أن يفهم أهل الأديان . وتختلف الأديان السماوية بعضها مع بعض ، ولذلك أنكرت اليهودية المسيحية، وإن اعترفت المسيحية بالتوراة ـ كتاب اليهودية المقدس ـ وأنكرت اليهودية والمسيحية الإسلام ، واتسع الخلاف بينهما وبينه حتى حارب اليهود المسلمين والإسلام وفضلوا الوثنية العربية الجاهلية عليه ! وحارب المسيحيون المسلمين منذ عهد النبوة المحمدية وإلى اليوم حيث يقاتلنا الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية تحت ستار محاربة الإرهاب !

وفى داخل البيئة الإسلامية اختلف المسلمون فى العقيدة خمس فرق : أهل السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة . وعلى الرغم من أن الخلافات اتسعت فى بعض المسائل إلا أن الجميع اعتُبروا مسلمين ، ماعدا أولئك الذين أنكروا حقائق إسلامية معلومة من الدين بالضرورة أو بسبب تأويلات شاذة لآيات من القرآن الكريم وأحاديث للنبى ﷺ . من ذلك مثلاً أن أهل السُّنة يحرصون على تغليب النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة على مقتضيات العقل ، فى حين يُغلِّب المعتزلة أحكام العقل على النص . وأسفر ذلك عن اختلافات واسعة فى العقائد والأصول فضلاً عن الفروع . واختلف الخوارج مع الشيعة حتى كفَّروا عليًّا رضى الله عنه وأعلنوا الحرب عليه ! واتهم المعتزلة ، ومعهم بعض الشيعة ، أهلَ السُّنة بالتجسيم ، وكَانَ بعض المجسِّمة قد انطلقوا من مبادئ أهل السُّنة ، وتوقفوا عند

الحروف حتى تورطوا فيَ وصف الله تعالى بالجسمية ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [١] . واختلف الشيعة مع أهل السُّنة فى مسائل عدة فى الفروع ، منها زواج المتعة وغَسل الرجلين فى الوضوء والصلاة على الُبُسط ، وغير ذلك . [٢]

ولقد اقتتل المسلمون للأسف الشديد فى القديم والحديث ، كما سنرى فى هذه الدراسة . غير أن العلماء المحدَثين من أهل السُّنة والشيعة نزعوا إلى التقارب ، وقد ادركوا أنهم أهلُ دين واحد ، وأن التقارب والتعاون واجب دينى خصوصاً إزاء التهديدات الخارجية . [٣]

**والمنهج العلمى يحتم على الباحثين الاستناد إلى المصادر المعتبرة لدى الفريقين؛ وليس من المقبول الأخذ عن المتطرفين والغلاة القدامى والمحدثين ،** فالشيعة لا يعترفون بالغلاة منهم ، ولا بما كتبوه وأذاعوه . كذلك أهل السُّنة . وقد جاءت الفُرقة والتطاحن غالباً من تلك المصادر المشبوهة الضالة . ومع مرور السنين صارت أقاويل الغلاة هى المسيطرة الذائعة ، وتراجعت الحقائق وانزوت فى بطون الكتب !

ولقد التقيتُ مصادفة **بمستشرق هولندى** فى كوالالمبور - فى مؤتمر عقدته الجامعة الإسلامية العالمية - ففوجئت به يقول إنكم معشر المسلمين توقفتم فى فهمكم للمسيحية عند عقيدة التثليث ، فى حين أن منكم من يقول إن محمداً كان كائناً إلهياً حتى إنه كان إذا سار فى الشمس لم يكن له ظل ! هذا ما قاله شيخ هندى مسلم ! وهو لا يقل عن التثليث بُعداً عن التوحيد !

وعلى الفور قلت له : التثليث مذكور فى الأناجيل المعتبرة عندكم ، وأنتم تؤكدون هذه العقيدة ، ولديكم كليات متخصصة فى التثليث . أما ذلك الشيخ الهندى فأقواله لا قيمة لها ولا اعتبار ، والقرآن الكريم يقول للنبى ﷺ ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾[الكهف : ١١٠] فاسقط فى يده ولم ينبت ببنت شفة!

ونحن أهل السُّنة لا نقبل أن يأتى إنسان بحديث موضوع ليدين به مذهبنا .

---

(١) راجع المبحث العاشر .
(٢) راجع المبحث الثانى عشر .
(٣) انظر المبحث الختامى .

ومن المؤسف أن هذا حدث فى غمار الجدال الطويل العريض بين الشيعة والسُّنة فاستند كثيرون إلى أخبار زائفة لتشويه سيرة الخلفاء الراشدين الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم - أو لتصوير أهل السُّنة على أنهم « نَوَاصب » يعادون علي بن أبى طالب وأولاده ، ويكرهون أهل بيت النبوة - رضى الله عنهم - وهذا افتراء وبهتان ، لأن أهل السُّنة يوالون علياً وآل البيت ويحبونهم ويقدرونهم حق قدرهم . وبالمثل استند كثير من أهل السُّنة إلى مزاعم غلاة الشيعة ( الذين يكفِّرهم الشيعة الإمامية والزيدية ) على أنها مبادئ للشيعة ! من ذلك مثلا تأليه علي - رضى الله عنه - وتحريف القرآن الكريم . وسنرى أن هذه أباطيل ومفتريات لا صلة للشيعة الإمامية بها من قريب أو بعيد .

ويعلم الجميع أن الخلاف بين أهل السنة والشيعة قديم . وكان مقتل عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث رضى الله عنه هو الذى فَاقَم الخلافات ، وقد تطور إلى حرَبَيْن مُهْلكتيْن : يوم الجمل ، وصفِّين ، وتلا ذلك انشقاق الأمة إلى معسكرين متقاتلين ، أحدهما يقوده أمير المؤمنين ، الخليفة الراشد الرابع على بن أبى طالب ، والآخر يقوده معاوية بن أبى سفيان والى الشام الذى اتخذ من دم عثمان ذريعة لشق صف الأمة وتكوين مملكة أساسها حد السيف والقوة والغَلَب . وقتل أمير المؤمنين علي بن أبى طالب غيلة سنة ٤٠ هـ . وتولى الخلافة من بعده ابنه الحسن . ولما لم يجد من أنصاره العزم والنصرة والوحدة سَلَّم مقاليد الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان ، وبذلك **تحولت الخلافة إلى ملك عضوض !**

لكن المصادمات بين الأمويين والشيعة لم تتوقف . وقد بلغت ذروتها بمقتل الإمام الحسين - رضى الله عنه - ومعه اثنا عشر رجلاً من أولاد علي بن أبى طالب وأولاد أخيه - فى مجزرة رهيبة فى كربلاء على أيدى المجرمين من جنود بنى أمية . وتوالت التمردات ضد الأمويين حتى أسقطت دولتهم فى المشرق بعد ٩١ عاماً فقط ، لتقوم على أنقاضها دولة بنى العباس ، التى لم تكن أقل من دولة الأمويين عداءً لعلي بن أبى طالب وأولاده وشيعته !

وأفلح الشيعة فى إنشاء دولة كبيرة لهم فى شمال إفريقيا ومصر ، هى الدولة الفاطمية سنة ٩٠٩م ، استمرت ٢٧٢ سنة حتى سقطت على يدى صلاح الدين الأيوبى .

ودارت معارك عنيفة بين الدولة العثمانية السُّنية والدولة الصَّفَوية الشيعية فى إيران ، وكانت أعنفها معركة « جالدران » سنة ١٥١٤م . وفى عام ١٦٢٣م استطاع الشاه عباس فتح بغداد - السُّنية - وطرد العثمانيين منها . ويقال إن إسماعيل الصفوى - فى بداية القرن ١٦م - هو الذى أجبر الإيرانيين على اعتناق المذهب الشيعى .

وفى العصر الحديث هاجم السعوديون العراق والمدن المقدسة عند الشيعة : كربلاء والنجف الأشرف ، سنة ١٨٠١م وسنة ١٨٠٣م ( راجع عبد الرسول الموسوى ، الشيعة فى التاريخ : ص٣٤٤-٣٤٥ ) .

وحين قامت الثورة الإسلامية فى إيران سنة ١٩٧٩م شعرت بعض دول الخليج بالقلق خشية تصدير الثورة إلى بلادها ، **وأطلقت حملات إعلامية وعقدت مؤتمرات وندوات عديدة لنقد الشيعة ، «الروافض» ، وتكفير زعميهم الإمام الخومينى رحمه الله ، ووصفوهم بالمجوس والفرس ، الكفرة ، الذين حرفوا القرآن الكريم وألَّهُوا علي بن أبى طالب** ، واستدعوا تراث الغلاة منذ معاوية ابن أبى سفيان إلى اليوم بكل ما فيه من اتهامات وتشنيعات وسباب !

وبتحريض من أمريكا ، غزا صدام حسين إيران لإسقاط نظامها الإسلامى الشيعى وإعادة نظام الشاهنشاه . وأيده بعض العرب بكل أسف ، بالسلاح والمال والإعلام ، وزودته أمريكا بالنابالم والغازات السامة لكى يفلح فى هزيمة الإيرانيين ، فلم يستطع - بعد حرب ضروس لمدة ثمانى سنوات - أن يفوز إلا بوقف لإطلاق النار، واضطر بعد ذلك إلى العودة إلى الحدود الدولية .

وبسبب الخلاف على بعض آبار البترول ، غزا صدام حسين الكويت ، فسقطت فى يده فى بضع ساعات ! وأحَسَّتْ دول الخليج بالخطر واستغاثت بأمريكا التى سارعت إلى المنطقة بقواتها البرية والبحرية والجوية ، ونجحت فى تشكيل حلف دولى واسع ضم مصر وسوريا والسعودية ودول أخرى ، بُغْية تحرير الكويت . وبعد تمام الاستعداد هاجمت قوات التحالف الجيش العراقى فى الكويت وهزمته هزيمة منكرة !

وبعد حادثة ١١/٩/٢٠٠١ قررت أمريكا غزو العراق واحتلاله . وأيدها كثير من العراقيين والعرب للأسف الشديد . وتحت الاحتلال انتهى الأمر بفوز الشيعة بأغلبية مقاعد المجلس النيابى ، ومن ثم شكلوا الحكومات المتعاقبة . واعتبر كثير من الشيعة أن الوقت قد حان للانتقام من أهل السُّنة الذين هم أهل صدام حسين ، وأهل معاوية بن أبى سفيان ، وأهل صلاح الدين الأيوبى والوهابيين !!

والحق أن أهل السنة أبرياء من جرائم الأمويين والصداميين وكل الغلاة والمتطرفين !

هذا هو فى إيجاز شديد تاريخ الصدام بين أهل السُّنة والشيعة . **لكننا اليوم - كمسلمين - نواجه خطر الزوال من الوجود فى حملة عالمية رهيبة تقودها الولايات المتحدة ، وتطارد الإسلام والمسلمين فى العراق وفلسطين ولبنان وأفغانستان والصومال ، وتبدو مصممة على مَحْوِ هذا الدين من الوجود ، وتحويل أهله إلى أتباع أذِلاء خانعين !**

فهل نستسلم لتراث الصَّدام الموروث بين الشيعة والسُّنة ، ونشعل الحروب الأهلية بيننا ، ونمهِّد التربة للغزاة الأمريكان ليحققوا مآربهم ، أم نحاول أن نتناسى ذلك التاريخ البغيض **ونستعيد وحدتنا الإسلامية التى جمعت يوماً على ابن أبى طالب مع أبى بكر وعمر وعثمان** ؟ إن الجواب واضح لا خلاف عليه . إن حياتنا وكرامتنا وعزتنا وثرواتنا واستقلالنا ، كل ذلك مرهون بوحدتنا . وهذه الوحدة ليست مستحيلة ، لأنها هى الأمر الطبيعى ، الواجب ، ولأن الطرفين يبديان الرغبة فى التقارب والتعاون ونبذ الخلافات المدمرة لأمتنا منذ منتصف القرن الماضى .

ولسوف نرى خلال هذه الدراسة أن الخلافات المزعومة ليست سوى اجتهادات فقهية شُوِّهَتْ وتأويلات مشروعة بُولِغ فيها لا يمكن أن تكفر هذا الفريق أو ذاك . وإننى **أبشر دعاة الفرقة والتكفير من الجانبين بخيبة أمل كبرى بعد قراءة هذه الدراسة العلمية الموضوعية !**

إن المنهج الإسلامي السديد يحتم أن يكون الحق هو الغاية التي يبتغيها المسلم : « وأن يكون في طلب الحق كناشد ضالة ، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ، ويشكره إذا عرَّفه الخطأ وأظهر له الحق ، كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالته فَنَبَّهَهُ صاحبهُ على ضالته في طريق آخر ، فإنه كان يشكره ولا يذمه ، ويكرمه ويفرح به . هكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم . »[1]

لكننا لا نزال بعيداً عن هذا المنهج العلمي الموضوعي السديد . إن المؤلف المغرض يعدنا بالموضوعية في مقدمة كتابه ، **لكنه لا يفي بوعده ، وهو يجري حواراً بين عالم سُنّي وآخر شيعي ، والقارئ يكتشف أنه ليس حواراً ، بل مجرد حديث مع النفس ، يسعى مؤلفه للانتصار لمذهبه** ! فالطرف السُّني في الحوار مجرد سائل يجهل المذهب الإمامي ، فيسأل الطرف الشيعي السؤال في بضعة أسطر ، ثم يأتي الجواب في بحث مفصل حاشد بالحجج ! وهكذا يأتي الكتاب في صورة موسوعة شيعية في مقابل شذرات من المعرفة بمذهب أهل السُّنة. والمفروض - تبعاً لهذا - أن ينتهي « الحوار ! » بإعلان الطرف السُّني تخلّيه عن مذهبه واعتناق المذهب الإمامي ! ومن الجلي أن المطلوب هو تحويل القراء عن مذهبهم إلى المذهب الآخر وليس مجرد تحويل الطرف المحاور !

– ويذكّرني هذا المنهج الأحادي المتميز بمنهج أفلاطون في محاوراته الشهيرة، فهو يريد عرض أفكار سقراط بطريقة شيّقة ، فابتكر منهج الحوار الذى أجراه بين أستاذه سقراط وبين معارضين مُفْتَرَضين من أتباع المذاهب الأخرى ، والسوفسطائيين خاصة . ويكون الحديث طوال الوقت لـ« سقراط » لكن يقاطعه الطرف الآخر بقوله: وكيف ذلك؟ أو : هذا مؤكد ! أو : هذا واضح بالفعل ! أو : هذا ما يحدث ![2] وهكذا يقودنا أفلاطون إلى التعرف على مذهب سقراط الذى هو مذهبه هو نفسه وإلى رفض المذهب المعارض له !

---

(١) أبو حامد الغزالي ؛ الإحياء ؛ جـ١ ص ٤٣–٤٤ .

(٢) جمهورية أفلاطون ! ترجمة د. فؤاد زكريا نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .

إن هذا منهج خاطئ ، ولا يؤدى إلى التقريب بين المذهبين ، بل يثير الطرف الآخر ، فتظهر المؤلفات المضادة ، العنيفة ، وغير المفيدة لقضية التقارب !

– وقابلت فى دراستى هذه مؤلفين متحاملين على المذهب الآخر ، من أهل السُّنة والشيعة جميعاً . **ومن أبشع الأمثلة اتهام أبى بكر الصديق وعمر ابن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح وأُبيِّ بن كعب وسهل بن بيضاء وأبى أيوب الأنصاري وأبى طلحة زيد بن سهل وأبي دُجانة بن خرشة وأبى بكر بن شغوب وأنس بن مالك ، بشرب الخمر ! وكُتب هذا الاتهام تحت عنوان : «صحابة شربوا الخمر !»** [1] وقد أحال الكاتب قارئه على «فتح البارى» ! فسارعْتُ إلى ذلك المصدر الإسلامى الكبير ، أفتش فيه عن ذلك الاتهام ، فلم أجد منه كلمة واحدة ! [2]

**فهل ثمة جريمة أعظم من هذه ؟**

**إن كاتب ذلك الفحش توفِّى منذ حوالى قرن من الزمان ، لكن المطابع الحديثة تعيد إصدراه وتزِّينه للقراء . وفى اعتقادى أن من الضرورى إخضاع دور النشر للأصول العلمية والقيم الدينية والأخلاقية إذا أريد لها أن تُسهم فى ترقية شعوبنا وفى تحقيق التقارب المنشود بين أبناء أمتنا .**

– ويجسر أحدهم على الزعم بأن الإمام الذهبى يمتدح راوياً معيناً ، فإذا رجعت إلى «ميزان الاعتدال» للذهبى وجدته يقول «إن ذلك الراوى : متروك .
وقال ابن حبان : إسماعيل بن عباد أبو محمد المزنى ؛ بصرى ، لا يجرز الاحتجاج به بحال»[3] .

ولقد عانيت من قلة المصادر فى المذهب الإمامى فى مكتباتنا وكنت حريصاً على التوثيق العلمى بالرجوع إلى الأصول المعتبرة فى المذهب . ويعلم الله كم عانيت لأصل إليها ولم يخفف من المتاعب سوى «الإنترنت» .

ومن المصاعب التى فرضتها طبيعة الموضوع ، وهو دراسة مقارنة ، التمييز بين

---

(١) ليالى بيشاور للسيد محمد موسى الشيرازى ص ٣٢٩ .
(٢) جـ ٣ – ص ٣٠ وما بعدها .
(٣) الذهبى ؛ ميزان الاعتدال ؛ رقم ٨٩٧ – جـ ١ ص ٢٣٤ .

الحقائق وبين الأخبار الزائفة ، وبين العلماء وبين الأدعياء والغلاة . ويكفى أن نعلم أن ابن الجوزى رحمه الله جمع عدداً هائلاً من الأخبار الزائفة التى ترفع من قدر هذا الصحابى أو ذاك ، شَغَلَتْ مائة صفحة من كتابه المطبوع : «العلل المتناهية»[1] .

ومن مشكلات التوثيق أيضاً أن كثيراً من الأخبار الصحيحة بمعايير أهل السُّنة لا يقبلها الشيعة ! وكثير من الأخبار الصحيحة بمعايير الشيعة لا يقبلها أهل السُّنة ! **وكان المخرج هو قبول كل ما يتسق مع القرآن والسنة الصحيحة ، ومع بدهيات العقل ، والبراءة من التناقض ومن مناقضة الخبر الأوثق ، ومن التناقض الداخلي .**

– وصدق ابن القيم رحمه الله حين قال إن : «المقلِّد المتعصب لا يترك قول مَنْ قَلَّدَه ولو جاءته كل آية . وإن طالب الدليل لا يأتم بسواه ، ولا يحكم إلا إياه . ولكل من الناس مورد لا يتعداه وسبيل لا يتخطاه . ولقد عُذر مَن حمل ما انتهت إليه قواه ، وسعى إلى حيث انتهت إليه خطاه»[2] .

ونحن لا نفقد الأمل فى إقناع بعض المتعصبين والغلاة كلية . ومنهجنا : اتباع الدليل والتماس الحق . وسوف نبذل قصارى جهدنا ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة:٢٨٦] ونسأل الله تعالى أن يهدينا وقومنا إلى الحق ، لا بأدلتنا وبراهيننا وحدها ، ولكن برحمته وهدايته وتوفيقه ، وهو سبحانه نعم الهادى الموفق إلى الصواب .

ومهما تَشبث الباحث بأصول المناهج العلمية ، ومهما حرص على الموضوعية، فإنه لا يبرأ من الخطأ . وله العذر ، لأنه بشر . وصدق «المزنى» - رحمه الله - حين قال : لو عُورض كتاب سبعين مرة لَوُجِدَ فيه خطأ ، أَبَى الله أن يكون كتابًا صحيحاً غير كتابه ! فأنا اعتذر عن أخطائى ، فإنى ما أردتها . وإذا رضى الله تعالى عن عملى ، ولم يرض عنه الناس ، فحسبى رضاه . وإذا رضى عنه الناس فتلك جائزة إضافية أشكرهم عليها .

---

(١) الجزء الثانى ؛ من ص ١٨٣ إلى ص ٢٨٣

(٢) إعلام الموقعين ؛ جـ ٤ ص ٥٥ .

ويغلب على أهل السُّنة الميل إلى اعتبار الغلاة من الشيعة هم الممثلين المعتبرين للمذهب الاثنا عشريّ ، في حين أن الشيعة أنفسهم يكفِّرون أولئك الغلاة !

فهذا كاتب معاصر يتهم الشيعة ـ هكذا دون تمييز بين الغلاة وبين الأئمة والعلماء الكبار الممثلين للمذهب – فيقول :« يرى الشيعة أن القرآن وقع فيه التحريف من قبل الصحابة رضى الله عنهم » [1] وتبعاً لهذا يصبح اتهام الشيعة ـ جملة ـ بالكفر نتيجة طبيعية ! ولا ريب أن الميرزا حسين النورى الطبرسى قد ألف كتابه : « فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب » ، ولكن لا ريب أيضاً أن أئمة الشيعة رفضوه ، وأن المصحف الذى يتلوه ملايين السُّنيين هو نفسه، حرفاً حرفاً ، ما يتلوه الشيعة الإمامية . والقاعدة العلمية المنهجية الأساسية التى أشرتُ إليها فى صدر هذه المقدمة تحتم أن نحترم الأئمة المعتبرين فى المذهب وأن نأخذ المذهب عنهم ، وأن نغفل مزاعم الغلاة المنبوذين . **لكن الرغبة فى التشنيع وتأجيج الكراهية تقود بعض الكتاب إلى عكس القاعدة العلمية ، فيعتمدون مزاعم الغلاة ، ويغفلون علم العلماء الكبار** ! وهؤلاء يعملون ضد وحدة الأمة المسلمة ، ويخدمون المخطط الأمريكى الصهيونى لتمزيق أمتنا المسلمة وقهرها وإذلالها ونهب ثرواتها ، حتى لا تقوم لها قائمة !

إننى أحترم الحقائق حتى لو بدت مضادة لهدفى الأعلى . **إننى أريد الكشف عن عناصر الاتحاد بين المذهبين ، وليس «التقريب» بينهما لأن «التقريب» قد يُشعر بالافتعال والتصنّع ، فى حين يعبر «الكشف عن القرب» عن غاية علمية موضوعية نبيلة .**

– أسأل الله تعالى الهداية إلى الحق ، وهو سبحانه وتعالى القادر على ذلك ، الميسر له ، **﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾** [ هود :٨٨ ] .

**أحمد عبد الرحمن**

---

( ١ ) د . سيد بن حسين العفانى ؛ حزب الله الرافضى ؛ ص ٢٠

# المبحث الأول

## الإمام الأول أبو بكر الصديق

## من النبوة إلى الخلافة

### ● حركة الردة

تثير خلافة أبى بكر الصديق خلافات عميقة بين أهل السُّنة والشيعة الإمامية . ومن المفيد لدراستنا هذه أن نقف على الظروف السياسية التى سادت قبيل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وآله وتفاقمت بُعَيْد وفاته .

وعنوان تلك الظروف هو - أساساً - حركة الردة ، وقد شهدت السَّنة الأخيرة من حياة النبى ﷺ - وهى السنة العاشرة للهجرة - ظهور مُسيلمة بن حبيب الكذاب فى بلاد اليمامة وادعاءه النبوة وقد أخذ يهذى بكلام مسجوع ادعى أنه قد أُوحِيَ إليه ، وكتب رسالة إلى النبى يخبره فيها أن الله قد أشركه معه فى النبوة ! [1] .

ووثب الأسود العنْسىّ باليمن . ووثب طُلَيحة فى بلاد أسد . وادَّعت النبوة امرأة تدعى سُجاح بنت الحارث فى بنى تغلب . [2] وفى عُمان ادعى النبوة رجل يُدعى « ذا التاج لقيط بن مالك الأزدى » .وارتد كثير من قومه وتابعوه ، وهاجموا عامليْ النبى وطردوهما إلى الجبال !

وتصوِّر أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ذلك الانهيار المخيف - وهى أقرب ما تكون من مصادر الأخبار - فتقول :« لما تُوُفِّى رسولُ الله ﷺ ارتدّت العرب ، واشرأبَّت اليهودية والنصرانية . ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المُطِيرةِ فى

---

( ١ ) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١٠ هـ ؛ الذهبى ؛ العبر ؛ جـ ١ ص ١٠ .
( ٢ ) نفسه ؛ أخبار سنة ١٠ هـ

الليلة الشاتية لفقد نبيهم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر » . وَهَمَّ أكثر أهل مكة بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك حتى خافهم عَتَّاب بن أسَيْد - والى مكة - فتوارى ! لكن سهيل بن عمرو - رضى الله عنه - قام فى وجوههم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال إن رسول الله قد تُوفى ، لكن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة .

**● يوم السقيفة**

ونشب الخلاف بين المهاجرين والأنصار بُعَيْدَ وفاة النبى ﷺ ، فى سقيفة بنى ساعدة فى المدينة المنورة ، حيث اجتمع المسلمون لاختيار خليفة لرسول الله . ولم يُذكر شىء عن خلاف بين أهل السُّنة والشيعة فى ذلك اليوم لأنه لم تكن قد ظهرت الفرق بَعْدُ ، لا شيعة ولا سنة ولا غيرهما .

وكان زعماء الأنصار هم الذين بادروا إلى عقد ذلك الاجتماع ، ثم التفوا حول « سعد بن عبادة » الذى كان مريضاً لا يقدر على رفع صوته ، وتولَّى أحدُهم تبليغ ما يقول للحاضرين .

قال سعد رضى الله عنه : « يا معشر الأنصار ! إن لكم سابقة فى الدين وفضيلة فى الإسلام ليست لقبيلة من العرب . إن محمداً عليه السلام لبث بضع عشرة سنة فى قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وخَلْع الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا [١] رسول الله ، ولا أن يعزُّوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضَيْمًا عُمُّوا ( ابتلوا ) به حتى إذا أراد الله بكم الفضيلة ، ساق إليكم الكرامة ، وخصَّكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه . فكنتم أشد الناس على عدوه منكم ، وأثقله على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لأمر الله طوعًا وكرهًا ، وأعطى البعيد المقادة [٢] صاغرًا داخرًا ، حتى أثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ ، وبكم قرير العين . استبدُّوا بهذا الأمر ( أى تمسكوا به ) فإنه لكم دون الناس ! »[٣] .

---

( ١ ) يعنى : يحموه . ( ٢ ) يعنى : يخضعون الناس له .
( ٣ ) تاريخ الطبرى ، أحداث سنة ١١-٣ / ٢١٨ .

بهذه العبارات الحماسية المؤثرة استأثر سعد بمشاعر الأنصار وكانوا على وشك أن يبايعوه .

وطار خبر الاجتماع إلى المهاجرين نقله عُوَيْم بن ساعدة ومعن بن عدي إلى أبي بكر وأعلماه بما يجرى فى سقيفة بنى ساعدة . فأسرع أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدةُ بن الجراح إلى اللحاق بالاجتماع . وتكلم أبو بكر فقال : « أما بعد يا معشر الأنصار ! فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا أنتم له أهل . وإن العرب لا تعرف هذا الأمر - يعنى رئاسة الأمة - إلا لهذا الحي من قريش وهم أوسط العرب داراً ونَسباً ، وقد رضيتُ لكم أحد هذيْن الرجليْن ، فبايعوا أيهما شئتم » . وأخذ بيد عمر من جهة وبيد أبى عبيدة من جهة أخرى .

وكان أبو بكر قد علم كما عَلِمَ المئات من الصحابة بقول النبى ﷺ : **« لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان »** [1]. وازدحمت السقيفة بالناس من المهاجرين والأنصار للمشاركة فى ذلك الشأن العظيم ونَيْل شرف شهوده .

ويقول عمر بن الخطاب : « فارتفعت الأصوات ، وكثر اللغط . فلما أشفقْتُ الاختلاف ، قلت لأبى بكر : ابْسُط يدك أبايعْك ! فبسط يده فبايْعتُه ، وبايعه المهاجرون والأنصار » [2]

ومن الجليّ أن كلمات أبى بكر كانت مقنعة للحاضرين من المهاجرين والأنصار، وإلا لما أقبلوا على البيعة له . وقد استند إلى حقيقة مهمة وهى أن العرب لا ترضى بأن يترأسها أحد من غير قريش ، كما استند إلى الحديث السابق القائل إن إمامة الأمة يجب أن تظل فى قريش ، والحديث الآخر القائل : « الناس تبع لقريش » [3].

وقام الحباب بن المنذر الأنصارى رضى الله عنه ، فذكَّر المجتمعين بمكانته

---

( ١ ) أخرجه مسلم ؛ باب الخلافة فى قريش ؛ جـ ١٢ من ٢٠٠ .

( ٢ ) تاريخ الطبرى ، أحداث سنة ١١هـ-٣/٢٠٦ ، الفتح الربانى - مبايعة أبى بكر - رقم ١٣٥ - جـ ٢٣ ص ٥٨ .

( ٣ ) أخرجه مسلم فى صحيحه ، جـ ١٢ص ١٩٩ .

وشرفه فى قومه ثم قال : « يا معشر الأنصار ! املكوا عليكم أمركم ، فإن الناس فى فيئكم وفى ظلكم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ، ولن يصدُر الناس إلا عن رأيكم ! أنتم أهل العزة والثروة وأولو العدد والمنْعة والتجربة ، ذَوو البأس والنجده ! وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ! ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم ... فإن أَبَى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير ! »

وسارع عمر إلى الرد عليه فقال : « هيهات ! لا يجتمع اثنان فى قرن ( أى أنه لا يصلح نظام الأميريْن ) والله لا تَرضَى العرب أن يُؤمِّروكم ونبيُّها من غيركم ! ولكن العرب لا تمتنع أن تُوَلِّى أمرها من كانت النبوة فيهم ، وَوَلِىَ أمورهم منهم ، ولنا بذلك عَلَى مَنْ أَبَى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ! » ثم تساءل عمر مستَنكراً : « مَنْ ذَا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلاَّ مُدْلٍ بباطل أو متجانفٍ لإثم ومتورطٍ فى هلكة ؟! »

ويستند عمر هنا إلى المبدأ نفسه الذى استند إليه الصديق وهو : قبول الأمة ورضاها بمن يحكمها ، وهو بدهية سياسية لا يمكن إغفالها .

لكن « الحباب » عاد إلى الجدال مع التهديد والوعيد فقال : « يا معشر الأنصار ! املكوا عليكم أمركم ، ولا تسمعوا مَقَالَةَ هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ! **فإن أَبَوْا عليكم ما سألتموه ، فأجْلُوهم عن هذه البلاد ، وتولَّوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم** ، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين مَنْ دان ممن لم يكن يدين . أنا جُذَيْلُها المحَكَّك وعُذَيْقُها المُرَجَّب ! (١)

إلى هذا الحد ذهب « الحباب بن المنذر الأنصارى » : التهديد بطرد المهاجرين من المدينة !

وحاول أبوعبيدة رضى الله عنه تهدئة الموقف فقال « يا معشر الأنصار ! **إنكم أول من نَصَرَ وآزَر ، فلا تكونوا أول من بَدَّل وغَيَّر !** »

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١-٣ / ٢٢٠-٢٢١ ، والحباب يفخر بشجاعته وخبرته العسكرية والقتالية التى عرفها الجميع عنه .

ولكن الكلمة المؤثرة بحق جاءت من «بشير بن سعد الأنصارى» رضى الله عنه .

– قال بشير :« يا معشر الأنصار ! إنَّا والله لئن كُنَّا أُولِى فضيلة فى جهاد المشركين ، وسابقة فى هذا الدين ، وما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا . فلا ينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبغى به من الدنيا عَرَضًا ! فإن الله وَلِىُّ المنَّة علينا بذلك . ألا إن محمداً ﷺ من قريش ، وقومه أحق به وأولَى . وايمُ الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ! فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم »(١) .

– هنا برزت الروح الإسلامية الحقيقية التى لا تعرف التحيز القبلى القديم وهنا ذَكَّر «بشير» الناس بأن الجهاد والعمل لا يجب أن يُتخذ ذريعة للفخر والتطاول على الناس أو وسيلة للفوز بشىء من أعراض الدنيا ، لأن ذلك كله فضل من الله تعالى ، وأيَّد «بشير» مبدأ «الإمامة فى قريش» كما قرر النبى ﷺ .

لكن «الحباب» فهم كلمة «بشير» خطأ فقال : يا بشير ! عقَّتْك عقاق ! ما أحوجك إلى ما صنعت ؟ أنَفِسْتَ عَلَى ابن عمك الإمارة ؟»

– فرد «بشير» قائلاً «لا والله ، ولكنى كرهت أن أنازع قومًا أمراً جعله الله لهم» .

وقال «أُسَيْد بن حُضَيْر - زعيم الأوس وأحد كبار الأنصار - لقومه :« والله لَوْ وَلِيَتْها الخزرج ( قبيلة سعد بن عبادة والحباب بن المنذر ) عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً ، فقوموا فبايعوا أبابكر ! » فقاموا إليه فبايعوه .

وفى كلام أُسَيْد بن حُضَيْر تبدو بقية باقية من آثار التنافس القبلى القديم بين الأوس والخزرج قبل الإسلام .

وحسمت قبيلة «أسلم» الموقف حين أقبل رجالها بأعداد غفيرة فبايعوا أبا بكر الصديق بالخلافة .

---

( ١ ) تاريخ الطبرى ، أحداث سنة ١١هـ ٣ / ٢٢١

وبعد ذلك جَرىَ جدال عنيف بين سعد بن عبادة وأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وبشير بن سعد والحباب بن المنذر . ويقول خبر إن سعد ابن عبادة بايع أبا بكر ، ولكن أخباراً أخرى تنفى ذلك ، وهى الأرجح .[1]

– وهكذا كان يوم السقيفة يوماً للشورى السياسية ، تقابلت فيه الآراء وتضاربت المواقف ، وفى النهاية انتصرت المبادئ التى أرساها رسول الله ﷺ .

– لكن الشيرازى يرى أن تقديم أبى بكر على علىٍّ أو تقديم المفضول على الفاضل يوم السقيفة هو عمل : «**جماعة حملتهم الأغراض الدنيوية والسياسية على بيعة أبى بكر**.[2]»وهذا الكلام هو الطعن القبيح الذى يشعل الكراهية والفتنة بين السُّنة والشيعة . وهو كلام قديم مضى على نشره حوالى سبعين عاماً ، لكن مطابع بيروت الشيعية تعيد إصداره هذه الأيام بأحدث الأجهزة وأثمن الورق!

ويزعم ناقد شيعى آخر أن أبا بكر وعمر وحزبهما اتفقوا سرًّا لسلب علىٍّ حقه فى خلافة النبى ، فأسرعا إلى السقيفة وعلىٌّ مشغول بتجهيز النبى ﷺ .

فهل كان من الصواب أن يقعد الشيخان ليختار الأنصار خليفة دون رأى المهاجرين ؟ وهل كان من الممكن تأجيل البت فى اختيار الخليفة عدة أيام ؟ وهل كان علىٌّ يفوز بتأييد المهاجرين والأنصار فى وجود أبى بكر وعمر؟ وهل يظن أحد غير غلاة الشيعة أن أبا بكر وعمر وحزبهما تآمروا لسلب علىٍّ حقه ؟[3]

إن أى باحث منصف لابد أن يقدِّر حكمة الشيخين يوم السقيفة .

ولو قَبِل الأنصار التأجيل – وهم لم يكونوا ليقبلوا – ورشح المهاجرون على بن أبى طالب ، ما كان من الممكن أن يَدَعُوا أبا بكر ويختاروا عليًّا . وعلى كل من يشك فى هذا أن يعيد قراءة السيرة النبوية ليتبيَّن أين يكون أبو بكر وأين يكون علىٌّ .

---

(١) تاريخ الطبرى ، أحداث سنة ١١هـ / ٢٢٢-٢٢٣ . (٢) ليالى بيشاور ؛ ص ٢٦٧ .
(٣) عبد الحسين شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ ص ٩٠ .

# بَيْعَةُ العامَّة ودَسْتَور الصِّدِّيق

وفى اليوم التالى ليوم السقيفة جلس أبو بكر على المنبر فى الحرم النبوى بالمدينة المنورة ، وتكلم عمر أولاً فقال للحاضرين .«أيها الناس ! إنِّى كنتُ قلت لكم بالأمس ( فى اجتماع السقيفة ) مقالةً ما كانت إلاَّ عن رأيى ، وما وجدتُها فى كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهده إلىّ رسول الله ﷺ . ولكنى كنتُ أرى أن رسول الله سيدبِّر أمرنا حتى يكون آخرنا . وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هَدَى به رسول الله ، فإن اعْتصَمتُم به هداكم الله لما كان هَدَاهُ له . إن الله قد جمع أمركم على خيركم ـ صاحب رسول الله وثانى اثنين إذْ هما فى الغار ـ فقوموا فبايعوا»[1]

وهذه الكلمات تمثل الأمانة والصدق فى أسمى صورة . فلم يكن ثمة سبب يحمل الرجل على قول ما قال . لكنه سياسى من مدرسة النبوة المحمدية فهو يخشى أن يظن ظانٌّ أن ما أعرب عنه من آراء فى اجتماع السقيفة إنما هو تعاليم من كتاب الله تعالى أوسُنَّة سنَّها رسول الله ﷺ فأراد أن يبدد كل الظنون الممكنة .

وبعد البيعة قام خليفة رسول الله وخطب الناس خطبة مبهرةَ ، بيَّن فيها دستور حكمه ، الذى لا يحلم به السياسيون والمفكرون فى القديم والحديث .

قال أبو بكر الصديق :«أما بعد أيها الناس ! فَإنى قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم ! فإن أَحْسَنْتُ فأعينونى ، وإن أسأتُ فقوِّمونى . الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح ( أى أرد ) عليه حقه إن شاء الله . والقوىُّ منكم ( هو ) الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لايدع أَحَدٌ منكم الجهاد فى سبيل الله ! فإنه لا يَدَعُه قومٌ إلا ضربهم الله بالذل ! ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلاَّ عَمَّهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعتُ الله ورسوله ، فإن عَصَيْتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ! قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله»[2]

---

( ١ ) فتح البارى ؛ كتاب الاحكام ـ رقم ٩ / ٧٢ ـ ١٣ / ٢٠٦

( ٢ ) سيرة ابن هشام ؛ ١ / ٣٧٤ ، تاريخ الطبرى ؛ ٣ / ٢١٠ .

بهذه الكلمات الموجزة المضيئة حدد خليفة رسول الله منهج حكمه ، فبهرتنا أصوله السياسية والأخلاقية . وقد قال فيها د. هيكل إنها آية من آيات الحكمة وفصل الخطاب »[1]

– وماذا تريد أمة من رئيسها أكثر من هذا ؟

– وهل بوسع حاكم حديث أن يلتزم بدستور مثل هذا ؟

ولا ريب أن أبا بكر لم يبتدع هذا الدستور من عند نفسه . فقد استقاه من القرآن الكريم ومن أحاديث الرسول العظيم ﷺ ، لكنه بَرَعَ في صياغته الموجزة المركزة الثرية بالمضامين السياسية والأخلاقية . إن أبا بكر لم يكن حاكما كسائر الحكام ، وإنما كان خليفة نبي عظيم ، تقلد منصباً خطيراً لم يكن راغباً فيه أو ساعيًا إليه وقد أعدَّته صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم للنهوض بتبعاته الثقيلة ، ووضعته في مكان رفيع في أعين الجميع ، فنهض بها على أحسن وجه ممكن .

ولقد رأيناه يرشح عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح للخلافة يوم السقيفة ، فيقول عمر :« ... وإنِّي والله ما كرهتُ من كلامه شيئاً غير هذه الكلمة! وإن كنتُ لأُقَدَّمَ فَتُضرب عُنُقي ، فيما لا يقربني إلى إثم ، أحبُّ إليَّ من أن أؤمَّر على قوم فيهم أبو بكر. » [2]

– ويفسر لنا كثير من مواقف الخليفة الأول ما أُثر عنه من قول « والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة ، ولا سألتها الله في سر ولا علانية »[3] رضي الله عنه وأرضاه فلم ينل منها إلا المتاعب والمشاق والمسؤوليات الجسام ، ولأن أم المؤمنين عائشة كانت تحب والدها حباً عظيماً حاولت إعفاءه من الصلاة بالناس ، وكررت المحاولة حتى غضب رسول الله ﷺ وقال :« إنكنَّ صواحب يوسف ! فَمُرُوه فَلْيُصلِّ بالناس ! » قالت عائشة :« فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يُصرَفَ ذلك عن أبي بكر ، **وعرفتُ أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه**

(١) محمد حسين هيكل ؛ حياة محمد ؛ ص ٥١٠ .

(٢) تاريخ الطبري ؛ أحداث سنة ١١-٣/٢٠٦ .

(٣) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ ٦/٢٩٥ .

أبداً ، **وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان** ، فكنت أريد أن يُصرف ذلك عن أبي بكر»[1]

ولو أراد النبي إبعاد أبي بكر عن المدينة ليخلو الجو لعلي ويفوز بمنصب الخلافة ، لأمر عليًّا ليصلي بالناس . **فإصرار النبي على أن يصلي أبو بكر بالناس دليل قاطع على زيف مزاعم غلاة الشيعة بأن النبي أراد إبعاد أبي بكر عن المدينة لتمكين عليّ من الفوز بالخلافة .**

إن هذه المزاعم فيها انتقاص من مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وآله . فهي تعني أنه كان يكيد لأبي بكر ، أو حتى يتآمر ضده ! وحاشاه أن يفعل ! ولو أراد العهد بالخلافة لعلي لما تردد لحظة في الإعلان عن ذلك أمام الجميع ، ولأصَرَّ على أن يصلي عليٌّ بالناس ، لا أبو بكر .

وليس صحيحا أن أبا بكر منع أسامة بن زيد من التحرك بجيشه منتهكاً أمر النبي ببعثه ، وإنما كان المسلمون في قلق عظيم لمرض نبيهم ، وانتقاض مدعي النبوة والمرتدين في معظم القبائل ، فاستجاب لهم أسامة بالانتظار قليلاً حتى يطمئنوا على سلامة النبي . فلما تُوفي النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، وتمت البيعة لأبي بكر ، أصدر أمره لأسامة بالتحرك ، على الرغم من خطورة ذلك ، وعلى الرغم من نصيحة كبار الصحابة بإبقاء الجيش في حراسة المدينة ، وقال رضي الله عنه : «**والذي لا إله غيره ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ما رَدَدْتُ جيشاً وجهه رسول الله !**»[2] **فكانت مفخرة في سيرة الصديق ، لا منقصة كما يتوهم الغلاة .**[3]

- **الجهاد ضد المرتدين**

وكان بعث جيش أسامة خطراً على المدينة كما سنرى فيما يلي .

---

(١) سيرة ابن هشام ؛ جـ ٤ ص ٦٥٢ ؛ ص ٦٥٠

(٢) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ جـ ٦ ص ٢٩٨

(٣) شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ ص ١٠٤

فقد اتسع نطاق الردة بين القبائل العربية بُعيْدَ تولى أبى بكر الخلافة : «فلم يعد يسجد لله تعالى فى بسيط الأرض إلا فى ثلاثة مساجد : مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد عبد القيس فى البحرين ، فى قرية يقال لها «جواثا» . وظل المسلمون المتمسكون بدينهم محاصرين فى «جواثا» إلى أن فتح الله تعالى على المسلمين بلاد اليمامة ، فبعث رجل منهم رسالة استغاثة إلى خليفة رسول الله قال فيها :

ألاَ أبلغْ أبا بكر رسولاً ... وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرامٍ ... قعودٍ فى «جواثا» مُحصرينا
كأن دماءهم فى كل فجٍ ... دماء البُدنَ تغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن أنّا ... وجدنا النصر للمتوكلينا

وهذه الرسالة تصور الأوضاع المتردية فى معظم أنحاء الدولة المسلمة .

ووجدَتْ هذه الاستغاثة وأمثالها أُذنًا صاغية لدى الصديق رضى الله عنه ، فحشد رجاله، وأرسلهم دون إبطاء لإغاثة المسلمين فى كل مكان .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : «لما مات رسول الله ﷺ ، وفَصَلَ أسامة (بن زيد) بجيشه ، ارتدت العرب ، عوام أو خواص . وتَوَحَّى (أى : ادَّعى الوحي) مُسيلمة وطُلَيحة ، فاستغلظ أمرهما . واجتمع على «طليحة» عوامُّ قبيلة طيْء وقبيلة أسد وارتدت قبيلة غطفان ؛ إلى ما كان من «أشجع» ، وخواص من قبيلة الأفناء ، فبايعوه . وقَدَّمت قبيلة هوازن رِجْلاً وأخرت رِجْلاً : أمسكوا الصدقة ، إلا ما كان من ثقيف ولَفَّها ، فإنهم اقتدى بهم عوامُّ «جديلة والأعجاز» .

وارتدَّت خواص سُلَيمْ ، وكذلك سائر الناس بكل مكان !»[1] وعن المجالد ابن سعيد قال : «لما فَصَلَ أسامة بجيشه كفَرت الأرض ، وتضرَّمت ناراً ، وارتدت من كل قبيلة عامة أو خاصة ، إلا قريشٌ وثقيفًا»[2] .

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ

(٢) الموضع نفسه .

- وحَرَّق الأسود العنسيّ من تمسكو بإسلامهم، وأشهرهم أبو مسلم الخولانى[1].

وجاء زعماء القبائل إلى أبى بكر فى المدينة المنورة : « مرتدين يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة ، فلم يقبل منهم ، وردَّهم »[2].

- وفطن الصديق إلى أن أولئك الزعماء سيعاودون المجئ إلى المدينة ، مهاجمين مقاتلين ! وصدق حَدْسُه ، فقد أغاروا على عاصمة الدولة ليلاً ، لكن حماة المدينة الذين كانوا يكمنون لهم متوقعين غدرهم ، استطاعوا دحرهم ، فهربوا . ثم عاودوا الهجوم فجراً ، لكنهم هربوا مرة أخرى أمام قوة المسلمين البواسل . وغنم المسلمون الكثير من الخيل والدواب ، وكان نصراً أعز الله به المؤمنين وأذل المرتدين.

وكان لذلك النصر أصداؤه الإيجابية فجاءت بعض القبائل إلى المدينة تحمل الصدقات .

ووردت الأخبار إلى المدينة تقول إن :« بنى ذبيان وَعبْس» وثبوا على من تمسكوا بإسلامهم من أبناء جلدتهم ، فقتلوهم شر قتلة . والجريمة نفسها اقترفتها قبائل عديدة أخرى .

وحزن المسلمون فى المدينة حزنًا عظيمًا ، وأقسم أبو بكر : لَيَقْتُلَنَّ من المشركين كل قتلة ! وليقتلن فى كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة» .[3]

وقرر الصديق أن يخرج بنفسه لقتال أهل « الرَّبذة» ، فناشده المسلمون أن يبقى فى المدينة حرصًا على حياته ، وقال قائلهم : « إنك إن تُصَبْ لم يكن للناس نظام» . فقال الصديق : « لا والله ! لا أفعل ، ولَأواسينكم بنفسى ! » واندلع القتال بقيادته ، وانهزم المشركون ، وأَجْلَىَ الصديق بنى ذبيان عن تلك البلاد ، كإجراء وقائى لأمن المدينة فى حالة حرب شاملة كتلك التى كان يخوضها المسلمون .

---

(١) فوات الوفيات ؛ جـ٢ ص ١٦٩

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ جـ٣ ص ٢٤١ ، ٢٥١ .

(٣) نفسه ؛ جـ٣ ص ٢٤٦

وشرع ابو بكر فى تجييش الكتائب وإرسالها لمقاتلة المرتدين .

فعقد لخالد بن الوليد لواءً وأمره بـ « طليحة بن خويلد » الذى ادعى النبوة ؛ فإذا فرغ من طليحة يسير إلى مالك بن نويرة .

وعقد لواءً لعكرمة بن أبى جهل، وأمره بـ « مُسيلمة » الكذاب فى بلاد اليمامة. وقد انتهى الأمر بمقتل مسيلمة سنة ١٢ هـ ، وفتحت بلاد اليمامة صلحًا . (١)

وعقد لواء للمهاجر بن أبى أمية، وأمره بالقضاء على الأسود العنسىّ ـ عبهلة ـ مدعى النبوة فى اليمن الذى تفاقم خطره واستولى على مناطق واسعة وطرد المسلمين منها .

– وعقد لواءً لخالد بن سعيد بن العاص ، وبعثه إلى الشام .
– وعقد لواءً لعمرو بن العاص وبعثه إلى بلاد قضاعة .
– وعقد لواء لحُذَيفة بن محصن الغطفانى وأمره بأهل « دبًا » .
– وعقد لواء لعَرْفجة بن هرثمة وأمرة بقبائل « مَهْرة » .
– وعقد لواء لشُرَحْبيل بن حَسَنَه ، وبعثه تعزيزًا لعكرمة .
– وعقد لواء لطُريفة بن حاجز ، وأمره ببنى سُلَيْم وهوازن .
– وعقد لواء لسُوَيْد بن مقرن ، وأمره بـ « تهامة اليمن » .
– وعقد لواء للعلاء بن الحَضْرمى وأمره بالبحرين . (٢)

وكان المنذر بن ساوى ، عامل النبى على البحرين ، قد تُوفِّى بعد وفاة النبى بقليل ، فارتد أهل البحرين بعد موته ، وَهُمْ قبائل عبد القيس وبكر . لكن الله تعالى قيَّض لهم رجلاً صالحاً هو الجارود بن المعَلَّى ، أقنعهم بالتوبة والعودة إلى ظلال الإسلام . وكانت حجة القوم أن محمداً قد مات ، ولو كان نبيًا ما مات ! فقال لهم الجارود : « ألم يمت أنبياء الله السابقون ؟ قالوا : بلى ! قال : فإن محمداً قد مات كما ماتوا » فعادوا إلى الإيمان . (٣)

---

(١) الذهبى ؛ العبر ؛ جـ ١ ص ١١
(٢) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ ؛ جـ٣ ص٢٤٩
(٣) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ

وكتب أبو بكر رسالة إلى القبائل المرتدة قال فيها: إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات : «وإنى بعثت إليكم فلانًا فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرتُه ألاّ يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوَه إلى داعية الله ، فمن استجاب له وأقر ، وكف ، وعمل صالحاً ، قَبِل منه وأعانه عليه ؛ ومَنْ أَبى أَمرتُ أن يقاتله على ذلك . ثم لا يُبقى على أحد منهم قَدَر عليه ، وأن يحرقهم بالنار ، ويقتلهم كل قتلة ، وأن يسبِى النساء والذرارى ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام» . (١)

**قاد أبو بكر عشر معارك فى آن واحد ! ولولا تصميمه الفولاذى على إنقاذ الأمة من الدمار ، ولولا رجال عظماء من الصحابة قادوا الجيوش وقاتلوا وقتلوا ، لما بقي للإسلام دولة** . ولا يجوز لباحث منصف أن ينسى تلك القيادة الفذة الشجاعة ، وينشغل بمحاولات يائسة للنيل من الخليفة الأول العظيم .

كان موقف الصديق الحازم فى مواجهة مدعى النبوة والمرتدين دليلاً عملياً ساطعًا على جدارته بالمنصب الكبير الخطير فى ظروف عسيرة مخيفة . ويكفى أن نذكر أن عمر بن الخطاب الصحابى الجليل الشهير بالحسم والحزم قد حاول ثنْي الصديق عن قتالهم ، وقال مُذَكِّرًا الصديق إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله قال : «أُمرتُ أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إلهٰ إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله» ورد أبو بكر بقوله : «والله لأقاتلنَّ مَن فَرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال . والله لو منعونى عَقَالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لَقَاتَلْتُهم على منعه» . (٢)

وواضح أن مراجعة عمر لا تشمل مدعى النبوة أو المرتدين ، بل تتحفظ على قتال مانعى الزكاة الذين لم يعلنوا ردتهم . وقد تيقن المسلمون منذ تلك المعركة أن إنكار أى معلوم من الدين بالضرورة كفر ؛ فمنع الزكاة كفر .

---

(١) نفسه ؛ أخبار سنة ١١ هـ جـ٣ ص ٢٥٠ – ٢٥١

(٢) الشوكانى ؛ نيل الأوطار ؛ كتاب الصلاة ؛ جـ١ ص ٢٨٩

وانتصر البطل خالد بن الوليد على «طُليحة» مدعى النبوة ، الذى فَرَّ إلى الشام ونصح بقية قومه - فزارة - بالفرار !

ورأت قبائل بنو عامر وسُلَيمْ وهَوَازن ذلك النصر المبين ، فاقبلوا يقولون : «ندخل فيما خرجنا منه - يعنى يريدون العودة إلى الإسلام - ونؤمن بالله ورسوله ، ونسلِّم لحُكْمه فى أموالنا وأنفسنا». (١)

والأخبار فى المصادر المعتبرة تبين أن القوم ارتدوا واتبعوا الأنبياء الكذبة . وليس صحيحاً قول بعض النقاد الشيعة إن القوم «تريثوا» فى بيعة أبى بكر . . فقط تريثوا !

ولم يقبل المجاهد العظيم القعقاع بن عمرو من قبائل أسد وغطفان وطيْء إلا أن يأتوه بالمجرمين الذين حرقوا المسلمين ومثلوا بهم ، فأتوه بهم ، فعاقبهم بمثل ما صنعوا بالمسلمين الأبرياء ، فحرَّق بعضهم بالنار ، ورضخ بعضهم بالحجارة وَرَمَى ببعضهم من قمم الجبال ، وبعث ببعض الأسرى إلى أبى بكر !

لكن فلول غطفان وهوازن وسُلَيم وأسد وطيْء تجمعت وراء امرأة يقال «سلْمى أم زِمْل» ، كانت قد سُبيت فى معركة سابقة وانتهى أمرها إلى أن صارت جارية عند أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، ثم رجعت إلى قومها ، وتزعمتهم بأساطير رددتها ! وكان لها جمل تركبه وتقف فوقه ، وقد أحاطته بأساطير خرافية حتى قيل : مَنْ نَخَس جملها فله مائة من الإبل ! ولم يغن ذلك شيئا حين التقت بالمسلمين بقيادة خالد بن الوليد ، إذ اجتمع حول الجمل بعض الفرسان وعقروه وقتلوها . وبعث خالد بأخبار النصر إلى أبى بكر فى المدينة . (٢)

كانت تعليمات الصديق لقادة جيشه قواعد أخلاقية رفيعة بحق . فقد قال لرجال جيش أسامة وهو يودعهم : «أيها الناس! قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ، ولا تُغِلُّوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً

(١) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١ هـ - جـ٣ ص ٢٥٦
(٢) نفسه ؛ أخبار سنة ١١ هـ - جـ٣ ص ٢٦٤

ولا شيخًا كبيرًا ، ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً إلا لمأكلة . . »[1]

وكل من يخالف هذه القواعد كان يعاقب . هذا هو الأمر المعتاد . فلا يعقل أن يقال - كما قال النقاد الشيعة - إن أبا بكر لم يكن يحاسب قادته أو عماله . فكيف يمكن تخيل ذلك في دولة تحكمها شريعة وقيم أخلاقية وقواعد حربية ؟

● **شناعة الغدر**

ومن عجائب المشركين في حروب الردة أن رجلاً يقال له « الفجاءة إياس ابن عبد ياليل » جاء إلى أبي بكر وزعم أنه مسلم وأنه يريد قتال المرتدين ، غير أنه يعوزه السلاح . وصدقه أبو بكر وأعطاه بعض السلاح . لكن الفجاءة استخدم السلاح لقتل المسلمين ! وغضب الصديق غضباً شديداً ، وأرسلُ طُريفة بن حاجز لقتله أو أسره ، فأسره ، وبعث به إلى الصديق الذي أوقد له ناراً وألقاه فيها مكبلاً ![2]

وتلك عقوبة رهيبة ، لكن الخداع والغدر الوضيع واستباحة دماء المسلمين بسلاح المسلمين ، كلها أعمال رهيبة ومثيرة إلى أبعد الحدود . والأصل في الإسلام أنه لا يحرق بالنار إلا خالق النار سبحانه وتعالى .

وقد اشتد النبي - صلى الله عليه وسلم وآله - في عقاب الخونة الغادرين الذين أكرمهم النبي وسقاهم وأطعمهم ، فقابلوا كرمه العظيم بقتل يسار راعي رسول الله : « فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه » ثم سرقوا الإبل والأغنام وهربوا . وأرسل النبي كُرْز بن جابر وراءهم فأتى بهم : « فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَّلَ أعينهم »[3] فبشاعة الجرم سوَّغت شدة العقوبة والغدر الخسيس له وقع أليم وهو جدير بالعقاب المريع !

**وكانت حالة الفجاءة استثناء** أما القواعد العامة التي سار عليها الصديق ، فكانت ضمن حدود الشريعة الغرَّاء التي تقول ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ

---

(١) تاريخ الطبري ؛ أخبار سنة ١١ هـ جـ٣ - ص ٢٢٦ - ٢٢٧
(٢) تاريخ الطبري ؛ أخبار سنة ١١هـ جـ٣ ص٢٦٤
(٣) سيرة ابن هشام ؛ جـ٢ ص٦٤١

بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة:١٩٤] وتقول ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] وقد أمر قادته لقتال مَن رجع عن الإسلام أن يتقوا الله : «فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له ، قَبِلَ ذلك منه ، وأعانه عليه بالمعروف ، وإنما يُقاتَل مَن كفر بالله . . فمن أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل . .»[١]

## ● قصة مالك بن نويرة

وكانت قبائل بنى تميم خاضعة للدولة المسلمة ، وعين النبى صلى الله عليه وسلم وآله عمالاً لإدارة شؤونهم . وكان مالك بن نويرة أحد أولئك العمال ، على بنى يربوع . وعزم الزبرقا ن ، وهو أحد أولئك العمال، على البيعة لأبى بكر وإرسال الصدقات إلى المدينة ، فى حين ارتد بعض رجال القبائل واضطربت أحوال القوم ، فبعضهم آثر الانتظار وبعضهم ارتاب ، وبعضهم تردد ؛ وفى أثناء ذلك فاجأتهم امرأة تدعىّ «سجاح بنت الحارث» ، تقود بنى تغلب وقبيلة ربيعة ، فكانت داهية أصابت قبائل تميم حيث هاجمتهم وهم فى تلك الحال من الاضطراب والتفكك ! ودعت مالك بن نويرة إلى الموادعة فأجابها .

## ● خالد بن الوليد والمرتدين

ادعت سجاح النبوة ، وأرادت غزو المدينة المنورة وحملها مالك بن نويرة على أحياء بنى تميم، واضطر عمال النبى إلى الهرب، وأنكروا ما صنعه مالك بن نويرة . ثم اتفق مالك وسجاح ورجل يدعى وكيع على قتال المسلمين.[٢] ثم اتجهت سجاح إلى اليمامة واتفقت مع مسيلمة. وفاجأهم سيف الله المسلول خالد بن الوليد، فتفرقوا ، فلجأت سجاح إلى بنى تغلب . وجاء بنو مالك إلى خالد بن الوليد يحملون الصدقات ، واعتذروا له عن موادعة سجاح . ولم يبق من بلاد بنى حنظلة متمرد إلا مالك بن نويرة ومن انضم إليه من قبيلة البطاح .[٣]

وبعد أن أخضع خالد قبائل أسد وغطفان وطيئاً وهوازن، اتجه إلى «البطاح»،

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ جـ٣ ص ٢٥١ – ٢٥٢

(٢) تاريخ الطبرى ؛ جـ٣ ص ٢٧٠

(٣) نفسه ؛ جـ٣ ص ٢٧٦

ولما أحس مالك بن نويرة بقدوم خالد ، وزع أتباعه في أراضيهم ، وقال لهم : « يا بني يربوع ! إنا قد كنا عصينا أمراءنا ( يقصد أبا بكر الصديق ) إذْ دعونا إلى هذا الدين، وبطأنا الناس عنه، فلم ننجح ولم نفلح » ورجع هو إلى منزله .

وأمر خالد رجاله بأن يأتوه بكل من لم يجب إلى الإسلام ، فجاءوه بمالك بن نويرة وآخرين . وكانت ليلة باردة فأمر خالد رجاله بأن « يدفئوا أسراهم » . وكانت هذه العبارة في لغة كنانه تعني القتل ، فقتلوهم ! وكان ضرار بن الأزور هو الذى قتل مالك بن نويرة ، أى أن خالد بن الوليد كان بريئًا من دمه ، لكنه أخطأ حين تزوج امرأته أم تميم ابنة المنهال ، « وتركها لينقضي طُهرها »[1] وقد عنَّفه أبو بكر على الزواج ، لكنه عذره في قتل مالك .

ويتناسى النقاد الشيعة كل بطولات خالد وجهاده العظيم ضد أدعياء النبوة وأتباعهم من المرتدين والمتمردين ومانعي الزكاة ، ولا يذكرون إلا مقتل مالك بن نويرة ، لكي يتخذوه تكئة للتهجم على الصديق رضى الله عنه ، ويتورط بعض المؤلفين السُّنة في الانجرار إلى موقف الدفاع عن الرجلين العظيمين خالد وأبي بكر! **والعلم الموضوعي يجب أن يتصدى لذلك النقد المغرض ، وأن يتجاوزه بسرعة ، لكي ينشغل بالفتوحات والانتصارات الكبرى التي أنقذت الدولة المسلمة من الانهيار الشامل ، وأعادت بنيانها قويًا شامخاً .**

ومن مفاخر الصديق وعمر بن الخطاب أنهما أرسلا عبد الرحمن بن أبي بكر وزيداً بن الخطاب شقيق عمر ، تحت إمرة خالد بن الوليد إلى تلك المعركة الرهيبة ! وكان معهما أيضا عبد الله بن عمر . وقد استشهد زيد ، وعاد عبد الله ، فسأله والده :

ألا هَلَكْتَ قبل زيد ؟ !

فرد عبد الله : قد حرصتُ على ذلك أن يكون ، ولكن نفسي تأخرت ، فأكرمه الله بالشهادة .

---

( ١ ) تاريخ الطبرى ؛ جـ٣ ص ٢٧٩

وأبْلَى عبد الرحمن بن أبى بكر بلاءً حسناً ، إذ قَتَلَ أَحَدَ أعظم قادة بنى حنيفة « مُحَكَّم بن الطفل » ، رماه عبد الرحمن بسهم فى نحره فقتله .

واجتمعت جموع بنى حنيفة الهائلة فى حديقة لهم ، فقال البراء بن مالك لإخوانه المجاهدين : ألقونى عليهم ! فألْقوه ، فقاتل قتالاً شرسًا حتى فتح الباب للمسلمين !

وَقَتلَ وحشيٌّ مسيلمة بحربته الشهيرة ، ثم أجهز عليه رجل من الأنصار .

كانت معركة الحديقة هى المعركة الكبرى الفاصلة . وقد وقعت قبلها معركة صغيرة ، قَضَى المسلمون فيها على كل من شارك فيها من بنى حنيفة ، وأسروا زعيمهم « مجَّاعة بن مرارة » ، الذى وقع وثيقة الاستسلام عن قومه بُعَيْد المعركة الكبرى .

وتوصف معركة الحديقة بأنها لا مثيل لها فى تاريخ العرب حتى ذلك اليوم وكان رجال بنى حنيفة ٤٠٠٠٠٠ ( أربعمائة ألف ) قُتل منهم ألف وأربعمائة ومن المسلمين ألف ومائتين .

وتجلت عبقرية خالد حين رأى الحرب سجالاً ، تكون مرة على المرتدين ومرة على المسلمين . عندئذ أمر أن يقاتل رجال كل قبيلة معاً ، وقال للناس : « أيها الناس امتازوا ، لنعلم بلاء كل حي ، ولنعلم من أين نُؤتى ! » وأدرك البطل أن النصر لن يتم إلا بقتل مسيلمة ، فهاجمه وأرهقه ، فادبر ، وتراجع قومه من ورائه واحتموا بالحديقة . وفتح بابها البراء بن مالك ، وقتل وحشى مسيلمة ، وانهزم المرتدون . ووقع « مُجَّاعة » وثيقة الاستسلام .

## ● نقطة ضعف فى البطل

وتجلت نقطة الضعف فى القائد الفذ ، إذْ طلب الزواج من ابنة « مُجَّاعة » ، فى ظرف غير مناسب بالمرة ؛ وغضب الصديق من ذلك فكتب إليه يقول : « لعمرِى يا بن أم خالد ! إنك لفارغ ، تنكح النساء وبفناء بيتك دَمُ ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجففْ بعد ! » (١)

---

( ١ ) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١٣هـ جـ٣ ص ٣٠٠

وغضب عمر بن الخطاب من سلوك خالد بن الوليد وخصوصاً مَقْتَل مالك بن نويرة ، وألح على الصديق أن يعزله ، **فقال أبو بكر : لا يا عمر ، لم أكن لأشيم (أى أغمد) سيفًا سَلَّه الله على الكافرين . »**

واعتذر خالد لأبى بكر عما حدث ، وشرح له تفاصيل الوقائع ، فَعَذَرَه . وقال أبو بكر لعمر " «هيه يا عمر ! تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد !» ودفع الصديق الدية الشرعية لأهل مالك كما هى فى القتل الخطأ ورد السَّبي إلى بنى يربوع ، قوم مالك .

وكان من تفاصيل حادثة مقتل مالك بن نويرة أنه تحدث إلى خالد فقال ضمن حديثه : «ما أخَالُ صاحبكم - يعنى النبى ! - إلا وقد كان يقول كذا وكذا» فقال له خالد : «أوَ مَا تَعُدُّه لك صاحباً ؟» والمؤمن الحق لا يتحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله بذلك الأسلوب ، فادرك خالد أن الرجل قد ارتد . هذا فضلاً عن موادعته «سُجاح» والعمل معها ضد المسلمين، وتحريض قومه على عدم إيتاء الزكاة.[1]

وينسى الناقد الشيعى كل هذه الحقائق ، للأسف ، ليصور البطل المجاهد خالد بن الوليد فى صورة المعتدى ، ويصور الصدِّيق رضى الله عنه فى صورة المستهين بدماء المسلمين ؛ **وهذا النقد متحيز وغير علمى ، ولا وزن له ، بل هو مضلل ، يغشِّى على أبصار المسلمين حتى لا يروا حقيقة الانتصارات الباهرة التى حققها الصدِّيق ورجاله المجاهدون ، فى ظروف غاية فى الصعوبة والاضطراب .**

وكان المنذر بن ساوى - عامل النبى على البحرين - قد مات بعد موت النبى ﷺ بقليل . وارتد بعض أهل البحرين بعد موته ، وثبت بعضهم على إسلامه . وبعث أبو بكر الصديق العلاءَ بن الحضرمى إلى البحرين ليفك الحصار الخانق الذى ضربه المرتدون على المسلمين . وكان يقود المرتدين رجل اسمه «الحُطَم بن ضُبَيْعَة» وكان مالك بن نويرة يعينه على المسلمين وهو فى البطاح»[2].

---

(١) راجع تفاصيل هذه القضية فى تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١هـ ؛ جـ١ ص٢٦٨ ، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٨ ؛ وصحيح مسلم ؛ جـ٣ ص٢٠٣ ؛ وفوات الوفيات ؛ جـ٣ ص٢٣٤

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١هـ-١ص٣٠٥

ـ وبعث العَلاء أحد رجاله ليستطلع أحوال الأعداء ، فوجدهم فى معسكرهم سكارى ! واقتحم المسلمون معسكرهم ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، وفر الباقون . ووقع بعضهم فى الأسر وقُتِلَ « الحُطَم » وتجمعت فلولهم فى مكان يسمى « دارين » فطاردهم المسلمون وهزموهم شر هزيمة . وكتب العلاء إلى الصديق يبشره بالنصر .

## ● عُمان و« مَهْرة » ونبى كاذب !

وكان قد ظهر فى عُمان رجل اسمه « ذو التاج لقيط بن مالك الأزدى » ، ادَّعى النبوة ، وارتد عن الإسلام بعد أن كان قد أسلم .وسيطر على عمان ، وطرد منها عاملى النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، وهما : جَيفَر وعَّباد ، فلجأوا إلى الجبال . واستغاثا بأبى بكر ، فبعث إليهما حُذَيفة بن محصن الغَلْفانى وعرفجة البارقى . واتجه حذيفة إلى عمان ، واتجه عرفجة إلى « مَهْرة » ثم عززهما الصديق بعكرمة بن أبى جهل . وتجمع كل أولئك القادة ونظموا قوتهم ، واتفقوامع بعض القبائل ، ثم خاضوا المعركة ضد « لقيط » وكانت معركة رهيبة ، قُتل فيها ( ١٠٠٠٠ ) عشرة آلاف من المرتدين ، وغنم المسلمون الكثير ، فكان الخمس الذى أرسل إلى أبى بكر ( ٥٠٠ ) خمسمائة رأس[١] .

ثم اتجه المسلمون إلى « مهرة » فوجدوهامنقسمة على نفسها . وتزعم جماعة منها رجل اسمه « شخريت » ، وقد هداه الله وعاد إلى الأسلام بدعوة عكرمة بن أبى جهل ، وانضم إلى المسلمين فى قتال الجماعة الأخرى التى أصرَّت على الردة بقيادة المدعو« المصبَّح » . وانتصر المسلمون وأرسلوا خمس الغنائم إلى أبى بكر مع البشارة بالنصر .

وفى « تهامة » انتصر عَتَّاب بن أسيد مع من ثبت على إسلامه .

وفى بلاد « عَك » انتصر الطاهر بن أبى هالة على المرتدين .

وهكذا أنقذ أبو بكر الصديق وإخوانه الأبطال والدولة المسلمة من الانهيار والزوال ، رضى الله عنهم جميعاً .

---

( ١ ) تاريخ الطبرى : أحداث سنة١١هـ ـ جـ٣ ص٣١٣ ـ ٣١٦ .

● **البذرة الأولى للخلاف : على يتأخر عن البيعة**

إن المعلومات التى تزخر بها المصادر الإسلامية على وفرتها لاتجيز للباحث المنصف الحديث عن وجود «سنة وشيعة» فى تلك الفترة الباكرة إلا بعد مقتل عثمان بن عفان : كما سنرى فيما يلى من هذه الدرسة . أما قبل ذلك فلم يوجد إلا جماعة المسلمين أو «الأمة المسلمة».

**لكن بيعة أبى بكر أفرزت خلافاً بين على بن أبى طالب وأبى بكر ، ومن الممكن اعتبار ذلك بذرة الخلاف الأولى بين الفريقين** . ذلك أن على بن أبى طالب لم يبايع أبا بكر إلا بعد ستة أشهر من يوم السقيفة ، وبعد وفاة فاطمة الزهراء رضى الله عنها . وكان يرى أنه الأحق بالإمامة(١) .

يقول الطبرى أن عليًّا رضى الله عنه جمع بنى هاشم عنده واستدعى أبا بكر، فلما دخل عليه قال علىٌّ : «أما بعد ، فإنه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكارٌ لفضيلتك ، ولا نَفَاسَة عليك بخير ساقه الله إليك ، ولكنا كنّا نرى أن لنا فى هذا الأمر ( يعنى الخلافة ) حقاً فاستبددتم به علينا »ثم ذكر علىٌّ قرابته من رسول الله ﷺ(٢).

ـ ورد أبو بكر قائلاً :«أما بعد ، فوالله لقرابة رسول الله أحب إلىَّ أن أَصِلَ من قرابتى.» (٣) ثم تطرق الحديث إلى موضوع ميراث فاطمة من أبيها . وبعد ستة أشهر بايع علىٌّ أبا بكر ، وأثنَى عليه . ورأى المسلمون ذلك فأقبلوا على علىٍّ وقالوا له :«أَصَبْتَ وأَحسَنْتَ»(٤)

ـ وحاول أبو سفيان بن حرب فى فترة قعود علىٍّ عن البيعة لأبى بكر أن يحرض عليًّا على التمرد وانتزاع الخلافة بالقوة . وكان يحاول إثارة ثائرة علىٍّ

---

( ١ ) نهج البلاغة : الخطبة الشقشقية : ص٣٣
( ٢ ) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١هـ-٣/٢٠٧
( ٣ ) نفسه ؛ ٣/٢٠٩ ( ٤ ) نفسه .

فيقول: أين الأذلّان ، علي والعباس ؟! وقال لعلى يوماً :« أبَاحسن ! ابسُط يدك حتى أبايعك ! » فرفض عليٌّ وقال له :« إنك والله ما أردتَ إلاّ الفتنة ! وإنك والله طالما بَغَيْتَ الإسلام شرًّا ! لاحاجة لنا فى نصيحتك ! » [١] وهذا الحوار يبين حكمة علي رضى الله عنه وفهمه العميق للناس .

وقد علق ابن كثير رحمه الله على مبايعة عليّ لأبى بكر بقوله :« إن مبايعة عليّ دون تأخير هى مايليق به . والذى يدل عليه الآثار : من شهوده معه الصلوات، وخروجه معه إلى ذى القصبة بعد موت رسول الله ﷺ ... وبذله النصيحة والمشورة بين يديه »[٢]

لكن أحد كتاب الشيعة المعاصرين يؤكد أن عليًّا لم يبايع أبا بكر ، بل إنه حاول الانتقاض عليه ، لكنه أخفق ، فظل معارضاً له دون أن يتمكن من القيام ضده بعمل مسلح . [٣]

وذكر « القبانجى » أن عليًّا كان يدور على بيوت الأنصار ، ومعه زوجته يحثهم على نقض البيعة لأبى بكر ومبايعته هو ، وأنه جمع حوله بعض أنصاره ، مثل الزبير بن العوام والمقداد ، ومعهم السلاح . وكان يدبر الأمور معهم فى بيته للإطاحة بأبى بكر ! ( والمصادر السُّنية لم تذكر شيئاً عن تلك المؤامرات ) [٤]

لكن ثمة خبراً يشير إلى صحة ذلك ، فيذكر أن عمر بن الخطاب ذهب إلى بيت عليّ وكلم فاطمة قائلاً :« يابنت رسول الله ! مامن أحد فى الخلق أحب إلينا من أبيك ومنك بعد أبيك . وايم الله ما هذا بما نعي ، إن اجتمع هؤلاء النفر عندك، أن آمر بتحريق البيت عليهم ! » [٥]

إن تهديدات عمر لاتكون بهذه الشدة إلا كرد فعل لعمل خطير ، وهى محاولة عليّ الانقلاب على الخليفة . ويجب ألاّ ننسى أن هذه الأحداث وقعت فى الفترة الحرجة التى كانت حركة الردة الشاملة تتهدد الأمة المسلمة بُعَيْد وفاة النبى ﷺ .

---

( ١ ) نفسه . ( ٢ ) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ ج٦ ص٢٩٥
( ٣ ) القبانجى ( صدر الدين )؛ تاريخ التشيُّع الفكرى والسياسى ؛ ص٤٨
( ٤ ) القبانجى ؛ تاريخ التشيع الفكرى ؛ ص٢٦
( ٥ ) النص والاجتهاد ؛ هامش ص٩٢

وكان من الطبيعي أن يغضب الخليفة الذي كان ينتظر العون من علي وأصحابه . فإذا أُثر عنه أنه انتقد عليًّا ووصف فعلته بألفاظ شديدة ـ دون ذكر اسمه ـ كان معذوراً في ذلك دون ريب .

والناقد الشيعي لم ينتبه إلى أن التآمر على إمام الأمة خطأ جسيم ، لا يرتضيه مسلم عادي ، ناهيك عن إمام عظيم مثل علي ، يدَّعون له العصمة . إن كل مايشغله هو النيل من أبي بكر بإثبات أنه سَبَّ عليًّا دون أن يذكر اسمه . وفي اعتقادي أن هذه الأخبار ملفقة ولا تليق بالإمامين العظيمين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما . (١)

## ● البذرة الثانية للخلاف

والبذرة الثانية للخلاف بين علي وأبي بكر كانت « أرض فَدَك » ، وهي ضيعة من أموال يهود بني النضير :« مما أفاءَ الله على رسوله ، مما لم يُوجَفْ عليها بخيل ولا ركاب، فكانت للنبي ﷺ خالصة دون المسلمين ،فكان النبي ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة ، فما فَضُل جعله في الكراع والسلاح عدةً في سبيل الله عز وجل ، ثم توفي النبي ﷺ فَوَلِيهاَ أبو بكر بمثل ماولِيهَا رسول الله ﷺ . » (٢)

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :« إن فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي مما أفاء الله على رسوله ﷺ ، تطلب صدقة النبي التي بالمدينة « وفَدَك » وما بقي من خمس خيبر»(٣) .

« فقال أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : لا نُورث . ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، يعني مال الله ، ليس لهم أن يزيدوا على المأكل . وإنِّي والله لا أُغير شيئاً من صدقات رسول الله ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ ، ولأعملَنَّ فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ »(٤)

---

(١) ليالي بيشاور ؛ ص٣٢٢

(٢) الشافعي ؛ الأم ، ط الشعب ، ٤/ ٦٤-٦٥

(٣) فتح الباري : كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٣٧١١-٧/ ٧٧

(٤) نفسه ؛ رقم ٣٧١٢، وأيضاً كتاب فرض الخمس ؛ رقم ٣٠٩٢ – ٦ / ١٩٦

وهذا هو عين الصواب الذى يتحتم أن يتمسك به خليفة النبى .

**وقد غضبت فاطمة رضى الله عنها من رد أبى بكر وخاصمته حتى ماتت .**

**والخلاف هنا لا يتعلق بالخلافة أو الإمامة ، بل بمسألة مالية .** وأبو بكر تصرف كما كان يفعل دائماً ، أى كمتَّبع لرسول الله ﷺ ، لا كمبتدع مخالف له . وفى هذه المسألة وجد نفسه بين نارين : فهو إما أن يُرضى فاطمة ويخالف سُنَّة النبى وإما أن يمتثل للسُّنَّة ويُغضِبْ فاطمة ، وقد اختار الامتثال للسُّنَّة ، وهذا هو الاختيار الصائب .

**ويلاحظ أن حديث «لانُورث ما تركنا فهو صدقة» ليس من رواية أبى بكر** وحده ، فقد رواه أيضاً عمر وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبى وأبو هريرة وعلي بن أبى طالب نفسه :« والرواية عن هؤلاء ثابتة فى الصحاح والمسانيد ، مشهورة ، **يعلمها أهل العلم بالحديث »**[1]

ويجب أن نتذكر أن عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر ، وسائر أزواج النبى ﷺ ورضى الله عنهن جميعاً كان لهن نصيب فى تركة النبى لو لم تثبت صحة ذلك الحديث . ولو كان أبو بكر ممن يُؤْثر الدنيا على الآخرة لَقَسَّم التركة على الورثة ، ومنهم ابنته ، لكنه آثر طاعة رسول الله واتباع سنَّته .

**ومع مرور السنين والأحقاب تنقلب الحقائق إلى خرافات ، فتصير حدود فدك ، فى حوار بين الخليفة العباسى المهدى والإمام الكاظم ، جبل أحد ، وعريش مصر ، ودومة الجندل !** وفى رواية أخرى أن الحوار كان مع هارون الرشيد والإمام موسى بن جعفر ، وأنه حدد حدودها بعدن وسمرقند وإفريقيا وسيف البحر ( قرب أرمينيا ) »[2]

وهذا مستحيل طبعاً ، لأن الإمام موسى بن جعفر كان على علم بحدود فَدَك

---

( ١ ) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ؛ ٢ / ٤٤٠ ؛ وابن تيمية ؛ منهاج السنة النبوية ؛ ٢/ ١٥٧

( ٢ ) راجع الحكومة الإسلامية للخومينى ؛ وقد نقله عن بحار الأنوار .

ـ وهي مزرعة بأرض الحجاز ـ ولايمكن أن يقول ذلك الكلام الخاطئ . والمشكلة أن المؤلفين الشيعة الذين أوردوا هذا الكلام الخاطئ كصاحب كتاب بحار الأنوار ، والخوميني نفسه ، لم يعلقوا على الخبر مما يُفهم منه أنهم مصدقون له !

ويزعم بعض غلاة الشيعة أن أبا بكر طلب من فاطمة شهوداً لإثبات ملكيتها لـ« فدك » ويعترض هؤلاء على طلب أبي بكر بقولهم إن فاطمة كانت معصومة من الخطأ، مأموناً منها فعل القبيح ، ومن هذه صفته لا يحتاج فيما يدعيه إلى شهادة وبينة »(١)

غير أن الروايات التي ذكرت مسألة فدك ، وهي عديدة ، لم يردْ فيها ذكر العصمة ، ولم يقل عليٌّ ولا قالت فاطمة إننا معصومان ، ولا نخطئ ، وكلامنا يجب أن يُصدَّق دون شهود ! ولم يؤثر عن عليٍّ في أية قضية كان طرفاً فيها أن قال أنا معصوم . فإذا لم يقل إنه معصوم في أية قضية كان معنى ذلك أنه لم يكن معصوماً .

والحق أن العصمة للنبي ﷺ في كل ما يُبَلِّغَهُ عن ربه ، كما سوف نثبت ذلك في فصل آت . ومن البدهيّ أن لا أحد سواه كان معصوماً .

ويزعم هؤلاء الغلاة أن أبا بكر كتب كتاباً بتسليم فدك إلى فاطمة بشهادة علي ، لكن عمر بن الخطاب مَزَّقَ الكتاب وخرقه ! بل قالوا إن عمر أخذ الكتاب من فاطمة وَتَفَلَ فيه ، ومزقه ، فخرجت فاطمة تبكي »(٢)

كان عمر هو الخليفة ، لا أبو بكر ! ولْنفرض أن عمر صنع ذلك الصنع القبيح، فهل كان عليٌّ يسكت عليه ؟ وهل كان أبو بكر يتقبله وهو إهانة له ؟ ألم يكن من الطبيعي أن يكتب أبو بكر كتاباً آخر لفاطمة ؟!

ـ إن هذا لم يحدث ، لأن الخبر أصله من مخترعات غلاة الشيعة الذين أرادوا « شيطنة » عمر . **ويشهد الله والمؤمنون في كل العصور أن عمر بن الخطاب كان مفخرة للإسلام والمسلمين في عدله وحكمه ، وأنه قاد الأمة إلى الفلاح والنجاح ، والاستقرار ، والأمن ، والسيادة على أصقاع واسعة من العالم ، من بلاد الشام ، ومصر ، وبلاد فارس، وإن أية محاولة للنيل منه لهي جريمة كبرى في حق أمتنا !**

---

(١) الميلاني ؛ قادتنا ؛ جـ ٤ ص ٣٤٨ – ٣٤٩ (٢) نفسه ؛ ٣٥٠-٣٥١

ولقد وافق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ في أثناء ولايته ـ على أن يتولى علي والعباس إدارة «فدك» على القواعد نفسها التى أديرت عليها فى عهد النبى ثم فى عهد أبى بكر، لكنهما لم يتفقا، وجاءا يختصمان إلى عمر فقال لهما: **«أتريدان أن أدفع لكل واحد منكما نصفاً؟ أتريدان منى قضاءً غير ما قضيت به بينكما أولاً؟ فلا والله الذى بإذنه تقوم السماوات والأرض لا أقضى بينكما قضاءً غير ذلك! فإن عجزتما عنها فَادْفَعَاها إلىَّ أَكْفِكُمَاهَا»**(١)

وقد أورد ياقوت الحموى هذا الخبر، ثم تتبَّع ملكية «فدك» حتى عهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه (٦٤-١٠١هـ) الذى آلت إليه، فردها إلى الوضع الذى كانت عليه فى عهد النبى ثم أبى بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم علي (٢).

ويفهم من هذا أن عليًّا رضى الله عنه لم يستغل سلطته كأمير للمؤمنين لمدة أربع سنوات وبضعة أشهر ليعيد تلك الضَّيْعة إلى ملكية ورثة فاطمة رضى الله عنها. **ومن هذا قد نفهم أنه رضى الله عنه قد تأكد من صحة الحديث: «لا نُورث. ما تركنا فهو صدقة»** ولا نشك فى أنه من رُواته. والشيعة اليوم وعلى امتداد التاريخ يعتبرون أبا بكر ظالماً لفاطمة لأنه حرمها من ميراثها الشرعى. فلماذا سكت عليّ على ذلك الظلم بعد أن أصبحت بيده إزالته؟

وهكذا تحولت الخلافات الاقتصادية، المالية، إلى الطعن فى دين الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول لأنهم ظلمة استلبوا ميراث الزهراء فى تركة أبيها، كما استلبوا حق عليٍّ فى الخلافة، وأصبح سبُّ الراشدين الظلمة تراثًا شيعيًا عامًّا. وإذا صحَّ أن عليًّا لم يَرُد ميراث فاطمة لأولادها وهو قادر على ذلك لصح أنه كان ظالماً مثل الثلاثة السابقين عليه!! وهكذا أصبح ماسُمِّيَ بـ«مظلومية» الزهراء بمثابة هُوَّة شاسعة بين الشيعة وأهل السنة على امتداد التاريخ حتى الساعة. **ونسى الجميع أنه إذا كان لفاطمة ميراث ومظلومية فإنه يجب أن يكون لكل واحدة من أزواج النبى، وكل واحد من ورثته، ميراث ومظلومية، لأنهم جميعاً لم يرثوا!**

وحاول بعض الباحثين الشيعة تكذيب حديث: «لانورث. ما تركنا فهو

(١) الشافعى؛ الأم؛ ط الشعب؛ ٤/٦٤: فتح البارى؛ كتاب الفرائض؛ جـ١٢ ص٦
(٢) معجم البلدان؛ مادة فدك؛ ٤/٢٣٨-٢٤٠

صدقة» بالاستناد إلى شرع مَنْ قبلنا من أنبياء الله ، وقد قال الله تعالى «وَوَرِثَ سليمانُ داودَ» فكيف يقال إن الأنبياء لا يورثون ؟

ـ وقد فَنَّدَ شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الادعاء فقال :«إن لفظ الإرث يستعمل فى إرث العلم والنبوة والملك وغير ذلك من أنواع الانتقال» . وسليمان ورث عن أبيه النبوة والعلم ، لا المال ، فحديث :«لانورث» صحيح . ويضيف ابن تيمية قرينة أخرى وهى أن النبى ﷺ أَبَى إعطاء فاطمة خادماً ، كما هو ثابت فى الصحيحين . فعنده أن هذا يبين مشروعية سلوك أبى بكر حين أَبَى أن يعطيها «فدكاً»(1)

وفى اعتقادى أن مسألة «فدك» تسئ إلى علي رضى الله عنه وإلى فاطمة رضى الله عنها ، إذ أنها تظهرهما فى صورة قوم حريصين على الدنيا وأعراضها ، وهو ما يتعارض مع صورة الزهاد التى عرفناها عنهما . ومن المحزن أن نجعل نحن المسلمين من قضية ملكية قطعة أرض زراعية باباً طويلاً ، عريضاً ، مريراً، فى تاريخ الخلاف بين فرق الأمة المسلمة ، بحيث يصبح من العسير أن نختصرهُ أو أن نطويه أو نتجاوزه لكى تلتئم صفوف أمتنا المسلمة فى مواجهة الحرب العالمية المعلنة عليها فى كل أقطارها من قِبَلِ الولايات المتحدة والغرب والشرق جميعاً .

وعلى نقيض ما يقوله الشيعة ، لم تقل فاطمة إن أباها وهب لها «فدكاً» «وإنما اخبرتها أم أيمن بأن ذلك كان قصده. وهذا ما ذكره محمد حسين هيكل رحمه الله(2) . وهذا الكلام يهدم ركناً كبيراً من دعوى المظلومية .

● **البذرة الثالثة للخلاف : سهم ذوى القربى**

ـ وطالبت الزهراء ـ رضى الله عنها ـ بنصيبها فى سهم ذوى القربى الذى نصت عليه الآية الكريمة ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾ [الانفال :41] .

ـ قال لها أبو بكر :«بأبى أنت وأمّى ، ووالد ولدك ، السمع والطاعة لكتاب

---

(1) منهاج السنة النبوية ؛ 2/169 ؛ وابن حجر فى فتح البارى ؛ كتاب الفرائض ؛ رقم 6730 جـ12 ص 8-9

(2) محمد حسين هيكل ؛ حياة محمد ؛ ص514

الله ولحق رسول الله ﷺ وحق قرابته . وأنا أقرأ من كتاب الله الذى تقرئين فيه ، ولم يبلغ علمى منه أن هذا السهم من الخُمس يُسلَّم إليكم كاملاً » .

قالت : « أفلك هو ولأقربائك ؟

ـ قال : « لا ، بل أنفق عليكم منه ، وأصرف الباقى فى مصالح المسلمين »

ـ قالت : « ليس هذا حكم الله تعالى ! »

ـ قال : « هذا حكم الله تعالى . **فإن كان رسول الله عهد إليك فى هذا عهداً، أو أوْجَبهُ لكم حقاً ، صَدَّقْتُك وسلَّمته كله إليك وإلى أهلك** » ( وهذا الرد يدحض اتِّهام أبى بكر بأنه لم يُصَدِّق فاطمة ! )

ـ قالت : إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلىَّ فى ذلك بشىء ، إلاّ أنى سمعْته يقول ـ لما نزلت هذه الآية ـ : « أبشروا آل محمد فقد جاءكم الغنى ! »

ـ قال أبو بكر : « لم يبلغ علمى من هذه الآية أن أُسلِّم إليكم هذا السَّهم كاملاً، **ولكن لكم الغنى الذى يغنيكم ويفضل عنكم** . وهذا عمر بن الخطاب وأبوعبيدة ابن الجراح ، فَاسْأليهما عن ذلك وانظرى هل يوافقك على ما طلبْت أحد منهما . »

فانصرفت فاطمة رضى الله عنها إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبى بكر ، فقال لها مثل ما قال أبو بكر . فعجبتْ فاطمة رضى الله عنها من ذلك ، وظنت أنهما كانا قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه »[1]

الخلاف هنا فى تفسير الآية . **فإن الزهراء فهمت منها أن السهم كله من حقها هى ، فى حين فهم أبو بكر وعمر أن لها منه نصيباً يغنيها ويفضل عنها، والباقى يُصرف فى مصالح المسلمين .**

وبعد الانتصارات الرائعة للصديق رضى الله عنه ، واتساع الفتوح فى عهده، كثرت الغنائم والأنفال ، وزادت احتياجات الجيوش التى تقاتل أدعياء النبوة والمرتدين . والآية تحدد الذين لهم الحق فى الاستفادة من هذا السهم ، مما يؤكد صحة فهم أبى بكر وعمر لها . ولكن الشيعة يرون أنهما أخطآ ، وأن الزهراء كانت صائبة فى اجتهادها [2] .

---

( ١ ) الميلانى ، قادتنا ، جـ ٤ ص٣٨٧     ( ٢ ) نفسه ،ص٣٩١

## ● أبو بكر الخليفة الأول

ثارت مجادلات عديدة بين أهل السقيفة ، انتهت بالبيعة لأبى بكر الصديق خليفة للمسلمين ، ثم شرع فوراً فى مواجهة أعاصير الردة فى اليمامة وعُمان والبحرين ، وأرسل الكتائب لقمعها . وتوقفت المفاضلات بين الخليفة الأول وبين على بن أبى طالب الذى اعتقد أنه الأحق بالخلافة لكنه بايعه وانضم إلى وزرائه الكبار .

ولم تظهر الفرق الإسلامية إلا عند اختيار عثمان بن عفان للخلافة . بعد مقتل عمر بن الخطاب ، وظهور بنى أمية . عندئذ ظهرت الروايات العديدة التى تفضل هذا أو ذاك .

لم يقل أبو بكر : أنا أفضل من عمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة بن الجراح ، بل قالها صريحة مدوية يوم السقيفة : «إنّى وُلّيتُ عليكم ولَسْت بخيركم !»

وتَولّى عمر بن الجطاب المنصب بعد سنتين ونصف تقريباً ، بعهد من أبى بكر ، فعادت المفاضلات إلى الظهور على استحياء . وعندما اختار عبد الرحمن بن عوف عثمان نيابة عن السِّتّة من أهل الشورى عادت المفاضلات بقوة بين الخلفاء الأربعة ، وغضب عليٌّ واتهمه بالتحيز للأمويين من أصهاره .

وبعد مقتل عثمان بايع الناس عليٌّ بن أبى طالب . لكن الأمور لم تستقر له، لأن معاوية والي الشام انشقّ عليه . بحجة المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان . ولم يكن ذلك بوسع عليّ ، فاشاع معاوية أن عليًّا يحمى قتلة عثمان !

ـ فى ذلك المناخ الملتهب ازدهرت المفاضلات بين «علي» و«أبى بكر» ، واختلط الحابلُ بالنَّابِلِ ، والأخبار الزائفة بالأخبار الصحيحة . وبرع بعض المزورين لحساب عليٌّ ، وآخرون لحساب أبى بكر ، ولم يكن الإمامان بحاجة إلى شىء من ذلك ! وفى ذلك المناخ ظهرت الشيعة ـ أنصار عليّ ـ كحزب دينى وسياسى .

---

(١) الميلانى ، قادتنا جـ٤ صـ ٣٩١

وفى اعتقاد الشيعة أن مسألة الإمامة هى :«أشرف المسائل التى يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة . وهى أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود فى الجنان والتخلص من غضب الرحمن»[1] **وعند أهل السنة هذا خطأ بل هو كفر ! «فإن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة . وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام»[2] ولو كانت مسألة الإمامة أشرف المسائل لذُكرت فى القرآن الكريم غير مرة ، ولكن القرآن مملوء بمسائل أخرى ، فكيف يكون القرآن مملوءاً بغير الأهم والأشرف؟»** «وإن أصول الدين عند الإمامية أربعة : التوحيد والعدل والنبوة والإمامة» فكيف تكون الإمامة أشرف من الأصول الأخرى؟»[3]

## ● من الأفضل ؟

وقد كان الغرض الثابت للمجادلات بين الإمامية والفرق الأخرى هو إثبات أحقية على بن أبى طالب فى منصب الخلافة ، بعد النبى ﷺ . وقد تراكمت الأخبار والشهادات فى التراث الإسلامى بعضها يُعَلِّى من قدر أبى بكر وبعضها يعلىٍّ من قدر على ، دون تمييز بين المناقب والمآثر التى يجب أن يكون لها وزن فى التقدم لمنصب الإمامة ، وما ليس لها دخل فى ذلك .

ـ والآن ، يجب على الباحث الحديث أن يتوقف أمام ذلك التراث ، ويفحص بكل موضوعية ممكنة مواقف الخلفاء الراشدين . ومن البدهىّ أننا لن نستطيع أن نغير وقائع التاريخ ونرتب الخلفاء ترتيباً مغايراً ، لكننا نستطيع أن نصحح أفكارنا ، وتبعًا لذلك نخفض من حدة الخلاف بين أبناء الأمة .

فكون أبى بكر أصهر لرسول الله ﷺ ، فذلك شرف عظيم له إذْ صارت ابنته أم المؤمنين ، وقرَّبته من زوجها . لكن هذا لا يمكن أن يُحسب فى الميزان عند الاختيار لمنصب الخليفة . وقد تزوج النبى ﷺ تسع نساء . فلم يُعتبر ذلك مسوغاً لمطالبة أحد من أصهاره باعتلاء منصب الخلافة الرفيع ، لا بعد وفاته عليه السلام ولا بعد وفاة أبى بكر أو بعد مقتل عمر وعثمان .

---

( ١ ، ٢ ، ٣ ) ابن تيمية ؛ منهاج السنة النبوية ، حـ١ ص٢٣؛ ص٣٠

وهذا يصْدق على عمر بن الخطاب أيضاً . فإذا كان تولى المنصب بعهد من أبى بكر ، فإن أبا بكر لم يقل للناس إننى اخترته لأنه صهر رسول الله وابنته أم المؤمنين !

ـ وأما عثمان فقد حظى بالزواج ببنتين من بنات النبى ﷺ . ولكن ذلك الإصهار لم يكن هو الذى أهَّله للمنصب بعد وفاة عمر .

ومرة أخرى ، هذا الكلام يصْدق على عليّ بن أبى طالب . فزواجه من فاطمة الزهراء رضى الله عنها شرف عظيم له ، لكن ذلك لم يكن هو السبب الذى أهَّلَهُ للخلافة بعد مقتل عثمان .

ويجب أن نقول مثل هذا الكلام عن أسباب عديدة للتفضيل ذكرها أنصار أبى بكر وعلى . ومن ذلك مثلاً كثرة الصلاة ، والصدقة .

وتجاوز كثير من المتحمسين حدود المشروع والمعقول جميعاً ! فهذا كاتب معاصر يكتب على الإنترنت أن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ( أحد كبار الصحابة الذين وقفوا فى صف علي ) :**«كان يعلم بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة»**[1]

ونحن نعلم أن علم الغيب لله وحده ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ [ الجن :٢٦–٢٧ ] وذكر المتحمسون لعلي أنه لما برز إليه «مَرْحَب» اليهودى يوم خيبر ضَرَبَهُ عليٌّ ضربة واحدة فشقه طولاً ، وشق الفرس عرضاً ، ونزل السيف فى الأرض ذراعين أو ثلاثة !

والحق أن بطولة علي وشجاعته لا تحتاج إلى هذه المبالغات بحال ، وربما أضيرت بسبب ذلك لأن القارئ المثقف سوف يتشكك فيها وفى الأخبار الصادقة التى تحدثت عنها .

---

( ١ ) السيد صدر الدين القبانجى ؛ تاريخ التشيع الفكرى والسياسى ؛ ص٥٥

ويستشهد بعضهم على تفضيل أبى بكر بقول النبى ﷺ :« سدوا الأبواب إلا باب أبى بكر »(١) فما صلة هذا بالترشيح للخلافة ؟ لا صلة غالباً ، وإنما هى على الأرجح حاجات الدولة الناشئة التى تتطلب التيسير على وزير النبى فى الاتّصال به مع توفير الهدوء الذى لم يكن ليتحقق مع وجود أبواب كثيرة للمسجد يدخل منها الناس ويخرجون . ولنتذكر أن أبا بكر كان يدخل على ابنته عند رسول الله لا على امرأة غريبة ، فلا داعى لإغلاق الباب الذى يصل بينه وبين النبى ﷺ .

ـ وأَمَرَ رسول الله ﷺ أيضاً بترك باب علي مفتوحاً . ولا دخْل لهذا بالترشيح للخلافة ، ولكنه إشارة إلى وحدة الأسرة بين البيتين . وهل كان يمكن أن يُسَدَّ باب ليمنع الزهراء رضى الله عنها من رؤية أبيها ﷺ فى كل حين تشاء ؟

**المطلوب إذن التمييز بين الأخبار والحقائق التى توحى بالترشيح للخلافة وبين الأخبار العديدة التى تتحدث عن صلة النبى ﷺ بصحابته الكرام رضى الله عنهم جميعاً .**

**فى اعتقادى أن الذى جمع الأمة حول أبى بكر عدة أسباب أساسية .**

**ـ فقد كانت لأبى بكر مكانة مرموقة بين القرشيين قبل الإسلام** . يقول ابن هشام :« وكان أبو بكر رجلاً مَألفًا لقومه مُحبباً سهلاً . وكان أنْسَبَ قريش لقريش، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر . وكان رجلاً تاجراً ذَا خُلُق ومعروف . وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد مَن الأمر : لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، **فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام مَنْ وَثَق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه» «فأسْلم بدعائه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله» «فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ »(٢)**

ـ فهؤلاء هم أعلام الصحابة وكبار رجالات قريش فى الجاهلية ينبذون عبادة الأصنام ، ودين الآباء والأجداد ، ويقبلون الدين الجديد الذى أقنعهم به أبو بكر .

---

( ١ ) سيرة ابن هشام : ١ / ٢٥٠-٢٥١

( ٢ ) فتح البارى : كتاب فضائل الصحابة ـ رقم ٣٦٥٣ـ ٧ / ١٢

فهذه إذَنْ شخصية قيادية فذة قادرة على خدمة الدعوة فى تلك الفترة الباكرة من انطلاقها . **فليس المهم أن يكون ترتيب أبى بكر فى الدخول فى الإسلام الأول أو الثانى أو الثالث ، ولكن المهم هذه المكانة المرموقة المؤثرة فى نصر الدين الجديد . وفضلاً عن هذا كان لأبى بكر السبق فى تصديق النبى ﷺ فى فجر الدعوة وعلى امتداد مراحلها** . وفى هذا يقول النبى ﷺ :« إن الله بعثنى إليكم فقلتم : كَذَبْتَ ! وقال أبو بكر : صَدَقَ ! وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ »( مرتين ) [1] ولم يستحق أبو بكر لقب الصديق إلا من هذا اليقين التام بصدق النبى ﷺ ومن بَذْلِه المال والجهد لنصرته . وقد كان موقفه فى مواجهة منكرى الإسراء حلقة بارزة وباهرة من ذلك اليقين بصدق محمد ﷺ ، وقد ألقمهم حجراً بكلمته الخالدة :« إن كان قال فقد صدق ! »

ويشهد له النبى ﷺ بالتضحية بالمال فيقول :« إن مِنْ أَمَنِّ الناس عليَّ فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً من أمتى لاتّخذت أبا بكر ، إلا خلّة الإسلام »[2] وفى رواية أخرى :« ولكنْ أخى وصاحبى »[3] وفى حديث آخر قال : « إنه لم يكن نبى قبلى إلاَّ وقد كان له من أمته خليل ، ألا وإن خليلى أبا بكر »[4]

**وقد مَنَح النبى ﷺ شرف الصحبة فى الهجرة لخليله أبى بكر** . وقصة الهجرة معروفة . وقد كان أبو بكر يتجهز للهجرة كسائر المسلمين فقال له النبى : « على رِسْلك ! فإنّى أرجو أن يؤذَن لى » فقال أبو بكر : وترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال :« نعم » فَحَبَسَ أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ، وَعلف راحلتيْن كانتا عنده من ورق السَّمُر أربعة أشهر »[5]

---

( ١ ) فتح البارى : كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٣٦٦١ـ٧/١٢
( ٢ ) نفسه ؛ رقم ٣٩٠٤ ( ٣ ) نفسه ؛ رقم ٣٦٥٦
( ٤ ) طبقات ابن سعد ١ / ٣٢٠
( ٥ ) مسند أحمد ( الفتح الربانى ) ؛ رقم ١٤٤

**إذَنْ : كان أبو بكر هو الرجل الثقة الجدير بصحبة رسول الله ﷺ فى رحلة الهجرة إلى يثرب بكل ما تتطلبه من استعدادات ومتطلبات وتضحيات .**

وبعد أربعة أشهر جرت فيها أحداث كثيرة انطلق الرجلان إلى « غار ثور » حيث مَكَثَا ثلاث ليالٍ . وحاول المشركون العثور عليهما ، وذهب بعضهم إلى « غار ثور » واقتربوا منهما جداً حتى قال أبو بكر :« لو أن أحَدَهم نظر إلى قدميه لأبصرنا ! » فقال عليه الصلاة والسلام :« يا أبا بكر !ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ » [1] وفى تصوير ذلك الحدث العظيم يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **إلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا** ﴾ [ التوبة : ٤٠ ]

**هذه الصحبة الشريفة هى التى أخذت فى الحسبان حين فكر المسلمون فى بيعة الرجل خليفة لنبيهم .**

## ● نقد شيعى لأبى بكر

لكن غلاة النقاد الإمامية لا يعترفون بأية منقبة للصديق رضى الله عنه ، بل يقلبون كل منقبة إلى منقصة ! ولهم فى هذا التزوير شناعات مزرية ! من ذلك أن مكارم الشيرازى يصور صحبة أبى بكر للنبى ﷺ فى رحلة الهجرة على أنها تثبت جُبن أبى بكر! فيقول المزور الشيرازى:« وأما أبو بكر فقد خرج مع النبى الأكرم ﷺ ، وتخلص من الخطر ، ولجأ إلى غار ثور . وعندما سمع صوت أقدام الأعداء الذين خرجوا من مكة فى أثر النبى ، **اصفر لونه ، وملأ الخوف والرعب قلبه ووجوده ، بحيث يمكن إدراك ذلك بنظرة بسيطة إلى وجهه** . ولهذا بدأ النبى ﷺ بتسليته ليزيل بعض الوحشة والخوف الذى سيطر عليه » [2]

ونحن نتساءل : من أين جاء الكاتب بهذا الخبر؟ وهل خرج أبو بكر إلى غار ثور من تلقاء نفسه ، أو هرباً من الخطر ، أم باختيار النبى له دون سائر الصحابة ؟ وهل اختاره النبى لثقته فيه أم لأنه جبان رعديد ؟ وهل رأى الكاتب المزور وجه أبى بكر ؟ هل عثر على وَصْفٍ وَصَفَهُ به النبى ، الذى لم يره ساعتها غيره ؟

---

( ١ ) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ كتاب فضائل الصحابة .

( ٢ ) آيات الولاية فى القرآن ؛ ص٢١٦

لا جواب عند ذلك الكاتب الكاذب الدعي . وأما الحقائق المسجلة فى السيرة النبوية فتقول **إن الصديق دخل غار ثور قبل دخول النبى لينظر أبه ضبع أو حَيَّة ، ليقى رسول الله ﷺ بنفسه . وفى أثناء الرحلة كان أبو بكر إذا خاف الكمين على النبى سبقه ليقيه خطره ، وإذا خاف الطلب تأخر عنه ليكون له ظهيراً.**(١) وإن مواقف الصديق فى مواجهة أدعياء النبوة والمرتدين لهى الدليل **الساطع على شجاعته ، وعلى افتراء ذلك الناقد الكذوب !**

## ● أبو بكر يصلى بالناس

**ومن أهم الأدلة على استحقاق أبى بكر بخلافة رسول الله ﷺ أمره له أن يصلى بالناس حال مرضه** . وقد ورد الخبر بهذا الأمر بعدة طرق . (٢)

فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت :« أُذن النبى ﷺ بالصلاة فى مرضه فقال : مُرُوا أبا بكر يصلى بالناس » فقلت : يارسول الله . إن أبا بكر رجل رقيق لايُسْمِعُ الناس ، فلو أَمَرْتَ عمر ! قال :« إنكن صواحب يوسف ! مُرُوا أبا بكر فَلْيصل بالناس ، فَرُبَّ قائلٍ ومتمنٍّ ويأبىَ الله والمؤمنون »(٣)

**ـ ويقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إنه كان فى القوم من هو أَقْرأُ من أبى بكر ، وإنما أراد النبى الدلالة على ترشيحه للخلافة . (٤) ولقد سأل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الحسن البصرى رحمه الله :« هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر ؟» قال : نعم ، والله الذى لا إله إلا هو استخلفه ! لهو أَتْقَى من أن يتوثَّبَ عليها !» وقال ابن المبارك ـ رحمه الله ـ :« استخلافه هو أمره أن يصلى بالناس، وقد صلى بالناس طوال مدة مرض النبى الأخير وصلى خلفه كبار الصحابة رضى الله عنهم . (٥)**

---

( ١ ) سيرة ابن هشام ؛ جـ١ ص٢٨٦
( ٢ ) طبقات ابن سعد ؛ ١ /٣٠٨
( ٣ ) نفسه ؛ ١ /٣١٣
( ٤ ) ابن الجوزى ؛ مناقب الإمام أحمد بن حنبل ؛ ص٢٠٩
( ٥ ) منهاج السنة النبوية ؛ ١ /١٣٨

ولكن لماذا لم يكتب لأبى بكر عهداً بالخلافة ؟

يجيب ابن تيمية رحمه الله على هذا السؤال فيقول : « والتحقيق أن النبى ﷺ دَلَّ المسلمين على استخلاف أبى بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخباراً ، راضٍ بذلك حامد له ، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً ، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه ، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك »[1]

لكن ابن تيمية لم يورد الدليل على أن النبى ﷺ « عزم » على كتابة عهد ! ولا دليل على ذلك غير الخبر الصحيح . **أما أن النبى قد دَلَّ المسلمين على استحقاق أبى بكر بخلافته فتشهد على صحته أخبار عديدة ربما أهمها على الإطلاق إصراره على أن يؤم الناس طوال فترة مرضه الأخير** دون غيره من الصحابة .

**وفي اعتقادي أن النبى ﷺ أراد أن يختار المسلمون إمامهم بأنفسهم ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [ الشورى : ٣٨ ] وألاَّ يكون للإمام تحديد اسم خليفته بغير رضا الأمة .**

## ● شرط المشيخة

والأمة لا تبايع عن رضا إلا رجلاً تعرف فيه القدرة على قيادتها وفق تعاليم دينها ، وله فى قيادتها خبراته الطويلة ، العملية ، والسياسية والإدارية . ويدخل فى هذا **« السِّن » أو « المشيخة »** ، بحيث لا يُقبل للترشيح للخلافة إلا ذوى الأسنان . ولقد وجدنا أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه القائد البطل لجيوش المسلمين فى اليرموك يحاول لَفْتَ نظر علي بن أبى طالب إلى هذا الشرط ويقول : « **يا أبا الحسن ! إنك حَدَث السِّن ، وهؤلاء مشيخة قريش ، قومُك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ، ولا أرى أبا بكر إلاَّ أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً له واضطلاعاً به . فَسَلِّم له الأمر وارْضَ به ، فإنك إن تَعش ويطلْ عمرك ، فأنت لهذا الأمر لخليق وعليه حقيق ، فى فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك** »[2] وقد طال عمر علي واكتسب خبرات القيادة وصار إماماً عظيماً .

ويلاحظ عباس محمود العقاد هذا الشرط فى تفسير بيعة المسلمين لأبى بكر دون علي فيقول **إن عليًّا عند وفاة النبى لم يكن من مشيخة الصحابة التى تؤول**

---

( ١ ) نفسه .  ( ٢ ) تاريخ التشيع الفكرى ؛ ص١٦١

**إليها الرئاسة بداهة بين ذوى الأسنان ممن مارسوا الشورى والزعامة فى حياته عليه السلام ، لأنه كان يومئذ فَتى يجاوز الثلاثين بقليل ، وكان أبو بكر وعمر وعثمان قد لبثوا فى جوار النبى بضع عشرة سنة قبل ظهور علي فى الحياة العامة ، وهم يشيرون على النبى ويخدمون الدين ويجمعون الأنصار ويُدان لهم بالتوقير والولاء»**(١)

وشرط «المشيخة» تفرضه طبيعة المنصب بما يتطلبه من الخبرات ، ومن التوقير ، كما تفرضه طبيعة الأمة وتقاليدها . ومعروف أن العرب فى جاهليتهم وإسلامهم كانوا يقدمون ذوى الأسنان على من هم أصغر منهم ، ممن قد يكونون «أفضل منهم وأقدر . وفى هذا يقول ابن تيمية :«إنه لابد من قبول الأمة كشرط للخلافة» . ويشرح هذا الشرط بقوله إنه :«لوخطب امرأة رجلان أحدهما أفضل من الآخر ، لكن المرأة تكرهه (أى تكره الأفضل) ، وإن تزوجت به لم تطعه بل تخاصمه وتؤذيه ، فلا تنتفع به ولا ينتفع بها، والآخر تحبه ويحبها ، ويحصل به مقاصد النكاح ، أفليس تزويجها بهذا المفضول أوْلى باتفاق العقلاء ، ونص من ينص على تزويجها بهذا أوْلى من النص على تزويجها بهذا ؟ فكيف يضاف إلى رسول الله مالا يرضاه ظالم أو جاهل ؟»(٢)(يقصد الزعم بأن النبى أوصى بالخلافة لعلي)

وتوكيداً لصحة شرط المشيخة نذكر أن علي بن أبى طالب ، بعدحوالى عشرين سنة من يوم تولى أبى بكر الخلافة ، كان قد اكتسب خصائص المشيخة ، من خلال مشاركاته الإيجابية القيادية مع الخلفاء الثلاثة الأول ، ولذلك وجدنا أهل الشورى يُهرعون إلى داره بُعَيْدَ مقتل عثمان ، يطلبون البيعة له . ومعنى هذا بدهيّ أعنى أن المفضول ، بسبب حداثة سنِّه وقلة خبراته ، يصبح الأفضل بعد أن تتاح له الفرصة والوقت اللازمين لأكتساب خصائص المشيخة القيادية القادرة على نيل احترام الأمة . وقد كانت كثافة مشاركة أبى بكر وعمر للنبى ﷺ ملحوظة ومشاهدة ، فيقول علي : إنِّى كنتُ أكثر أن أسمع رسول الله ﷺ يقول: فذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر»(٣) فكانت فرصة أبى بكر وعمر واسعة لِيَنْهَلاَ من حكمة النبى ﷺ وتعليمه ، نظراً

(١) عبقرية علي ؛ ص ١٠٠ (٢) منهاج السنة النبوية ؛ ١/١٤٨

(٣) الفتح الربانى ؛ رقم ٢٠٣-٢٣/٩٢

وعملاً ، منذ فجر الدعوة ، حتى لحق رسول الله بالرفيق الأعلى ، وقد بلغت ثلاثة وعشرين عاماً كاملة . أما علي فكان فى سنٍّ لا تسمح له بتلقى دروس القيادة العليا إلاّ فى السنوات العشر الأخيرة من حياة النبى فى المدينة ، أما الفترة المكية فقد تلقى فيها التربية الدينية والأخلاقية والعسكرية التى أهَّلتْه للبطولات القتالية المشهورة .

**هذه هى الخصائص الفريدة التى أهَّلت أبا بكر الصديق لمنصب خلافة النبوة : المكانة المرموقة ، واليقين المطلق بصدق النبى ، والتضحية بالمال والجهد والوقت ، والصحبة الكثيفة الحميمة ، والتفويض لإمامة الصلاة ، والمشيخة الحكيمة الوقورة .**

ولم تمض أيام حتى أدرك المسلمون أنهم بايعوا الرجل الجدير بالمنصب . فقد كان ظهور الأنبياء الكَذَبَة ، ورِدَّة بعض القبائل ، وامتناع البعض عن أداء الزكاة ، الاختبار الأول للقيادة الجديدة . وظهر العزم والحسم فى أجْلَى صُوَرِه ، ولم يتردد أبو بكر لحظة فى إعلان الحرب ضد المرتدين ومانعى الزكاة . وكان الوضع ملتبساً فى شأن مانعى الزكاة خاصة ، لأنهم لم يعلنوا رِدَّتَهم ، وبَقُوا على ما أسلموا عليه . لهذا ظن عمر بن الخطاب أنه لا يجوز قتالهُم . لكن الخليفة العظيم لم يتردد فى الأمروقال :« والله لأقَاتِلَنَّ مَنْ فَرّقَ بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ! والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لَقَاتَلْتُهم على منعه » [1] لقد كان تمرداً ينذر بانهيار الأمة [2] وَنَبْذ سُنَّة نَبِيهَا والتنصل من أحكام قرآنها . ويقول« النووى » : إن موقف الصديق يدل على علمه ، وعلى شجاعته ، وإنَّ ثباته فى وجه ذلك الموطن الحرج هو أكبر نعمة أنعمها الله تعالى على أمَّته بعد رسول الله ﷺ . » [3] وقال الدكتور ضياء الدين الريس :« إن مواجهة المرتدين من أعظم الأعمال فى تاريخ الإسلام » [4] وهذا حق لا مبالغة فيه .

---

(١) مسلم بشرح النووى ؛ ١ / ٢٠٧

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١هـ٣ / ٣٠١

(٣) نفسه ؛ الشرح ؛ ١ / ٢١١-٢١٢

(٤) الإسلام والخلافة فى العصر الحديث ؛ ص٣١٥

## ● علم الصديق

**وكـان علـم أبى بكر الواسع الدقـيق بالإسـلام سنداً له فى قـيادة الأمةوانقـياد كبار الصحابة لفتاواه وثنائهم عليه** . فيذكر ابن تيمية أن :« الصحابة فى زمن أبى بكر لم يكونوا يتنازعون فى مسألة إلاّ فَصَّلها بينهم أبو بكر ، وارتفع النزاع ، فَلاَ يُعرف فى زمانه مسألة واحدة تنازعوا فيها إلاّ ارتفع النزاع بينهم بسببه »[1] ومن تلك المسائل : تنازعهم فى وفاة النبى ﷺ ، وفى مدفَنه، وفى ميراثه ، وفى تجهيز جيش أسامة ، وفى قتال ما نعى الزكاة . وعن حذيفَة بن اليمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :« اقتدوا باللذين من بعدى : أبى بكر وعمر »[2] بعد أن تخرجا من مدرسته !

وقـال أبو هريرة رضى الله عنه :« والله الذى لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استُخلفَ ما عُبِد الله ! »[3] يشير بهذا إلى تفشى حركة الردة بين القبائل ، وحتى مكة نفسها !

ويقرر الإمام النووى ، شارح صحيح مسلم ، رحمه الله ، أن وقفة أبى بكر الخالدة ضد المرتدين ومدعى النبوة ومانعى الزكاة :« أدل دليل على شجاعة أبى بكر رضى الله عنه ، وتقدمه فى الشجاعة والعلم على غيره . فإنه ثبت للقتال فى ذلك الموطن العظيم الذى هو أكبر نعمة أنعم الله تعالى بها على المسلمين بعد رسول الله ﷺ واستنبط رضى الله عنه من العلم ، بدقيق نظره ، ورصانة فكرة ، ما لم يشاركه فى الابتداء به غيره . فلهذا وغيره ، أجمع أهل الحق على أنه أفضل أمة رسول الله ﷺ »[4]

## ● اتهام شيعى كاذب !

وبسبب اعتقاد الشيعة الإمامية أن أبا بكر حَرمَ عليًا من حقه فى الإمامة ، وجدناهم يكنون كراهية لاحد لها لأبى بكر ، ويحاولون النيل منه بكل الطرق غير المشروعة !

---

( ١ ) الفتاوى الكبرى ؛ ١ /٣٦٨

( ٢ ) الفتح الربانى ؛ أبواب ما جاء فى خلافة الخلفاء الراشدين رقم ١٢٨-٢٣/٥٥

( ٣ ) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ جـ٦ ص٢٩٨

( ٤ ) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ جـ١ ص٢١١-٢١٢

**ـ وهذا مثال صارخ وفاحش لكاتب كذاب يزعم أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة كانوا يشربون الخمر فى بيت أبى طلحة ! ويخدع القارئ الطيب فيحيله على كتاب «فتح البارى فى شرح صحيح البخارى» للإمام الحافظ ابن حجر ! وليس من المرجح أن يراجع القارئ ذلك الخبر فى «فتح البارى» الذى لا يقتنيه إلا قلة من العلماء . وكان من الطبيعى أن أراجع أنا ذلك الاتهام الشنيع فى «فتح البارى» . وكما توقعت لم أجد حرفاً واحداً عن ذلك المجلس الذى شرب فيه كبار الصحابة الخمر فى بيت أبى طلحة !**

**فنحن إذَنْ بإزاء كاتب كاذب مزور ، بلغت به الجسارة اتهام الصديق والفاروق وأبى عبيدة بشرب الخمر !** [1]

وعلى هذا أقول إن إعادة نشر كتاب «ليالى بيشاور» للشيرازى **هو عمل عدائى لتيار التقريب بين الشيعة والسُّنَّة** . إنه إعادة إنتاج **مذاهب الغلاة ، وواجبنا دفن تلك الأكاذيب لا إعادة نشرها .**

**● على يرضى**

وقد سُئِلَ ابن عمر رضى الله عنهما : «مَنْ كان يفتى فى الناس فى زمن رسول الله ﷺ ؟ فقال : أبو بكر وعمر ، ما أعلم غيرهما» [2]

ولا ريب أن على بن أبى طالب لم يكن راضيًا بإمامة أبى بكر ، كما سبق أن بيَّنَّا . لكن أخباراً عديدة تشير إلى زوال ذلك الغضب الذى شعر به عند تقلد أبى بكر المنصب دونه . فيبدو لى أن مرور الأيام وحُسْن معاملة أبى بكر لعلي ولأولاده قد غيرت موقفه من خلافة أبى بكر أولاً ثم عمر من بعده . وقد انخرط عليٌّ فى الحياة العامة وقيادة الأمة فى عهود الخلفاء الأول الثلاثة . إن هذا هو ما يفسر الأخبار العديدة عن تقدير علي لأبى بكر وعمر ، من ذلك مثلاً ما رُوى عن أبى جُحيفة قال : سمعت عليًّا رضى الله عنه يقول : ألا أخبركم بخير هذه

---

(١) ليالى بيشاور ؛ للشيرازى / ص٣٢٩
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ؛ ٢/ ٤٦٨

الأمة بعد نبيها ؟ أبو بكر ! ثم قال : ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر ؟ : عمر رضى الله عنه »[1] وقد وردت روايات أخرى في مصادر مختلفة بهذا المعنى[2]. وهى تدل على سموّ خُلق علي وكِبر نفسه وصفاء قلبه .

ـ وقد صلى علي يوماً خلف أبى بكر صلاة العصر ، ثم خرجا معاً ، فرأى أبو بكر الحسن بن علي يلعب مع الصبيان ، فحمله على عاتقه وقال : بأبى ! شبيهُ بالنبى لا شبيهُ بعليٍّ ! وعلي يضحك ! »[3] هكذا حلّت المودة بين الإمامين العظيمين .

وورث أولا د علي وأحفاده تقديره لأبى بكر . فيذكر أن الإمام الباقر رضى الله عنه كان يستشهد بأعمال أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . من ذلك أن عروة بن الزبير سأله عن حِلْية السيوف فقال : لا بأس بها . قد حَلَّى أبو بكر الصديق رضى الله عنه سيفه ، قال : قلت : وتقول : الصديق ؟! قال : فوثب وثبة ، واستقبل القبلة ، ثم قال : «نعم الصديق فمن لم يقل له الصديق فَلاَ صَدَّقَ الله له قولاً فى الدنيا والآخرة !»[4]

● **حب أهل السنة لعلى وبنيه**

وعلى الرغم من اتساع شقة الخلاف بين أهل السُّنة والشيعة فى الأصول والفروع ، واندلاع المعارك بين علي ومعاوية ، واضطهاد بنى العباس لابناء علي ، وعلى الرغم من معارك الفاطميين والأيوبيين ، والعثمانيين والصفويين ، **فقد ظل حب أهل السُّنَّة لعلى ولآل بيت النبوة ينمو مع الزمن** ، ولا تنال منه تلك العواصف العنيفة قيد أُنملة . ويخطئ كل من يزعم أن أهل السُّنَّة أيدوا معاوية ! أَجَل؛ بعض أهل الشام انخدعوا بتأويلات الأمويين عن مقتل عثمان وإيواء علي لقتلته ، ولكن تلك الفئة لا تمثل أهل السُّنَّة . إنهم أنصار معاوية وبنى أمية . **وأهل السُنة على امتداد التاريخ كانوا مع الحسن والحسين ضد معاوية وضد يزيد**

---

(١) الفتح الربانى ؛ رقم ١٢٩ ؛ ص٢/٥٦

(٢) ابن تيمية ؛ جامع الرسائل ؛ المجموعة الأولى ؛ ص٢٦١

(٣) فتح البارى ؛ كتاب المناقب ؛ رقم ٣٥٤٢ - ٦ / ٥٦٣

(٤) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ فقرة رقم ١٦٩

**وعامة ملوك بنى أمية ، باستثناء الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه** ، الذى حاز التقدير والحب من جميع أهل السُّنة والشيعة على السواء . ويسلِّم الجميع بجدارة عمر بن عبد العزيز بلقب « الخليفة الراشد » ، لكن أحداً لم يسمح بإطلاق لقب الخليفة الراشد على معاوية أو على أى حاكم أُموى آخر ، لأنهم كانوا مبتزين لاخلفاء شرعيين . (١)

ولهذا دهشْت حين قرأت لأحد الكتاب الشيعة المعاصرين مقالاً يزعم فيه أن أهل السُّنَّة زوروا الخبر عن مبيت عليٍّ مكان رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ، **فقالوا إن عليًا «بَالَ» فى فراش النبى** بدلاً من « بَاتَ» فيه !

ـ وشعرت بالاشمئزاز والغضب ، لا لاتهام أهل السُّنَّة زوراً ، ولكن للعبث بسيرة النبى ودَوْرِ علي الشجاع فى تعريض نفسه لخطر القتل . **وراجعت الخبر فى كل ما أعرف من مصادر السيرة والسُّنة والتاريخ فلم أعثر على لفظ «بات» ولا على لفظ «بال» فى أى مصدر !**

إن سيرة على بن أبى طالب مسجلة فى مصادر أهل السُّنة جميعاً ودون استثناء بكل تقدير وحب واحترام ، لأن شخصية ذلك الخليفة الراشد المجاهد تستحق ذلك . وأخبار **علي** منذ صباه فى بيت النبى ﷺ مسجلة ، مُفَصَّلة ، مشروحة ، فى كل مصادر تاريخهم ، ويفخربها كل مسلم غيور على الإسلام .

لكن مواقف بعض المؤلفين الشيعة من الخلفاء الثلاثة الأول كانت سلبية ، ولا تتفق مع موقف إمام الشيعة الأول رضى الله عنه ، فاستمرت أساليب التجريح والتكفير والسباب ، لدى الغلاة من الشيعة خاصة .

وفيما يلى أعرض لبعض المآخذ الشيعية التى ترددت حول مشروعية بيعة أبى بكر الصديق ، وهو موضوع هذا الباب من دراستى هذه ، وأدع بقية المسائل لتناقش فى أبوابها .

## ● ألم يُجمع المسلمون على بيعة أبى بكر ؟

**قال مؤلف كتاب : « منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة » فيما نقله عنه ابن تيمية :**

---

(١) هذا رأى الشافعى ؛ انظر « آداب الشافعى ومناقبه » ص١٩١

« إن بيعة أبى بكر لم تكن موضوع إجماع فإن جماعة من بنى هاشم لم يوافقوا على ذلك ، وجماعة من أكابر الصحابة : كَسَلْمان وأبى ذر والمقداد وعمار وحذيفة وسعد بن عبادة وزيد بن أرقم وأسامة بن زيد وخالد بن سعيد بن العاص .. وبنو حنيفة كافة ، ولم يحملوا الزكاة إليه ، حتى سَّماهم أهل الردة ، وقَتَلَهم ، وَسَبَاهم ، فأنكر عمر عليه ، ورد السبايا أيام خلافته »

ويرد ابن تيمية على هذا النقد فيذكرنا أولاً بأن بنى حنيفة لم يكونوا من أهل السقيفة ولا من أهل المدينة ، بل هم من أهل اليمامة الذين ارتدُّوا واتبعوا مسيلمة الكذاب ، فقاتلهم أبو بكر بُعَيْدَ توليهَ الخلافة .

ـ وأما الذين امتنعوا عن إيتاء الزكاة فكانوا من غير بنى حنيفة .

ـ ولم يعترض عمر بن الخطاب ، ولا أى صحابى على قتال مسيلمة الكذاب وأتباعه ، لكن اشتبه عليه الأمر فى قتال مانعى الزكاة ، ثم لم يلبث أن تبيَّن صحة موقف أبى بكر ، وأَيَّده .

ولم يتأخر عن بيعة أبى بكر يوم السقيفة إلا سعد بن عبادة والحباب بن المنذر والأسباب معروفة من أخبار يوم السقيفة ، والرد عليها أُعلن يومها .[1]

ولم يتحرك أسامة بن زيد وجيشه إلا بعد أن بايعوا أبا بكر ، وتردد علي بن أبى طالب وبعض بنى هاشم ، لكنهم بايعوه بعد ستة أشهر بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها ، ووقف عليٌّ دائماً سنداً قوياً لأبى بكر .

**ويقرر ابن تيمية أنه :«لا يشترط فى الخلافة إلا اتفاق أهل الشوكة والجمهور الذى يقام بهم الأمر ، بحيث يمكن أن تقام بهم مقاصد الإمامة»**[2]

ومن البدهى أن الإجماع الكامل الشامل فى مسألة كبيرة كالإمامة لا يمكن أن يحدث ، ولَسَوْف يعترض بعض الناس ويرفضون ، وسوف يرشح بعض الأفراد أنفسهم وربما أيدهم بعض رجال قبائلهم . والمهم أن يبادر القادة الكبار والزعماء وأهل الرأى والشورى بالبيعة ، وهم الذين يُسمُّون « أهل الشوكة » عندئذ تنعقد الإمامة ، لأن المرشح يكتسب القوة والقدرة من تأييدهم فى القيام بمهامِّه ، ثم

(١) راجع صـ ٢٠ من هذه الدراسة .

(٢) منهاج السنة النبوية ٤ / ٢٢٧

يتتابع الناس على البيعة ، إلا المعارضون . ونحن نرى اليوم فى الدول الديموقراطية كيف يفوز المرشح على منافسه بعدد صغير من الأصوات ، ولا يطعن أحد فى مشروعية رئاسته .

ـ ومن المعروف للكافة أن بيعة علي بن أبى طالب بالذات كانت موضع خلاف كبير ، وأن الرافضين لخلافته أكثر كثيراً من الذين خالفوا بيعة أبى بكر .

وبعض الصحابة اعترض على العهد لعمر . واعترض بعضهم على البيعة لعثمان ، وكان علي أكبر المعارضين . فهذا هو الوضع الطبيعى لأحوال الناس حين ينظرون فى مثل هذه المسائل الكبرى وينحسم الموقف عادة ، وتتم البيعة للإمام ويتمتع بالمشروعية الإسلامية ويمارس واجباته . **فالنقد الموجه إلى بيعة أبى بكر وسائر الخلفاء الراشدين لا أساس له وإنما أمْلَتْه الأحقاد والضغائن والجهل بحقائق الأمور .**

## ● بيعة أبى بكر لم تتم على رأى صحيح

ويقول المؤلف الشيعى لكتاب « منهاج الكرامة » إن بيعة أبى بكر لم تقع على رأى صحيح ، وهو يستشهد على صحة نقده بقول عمر بن الخطاب إن بيعة أبى بكر كانت فلتة .

والحق أن عمر بن الخطاب قال يوماً فى خطبة له : « إنه قد بلغنى أن قائلاً منكم يقول : والله لو مات عمر بايعْتُ فلاناً ! فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امرؤ أن يقول : إنما كانت بيعة أبى بكر فَلْتَة ! ألاَ وإنها كانت كذلك ، ولكن قد وَقى الله شرها . وليس فيكم مَن تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر [1] . مَنْ بايع رجلاً ـ من غير مشورة المسلمين ـ فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تَغِرَّة أن يُقتلا . »

ـ ويشرح ابن تيمية كلام عمر فيقول إن بيعة أبى بكر تمت دون استعداد ، ولأن أبا بكر كان مُتعيِّنًا لها ، لم تكن هناك حاجة لأن يجتمع الناس ، فكلهم يعلم أنه الأحق بها . فمن بايع رجلاً دون مشورة المسلمين استحق القتل ! لأن ذلك

---

( ١ ) هذا كناية عن مكانة أبى بكر الفريدة .

يفضى إلى الفتنة . وعمر لم يسأل الله الوقاية من شرها ، لأنها كانت خيراً للجميع وقد مضى عليها زمان طويل ، بل سأل الله الوقاية من الفتنة فى مستقبل الأيام .(١)

ـ حقاً ، بيعة أبى بكر كانت نعمة ، لأن أخطار الردة كانت تهدد الدولة فى لحظة خطيرة فارقة ـ لحظة وفاة النبى ﷺ ـ وكانت فترة حُكْمه ، بشهادة الحكماء من رجالات الشيعة الكبار ، فترة ازدهار ، وعدالة ، واستقرار وتمكن ، وفتوحات عظيمة .

**وقد تبرأ الإمام جعفر الصادق ـ السادس فى سلسلة الأئمة الاثنى عشر ـ والذى ينتسب من جهة أمه إلى أبى بكر ، من كل المزاعم التى رددها غلاة الشيعة ضد أبى بكر وسائر أصحاب رسول الله ﷺ . (٢) ولا تزال هذه المواقف الصائبة لأئمة الشيعة الكبار تتردد أصداؤها فى كتابات بعض العلماء الشيعة المعاصرين . من ذلك قول كاشف الغطاء عن أبى بكر وعمر إنهما : «بذلا أقصى الجهد فى نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ، ولم يستأثروا ولم يستبدوا» ولذلك بايعهما عليٌّ ، وسالمهما ، وأَغْضَى عَمَّا كان يراه حقاً له» (٣) وهذا حق بشهادة الثقاة .**

**● هل شك أبو بكر فى صحة بيعة نفسه ؟**

وقد بلغ الغُلوُّ مداه فى زعم أحدهم أن أبا بكر شك فى صحة بيعة نفسه ! وهو يبنى ذلك على أساس خبر زائف يقول إنه عندما حضرت المنية أبا بكر قال : «ليتنى كنت سألت رسول الله ﷺ : هل للأنصار حق فى هذا الأمر ؟» ويُكذِّب هذا الخَبَرَ قولُ رسول الله ﷺ : **«الناسُ تبعٌ لقريش فى الخير والشر»** ، الذى كان معروفاً لأبى بكر ولسائر الصحابة . وكذلك حديثه ﷺ : **«لا يزال هذا الأمر فى قريش مَا بقي من الناس اثنان»** (٤) فكيف يجوز أن يشك صحابى فى أن للأنصار حقاً فى الخلافة وهو يحفظ هذيْن الحديثين ؟ لا يجوز طبعاً ! لكن الاستهانة

(١) منهاج أهل السنة /٤/ ٢١٧
(٢) الشهرستانى ؛ الملل والنحل ؛ ١ / ١٦٦
(٣) أصل الشيعة ،ص١١٣
(٤) أخرجهما مسلم ، الخلافة فى قريش ، جـ٢ ص٢٠٠

بالحقائق تجيز حدوث أشياء سخيفة من هذا القبيل ! وفى حسبانى أن حركة التقريب بين أهل السُّنة والشيعة فى أيامنا هذه يجب أن تعيد النظر فى تراث الخلاف بينهما وتعلن بلامواربة بطلان الأباطيل ، وتؤكد دون تردد أو حرج صِدْقَ الحقائق على الجانبين .

ومن المؤسف أن المؤلفين الشيعة المعاصرين ، ودور النشر الشيعية الحديثة لا تزال تتبنى آراء الغلاة القدامى . فأحدهم يستغل حقيقة مشاورة الصديق رضى الله عنه للصحابة ليؤسس على ذلك تفضيل علي ـ المرشد ، الهادى ـ على :« من لا يُهْتَدَى إلا به ! » [1] والحق أن أبا بكر كان أعلم الصحابة بالإسلام ، لكنه كان حريصاً على الشورى ، والتوثق من صحة الأحكام والفتاوى ، وتلك منقبة للصديق رضى الله عنه ، لكن الناقد الشيعي يقلبها إلى منقصة !

**وبجسارة ممقوتة ، ونزق أحمق ، يصف الشيرازى كبار الصحابة رضى الله عنهم بالنفاق ، لأنهم بايعوا أبا بكر وتركوا على بن أبى طالب ! ويتمادى النزق حتى يقترب من تخوم النبوة المحمدية ، فيزعم :«أن النبى لم يحرك ساكناً ضد المنافقين !»** [2]

**● ياللهول !!**

إن النبى ﷺ حرص على ألا يقتل المنافقين ، كيلا يقال إن محمداً يقتل أصحابه . هذا حق لكن أحق منه أن النبى جاهد الكفار والمنافقين ، كما أمره الله تعالى بقوله ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [التحريم : ٩] فالمنافقون أصناف ، بعضهم أعلن إيمانه ، وتظاهر بحب النبى وتأييد المسلمين ، فاعتبرهم العرب من أصحاب الرسول . وهم الذين اجتنب النبى قتلهم . وبعض المنافقين أسلم ، ثم كفر ، وحارب النبى والمسلمين ، وهم الذين وصفهم الله تعالى فى سورة المنافقين، وقال ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾[المنافقون : ٤]

---

(١) جواد كسار ؛ بحث فى الإمامة ؛ ص ٣٢٠

(٢) آيات الولاية ؛ ص ٢٣٤

ـ فكيف يستجيز مسلم لنفسه أن يقول :« إن النبى لم يحرك ساكناً ضد المنافقين » وهو يزعم أنه من أتباع آل البيت النبوى الشريف ؟!

● **صفوة القول إذَنْ ...**

إن الانتقال من حكم النبوة إلى الخلافة فَجَّر بعض الخلافات بين علي بن أبى طالب ومعه بعض بنى هاشم وعدد من الصحابة من جهة ، وبين أبى بكر الصديق ومعه القطاع الأوسع من الأنصار والمهاجرين .ولكن سرعان ما اقترب الرجلان والفريقان وتعاونا على البر والتقوى ،بحيث توارت الخلافات ، وبرزت وحدة الأمة ، وزالت أسباب الخلاف والشقاق، لكى تندفع الدولة الإسلامية الناشئة إلى الأمام ، بعد أن تجاوزت الرجفة الهائلة التى ألمت بها يوم وفاة رسول الله، وقمعت فتنة الأنبياء الكذبة ، والمرتدين ومانعى الزكاة .

# المبحث الثانى

## الفاروق عمر بن الخطاب
## الخليفة الثانى

**● توطئة**

يجب أن نتوقف هنا لحظات لنتذكر أننا لا ندرس السيرة النبوية ولا عهد الراشدين كتاريخ ، **وإنما موضوعنا هو : الاتفاق والاختلاف بين أهل السُنَّة والشيعة، وهدفنا النهائى هو : الكشف عن الحقائق .**

**وقد بيَّنا بذور تلك الخلافات فى عهد أبى بكر وكيف غطت عليها عوامل الاتفاق وآفاق التعاون وأواصر الوحدة بين المسلمين بحيث لا يمكن الحديث عن سُنَّة وشيعة فى تلك الفترة** . لكن هذه الحقيقة لا يجب أن تنسينا أنه كان لعلى بن أبى طالب موقفه من الخلافة ، وأنه تجاوزه إلى آفاق رحبة من التعاون مع الخليفة الأول ، رضى الله عنهما .

وفى هذا المبحث الثانى نتابع قضيتنا فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولسوف تشدنا الأحداث فى نهاية عهد عمر وبداية عهد عثمان ونهايته لما تنطوى عليه من جوانب الاتفاق والاختلاف ، وظهور التكتل السياسى الذى سُمِّى « شيعة على » كحزب دينى متميز من أصول مكونات الأمة المسلمة التى أطلق عليها « أهل السُنَّة » . وكما هو معروف، تطورت الأفكار، وانتهى الأمر إلى تشكيل الفرق الخمس المعروفة : أهل السُنة ، والشيعة ، والخوارج ، والمعتزلة ، والمرجئة . وتفاقمت الخلافات حتى شملت الأصول والفروع ، واحْتَدت - أحيانا - حتى كَفَّر بعضها بعضاً . وقامت دول على أساس طائفى ، واندلع القتال بين الجيوش المسلمة!

واليوم تطل علينا تلك التطورات الدامية الكئيبة المهلكة ، يقودها رجال

صغار سفهاء يتسبيحون حُرْمة دم المسلمين وأعراضهم وأموالهم ، ويمهدون السُّبُل للغزاة الصهاينة والأمريكان لإخضاع أمتنا وإذلالها ونهب ثرواتها . ولسوف نرى هنا أن ما يذهب إليه أولئك السفهاء لا صلة له بديننا الحنيف الذى لا يبيح الخلاف إلا ضمن وحدة الأمة ، ولا يسمح بالتباينات إلا داخل الإطار الإسلامى الواحد .

لكن النقاد الشيعة ينسبون إلى علي بن أبى طالب أنه اتهم أبا بكر وعمر باستغلال الخلافة ، وأنه قال إنهما :« لَشَدَّ ماتشطَّرا ضرعيها »[1] وهو قول يتنافى مع أقوال علي فى حق الشيخين ، ويتنافى مع حقائق السيرة النبوية وأقوال الرسول ﷺ فى امتداح تضحياتهما . وقد لقيا ربَّهما بعد جهاد طويل صَنَعَ من الأمة المسلمة ( التى كانت مهددة بالزوال بُعَيْد وفاة النبى )[2] أعظم دولة فى العالم ، وقد صارت بلاد الشام ومصر وفارس أجزاء منها فضلاً عن الجزيرة العربية واليمن والبحرين . ولقى أبو بكر ربَّه ولم يترك لورثته شيئاً ، وكذلك عمر الفاروق ، بعد أن عاش الشيخان العظيمان عيشة زهد فى الدنيا ، اقتداء بالنبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه وآله ، وطلباً لمرضاة الله تعالى . وهذه الحقائق تنسف تلك المقولة الظالمة نسفًا! وقد كانت سيرة عمر بن الخطاب وجهاده وتضحياته العظام كوزير للنبى ثم لأبى بكر هى التى أهّلته للخلافة بعد أبى بكر . ولقد صدق الحُطيئة حين قال :

**ولم يؤثروك بها إذْ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثَرُ**

وسوف نأتى من أقوال عليٍّ فى حق عمر ما يكذب ذلك الاتهام الباطل الذىَ وضعه الغلاة على لسانه فى « نهج البلاغة » وظلُّوا يرددونه جيلاً بعد جيل إلى اليوم دون فحص أو تدقيق !

---

( ١ ) النص والاجتهاد ؛ ص٩٥
( ٢ ) فوات الوفيات ؛ جـ ١ ص ٢٧٧

# أبو بكر يعهد لعمر بن الخطاب ... لماذا ؟

لم يقع خلاف يُذكر حول خلافة عمر بن الخطاب وذلك لأن شهادات النبى ﷺ زكَّتْه ، وجهاده فى سبيل الإسلام معروف مشهور ، وخبراته القيادية فى السياسة والحرب واسعة . وقد صحب رسول الله ﷺ منذ فجر الدعوة ، وتلقَّى على يديه العلم والحكمة ، وخاض معه معارك السلم والحرب ، وأبْلىَ فى كل ذلك أحسن البلاء . والتزم العمل وزيراً لأبى بكر الصديق مدة ولا يته ، فكان نعم المستشار المخلص الأمين . وتاريخه كله سلسلة من الأعمال الباهرة الفريدة .

قال رسول الله ﷺ :« اللهم أعزَّ الإسلام بأحب هذيْن الرجليْن إليك ، بأبى جهل أو بعمر بن الخطاب » [1] وهذا الدعاء النبوى الكريم يشير إلى شخصية عمر المهيبة فى الجاهلية ، وإلى قدراته الاجتماعية والسياسية والحربية الفائقة .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال « مازلنا أعزَّةً منذ أسلم عمر . » [2] فقد كان المشركون يستخفُّون بالرعيل الأول من المؤمنين ، حتى أسلم عمر ، وتصدى لهم ، بقوته الفائقة وحميته المرهوبة .

وشهد له النبى ﷺ فقال :« إن الله عز وجل ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه » [3] وهذه الخصال الأخلاقية السامية من أهم مقومات القائد والحاكم العادل، وذلك هو ما اشتهر به عمر بعد توليه الخلافة .

وكذلك شهد له النبى ﷺ بسعة العلم وقال :« بينما أنا نائم أُتيتُ بقدح لبن ، فشربتُ منه ، ثم أعطيتُ فَضْلىِ عمر بن الخطاب » قالوا: فما أوَّلْتَه يا رسول الله ؟ قال : العلم » [4]

---

( ١ ) الفتح الربانى ؛ أبواب ما جاء فى خلافة ثانى الخلفاء الراشدين ؛ رقم ١٥٨-٢٣ / ٧١

( ٢ ) الطبقات الكبرى لابن سعد ؛ ١ /٤٦٧

( ٣ ) الفتح الربانى ؛ رقم ١٥٩-٢٣ / ٧١

( ٤ ) الفتح الربانى رقم ١٧٦ ، وعن أبى هريرة - رقم ١٧٧ مثله ، ومسلم ؛جـ ١٥ ص١٥٩

والمؤهلات العلمية الرفيعة من أهم مسوغات القيادة فى دولة تقوم على مبادئ خاصة وشرائع وقيم حاكمة فى كل مجالات حياتها . ويؤكد حديث آخر - عن عقبة بن عامر - قال :« سمعت رسول الله ﷺ يقول لو كان بعدى نبى لكان عمربن الخطاب »[1] وهذا تعبير بليغ عن سعة علم عمر بالإسلام . وهى نتيجة طبيعية لملازمته اللصيقة بالنبى ﷺ طوال عصر النبوة .

وشهد له النبى ﷺ بالتقوى والالتزام الصارم ، فقال :« إيهًا يا بن الخطاب! والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجًا قطُّ إلاَّ سَلَكَ فجًا آخر غير فَجِّك! »[2]

## ● شورى أبى بكر

لهذا كله، ولمعرفة المسلمين المباشرة بعمر، لم يقع خلاف يذكر حول البيعة له. فحين أحسَّ أبو بكر بدنو أجله، استشار عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، رضى الله عنهم جميعاً ، فى العهد لعمر من بعده . قال ابن عوف إن عمر أفضل مما يراه فيه الخليفة ولكن فيه غلظة ! فقال أبو بكر :« ذلك لأنه يرانى رقيقًا، لو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه » وقال عثمان : « اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله »[3]

وَرُوِي عن عبد الرحمن بن عوف أن بعض كبار الصحابة غضبوا من العهد لعمر ، وأن بعضهم كان يطمع فى الخلافة .[4] وفى خبر آخر قيل إن طلحة بن عبيد الله لم يكن راضياً عن العهد لعمر لشدته على الناس .[5]

ولم يكتف أبو بكر بالذين استشارهم من كبار الصحابة ، سواء الذين زكوا عمر والذين لم يزكوه ، فعمد إلى استشارة الناس الذين كانوا يعودونه فى مرضه الذى مات فيه ، ووجد شبه إجماع على الرضا به ، فقال لبعضهم :« إنِّى والله ما أَلَوْتُ من جهد الرأى ، ولا ولَّيتُ ذَا قرابة ، وإنى استخلفت عليكم عمر ابن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا » قالوا :« سمعنا وأطعنا »[6] وثبت بعد ذلك أن عهده لعمر كان من أعظم أعماله .

(١) الفتح الربانى ؛ رقم ١٥٨-٢٣/ ٧٠ (٢) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ ١٥/ ١٥٨
(٣) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١٣هـ - ٣/ ٤٢٨
(٤) نفسه . (٥) نفسه ؛ ١/ ٤٣٣
(٦) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١٣هـ - ٣/ ٤٢٨

ولم تذكر الأخبار شيئاً عن موقف علي بن أبى طالب ، وهل كان ضمن الراضين بعمر أم كان من الرافضين . لكن الأرجح أنه اتخذ موقفاً شبيهاً بموقفه من الخليفة الأول . فقد والاه وَأَيَّده وعاوَنه ، وزوَّجه ابنته أم كلثوم . وأقد أثنى عليه الثناء العطر. فعن ابن عباس أن علي بن أبى طالب وقف على سرير عمر بن الخطاب بُعَيْدَ أن أسلم الروح فقال : «ما خَلَّفْتَ أحداً أحبُّ إليَّ أن أَلْقَى الله بمثل عمله منك . وايْمُ الله إن كنتُ لأَظن أن يجعلك الله مع صاحبَيْك ، وحَسبْتُ أنِّى كثيراً (ما كنتُ) أسمعُ النبى ﷺ يقول « ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجْتُ أنا وأبو بكر وعمر»[١] **فهذا إذَنْ مستوى رفيع من الرضا القلبى عَبَّرعنه علي بوضوح لا يقبل الالتباس أو التأويل . وعلي يعلن رضاه عن سيرة عمر وأعماله ، ويتمنى أن يَلْقَى الله بمثل عمله . وهو يشهد بأن عمر جدير بصحبة النبى ﷺ وأبى بكر فى الدار الآخرة .**

ولقد حزن عَلَى مقتل عمر آلُ البيت جميعاً . وكلام عليٌ فيما سبق أصدق تعبير عن ذلك . وهذا الإمام الحسن بن علي رضى الله عنهما يقول :« أي أَهْل بيت لم يجدوا ( يعنى يحزنواعلى ) فَقْد عمر فهم أهل بيت سوء »[٢] وقال فيه علي : **« ذهبَ نقى الثوب قليل العيب ، أصاب خيرها وسبق شرها . أدى إلى الله** طاعته واتَّقاه بحقه »[٣]

وحرص عمر ـ وهو يصارع الموت ـ على إقرار مبدأ الشورى . وقد رفض أن يعهد إلى ابنه عبد الله حين اقترح عليه أحدهم أن يفعل ، وقال :« إن أستخلفُ فقد استخلفَ من هو خير منى ( يقصد أبا بكر ) ، وإن أترك فقد ترك من هو خير منى ( يقصد النبى ﷺ ) »[٤]

---

(١) فتح البارى ؛ كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٣٦٨٥ وابن ماجه ؛ رقم ٩٨ جـ ١ ص٣٧، ومسلم ، جـ ١٥ ص ١٥٨ ، ١٦٠
(٢) طبقات ابن سعد ؛ ٣/ ٣٢٧
(٣) نهج البلاغة ؛ رقم ٢٢٦ ص٢٧٧
(٤) نفسه ؛ ٣ / ٢٩٠

ـ كذلك يظهر من وصايا عمر الحرص على تنظيم الشورى وعلى سرعة اختيار الخليفة كيلا يظل مكانه شاغراً فى وقت كان المسلمون فيه هدفاً لأعداء كثيرين .

وعن ابن عمر قال :« حضرتُ أبى حين أصيب ، فَأثنوا عليه ، وقالوا : جزاك الله خيراً . فقال :« راغب وراهب ! » قالوا : استخلف ! فقال :« أتَحمل أمركم حيًا وميتًا ؟ لَوَددْتُ أن حظِّى منها الكفافُ ، لا عليَّ ولا لى ! فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ( يعنى أبا بكر ) ، وإن أترككم فقد ترككم مَنْ هو خير منى ـ رسول الله ﷺ . قال عبد الله :« فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ أنه غيرُ مستخلف »(١) لأن عبد الله كان يعرف جيداً حرص أبيه على اتباع سنة النبى ﷺ .

### ● الاختلاف فى الفقه

ولم يكن الاتفاق الفقهى بين الإمامين عمر وعلي كاملاً ، فا ختلفا فى مسائل اجتهادية عديدة . وكان التباين فى الاجتهاد خاصية علمية ذائعة فى ذلك المجتمع الفتيّ المتوثب ، دون أن يكون ذلك معْول فُرقة أو نفرة بين المجتهدين، فعلي سبيل المثال فَسَّر علي آية التربُّص (٢) بأن المُتَوفَّى عنها زوجُها ليس عليها أن تَعتَدَّ فى بيتها ، وتعتَّد حيث شاءت ، فى حين كان عمر يرى أن عليها أن تعتد فيه ، ولا يجوز لها أن تخرج فى حج ولا عمرة حتى تنقضى عِدَّتها . (٣)

### ● ترشيح على للخلافة

ومن ثمار الحوار بين الإمامين ( عمر وعلي ) أن عمر رشح ستة من كبار الصحابة ليختاروا خليفتهم من بينهم وكان أولهم علي بن أبى طالب . فلما طعن أبو لؤ لؤة المجوسى أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ، وأيْقَنَ القوم أنه ميت قالوا له أَوْصِ، فقال :« ما أَجِد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين تُوُفِّى رسولُ الله ﷺ وهو

---

( ١ ) مسلم ؛ جـ١٢ ص٢٠٤

( ٢ ) سورة البقرة ؛ الآية رقم ٢٣٤

( ٣ ) راجع تفسير الآية فى القرطبى .

عنهم راضٍ ، فَسَمَّى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن ، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شيء ، فإن أصابت سعداً فهو ذاك ، وإلاّ فَلْيَستعنْ به أيكم أُمِّر ، فإنّي لم أعزله عن عجز ولا خيانة »[1]

## ● وفاة عمر ورثاء الصحابة له

وتُوُفّي عمر في أول المحرم سنة ٢٤هـ .[2] عن عمرٍ يناهز الستِّين عاماً . وفارق عمر الدنيا مَرضْيًا عنه من الجميع . ورثاه كبار الصحابة بما ينم عن الحب والتقدير العظيم ، وأولهم وأبلغهم علي بن أبي طالب الذى قال فيه :« لله بلاد فلان فقد قوَّم الأَوَد ، ودَاوَى العَمَدَ ، وخَلَّف الفتنة ، وأقام السنة ، ذهب نقيَّ الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها وسبق شرها . ( يقصد الولاية أو الخلافة ) . أدَّى إلى الله طاعته ، واتَّقاه بحقه »[3]

وقال ابن عباس مخاطباً عمر وقد لَحِقَ بالرفيق الأعلى :« يا أمير المؤمنين ! والله إن كان إسلامك لَنَصْرًا ، وإن كانت إمامتك لَفَتْحًا . والله لقد مَلأت إمارتك الأرض عدلاً ، ما من اثنين يختصمان إليك إلاّ انتهيا إلى قولك »[4] وقال أيضًا :« إن كنتَ ـ ما علمنا ـ لأمير المؤمنين ، وأمين المؤمنين ، سيد المؤمنين ، تقضى بكتاب الله وُتقْسم بالسويَّة »[5]

ورثاه عبد الله بن سلام رضى الله عنه فقال :« نِعْم أَخُو الإسلام كنتَ يا عمر! جواداً بالحق ، بخيلاً بالباطل ، تَرْضى حين الرضَى وتغضب حين الغضب ! عفيف الطرف طيب الظرف ! لم تكن مدَّاحًا ولا مغتابًا »[6]

---

( ١ ) فتح البارى ؛ كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٣٧٠٠ جـ ٧ ص٦١
( ٢ ) الذهبى ؛ العبر؛ ١ / ٢٠
( ٣ ) نهج البلاغة ؛ رقم٢٢٦ – ص ٢٧٧ – ط. دار الشعب .
( ٤ ) طبقات ابن سعد ؛٣/ ٣٠٥
( ٥ ) نفسه ٣؛ /٣٠١ ( ٦ ) نفسه ؛ ٣ / ٣٢٣

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « والله إِنّى أَحْسَبُ أن ( شجر ) العضاة قد وَجِدَ ( حَزِن ) فَقْدَ عمر ! »

**هذه المراثى تبين الكثير من خصائص شخصية الفاروق رضى الله عنه ،** كما تكشف عن عمق الوفاق والاتفاق بين قادة الأمة فى عهده ، وعلى رأسهم علي بن أبى طالب . **ورثاء « علي » بالذات يكشف عن قوة وحدة الأمة ، وما أَسْداه إليها عمر من خدمات ، وما تمتعت به فى خلافته من عافية واستقرار وتقدم ، بحيث يمكن القول إن عمر أَتَمَّ استعادة وحدة الأمة بعد الرجفة التى صَدَّعت بنيانها بحركة الردة وتعدد ظهور الأنبياء الكَذَبَة ، وإنكار بعض القبائل لفريضة الزكاة ، فاستكمل عمر جهود الخليفة الأول وشيد عليها وأحكم البناء .**

● **افتراءات غلاة الشيعة على عمر**

لكن غلاة الإمامية لايرون شيئاً من إنجازات عمر التاريخية . **هم فقط يرونه الظالم لعلي** ، ومن أجل إثبات ذلك يفترون عليه بأحاديث كاذبة منها أنه قال لابن عباس ، فى بعض طرق المدينة ، وهما يسيران يداً بيد : يا ابن عباس ، ما أحسب صاحبك إلا مظلوماً ! قلت : فَرُدَّ إليه ظلامته يا أمير المؤمنين ! قال : فانتزع يده من يدى ، وتقدمنى يهمهم ، ثم وقف حتى لحقته ، فقال : يا ابن عباس ، ما أحسب القوم إلا استصغروا صاحبك . قال قلت : والله ما استصغره رسول الله ﷺ حين أرسله وأمره أن يأخذ « براءة » من أبى بكر فيقرأها على الناس فسكت (عمر) .

قال ابن الجوزى : **هذا حديث لا يصح** . ولو علم عمر أنه ظالم بذلك - يعنى بقبول الخلافة - لم يفعل : « وإنما هذا من وضع الرافضة ، وفى إسناده مجاهيل » [1] وأقول : ما دخل الخلافة بإبلاغ الناس بالأحكام ؟!

والغلاة لا يملّون من تكرار الاستشهاد بهذا الخبر الزائف فى معظم الكتب التى تصدر عنهم ، ولا يملون من تكرار قصة الأذان بسورة « براءة » فى الحج . والحق

---

( ١ ) العلل المتناهية ؛ رقم ١٥٦٩ - جـ ٢ ص٤٥٩

أن النبى ﷺ كان قد جعل أبا بكر أميراً على الحج ، ثم أرسل عليًا ليعلن الناس بما جاء فى «براءة» من أحكام ، ومعه جماعة من الصحابة ، منهم أبو هريرة ، رضى الله عنهم جميعاً ، لأن فرداً واحداً ما كان يستطيع أن يطوف بكل القبائل ليبلغهم أحكام الله ، فعملوا جميعاً تحت إمرة الصديق ، حتى كان الواحد منهم يبح صوته من أثر الصراخ فى الناس ! وعلى كل من يتشكك فى هذه الحقائق أن يراجع تفسير سورة براءة فى أى كتاب مُعتبر ، مثل تفسير الطبرى أو الجامع لأحكام القرآن للقرطبى .

**إذَنْ ، كان عهد الفاروق رضى الله عنه عهد اتفاق من الطراز الأول ، وفى ظل الاتفاق ، تحققت الإنجازات الكبرى التى يحاول بعض الغلاة طمسها فى أوحال خرافاتهم السخيفة !**

## ● «عليٌّ» المستشار الأمين لعمر

وكان «علي» يشير على عمر فيحترم رأيه ، لسداده ونفعه . وقد شاوره عمر فى الخروج إلى غزو الروم بنفسه فقال :«إنك إن تَسْر إلى هذا العدو بنفسك فَتَلْقهم فَتُنْكَب ، لا تكن للمسلمين كَانفة ( أى عاصمة يلجأون إليها ) دون أَقْصَى بلادهم . ليس بعدك مرجع يرجعون إليه . فَابْعثْ رجلاً محْرباً ( يعنى صاحب حرب ) ، واحْفزْ معه أهل البلاء والنصيحة . فإن أظهره الله فَذَاك ، وإن كانت الأخرى كنتَ رِدْءًا للناس ومثابةً للمسلمين» (١)

ـ وهي مشورة رجل سياسى محنك واسع الأفق مخلص لأمته وإمامه . وكان من الطبيعى أن يأخذ بها عمر دون تردد وأن يحرص على مشورته دائماً .

واستشار عمر عليًّا أيضاً فى **غزو الفرس بنفسه** ، فأشار عليه بالبقاء فى المدينة باعتبار مكان الحاكم :«مكان النظام من الخرَز ، يجمعه ويضمه ، فإذا انقطع النظام تفرق الخرز وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً . . فكنْ قطباً ، واستدر الرَّحىَ بالعرب وأصلِهم ـ دونك ـ نار الحرب ، فإنك إن شخصت من هذه الأرض

(١) نهج البلاغة ؛ رقم ١٣١ ص١٥٩

انتقضت عليك العرب من أطرافها حتى يكون ما تدعُ وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك . إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا : هذا أصل العرب ، فإذا قطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشدَّ لكَلَبهم ( حرصهم ) عليك وطمعهم فيك . . . »[1]

ومرة أخرى يستنصح لنا علي بن أبي طالب فإذا هو الرجل الخبير بعادات العرب والفرس ، وتقاليد السياسة والحرب ، ونفسيات الملوك والقادة وأساليب تفكيرهم ، فيبهرنا بحكمته وعلمه ، رضى الله عنه .

ـ ويبهرنا عمر الفاروق أيضًا ، فهو الشيخ الوقور ، وأمير المؤمنين المسؤول ، لكنه يسعى إلى الإمام الشاب الذى يصغره بسنين ليسأله المشورة ، ويُصغى إليه ويحترم كلمته دون حرج . ولولا هذه الروح العمرية لما استنصح غَيْره ، ولمَا نَصَحَه غَيْـرُه ! ولو استنصح ، فنُصح ، ولم يعمل بما نُصح به ، لما تكررت النصائح من الحكماء العارفين المجربين .

- **عهد إنتصارات**

**وفى ذلك المناخ السياسى المستقر ، وفى ظل تلك الوحدة الصُّلبة التى لا يشوبها تصدع ، والتى وقف فيها المسلمون جميعاً صفاً واحداً تحت قيادة الفاروق عمر ، انطلقت جيوش المسلمين لتفتح بلاد الروم : دمشق وبيسان وطبرية وحمص وبيت المقدس** . كذلك تم فى ذلك العهد المجيد فتح مصر والإسكندرية ، وبلاد فارس : همزان والرى وقومس وجرجان وطبرستان وأذربيجان وكرمان وسجستان والأهواز . وبذلك تأسست دولة إسلامية كبرى على أنقاض الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية ، وأشرقت أنوار الإسلام على شعوب تلك البلاد التى كانت تعيش فى ظلمات الجهل والقهر والظلم والاستبداد .

وفى اعتقادى أن بوسع الأمة المسلمة أن تنهض اليوم إذا استطاعت نبذ الخلاف بين السنُّة والشيعة ، وبين العرب والأكراد ، وبين الدول والدويلات التى حدد الاستعمار حدودها لتظل فى نزاع لا ينتهى . **والأعداء يعرفون هذه الحقيقة جيداً فيعملون على إشعال الفتن بين الشيعة وأهل السُّنة فى العراق وفى دول الخليج**

---

( ١ ) نهج البلاغة ؛ رقم ١٤٣ ـ ص١٦٦

ولبنان وباكستان وبين العرب والبربر فى المغرب والجزائر ، وبين العرب والزنج فى السودان والدول الإفريقية ، وبين الأتراك والأكراد فى تركيا ، وبين الفرس والعرب والأكراد فى إيران ! ومن المؤسف أن السفهاء من الغلاة والشعوبيين هم الذين يحكمون فى معظم البلاد المسلمة اليوم ، وهم الذين تحركهم أيدى الأمريكان من وراء البحار .

**فَلْنعُد إلى تقاليد «عمر وعلي» لا إلى فتنة «علي ومعاوية» لأن ذلك هو ما يمليه ديننا العظيم وما يتطلبه مستقبل أمتنا المجيد . وهذه العودة تتطلب جهاداً عظيماً ، وإصراراً ومثابرة وتضحيات جسام** . غير أن هذا هو قَدَرُنا فى عصر ابتُلى باستعمار بعد استعمار وهيمنة بعد هيمنة ، وكانت أمتنا الممزقة هى الضحية على امتداد أكثر من مائتى عام .

وفى ضوء الصورة التى وجدناها أمامنا لعصر أبى بكر وعمر ، وموقع علي فيها يتحتم رَدُّ الأخبار التى تُصَوِرُهُ غاضبًا رافضاً لا يكف عن ترديد القول إنه أحق بالخلافة من أبى بكر وعمر . (١)

وحين توفرت الأموال ، ووضع عمر الدواوين ، **فَرَضَ لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ومن ضمنهم على بن أبى طالب** ، **«وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها : الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان** . وكان فرض للعباس خمسة وعشرين ألفاً ـ وقيل اثنى عشر ألفاً ـ (١) وقال عمر :«إنى إنما أعطيتكم على السابقة فى الإسلام، لا على الأحساب» (٢) وهذا يشير إلى تقديره لآل بيت النبى ـ ﷺ ـ إلى جانب السابقة فى الإسلام .

### ● نقد غلاة الشيعة

**لكن غلاة النقاد الشيعة رأوا فى حرص عمر على الشورى شيئاً آخر : إنه جاهل يعتمد على علم علي بن أبى طالب ! وهذه رؤية عمياء وأكذوبة قبيحة .**

ـ يقول العقاد ـ رحمه الله ـ :«**إن فقه عمر بالشريعة التى كان مسؤولاً عن**

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١٥ الفقرتان ١ / ٢٤١٢ ؛ ٢٤١٣ ـ جـ٣ ص ٦١٤
(٢) نفسه ؛ الفقرة ١ / ٢٤١٢ ـ أحداث سنة ١٥ جـ١ ص ٦١٣

**نفاذها مشهور بين الفقهاء كاشتهار أدبه واطلاعه على تاريخ قومه ، فكان عبد الله بن مسعود يقول : كان عمر أعلمنا بكتاب الله ، وأفقهنا فى دين الله .»**
ويقول :« لو أن علم عمر بن الخطاب وضع فى كفة ميزان ووضع علم الأرض فى كفة، لرجح علم عمر بعلمهم » . ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم . وقال ابن سيرين :« إذا رأيت الرجل يزعم أنه أعلم من عمر فشك فى دينه » . وكل ما فسر به آى القرآن فى معرض الحكم والعظة فهو التفسير الراجح فى وزن العقل والدين ، وكل ما استخرجه من أحكام الشريعة فهو الحكم الواضح الصحيح » . (١)

ويقول العقاد أيضاً إن عمر :« كان رجلاً وافر الحظ من ثقافة زمانه ، وإنه كان أديباً مؤرخاً فقيهاً مشاركاً فى سائر الفنون ، مدرَّباً على الرياضة البدنية ، خطيباً مطبوعاً على الكلام ، فليس أرجح من نصيبه فى ثقافة زمانه نصيب » . (٢)

لكن علم عمر الواسع وثقافته الشاملة لم يمنعاه من استشارة كبار الصحابة . وهذا لا يعنى أنهم كانوا أعلم منه ، لا علىٌ ولا غيره . لكن الناقد المتحيز الحاقد على الفاروق عمر يقلب كل الحقائق رأساً على عقب ، ليحط من قدر الخليفة العظيم عمر بن الخطاب ويرفع من قدر أمير المؤمنين علي بن أبى طالب ، رضى الله عنهما .

## ● موقفه من صلح الحديبية

**ومن مآخذ غلاة النقاد الشيعة على الفاروق عمر بن الخطاب موقفه من الشروط المجحفة فى صلح الحديبية** ، فيقول أحدهم :« إن عمر قد أدركته الحمية، ونزت فى رأسه سورة الأنفة ، فَأَتى أبا بكر وقد استشاط غضباً فقال : يا أبا بكر ! أليس هو برسول الله ؟ قال : بلى قال : أَوَلَسْنَا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أَوَ ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال فَعَلاَمَ نعطى الدَّنيَّةَ فى ديننا ؟ فقال أبو بكر : أيها الرجل ، إنه رسول الله ، وليس يعصى ربَّه ، وهو ناصره . اسْتَمسك بغرزه حتى تموت ، فإنى أشهد أنه رسول الله » (٣)

حمية عمر ، وغيرته على الإسلام ، وتعبيره عن موقف معظم الصحابة الذين غضبوا من شروط صلح الحديبية ، يفسرها النقاد الشيعة الغلاة على أنه شكٌ فى

---

( ١ ، ٢ ) عبقرية عمر ؛ ص٢٤٦ ( ٣ ) النص والاجتهاد ؛ ص ١٨٤ – ١٨٥

صدق النبى ﷺ ! [1] إن عمر أخطأ كما أخطأ معظم الناس الذين شهدوا الصلح . واعترف عمر بخطئه بعد ذلك وكان يكثر من الاستغفار كلما تذكّر ذلك الموقف . ولاريب أن عمر كان معذوراً ، وجميع المسلمين الذين شهدوا الصلح كانوا معذورين فى رفضهم له ، لأن شروطه بدت لهم قاسية ومجحفة ، ولم يقل أحد إنهم شكوا فى صدق النبى ﷺ . ولكن عداء الشيعة المرير لعمر يسوقهم دائماً إلى مثل هذه الاتهامات العدوانية الشنيعة .

والسيرة النبوية العطرة حافلة بالمواقف التى خالف فيها الصحابة رسول الله ﷺ . فقد علمهم أن يبدوا آراءهم بحرية تامة فيما ليس فيه وحى من عند الله . وقد اعترض الحباب بن المنذر على اختيار موقع المعسكر فى معركة بدر ، ولم يغضب منه النبى ، بل نفذ مشورته . ويوم الأحزاب ، خالف سعد بن عبادة وسعد ابن معاذ اتفاق النبى مع غطفان على أخذ ثلث ثمار المدينة مقابل انسحابهم من جيش المشركين . ورجع النبى عن الاتفاق ، استجابة للسعدين ولم يعتبر ذلك شكاً فى صدق النبى أو تمرداً عليه أوعصياناً له . واعترض بعض المسلمين على قسمة الغنائم يوم حنين . وعلم النبى بذلك ، فجمعهم وشرح لهم الموقف ، فبكوا ورضوا بقسمته ﷺ .

ومن وراء هذا كله الإيمان بأن النبى ﷺ معصوم فيما يبلغه عن الله ، وليس معصوماً عصمة مطلقة كما يعتقد الشيعة . إن هذه العقيدة هى التى تفسر لنا الكثيرمن المواقف والآراء والخلافات .

### ● هوس الغلاة

**ولكن بعض الآراء تبدو جنونية ، مصادمة لكل الحقائق ، ولا تفسير لها سوى الهوس الذى استولى على بعض الغلاة الشيعة ، حتى استجاز لنفسه أن يقول إن عمر بن الخطاب قال :«إن فى القرآن فضائح المهاجرين والأنصار فنؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة للمهاجرين والأنصار» [2]**

وسوف نرى مَنْ الذى حرّف القرآن وألّف المصاحف وهل هم أهل السُّنَّة أم غيرهم ؟ وسوف تظل مكانة عمر الفاروق شامخة مضيئة فذة على الرغم من خزعبلات الغلاة الموتورين !

---

( ١ ) النص والاجتهاد ؛ ص ١٨٤ – ١٨٥

( ٢ ) المجلسى ؛ بحار الأنوار ؛ جـ ٨٩ باب ٧ ص٣٢

## المبحث الثالث

## عثمان بن عفان الخليفة الثالث

**• العهد إلى ستة**

لم يُوص عمر بن الخطاب لأحد بالخلافة من بعده اتّباعاً لسُنَّة رسول الله ﷺ . وقد طُلب منه وهو على فراش الموت أن يسْتخلف ، فقال « أتَحَمَّلُ أمْرَكم حَيًّا وميِّتًا ؟ لَوَدِدْتُ أنّ حَظى منها الكَفَافُ ، لا علىَّ ولا لي ! فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ( يعنى أبا بكر ) ، وإن أتركُكم فقد ترككم من هو خير منى : رسولُ الله ﷺ » .(١)

واجتهد عمر فى المسألة ، فهداه اجتهاده إلى العهد إلى ستَّة من كبار الصحابة ، وقال :« قد رأيتُ من أصحابى حرصًا سيئًا ، وإنى جاعل هذا الأمر إلى هؤلاء النفر الستّة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض » . (٢) وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال لأبيه : « إنى سمعتُ الناس يقولون مقالةً ، فآلَيْتُ أن أقولها لكم . زعموا أنك غير مُسْتَخْلف . فوضع ( عمر ) رأسه ساعة ، ثم رفعه فقال : إن الله عز وجل يحفظ دينه . وإنِّى إن لا أستحلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف . وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف » . قال ( ابن عمر ) : **فوالله ما هو إلاَّ أن ذكر رسولَ الله ﷺ وأبا بكر ، فعلمتُ أنه لم يكن يْعدِلُ بَرسولَ الله ﷺ أحدًا ، أنه غير مستخلف** » . (٣)

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت :« ماترك رسول الله ﷺ

---

( ١ ) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ الاستخلاف وتركه ؛ جـ١٣ ص ٢٠٤ - ٢٠٥

( ٢ ) الفتح الربانى ؛ رقم ٢٠٢ - جـ٢٣ - ص ٩١

( ٣ ) نفسه ؛ رقم ٢٠١ جـ٢٣ ص ٩٠ -٩١

ديناراً ولا درهمًا ولاشاةً ولا بعيراً ، **ولا أوصى بشيء** » . [١] فلم يوص عمر اتباعاً للنبي ﷺ ، **وهو المتهم من غلاة الشيعة بالتمرد على سنة رسول الله ﷺ !**

وعن المِسْوَر بن مَخْرَمَة قال :« كان عمر بن الخطاب ، وهو صحيح ، يُسأل أن يَسْتَخْلف فَيَأْبى . فصعد يومًا المنبر فتكلم بكلمات وقال : إن متُّ فَأمركم إلى هؤلاء السِّتَّة الذين فارقوا رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ : علي بن أبى طالب ، ونظيره الزبير بن العَوَّام ، وعبد الرحمن بن عوف ونظيره عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ونظيره سعد بن مالك . ألا إنِّى أُوصيكم بتقوى الله فى الحكم ، والعدل فى القَسْم » . [٢]

وقد أوردْتُ وصيته الأخيرة بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسى فيما سبق ؛ وليس بين الصيغتين اختلاف إلا فى ترتيب الأسماء الستة فقط . وهذا لا يفيد شيئًا من حيث المضمون . [٣]

## ● ابن عوف يستشير

وقد اتفق السِّتة على أن يكون لعبد الرحمن بن عوف حق إعلان مَنْ يقع عليه اختيار الأغلبية على أن يتنازل عن حقه فى الترشيح للخلافة : « **فيُذْكَر أنه سأل مَن يمكنه سؤاله من أهل الشورى وغيرهم فلا يشير إلاّ بعثمان بن عفان ، حتى أنه قال لعلي : أرأيتَ إن لم أُوَلِّك ، بمن تشير به عليَّ ؟ قال بعثمان . وقال لعثمان : أرأيتَ إن لم أُوَلِّك بمن تشير به عليَّ ؟ قال : بعلي بن أبى طالب** » .
ثم نشط عبد الرحمن بن عوف يستشير الناس فيهما ( علي أو عثمان ) ، ويجمع رأي المسلمين برأى رؤوس الناس وأقيادهم ( قادتهم ) ، جميعًا وأشتاتًا ، مثنى ، وفُرادَى ومجتمعين ، سرًا وجهرًا ، حتى خَلُصَ إلى النساء المخدَّرات فى حجابهن ، وحتى سأل الولدان فى المكاتب ، وحتى سأل من يَرِدِ من الركبان والأعراب إلى

---

( ١ ) الطبقات الكبرى لابن سعد ؛ جـ ٢ ص ٣٧١
( ٢ ) طبقات ابن سعد ؛ ٢ / ٦١٨
( ٣ ) فتح البارى ؛ كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٣٧٠٠ – ٧ / ٦١

المدينة ، فى مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفان فى تقديم عثمان بن عفان ، إلا ما يُنقل عن عمار بن ياسر والمقداد ، أنهما أشارا بعلي بن أبى طالب ، ثم بايعا مع الناس ».(١)

ولم يقبل « علي » بنتائج استطلاع عبد الرحمن بن عوف ، واتهمه بالتحيز لعثمان لرابطة مصاهرة كانت بينهما .(٢)

وأنا لا أشك فى أمانة عبد الرحمن بن عوف ، وإن لم أُصَدِّق أن الأغلبية « الكاسحة » اختارت عثمان ! ثم ما دخل الصبيان بالخلافة ؟! أجل لقد فاز عثمان ابن عفان حقًا بالأغلبية . والسبب فى اعتقادى هو فرق السِّن ، أو « المشيخة » التى كان لها وزنها الكبير عند عامة العرب قبل الإسلام وبعده . فالرجلان يتساويان فى الصُّحبة والسَّبْق إلى الإسلام . ولقد حزن « علي » لذلك وردَّه إلى تحيز عبد الرحمن بن عوف وإلى ظلم قريش له.(٣) **لكن الجماهير القرشية الغفيرة التى هُرعت إلى بيته لتبايعه بعد مقتل عثمان ، والأعداد الكبيرة من الصحابة الذين قاتلوا معه ضد معاوية ، كل ذلك يثبت براءة عبد الرحمن بن عوف من التحيز ، وينفى ظلم قريش لفتاها البطل ، النبيل ، الشريف ، علي بن أبى طالب** . وما كلمات « علي » هنا إلاَّ تعبير عن شعوره بالصدمة !

ويعزو البعض تقديم عبد الرحمن لعثمان إلى اشتراط علي شرطًا ، وقبول عثمان دون شرط .

## ● علي يشترط

فقد سأل عبد الرحمن عليًّا وهو على المنبر فقال : هل أنت مُبايعى على كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ وفعْلِ أبى بكر وعمر ؟ فقال علي : اللهم لا ، ولَكن عَلَى (قَدْر) جهدى من ذلك وطاقتى ، وسأل عثمان السؤال نفسه فقال : اللهم نعم . فأعلن عبد الرحمن البيعة لعثمان .

---

(١) ابن كثير البداية والنهاية ؛ ٧/١٣٨

(٢) نفسه ؛ ٧ / ١٣٩

(٣) نهج البلاغة ؛ رقم ٢١٥ ص ٢٩٥

والحق أن اشتراط «علي» بدهية إسلامية ؛ وهو – كما يبدو – كان يخشى ألاَّ يَفِي بما شرطه عبد الرحمن . وأين ذاك الذى يستطيع الالتزام التام بالكتاب والسُّنة وعمل أبى بكر وعمر ؟! والذى حدث فعلا أن عثمان لم يستطع الوفاء بذلك الشرط ! فقد كان أبو بكر يأبَى أن يصعد إلى الدرجة العليا من منبر رسول الله ﷺ ، ويتوقف عند الدرجة الأدنى منها . وكان عمر يتوقف عند الدرجة الأدنى من الدرجة التى كان أبو بكر يتوقف عندها . لكن عثمان قال : «إن هذا يطول» . ثم إنه زاد فى الأذان الأول يوم الجمعة قبل الأذان الذى كان يُؤذن به بين يدى رسول الله ﷺ إذا جلس على المنبر» [١] وأنا أقول إن عثمان كان على حق حين وقف على درجة عمر ، لأن النزول عنها كان يعنى الوقوف على الأرض! وزيادة أذان اجتهاد خاطئ منه رضى الله عنه ؛ لكنه ربما رأى فى ذلك مصلحة شرعية ، لا تتعارض مع الشرط الذى قَبِلَه .

**ولابد أن نفهم موقف «علي» من شرط عبد الرحمن بن عوف . فقد كان النبى ﷺ يبايع الناس على السمع والطاعة ، ثم يقول :«فيما استطعت» وقال مرة :«فَلْيقلْ أَحَدُنَا : فيما استطعت» [٢] وهكذا نفهم قوله :«اللهم لا ، لكن على جهدى من ذلك وطاقتى» فهو احتراز من عدم القدرة .**

ويمكن القول إن التشيع السياسى لعلي بدأ منذ ذلك اليوم الذى اعتلَى فيه عثمان منصب الخلافة ، وهو يوم أول محرم سنة ٢٤ هـ . لكن الاتفاق بين الرجلين ظل غالبًا طوال الأعوام الاثنى عشر – مدة خلافة عثمان – ولم تظهر الشيعة كفرقة فى ذلك الوقت المبكر .

## ● بوادر التشيع لعلي

يقول ابن تيمية :«إن الشيعة المتقدمين الذين صحبوا عليًا ، أو كانوا فى ذلك الزمان ، لم يتنازعوا فى تفضيل أبى بكر وعمر ، وإنما كان نزاعهم فى تفضيل علي وعثمان . وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر» [٣]

( ١ ) ابن كثير السابق ؛ ٧ / ١٤٠

( ٢ ) الفتح الربانى ؛ الباب السابع فيما جاء فى البيعة – رقم ١٠٩ – ٢٣ / ٤٩ ؛ وفتح البارى ؛ كتاب الأحكام ؛ رقم ٧٢٠٢ – ١٣ / ١٩٣ ؛ موطأ مالك ؛ كتاب البيعة ؛ ص ٦٠٨

( ٣ ) منهاج السنة النبوية ؛ ١ / ٣ – ٤

وقد كانت مناقب عثمان هى التى أَهَّلَتْه عند عمر ليرشحه ضمن السِّتة . وأبرز خصائصه الشخصية الإنفاق السَّخي الباهظ فى سبيل الإسلام . **وقد قال النبى ﷺ يومًا : «مَن جَهَّزَ جيش العُسْرة فَلَهُ الجنة». فجهزه عثمان .[1] وجيش العُسرة هو الذى أُنيطَ به غزو تبوك . وتختلف الأخبار حول المبلغ الذى قدمه عثمان ، فيقال إنه أَلْف دينار ، ويقال عشرة آلاف ، وثلاثمائة بعير .** وقال النبى ﷺ يومًا :«مَن يحفر بئر رُومَة فَلَهُ الجنة». فحفرها عثمان .[2]

وهذا الإنفاق الباذخ فى سبيل الإسلام والمصالح العامة للأمة هو من الخصائص المهمة التى تؤخذ فى الحسبان عند الترشيح لمنصب الخلافة ، وهى التى رجحت ترشيح عثمان عند عمر بن الخطاب ، ورجحت تقديمه لمنصب الخلافة عند من قدَّموه على «عليٍّ» . ولا ريب أن الجهاد بالمال لا يقل عن الجهاد بالنفس . ولم يُعرف عن «عليٍّ» أنه كان ثريًّا قبل أن يُصبح أميرًا للمؤمنين ، وإنْ تفوَّق فى ميادين القتال ! ونال عثمان شرف الإصهار إلى النبى ﷺ ، وتزوج من ابنتيه – رقية – التى توفيت يوم بدر – وأم كلثوم ، رضى الله عنهما . وهذا يدل على تقدير النبى لعثمان ، علاوة على أخبار أخرى تؤكد هذا، وتذكر كتب السُّنَّة الصحيحة العديد من مناقب عثمان ، لكنها فى حسبانى لا تحسب فى ميزان الترجيح لمنصب الخلافة .

أصبح عثمان رضى الله عنه خليفة . وكان عليه أن يعلن على الناس المبادئ التى سيسير عليها فى حكمه . وهذا هو ما بدأ به .

### ● خطبة عثمان الأولى بعد البيعة له

يقول الطبرى رحمه الله :«إنه لما بايع أهل الشورى عثمان ، خرج وهو أشدهم كآبة ، فأتى منبر رسول الله ﷺ ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى ﷺ ، وقال : إنكم فى دار قُلْعة ( أى على رحلة ) ، وفى بقية

---

( ١ ) فتح البارى ؛ كتاب فضائل الصحابة ؛ ٣٦٩٥ – ٧ / ٥٢

( ٢ ) نفسه ٧ / ٥٤ – رقم ٣٦٩٥ – ٣٦٩٨

( ٣ ) نفسه ؛ ٧ / ٥٢

أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه . فلقد أُتيتم ، صُبِّحتم أو مُسِّيتم . ألاَ وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . اعتبروا بمن مضى ، ثم جدوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يُغفل عنكم . أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثروها وعمروها ومُتِّعوا بها طويلاً ؟ ألمَ تلفظهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رَمَىَ الله بها ، واطلبوا الآخرة ، فإن الله قد ضرب لها مثلاً ، وللَّذى هو خير ، فقال عز وجل ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا** ﴾ [ الكهف : ٤٥ ] (١)

**ثم أقبل الناس يبايعونه**

ومن الجلي أن الخليفة الثالث **كان حزينًا** ، **شديد الكآبة** ، **لمقتل الخليفة العظيم الذى سبقه – الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه** . **وهو يشعر** بجسامة المسؤوليات التى عليه أن ينهض بها ، فى دولة واسعة مترامية الأطراف ، لا تزال تتعرض لهجمات الروم وفلول الفرس وانتقاض بعض البلاد فى مصر وإفريقية ( تونس ) . فلم يكن منصب الخليفة مغنمًا ، يطمع فيه أهل الدنيا وطلاب الثراء والسلطان والشهوات ، بل كان تكليفاً بالجهاد والتضحية والصبر والمصابرة ، والمخاطرة بالحياة . وهذا جثمان الخليفة الثانى فى قبره لم يبرد بعد ، وقد راح شهيداً بيد مجوسى موتور مجرم .

**● رعاة لا جباة**

وكتب عثمان إلى عماله فى أقاليم الدولة ، والذين يحكمونها باسم الخليفة فقال : « **أما بعد ، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا دعاة ، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة . وإن صَدْرَ هذه الأمة خلقوا رُعاة ، ولم يخلقوا جباة** . ولَيوشِكن أئمتكم أن يصيروا جُباة ولا يكونوا رعاة . فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء . **ألاَ وإن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين فيما عليهم**

---

( ١ ) تاريخ الطبرى ؛ جـ ٤ أخبار سنة ٢٤ هـ ص ٢٤٣ .

**فتعطوهم ما لهم ، وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم ، وتأخذوهم بالذى عليهم ؛ ثم العدو الذى تنتابون ، فاستفتحوا عليهم بالوفاء».**

وهذه قواعد دستورية إسلامية تكشف عن رسالة الإسلام السامية . فلم يجاهد المسلمون لفتح ما فتحوا للاستغلال والنهب والسلب والظلم . كلا ، إنهم رُعاة ، لا جباة . همهم الإصلاح والفلاح ، لا جمع الأموال . ثم يحذر الخليفة الثالث عماله من خطورة التحول عن مبادئ الإسلام الرفيعة فينقلبوا إلى جُباة ، فإن ذلك سيجلب ذهاب الحياء والأمانة والوفاء . **ثم يطالبهم بالعدل مع الرعية ، ومع أهل الذمة ، وبالأعداء ، وينصح عماله بأن النصر على الأعداء يتأتى من الوفاء لهم بالعهود .**

## ● على نهج عمر

ويهدد عثمان أمراء الأجناد الذين يحرسون حدود البلاد ومداخلها ويقول: **«أما بعد فإنكم حُماة المسلمين وذَادتهم . وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا ، بل كان على ملأ منا . ولا يبلغنّى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل ، فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم ! فانظروا كيف تكونون ! فإنى أنظر فيما ألزمنى اللهُ النظر فيه والقيام عليه».**

وكتب أول كتاب له إلى عمال الخراج فقال :**« أما بعد ، فإن الله خَلَق الخَلْق بالحق . فلا يقبل إلا الحق . خذوا الحق وأعطوا الحق به . والأمانة الأمانة ، قوموا عليها ، ولا تكونوا أول من يسلبها ، فتكونوا شركاء مَنْ بعدكم إلى ما اكتسبتم . والوفاء الوفاء. لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد ، فإن الله خَصْم لمن ظلمهم»**.(1)

لقد تعهد عثمان بالسير على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ،

---

( ١ ) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ٢٤ هـ جـ ٤ ص ٢٤٥

وعلى أساس ذلك التعهد قدَّمه عبد الرحمن بن عوف على «عليّ» . وتلك تبعة جسيمة ، فكان حقاً عليه أن يكتئب ؛ وها هو يشدد على عماله وقادته باتباع ما كانوا عليه فى عهد عمر ، دون تغيير أو تبديل ، وينذرهم بالعزل إذا غيروا . ويلاحظ أن العزل كان كثيراً فى عهد عثمان ، مع أنه كان لا يعزل إلا عن شكاة أو استعفاء .(١)

## ● الفتوح فى عهد عثمان

**وتواصلت حركة الفتوح فى عهد عثمان** . فبعض البلاد التى سبق فتحها فى عهد عمر انتقضت ، فأعاد عثمان فتحها ، كما حدث فى الإسكندرية . وكذلك أعيد فتح أذْرَبَيجان ، وتوسعت جيوش المسلمين إلى ما وراءها . وفُتحت إفريقية ( تونس )، سهلها وجبلها ، واجتمع أهلها على الإسلام وحسُنت طاعتهم. وتم فتح قبرص بقيادة معاوية بن أبى سفيان بأمر عثمان سنة ٢٧ هـ وكان فى الجيش جماعة من أصحاب النبى ، فيهم أبو ذر وعبادة بن الصامت ، وزوجته أم حرام، والمقداد وأبو الدرداء وشداد بن أوس .

**وفى سنة ٢٦ هـ زاد عثمان فى المسجد الحرام ووسَّعه** وابتاع من قوم ، وأَبَى آخرون فهدم عليهم بيوتهم ، ووضع أثمانها فى بيت المال ، فصيَّحوا بعثمان، فأمر بحبسهم وقال : أتدرون ما جرَّأكم عليَّ ؟ ما جرَّأكم عليَّ إلا حلمى ! قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا عليه» . ثم أخرجهم من الحبس .

**وفى سنة ٢٩ هـ وسَّع عثمان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله.** وكانت الحجارة تُحمل من «بطن نخل» . وقد استخدمت الحجارة المنقوشة فى البناء . ووضع الرصاص فى الحجارة التى بنيت منها الأعمدة . وجعل طوله مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين ذراعاً ، وأبقى أبوابه الستة على ما كانت عليه فى عهد عمر .

**وهاجمت الروم المسلمين بجموع عظيمة** ، فاستغاث معاوية والى الشام

---

( ١ ) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ٢٤ جـ ٤ ص ٢٥٣

بعثمان فَأَمَدَّه بجند من الكوفة فى ثمانية آلاف ، فانضموا إلى إخوانهم الشاميين ، وهزموا الروم شر هزيمة وملأُوا أيديهم من الغنائم ، وافتتحوا حصوناً كثيرة .

## ● الرعية تنتقد الخليفة

**وقد أخذ كثير من أفراد الرعية مآخذ على عثمان وعماله أواخر أيامه .**

١- أخذوا عليه أنه أتم الصلاة فى السفر . ورد عليهم شارحًا موقفه فقال إنه قَدمَ بلدًا فيه أهله ، مما يحتم عليه الإتمام اتِّباعًا للسُّنَّة .

٢- وقال نُقاده : حَمَيْتَ حمىً .( أى خصص أراضٍ ) . وأنكر ذلك إنكاراً تامًّا .

٣- وقال بعضهم : **كان القرآن كُتبًا فَتَركْتَها إلا واحدًا . فرد عليهم بقوله** : ألاَ وإن القرآن واحد ، جاء من عند واحد ، وإنه تابع لما أجمع عليه الصحابة وثبت تواتره . وكانت تلك مفخرة لعثمان رضى الله عنه .(١) .

٤- وأخذ عليه البعض أنه أعاد «الحَكَمَ» (الذى طرده النبى ﷺ ) إلى عمله، فقال إن النبى ﷺ هو الذى ردَّه إلى عمله قبل وفاته .

٥- وقالوا : استعملتَ الأحداث ، أى الشباب ؛ فقال إن الرسول ﷺ استعملهم .

٦- وقالوا إنه أعطى ابن أبى سرح جميع ما أفاء الله عليه ، فقال إنه لم يعطه إلا الخمس ، فبلغ مائة ألف .

٧- وقالوا إنه يعطى أهل بيته ، فقال إنه يعطيهم من ماله ، لا من بيت المال .

٨- وأخذوا عليه سوء توزيعه للأراضى ، فبيَّن أنه اتبع الشرع ولم يظلم .(٢)

**وكان سوء تصرف عمال عثمان على الأقاليم وعدم استجابته لشكاوى**

---

(١) الرد العلمى على هذا الادعاء الخطير سيأتى بعد هذا الفصل مباشرة .

(٢) تاريخ الطبرى ؛ المجلد الرابع ؛ ص ٣٤٦ - ٣٤٨

**الرعية وإصراره على إبقائهم هو السبب الرئيسى للثورة . وكانت بطانة عثمان غير مخلصة ، بل فيها عناصر فاسدة مثل «مروان بن الحكم»** . ولم يُصْغِ عثمان لنُصح علي بن أبي طالب ، واستجاب لنصح معاوية بن أبي سفيان ! [1]

## ● حوار علي وعثمان

ويبين الحوار التالى المآخذ التى رآها عليٌّ على تصرفات عثمان :

قال علي : إن عمر بن الخطاب كان كلُّ مَن ولَّى فإنما يطأ على صماخه! إنْ بَلَغَهُ عنه حرفٌ جَلَبَه ، ثم بلغ به أقصى الغاية ! وأنت لا تفعل . ضعفْتَ ورفقتَ على أقربائك !

قال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً .

قال علي : لَعَمْرِى إنَّ رَّحِمَهُم منِّى لقريبة ، ولكن الفضل فى غيرهم !

قال عثمان : هل تعلم أن عمَر ولَّى معاوية خلافتَه كلَّها ؟ فَقَدْ ولَّيتُه !

قال علي : أنشُدك الله هل تعلم أن معاوية كان أَخْوَفَ مِن عمَر مِن « يَرْفَأ » - غلام عمر منه ؟ !

قال عثمان : نعم .

قال علي : فإن معاوية يقتطع الأمور دونك وأنت تعلمها ، فيقول للناس : هذا أمر عثمان ! فَيَبْلُغُك ولا تُغَيِّر على معاوية . [2]

هذه هى نوعية الأخطاء الكبيرة التى تفاقمت فى نهاية عهد عثمان والتى أدت إلى الثورة عليه وانتهت بقتله ، رضى الله عنه ( فى ذى الحجة سنة ٣٥ هـ )

وقد قاد الثائرين : عبد الرحمن بن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر الكندى، وعمر بن الحمق الخزاعى ، ومالك الأشتر ، وحكيم بن جبلة العبدى . وَعَرَضُوا على

( ١ ) تاريخ الطبرى ؛ المجلد الرابع ؛ ص ٣٣٤
( ٢ ) نفسه ؛ ٣٣٨

عثمان : أن يخلع نفسه ، أو يقتصّ من نفسه ، أو يقتلوه . [1] فرفض عَرْضَهم ، فقتلوه ، رضى الله عنه .

ولما حاصروا عثمان فى بيته بعث إلى « علىّ » ، لكنه لم يجبه ! ولَمّا علم علي بقتله قال : « اللهم إنى أبرأُ إليك من دمه أن أكون قَتَلتُ أو مَالأت على قتله » .[2] لكنه اتُّهم بإيواء قتلة عثمان بعد أن بُويع للخلافة . واعترف بأنه لم ينصره .[3]

## ● عثمان يجمع القرآن المتواتر فى مصحف واحد

وهذا هو الرد العلمى على قول البعض لعثمان : كان القرآن كتبًا . فتركتها إلا واحدًا .

## ● أبو بكر الصديق يأمر بجمع القرآن :

لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى والقرآن الكريم مُسجل مكتوب كله ؛ لكنه لم يكن مجموعاً لدى أحد ؛ وفى هذا أخرج البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال :« أرسل إليّ أبو بكر الصديق ، مَقْتَلَ أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضى الله عنه : إن عمر أتانى فقال إن القتل قد اسْتَحر يوم اليمامة بقراء القرآن ؛ وإنى أخشى إن استحر القتلُ بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ؛ وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلتُ لعمر : كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ؛ ورأيتُ ذلك الذى رأى عمر .قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب ، عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ . فَتَتَبَّع القرآن فَاجْمَعه ، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرنى به من جمع القرآن . . فتتبعتُ القرآن أجمعه من العُسُب ، واللخاف ، وصدور الرجال ؛ حتى وجدتُ آخر سورة التوبة مع

---

( ١ ) الطبقات الكبرى لابن سعد ؛ ٢ / ٦٣٤

( ٢ ) نفسه .

( ٣ ) نهج البلاغة ؛ رقم ٣٠ ص ٥٦

أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره – لكنها كانت محفوظة في المكتوب، وكان زيد يحفظها ، أى أن شرط التواتر كان متوفراً – ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ** ﴾ [ التوبة :١٢٨ ] حتى خاتمة براءة « فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها ». [١]

ويذكرعبد الرحمن بن حاطب أن عمر بن الخطاب قام فقال : « مَنْ كان تَلَقَّى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن ، فَلْيأت به » . وكان زيد بن ثابت يحفظ القرآن عن ظهر قلب ، ولا يجمع آية إلا بشهادة شاهديْن . فكان يبالغ فى الاحتياط ، ولا يكتب إلا إذا تطابق المحفوظ والمكتوب كليةً . [٢] وهكذا توقف عن تسجيل آيتيْن من سورة « براءة » وآية من سورة « الأحزاب » إلى أن تطابق المحفوظ والمكتوب ، أو بحسب ألفاظ زيد نفسه : العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال . [٣] وانتهت مهمة « زيد » الكبرى بتشكيل نسخة مكتوبة ، متواترة ، كاملة ، وإيداعها عند الخليفة . وبذلك وُضع حد نهائى للمخاوف من أن يضيع شىء من القرآن الكريم . واستمر هذا الوضع طوال عهدأبى بكر ، وعهد عمر ، وسنوات من عهد عثمان ، رضى الله عنهم ، ولم يستجد شىء إلا فى سنة ٢٤ للهجرةعلى وجه التقريب حين امتدت الدولة الإسلامية إلى أذْرَبيجان وأرمينية .

### ● عثمان يأمر بنسخ المصحف

بانتشار الإسلام وامتداد دولته إلى العراق والشام ومصر وفارس ، انتشر القراء فى الأقاليم ، يعلِّمون الناس الإسلام ، ويقرئونهم القرآن . وحدث نزاع بين بعض المسلمين حول القراءة الصحيحة ، كما حدث بين « عمر » و « هشام » وتمسك كلٌّ منهم بالقراءة التى سمعها وتعلمها .

حدَّث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « إن حُذَيفة بن اليمان قَدِمَ على عثمان ، وكان حُذَيفة يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذْرَبيجان مع أهل العراق

---

( ١ ) فتح الباري ؛ حديث رقم ٤٩٨٦

( ٢ ) فتح الباري شرح الحديث رقم ٤٩٨٨ – جـ ٩ ص ١٣ – ١٥

( ٣ ) قارن الحديث رقم ٤٩٨٨

( سنة ٢٤هـ ) ، فَأفْزَعَ حُذَيفة اختلافُهم في القراءة . فقال حُذَيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدْرِك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ! فأرْسَلَ عثمان إلى حفصة أن أرْسِلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك . فأرسَلتْ بها « حفصة » إلى عثمان ، فأمَرَ زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكْتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا ؛ حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، ردَّ عثمان الصحف إلى « حفصة » . فأرسَلَ إلى كل أُفق ( إقليم ) بمصحف مما نسخوا . وأمَرَ بما سواه من « القرآن » في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق . »[1] **لأنه عبارة عن قراءات تفتقر إلى التواتر ، فهي ليست قرآنًا .**

وكانت القراءات التي أثارت النزاع من النوع الذي ورد في سورة الفرقان ؛ وهي اختلافات يسيرة في القراءات ؛ لكن المسلمين لم يكونوا يطيقونها ، ظنًّا منهم أنها تغيير في كتاب الله ، أو خطأ ! وربما لم يعرف كثير منهم بإجازة النبي ﷺ لقراءات عديدة . بل إن معلمي القرآن في المدينة المنورة ذاتها اختلفوا في القراءات ، فبلغ ذلك عثمان ، فخطب فقال : « أنتم تختلفون عندي ؛ فمَنْ نَأى عني من الأمصار أشد اختلافا . »[2]

لذلك كله شكل عثمان لجنة لنسخ المصحف الذي كان قد جُمِعَ في عهد أبي بكر ، في صحائف من الجلد . ولم تقتصر اللجنة على الثلاثة المذكورين ، بل ضمَّت ستة آخرين ، لأن المهمة ضخمة ، وهم : أبَي بن كعب ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس ، وكثير بن أفلح، ومالك بن أبي عامر ، وعبد الرحمن ابن الحارث.[3] وانتهت اللجنة بكتابة نسخة كاملة في هيئة كتاب ضخم أوراقه من الجلد وبعد ذلك تم نسخها وإرسالها إلى الأقاليم .

---

( ١ ) فتح الباري ؛ رقم ٤٩٨٧

( ٢ ) نفسه ؛ رقم ٤٩٨٦ ، ٤٩٨٨

( ٣ ) نفسه ؛ جـ ٩ ص ١٨ – ١٩

وهكذا صار بين أيدى المسلمين فى كل إقليم نسخة من المصحف يمكن الرجوع إليها عند اختلاف القراءات . وأعيدت النسخة الأصلية إلى « حفصة » . وأمَّا ما كان بأيدى المعلمين وتلاميذهم من « صحف » مخالفة للصيغة المتواترة المكتوبة فلم تكن تستحق اسم القرآن ؛ وكان لابد من التخلص منها ، منعاً لإدخال قراءات غير متواترة فى القرآن ، فأمر بحرقها .

**فالذى أُحرق قراءات غير متواترة ؛ ولذلك لا تسمى قرآناً .**

والحق أن عمل لجنة عثمان لم يكن يبتغى تحريم التعدد فى القراءَات . فذلك أمر أجَازَهُ النبى ﷺ بإذن من ربه سبحانه وتعالى . وكلنا يعلم أن القراءات السبع شرعية ؛ وهى لا تزال موجودة إلى اليوم . ولم يكن لعثمان أو لغيره أن يحرم ما أحل الله ورسوله . ولكن عمل عثمان كان غَرَضه إبْقاء القراءات الشرعية فقط ومنع القراءات الخاطئة غير الشرعية . وكذلك إعطاء الأولوية لقراءة واحدة ، يبدأ بها التلاميذ ، وتستقر على ألْسنتهم ، وتذيع بين العامة ؛ ولا بأس بعد ذلك من دراسة القراءات الأخرى وممارستها على المستوى العلمى الرفيع . فذلك أدْعَى لمنع الاختلافات والمنازعات بين العوام والصبيان والمعلمين ، فى وقت كان المسلمون فيه يقاتلون فى جبهات عديدة ، ويحتاجون إلى الوحدة الصلبة . وهذا هو الوضع الذى نُقل إلينا بالتواتر ، والذى نمارسه اليوم فى كل مكان .

ولقد كان يجب إحراق النسخة الأولى التى كانت لدى « حفصة » ، بعد أن نُسخت ، روجعت حرفاً حرفاً ، واختيرتْ قراءة واحدة لتكون هى الأساس المعتمد فى النسخة الجديدة . لكن عثمان رضى الله عنه بَرَّ بوعده « لحفصة » بإعادة النسخة إليها . ولم يكن ضرر من وجودها لأن أحداً لم يكن يقرأ فيها بعد نشر مصحف عثمان . وقد بقيت إلى العهد الأموى حين أخذها « مروان » أمير المدينة ، بعد وفاة « حفصة » وغسَلَ الكتابة التى كانت على الحجارة والجريد ، وأحرقه .

ومن هذا نرى بوضوح أن كل الجهود منذ بداية الوحى إلى وقت نسخ مصحف عثمان كانت كلها تُبذْل لصيانة القرآن الكريم بحيث لا يضيع منه حرف

ولا يضاف إليه حرف ، امتثالاً لأمر النبى ﷺ : « أمْحضوا كتابَ الله ! . » ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

[ فصلت : ٤١-٤٢ ]

فكان جمع القرآن المتواتر فى مصحف واحد من الأعمال الجيدة التى تحتسب لعثمان رضى الله عنه ولجماعة الصحابة العظام الذين قاموا بتلك العملية الخطيرة .

## ● أنموذج لمفتريات الشيعة على عثمان

هذا هو الخليفة الراشد الثالث رضى الله عنه . وتلك أعماله وإنجازاته الكبيرة . فكيف يتحدث عنه غلاة الشيعة ؟ هل ينقدونه بموضوعية ؟

لا للأسف ؛ إنهم يفترون عليه ما لا يصدقه عقل إلا عقولهم الملتاثة ؟

وهم ينسبون هذه الافتراءات إلى ابن عباس، وهو منها براء، فيقولون: « لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم وآله المدينة أعطى علياً وعثمان أرضاً ، أعلاها لعثمان وأسفلها لعلي رضى الله عنه فقال علي لعثمان : إن أرضى لا تصلح إلا بأرضك فاشْتَرِ منى أو بِعْنى . فقال له :أبيعك . فاشترى منه علي. فقال له أصحابه : أى شيء صنعتَ ؟ بعْتَ أرضك من علي وأنت لو أمسكت عنه الماء ما انبتت أرضه شيئاً حتى يبيعك بحكمك ؟ قال : فجاء عثمان إلى علي فقال له: لا أجيز البيع . فقال علي له : بعتَ ورضيتَ وليس لك ذلك . قال: فاجعل بيننا وبينك رجلاً . قال علي : النبى صلى الله عليه وسلم وآله . فقال عثمان : هو ابن عمك ! ولكن اجعل بينى وبينك غيره ! فقال علي : لا أحاكمك لغير النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، والنبى شاهد علينا . فَأَبَى ذلك ! فَأنزل الله ( تعالى ) :﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

[ النور : ٤٧ ]

**إلى هذا الحد من الإسفاف انحط المؤلف الشيعى !** فالقصة مستحيلة فقهاً، لأن البيع تم ، وبالتراضى، فلا رجوع فيه . فكيف قبل علي الاحتكام فى المسألة؟

**وهل يعقل أن يرفض عثمان الاحتكام إلى النبى ؟! هل كان عثمان يخشى حيف النبى لأنه ابن عم علي ؟ ألم يكن النبى صهر عثمان أيضاً ؟ وكيف يؤمن عثمان بنبوة محمد ولا يثق فى عدالته ؟ !**

بعد هذا الهراء السخيف يقول المؤلف الشيعى : «فانظروا يا معشر المسلمين إلى رجل لا يرضى بحكومة النبى الذى كان ﷺ مجسمة العدل والإنصاف ! فأين تذهبون يا أهل السنة والجماعة ؟» [١]

**( ١ ) المجلسى ؛ بحار الأنوار ؛ جـ ٢٤ باب ٦٧ ص ٣٦٣**

## المبحث الرابع
## علي بن أبى طالب أميرًا للمؤمنين

● **البيعة لعليّ : إجماع نادر**

بُعَيْدَ مقتل عثمان اتجه أهل الشورى ومن ورائهم حشود من أهل المدينة إلى بيت عليٍّ بن أبى طالب دون تردد أو مفاضلة . فقد كان النجم البازغ المتفرد فى سماء المدينة الملبدة بالغيوم . وربما يمكن القول إنه كان عندئذ موضع إجماع أهل المدينة المنورة ، لا المسلمين كافة . وهكذا تصحُّ البيعة فى قولٌ علي ».[1]

و« عليّ » يصوِّر ذلك الإجماع ، وذلك الاحتشاد حوله ، كما يصور لنا تمنُّعَه عن قبول البيعة فى بيته ، وإصراره على أن تتم فى المسجد فيقول للناس : « ... بَسَطْتُم يدي ( لأُبايعكم ) فكَفَفْتُها ، ومَدَدْتموها فقبضْتُها ، ثم تَدَاكَكْتُم عليَّ تَدَاكَّ الإبل الهِيم ( العطاش ) على حياضها يوم وِرْدِها ، حتى انقطعت النعل ، وسقط الرداء ، وَوُطِئَ الضعيفُ ، وبلَغَ من سرور الناس ببيْعتهم إيَّايَ أن ابتهج بها الصغير ، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وَحَسَرَتْ إليها الكعاب . »[2]

كان الجميع إذَنْ سعداء بالبيعة لعلي بن أبى طالب أميرًا للمؤمنين ، والخليفة الرابع للمسلمين ، **وقد جاءوا داره وازدحموا عليها وعليه : الصغار والكبار ، والضعاف والأقوياء ، والكهول والشباب ، والرجال والنساء ، من المهاجرين والأنصار ، لم يختلف عليه مختلف ، ولا نَفسَ عليه منافس ، فكان الاتفاق سائدًا ، لا تشوبه شائبة خلاف ، ولا أثر فيه لشيعة أو سُنَّة ، لأنه لم توجد يومها شيعة ولا سُنَّة ولا خوارج ولا معتزلة ، بل أمة واحدة متحدة .**

---

( ١ ) نهج البلاغة ؛ رقم ١٧١ ص ١٩٩
( ٢ ) نهج البلاغة ؛ رقم ٢٢٧ ص ٢٧٧

وبوسعنا أن نجد لهذا **الإجماع النادر** المدهش أسباباً عديدة . فقد كانت **قامة علي قد تعالت** ، فرآها أهل المدينة كالمنارة الفذة ، المضيئة ؛ وكانت **«المشيخة» قد طابت عبر السنين** ، وامتلات حنكة وحكمة وتجربة وعلمًا ، ثم فاضت على أهل العلم نوراً وهداية . **ولم يجد الناس لعلي منافسًا أو ضريبًا يمكن أن يقاس عليه ، فجُذبت أبصارهم نحوه وركزت أعينهم عليه . وكانت المدينة تصطلى بنار الفتنة** وقد ضاق صدرها بأولئك الثائرين وأعُبدهم (عبيدهم)، وأعرابهم ، **وساورها القلق على مستقبل أيامها** وقد صارت عاصمة الدنيا وسيدة المعمورة . وكان عبث **مروان بن الحكم وبطانة السوء** خبر يومى يكّدر حياة الأبرار من أهلها ، ويضاعف خوفهم على خليفتهم . ولم **يتعود أهل المدينة أن يقاتلوا أقوامًا يزاحمونهم الصلوات** ، ولا جربوا ثورات تقوم ضد الخلفاء . ولو أن أجناداً غير مسلمين أغاروا عليهم لما ترددوا فى قرارهم بالقتال حتى دَحْرِهم .

ورأى أهل المدينة أنفسهم أمة واحدة تحت إمام واحد ، على قلب رجل واحد، وقد جابوا آفاق الدنيا بقوة الوحدة ، ينشرون الإسلام فى أطراف الأرض ، **وها هم يرون وحدتهم مهددة بالتصدع** والانهيار . فكيف لا يسعدون بنهاية حاسمة لتلك التهديدات ؟

## ● تفسير الإجماع

لكن هذه الحقائق لا يمكن أن تسوِّغ بخس الصحابة (الذين كانوا وقتها فى المدينة) أقدارهم أو التشكيك فى صلاحهم ، كان يقول قائل إن عليًّا وحده هو الذى لم يعشْ الحياة الجاهلية ولم يسجد لصنم ، كسائر الصحابة ، ومن ثم لم يكن فيهم من يستحق الخلافة أو يقدر عليها غيره ! [1] للأسف بعض الشيعة يقول إن عليًّا هو الوحيد الذى أجمعت عليه الأمة بُعَيْدَ مقتل عثمان . وهذا صحيح ، للأسباب التى أشرتُ إليها ؛ ولكن لا يجوز ، ولا يفيد فى شىء ، أن نبنى على ذلك أن عليًّا كان أفضل من أبى بكر وعمر وعثمان ، فتلك مغالطة ، لأن

---

(١) القبانجى ؛ تاريخ التشيع الفكرى والسياسى ؛ ص ٨٥

عليًا الشاب في عهد أبي بكر ، غير علي الشيخ يوم مقتل عثمان . والمدينة في عهد أبي بكر لم تكن كالمدينة في يوم البيعة لعليّ . فالظروف اخْتلفت والرجال اختلفوا ، واجتهد المسلمون واختاروا بحسب وقتهم ، ويُصَوِّر أبو بكر بن الطيب الباقلاني هذه الحقائق فيقول :« والدليل على إثبات الإمامة للخلفاء الأربعة ، رضى الله عنهم ، على الترتيب الذى بيَّناه أن الصحابة رضى الله عنهم أعلام الدين ، ومصابيح أهل اليقين ، شاهدوا التنزيل ، وعرفوا التأويل ، وشهد لهم النبى ﷺ بأنهم خير القرون ، فقال :« خير القرون قرنى » فلما قدَّموا هؤلاء الأربعة على غيرهم ورتَّبوهم على الترتيب المذكور ، علمًا بأنهم رضى الله عنهم لم يقدِّموا أحدًا تشهِّيًا منهم ، **وإنما قدَّموا من قدَّموه لاعتقادهم كونه أفضل وأصلح للإمامة من غيره في وقت توليه .**»[1] والعبارة الأخيرة هى الشاهد لما أقول .

بهذه النظرة نوالى جميع الصحابة ولا نضطر إلى افتعال تفضيل أحدهم على غيره ، ضد الحقائق التاريخية وضد المنطق العقلى ، ونفتعل خلافات ، وعداوات لامُسَوِّغ لها على الإطلاق ، وربما نتورط فى سَبِّ الصحابة أو الطعن فيهم ، كما تورط كثير من الشيعة !

فيجب أن نفهم الترتيب المشهور للخلفاء الأربعة على أنه ترتيب زمانى ، لا على أنه درجات فى المكانة والفضل ،فكلهم أعلام ، وزعماء ، وعلماء ، ومجاهدون من طراز فريد . **ولهذا لا أرى مسوِّغاً لقول بعض أهل السُّنة إن عثمان بن عفان أفضل من على بن أبى طالب ، ولا لقول بعض الشيعة إن عليًّا أفضل من أبى بكر أو عمر أو عثمان ، وأقول إن فضل «علي» يومَ بويع ، يضارع فضل أبى بكر يوم بُويع** . ثم إن فردانية كل رجل منهم ، واختلاف ظروف بيعته ، تجعل المقارنات بينهم بلا أساس علمى . ويضاف إلى ذلك اختلاف تضحيات كل واحد منهم بحسب إمكاناته . فعثمان ضَحَّى بماله ، لكن عليًّا قدَّم نفسه ودمه وروحه ، فكيف نوازن بين أعمال مختلفة كيفيًا ؟!

---

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ؛ ط ٣٠ ص ٦٦ – ٦٧

## ● مناقب أمير المؤمنين على ين أبى طالب ومؤهلاته للإمامة

ولاشك أن المسلمين حين بايعوا عليًا فى المدنية المنورة كانوا يعرفونه حق المعرفة ولذلك لم يختلف عليه أحد مع وجود صحابة كبار مثل الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، ولكن أحداً لم يذكر وصية ولا عهداً مطلقاً .

عرف الناس عنه شرف المحتد . فهو ابن عم النبى ﷺ . ولقد أكثر البعض من سؤال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن خلافة «علي» فقال لهم :«يا هؤلاء! قد أكثرتم القول فى «علي» والخلافة ! إن الخلافة لم تزيِّن عليًا ، بل «علي» زينها» . ولما سئل عن التفضيل بين الخلفاء – وكان شائعاً فى ذلك الوقت – قال : «فى الخلافة : أبو بكر وعمر وعثمان . قالوا : فعليٌّ بن أبى طالب ؟ قال : يا بنى ! علي ابن أبى طالب من أهل بيت لا يُقاس بهم أحد» [١]

– فهذا أحد الائمة الأربعة لأهل السُّنة يميز عليًّا على سائر الخلفاء الراشدين. وهذا التقدير ، ومثله كثير فى تراث أهل السُّنَّة ،يبدد كل شبهة أثارها الغلاة حول موقف أهل السُّنة من «علي» وآل البيت عامة ، وينفى انحيازهم لمعاوية والأمويين ، وتسميتهم «نواصب» – أى معادين لعلي وآل البيت . وقد قرر الإمام الشافعى رحمه الله أن الخلفاء الراشدين أربعة ، وما سواهم مبتز.» [٢] ومعنى هذا أنه يعتبر معاوية حاكماً غير شرعى ، ابتز الحكم بحد السيف .

و «عليٌّ» نال شرف النشأة فى حجر رسول الله ﷺ . وقد قال ابن إسحاق : إن أول ذَكَر من الناس آمن برسول الله ﷺ ، وصلى معه ، وصدق بما جاءه من الله تعالى ، عليٌّ بن أبي طالب ؛ وهو يومئذ ابن عشر سنين» .[٣] وكان رسول الله ﷺ يخرج للصلاة فى شعاب مكة «ومعه على بن أبي طالب ، مستخفيًا من أبيه أبى طالب .» [٤]

---

(١) مناقب الإمام أحمد ؛ ص ٢١٢

(٢) آداب الشافعى ومناقبه ؛ ص ٢٠٨ ، وفى رواية أخرى أضاف عمر بن عبد العزيز ؛ وهذا حق لامراء فيه .

(٣) سيرة ابن هشام ؛ ١ / ٢٤٥

(٤) سيرة ابن هشام ؛ ١ / ٢٤٦

ونال «عليٌّ» **شرف الإصهار إلى رسول الله ﷺ** وتزوج من فاطمة الزهراء رضى الله عنها : وأنجب منها الحسن والحسين . ولم يتزوج بأخرى إلا بعد وفاتها ؛ وللحقيقة فإنه خطب جويرية بنت أبى جهل :«فسمعت بذلك فاطمة ، فَأتتْ رسول الله ﷺ فقالت : يزعم قومُك أنك لا تغضب لبناتك ! وهذا علي ناكح بنت أبى جهل ! فقام رسول الله ﷺ ، فسمعتُه ( أى الراوى المِسْور بن مخرمة ) يقول : أما بعد، أنكَحْتُ أبا العاص بن الربيع ، فحدَّثنى وصَدَقَنى ، وإن فاطمة بضعة منى، وإنى أكره أن يسوءَها . والله لا تجتمع بنتُ رسول الله وبنتُ عدو الله عند رجل واحد!» فترك علي الخطبة .[1] ويقول ابن حجر رحمه الله إن فاطمة كانت قد أصيبت بأمها ، ثم بإخوتها :«فكان إدخال الغَيْرة عليها مما يزيد حزنها»[2]

ويستشهد ابن تيمية رحمه الله بهذه الحادثة وغضب النبى من «علي» على أن عليًا أخطأ ، يريد بذلك نقض القول بعصمة الأئمة عند الإمامية .[3]

وكان النبى ﷺ يحب عليًا حُبًّا جمًّا ، وكذلك الحسن والحسين . والأدلة على هذا كثيرة جداً . وصَوَّر النبى تلك المحبة العظيمة فقال لعلي :«أنت منى وأنا منك».

**ولم يتخلف «علي» عن أى غزوة غزاها رسول الله ﷺ** ما عدا غزوة «تبوك» .[4] وقد أَبْلَى فيها جميعا البلاء الحسن وقتل صناديد الكفار ، من أمثال عمرو بن عبد وُد يوم الخندق ، و«مرحب» الزعيم اليهودى يوم خيبر . وقد أعطاه النبى لواء المسلمين يوم خيبر ، ففتح الله على يديه .[5]

**واستخلف النبى عليًّا** على المدينة ، وذلك شرف لم يَحْظَ به إلا عدد من الصحابة الكبار مثل محمد بن مسلمة وأبى ذر الغفارى وعُويف بن الأضبط .[6]

---

( ١ ) فتح البارى ؛ كتاب فضائل الصحابة – رقم ٣٧٢٩ – ص ٧ / ٨٥

( ٢ ) نفسه ؛ الشرح

( ٣ ) منهاج السنة النبوية ؛ ٢ / ١٧٠

( ٤ ) الطبقات الكبرى لابن سعد ؛ ٢ / ٥٦٧

( ٥ ) الفتح الربانى ؛ أرقام ٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨

( ٦ ) سيرة ابن هشام ؛ جـ ٢ ص ٥١٩، ٣٧٠، ٣٠٨، ٣٢٨، ٢٨٩

لكن عليًّا لم يرض بالبقاء مع النساء والذرية ، وقال للنبى : يا رسول الله ! تخلِّفنى فى النساء والصبيان ؟ فقال : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة **هارون من موسى** ؟ غير أنه لا نبي بعدى . »[1] وهكذا زال من نفس «عليٍّ» الإحساس بالضيق ، وقال : «رضيت رضيت ! » [2]

وكثير ما عبر النبى ﷺ عن **حبه الكبير لعلي** . من ذلك قوله : «من آذى عليًّا فقد آذانى . »[3] وقوله : «مَنْ سبَّ عليًّا فقد سبَّنى . » [4] وهذا شيء طبيعى ، فقد كان عليٌّ ربيب رسول الله ﷺ ، وابن عمه ، وزوج ابنته ، وأحد قادته الشجعان .

**وقد كان «عليٌّ» مع النبى وفاطمة والحسن والحسين يوم المباهلة** : «فقد جاء النبى ﷺ بالحسن والحسين وفاطمة تمشى خلفه ، وعليّ خلفها ، وهو يقول لهم : إن أنا دعوت فَأَمِّنوا . » [5] ويقول ابن تيمية : «إن آية المباهلة تدل على كمال اتصالهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم » [6] لكن الطبرى لا يذكر هذه الحادثة عند تفسير الآية ٦١ من آل عمران [7] .

## – هل أوصى النبى لعلي بالخلافة ؟

ويقول بعض الشيعة :«إن النبى صلى الله عليه وسلم وآله أوصى لعليّ بالخلافة، ولكن ليس بسبب قرابته ، أومصاهرته له ، وإنما بسبب كفاءة علي وقابليته ، سواء فى استيعاب الرسالة أو درجة الإخلاص لها ، أو مستوى التفاعل والاندماج معها . »[8]

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ فضائل عليّ ؛ جـ ١٥ ص ١٧٥
(٢) فتح البارى ؛ كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٣٧٠٦ جـ ٧ ص ٧
(٣) الفتح الربانى ؛ رقم ٢٦٤ ص ١٢٠
(٤) نفسه ؛ رقم ٢٦٧ ص ١٢١
(٥) تفسير القرطبى ؛ ط . الشعب ؛ تفسير الآية رقم ٦١ من سورة آل عمران .
(٦) منهاج السنة النبوية ؛ جـ ٢ ص ١١٨
(٧) راجع التفسير المذكور .
(٨) القبانجى ؛ تاريخ التشيع الفكرى والسياسى ؛ ص ٥

ومن الجلي أن من الممكن القول بمنطق أقوى إن الراشدين الثلاثة كانوا أكفأ من علي عند البيعة لكل واحد منهم ، وإن كفاءة على لم تنضج إلا عند البيعة له ، بعد سنوات طويلة من الممارسة العملية إلى جانب الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه .

لكن القبانجي وغيره يشيرون إلى أن علي بن أبى طالب تميز بأنه لم يسجد لصنم ، فى حين أن الصحابة الآخرين قد عاشوا الحياة الجاهلية بكل سوءاتها . ولذلك نص النبى على إمامته من بعده .(١)

**وعندى أن انتقال الصحابة من الشرك إلى الإيمان هو نضال روحي كبير ؛ فالانتقال من عقيدة موروثة راسخة محترمة إلى عقيدة مضادة لها ، يحتاج إلى روح سامية ، محبة للحق ، مستعدة للصدام مع الأهل والقبيلة والسلطة ، والتضحية فى سبيل ذلك بكل مرتخص وغال** . وهذا هو على وجه الدقة ما حدث مع أولئك الصحابة الرواد العظام ، فى حين كان علي لا يزال صبياً يرتع ويلعب فى شعاب مكة ، ولم يمارس الجهاد للانتقال من دين إلى دين ، بل وجد نفسه فى رعاية ابن عمه ، ووجده يمارس الصلاة ، فأخذ يحاكيه محاكاة أي غلام لأبيه . ثم انطلق الصحابة الرواد العظام فى الدعوة إلى الدين الجديد ، وكان لأبى بكر رضى الله عنه أكبر النجاحات ، إذْ جاء بعدد من كبراء قريش للنبى يعلنون إسلامهم . وكان على عليٍّ أن ينتظر سنوات طويلة حتى يستوعب الإسلام ويكتسب القدرة على الدعوة إليه ، مثل كل أولاد المسلمين الذين كانوا فى مثل سنّه وأسلموا تبعاً لآبائهم .

**● براءة علي من دم عثمان**

لكل هذا ، بايع المسلمون عليًّا وبالإجماع . لكن معاوية وأتباعه واجهوه بتهمة إيواء قتلة عثمان ، وتذرعوا بذلك لرفض البيعة له !

وقد دافع عليٌّ عن موقفه ، وأثبت براءته . وأنا أنقل دفاعه كاملاً نظراً لخطورة الاتهام الموجه إليه وأثره فى القضية التى نعالجها فى هذا الدراسة . فبعد أن

---

(١) نفسه ؛ ص ٨٥

بُويع علي بالخلافة قال له قوم من الصحابة : لو عاقبْتَ قتلة عثمان ؟ فقال : « يا إخوتاه ! إنّي لست أجهل ما تعلمون ، ولكن كيف لى بقوة والقوم المُجْلبون ( المعتدون ) على حد شوكتهم ، يملكوننا ولا نملكهم ؟ وها هم هؤلاء قد ثارت معهم عُبْدَانُكم والتفَّت إليهم أعرابكم ، وهم خَلاَلكُم ( فيما بينكم ) يسومونكم ما شاءوا ؟ وهل ترون موضعاً لقدرة على شيء تريدونه ؟ إن هذا الأمر أمر جاهلية ، وإن لهؤلاء القوم مادة ( مَدَدًا ) . وإن الناس من هذا الأمر – إذا حُرِّك – على أمور : فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك ، فَاصْبِروا حتى يهدأ الناس ، وتقع القلوب مواقعها ، وتؤخذ الحقوق مُسْمَحَةٌ ( منقادة ) . فاهدأوا عنّي ! وانظروا ماذا يأتيكم به أمرى ، ولا تفعلوا فَعْلَةً تضعضع قوة وتُسقط مُنَّةً وتورث وَهَنًا وذلّة . وسأمسك الأمر ما استمسك ، وإذا لم أجدُ بدًّا فآخر الدواء الكي . » [١]

كان علي – إذن – ومعه كثير من الصحابة يرغبون فى القصاص من قتلة عثمان ، لكن الجماعات المعتدية كانت قوية ومعها عبيد وأعراب ، وقد اختلطوا بأهل المدينة وتحكموا فيهم .

وقد توقّع علي أن يأتيهم مَدَد من الشام والعراق ومصر . وقد انقسم المسلمون إلى ثلاث فرق : إحداها تنشد القصاص من المعتدين ، والثانية لا ترى ذلك ، والثالثة وقفت على الحياد . ولذلك طلب علي من الصحابة أن يصبروا ويسكتوا حتى يأمرهم بغير ذلك ، ووعدهم بعلاج القضية سلما ما وسعه ، وإن لم تفلح المعالجات السلمية فسوف يقاتلهم . ولما طلب معاوية تسليمه قتلة عثمان قال علي إنه نظر فى الأمر فلم ير أنه يحل له ذلك . [٢]

**وفى اعتقادى أن هذا الدفاع يبرئ ساحة علي من تهمة التقاعس عن القصاص من قتلة عثمان** ، فلم يكن بوسعه ، ولم يُعْط الفرصة لإعداد القوة الكافية لقتالهم .

---

( ١ ) نهج البلاغة ؛ رقم ١٦٦ ص ١٩٥ – ١٩٦
( ٢ ) نفسه ؛ ص ٢٩٠

وكان معاوية بن أبي سفيان يقول إن عليًا قتل عثمان :« قتل خليفتنا ، وفرق جماعتنا ، وآوى ثأرنا وَقَتَلَتَنا ! وكان معاوية يدعى أن قتلة عثمان هم أصحاب علي، وكان يطالبه بتسليمهم إليه ، ليقتلهم ، فإذا تحقق له ذلك، انضم إلى علي . **وطلب رُسل معاوية من علي أن يعترف بأن عثمان قُتل مظلومًا ، فَأبى علي . فقالوا : فمن لم يزعم أن عثمان قُتل مظلومًا فنحن منه براء»** (١) **وهذا يتعارض** مع أخبار عديدة أعلن عليٌّ فيها أنه لا صلة له بقتل عثمان ، وأنه بريءٌ من قتلته .

وقال علي في الرد علي معاوية وقومه :« والله ما أنكروا عليَّ منكرًا ، ولا جعلوا بيني وبينهم نَصَفًا (عدلاً) ، وإنهم ليطلبون حقًا هم تركوه ودمًا هم سفكوه . فلئن كنتُ شريكهم فيه فإن لهم لَنَصيبهم منه ، ولئن كانوا وُلُّوه دوني فما التبعة إلا عندهم . وإن أعظم حجتهم لَعَلَى أنفسهم ! يرتضعون أمًّا قد فُطمت ويحيون بدعة قد أميتت . » (٢)

وَوَصَفَ علي حال عثمان رضى الله عنه مع أعدائه فقال :« وأنا جامع لكم أمره : استأثر فأساء الأثرة . وجزعتم (من أثرته) فأسأتم الجزع (لم تقفوا عند حد الشكوى ، بل تقدمتم فقتلتموه) . ولله حكم واقع فى المستأثر والجازع . » (٣)

واتهم علي معاوية بأنه لم يصنع شيئًا لصالح عثمان ، فلا ردَّه عن ظلم ولا رفع عنه ظلم . وإنه يطالب بدم عثمان خشية أن يُطالَب به ، لأنه هو الذى يُظن فيه أنه قتله ، فأراد معاوية أن يغالط لَيَلْتَبَس الأمر على الناس ويتشككون فى القضية . (٤) واتهم علي معاوية بأنه نَاصَرَ عثمان حين كان نصره مصلحة لمعاوية ، وأنه خذل عثمان حين علم أن نصره لمصلحة عثمان . (٥)

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ٣٧ جـ ٥ ص ٦ –٨

(٢) نهج البلاغة ؛ رقم ٢٢ ص ٤٨

(٣) نفسه ؛ رقم ٣٠ ص ٥٦ – ٥٧

(٤) نفسه ؛ رقم ١٧٢ ص ٢٠٠

(٥) نفسه ؛ رقم ٣٧ ، ص ٣٢١

## ● من المصيب : علي أم معاوية ؟

ورأى الإمام أبو حامد الغزالى أن :« ما جرى بين معاوية وعلي رضى الله عنهما كان مبنيًا على الاجتهاد ، لا منازعة من معاوية فى الإمامة ؛ إذْ ظن علي رضى الله عنه أن تسليم قتلة عثمان ، مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر ، سيؤدى إلى اضطراب أمر الإمامة فى بدايتها ، فرأى التأخير أصوب . وظن معاوية أن تأخير أمرهم – مع عظيم جنايتهم – يوجب الإغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسَّفْك . وقد قال أفاضل العلماء : **كل مجتهد مصيب . وقال قائلون : المصيب واحد . ولم يذهب إلى تخطئ علي ذو تحصيل أصلاً** .» (١)

**فالمصيب عند كبار العلماء ، ومنهم الغزالى : علي بن أبى طالب** ، وقد قالها علي لمعاوية فى إحدى رسائله :« إنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ( لأنه لم يتقدم للإمامة يومها إلا علىٌّ ) ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار . فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا . فإن خرج عن أمرهم خارج، بطعن أو بدعة ، ردوه إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولأه ما تولى .» (٢)

**ونلاحظ هنا أن عليًاً لم يشر إلى وصية أو عهد ، وإنما استند إلى البيعة الحرة التى حظى بها من أهل الحل والعقد فى المدينة الذين سبق أن بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان . فمنطقه لا يختلف فى كلمة واحدة عن منطق خلفاء أهل السنة جميعاً ، لأنه رابعهم فى الحقيقة** . وهذه الروح الشورية هى التى صبغت الحياة الإسلامية السديدة فى الأوساط الشيعية والسُّنِّية . ولقد اجتمع بنو هاشم عند الإمام الصادق للبيعة لمحمد النفس الزكية فامتنع الصادق عن البيعة له وعلل ذلك بأنه صغير وأنه يرى أن البيعة لأبيه أولَى .» (٣)

---

( ١ ) إحياء علوم الدين ؛ جـ ١ ص ١١٤

( ٢ ) نهج البلاغة ؛ رقم ٦ – باب المختار من كتبه – ص ٢٨٨

( ٣ ) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ فقرة ١٦٣ ص ٢٠٣

وكان علي قد حاول تسوية المشكلات مع الثائرين ضد عثمان ، لكن بطانة السوء كانت تفسد ما يصلحه ، الأمر الذى أغضب عليًا ، والذى لمسناه فى الحوار السابق بينهما . وحاول الحسن بن علي الدفاع عن عثمان ، لكنه لم يستطع .

ودخل الثائرون بيت عثمان ، وقتلوه . ويُذكر أنَّ اللذيْن باشرا القتل هما : قتيرة الغافقى ، وسودان بن حمران . وقد قتلهما غلمان عثمان دفاعًا عنه ، رحمه الله .[1]

وبعد ذلك تصاعدت المطالبة بدم عثمان ، واتُّهم «عليٌّ» بقتله أو إيواء قتلته . **ووقعت أشنع المعارك دموية فى تاريخ الأمة المسلمة فى ذلك الزمان ، فى معركة «الجمل» سنة ٣٦ هـ ، ثم معركة «صفين» سنة ٣٧ هـ . وقد بلغ عدد القتلى فى «الجمل» ١٣٠٠٠ (ثلاثة عشر ألف) قتيل وفى «صفِّين» بلغ عدد القتلى ٦٠٠٠٠ (ستين ألف) قتيل !**[2] **فكانت أعظم الكوارث التى حاقت بالأمة ، ومزقتها ، وأورثتها الشقاق والنزاع والخلاف الدائم .**

● **معركة صفين**

ويصف الشوكانى رحمه الله تلك الكارثة فيقول : «أرسل علي إلى معاوية يطلب منه البيعة ومن أهل الشام : «فاعتل بأن عثمان قتل مظلومًا ، وإنها تجب المبادرة إلى الاقتصاص من قتلته ، وإنه أقوى الناس على الطلب بذلك ، والتمس من عليٍّ أن يمكنه منهم ، ثم يبايع له بعد ذلك . وعلي يقول : ادْخل فيما دخل فيه الناس وحاكمهم إليَّ أحكم فيهم بالحق . فلما طال الأمر ( يعنى امتناع معاوية عن البيعة ) ، خرج علي فى أهل العراق طالبًا قتال أهل الشام . فخرج معاوية فى أهل الشام قاصداً لقتاله ، **فالتقيا بصفِّين** . ودامت الحرب بينهم أشهراً . وكاد معاوية وأهل الشام أن ينكسروا ، فرفعوا المصاحف على الرماح ، ونادوا : ندعوكم إلى كتاب الله تعالى ... فترك القتال جمع كثير ممن كان مع علي ، خصوصًا القُرَّاء بسبب ذلك ، تدينًا .»[3]

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ٣٥ هـ - ٥ / ٣٤٤ - ٣٩١
(٢) الذهبى ؛ العبر ؛ ١ / ٢٧ ؛ وطبقات ابن سعد ؛ ٢ / ٥٧٨
(٣) الشوكانى ؛ نيل الأوطار ؛ جـ٧ ص ١٥٨

وأدان معظم فقهاء أهل السُّنة موقف معاوية . قال الحسن البصرى رحمه الله : « أربع خصال فى معاوية ، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة : خروجه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها بغير مشورة منهم ، واستخلافه يزيد ، وهو سكير خمير يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجَرَ » وقتْله حجْر بن عَدي . » [1]

**● الحسن بن علي ومعاوية**

ولقد قاتل الإمام علي – أمير المؤمنين – وخليفة المسلمين الشرعى المبتزين من بنى أمية حتى قُتل غيلة . وبويع للحسن بن عليّ بالخلافة ، لكنه لم يواصل الدفاع عن نظام البيعة ، وسلم السلطة لمعاوية . وكان عذر الحسن أنه لم يجد فى أتباعه الإرادة الصلبةوالوحدة القوية ، وقد خذلوا أباه ، بل قاتله بعضهم . **لكن بعض أنصار الحسن أنكروا عليه الركون إلى القعود وترك الجهاد فقال له جارية بن قدامة : ما يجلسك ؟ ! سرْ يرحمك الله إلى عدوك قبل أن يُسار إليك ! وقال سلمان بن صرد : ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة وشيعة البصرة ! »** [2] **وفى اعتقادى أن تسليم الحسن قيادة الأمة لمعاوية هو أكبر خطأ وقع فى تاريخ الأمة المسلمة ، وجعل القيادة فيها للمبتزين والمتغلبة وقراصنة السلطة . وكان ذلك هو السبب الأساسى فى القلاقل والاضطرابات التى لم تتوقف إلا لتشتعل على امتداد التاريخ الإسلامى وفى العصرين الأموى والعباسى خاصة . وفى اعتقادى أن عام تسليم الحسن السلطة لمعاوية لا يمكن ، ولا يجب ، أن يُسمَّى «عام الجماعة» . فتلك خدعة كبرى ، لأن الأمة لم تتحد ولم تجتمع فيها ، وظلت التمردات والانقلابات والاغتيالات والانقسامات هى الطابع الدائم لتاريخها ، وحتى اليوم** . يقول ابن أبى الحديد فى وصف تلك الفترة الدامية :« إنهم حاربوا عليًّا ، وَسَمُّوا الحسن

---

( ١ ) نقلاً عن أبى زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ فقرة رقم ٩٠ ، ص ١١٣ ( وحجر كان قد خرج على معاوية ، ثم أمَّنه ، ثم قتله غدراً . )

( ٢ ) نزار المنصورى ؛ النصرة ؛ ص ٩٠ – ٩١

وقتلوا الحسين ، وحملوا النساء (من آل بيت النبى!) على الأقتاب – حواسر! – وكشفوا عن عورة على بن الحسين – حين أشكل عليهم بلوغه – كما يُصنع بذرارى المشركين إذا فُتحت دُورهم عنوة . وقَتَلَ عبيُد الله بن زياد ... تسعة من صُلب علي رضى الله عنه وسبعة من صُلب عقيل ابن أبى طالب ... وَضَرَب عُنق «مسلم بن عقيل بن أبى طالب» صبراً وغدراً بعد الأمان ، وقتلوا معه هانئ بن عروة لأنه آواه ونصره .»[1] ولم تتوقف التمردات والاضطرابات بعد ذلك .

فهذا هو نظام الملك العَضَوض الذى حَلَّ مكان النظام الإسلامى ، نظام البيعة الحرة ، الملتزم بالشرائع والقيم الإسلامية . ونحن اليوم نعرف مآسى ذلك النظام البغيض الظالم ، لأننا نعيشه أو «نموته!» إن جاز التعبير . والشعوب المسلمة تناضل للخلاص منه واستعادة نظامها الأصيل ، لكن الهيمنة الأمريكية تساند الطغاة والمستبدين ، وتحبط جهود أمتنا المجاهدة . وهذه هى معضلة الأمة المسلمة اليوم .

---

(١) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ فقرة رقم ٩١ – ص ١١٤

## المبحث الخامس

# الخلافة : شورى أم وصية ؟

● **عقيدة الإمامية : الخلافة وصية وعهد**

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان » . (١) والمقصود بالأمر هنا هو الخلافة . وقريش : « هم ولد فهر بن النَّضْر بن كِنانة الذين يرجعون بأنساب آبائهم إليه » (٢) .

ويقول ابن حجر رحمه الله : « ذهب جمهور أهل العلم إلى أن شرط الإمامة أن يكون قرشيًا . وقَيَّد ذلك طوائف ببعض قريش ، فقالت طائفة : لا يجوز إلا من **ولد علي** . وهذا قول الشيعة . ثم اختلفوا اختلافًا شديداً فى تعيين بعض ذرية علي . وقالت طائفة: يختص **بولد العباس**؛ وهو قول أبو مسلم الخراسانى وأتباعه. ونقل ابن حزم أن طائفة قالت : لا يجوز إلا فى **ولد جعفر بن أبى طالب** . وقالت أخرى : فى **ولد عبد المطلب** . وعن بعضهم : لا يجوز إلا فى **بنى أمية** . وعن بعضهم : لا يجوز إلا فى ولد عمر . قال ابن حزم : ولا حُجة لأحد من هؤلاء الفرق . وقالت **الخوارج** وطائفة من **المعتزلة** : يجوز أن يكون الإمام غير قرشى ، وإنما يستحق الإمامة من قام بالكتاب والسُّنة سواء كان عربيًا أم أعجميًا . وبالغ ضرار بن عمرو فقال : تَوْليةَ غير القرشى أَوْلَى ، لأنه يكون أقل عشيرة ، فإذا عَصَى كان أَمْكَن لخلعه . » (٣) .

ومن الجلي أن هذه الخلافات لم تقع إلا بعد عصر الخلفاء الراشدين . وهى

---

(١) فتح البارى ؛ كتاب الأحكام ؛ رقم ٧١٤٠ ؛ جـ١٣ ص ١١٤

(٢) ابن حزم ؛ المحلى ؛ المسألة رقم ٨٦ جـ١ ص ٤٤

(٣) فتح البارى ؛ شرح الحديثين رقم ٧١٣ ، ٧١٤٠ جـ١٣ ص ١١٨

ليست محصورة بين الشيعة وأهل السُّنة ، ولكنها شاعت بين الفرق الإسلامية كلها، وصارت فصلاً ثابتاً فى أدبياتها .

وليس فى هذه الآراء نص بوصية لأحد بعينه من رجالات قريش .

**لكن عقيدة الإمامية الراسخة هى أن علي بن أبى طالب هو خليفة رسول الله ﷺ ، بوصية من الله تعالى وعهد من النبى . وعلى هذا اعتبروا أبا بكر مغتصباً لحق علي ، وعاصياً لله تعالى ورسوله ؛ وخلافته باطلة وغير مشروعة ، وتبعًا لهذا رفضوا خلافه عمر وخلافة عثمان ، واعتبروا الصحابة الذين أيدوهم ابتداء من يوم السقيفة ، منافقين عاصين لله تعالى .**

ويصور أحد غلاة الإمامية هذه العقيدة فيقول : «إنه لما عَمَّت البلية على كافة المسلمين بموت النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، واختلف الناس بعده ، وتعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم ، فبعضهم طلب الأمر لنفسه ، ( يقصد أبا بكر الصديق رضى الله عنه ) ، وتابعه أكثر الناس طلباً للدنيا» .

ويرد شيخ الإسلام ابن تيمية على هذه الافتراءات فيقول إن : «فى هذا الكلام من الكذب والباطل وذم خيار الأئمة بغير حق ، ما لا يخفى من وجوه : أحدها قوله : تعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم ، فيكونون كلهم متبعين أهواءهم ، ليس فيهم طالب حق ، ولا مريد لوجه الله تعالى والدار الآخرة ، ولا مَن كان قوله عن اجتهاد واستدلال . وعموم لفظه يشمل عليًا وغيره . هؤلاء الذين وصفهم بهذا هم الذين أثنى الله عليهم هو ورسوله ورضى عنهم ووعدهم الحسنى، كما قال تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] (١) .

**وهذا تقليد شيعى عام ممتد منذ عهد الراشدين وإلى اليوم ، وليس نزغة شيطان لدى كاتب معين ، باستثناء قلة من العلماء المصلحين المعاصرين . ولدى**

---

( ١ ) منهاج السنة النبوية ؛ جـ١ ص١٥٢ .

**غلاة الشيعة غرام مرضى بالتشنيع بأبى بكر وعمر خاصة ، يصل بهم إلى أحط دركات الإسفاف والابتذال !**

وهم يستبيحون أعراض الصحابة جميعاً دون تمييز ، وفى الوقت نفسه يرفعون أقدار الذين أيدوا علي بن أبى طالب ، إلى عنان السماء !

أما عليٌ نفسه فقد رفعه البعض إلى مستوى الإله المعبود ! وهؤلاء نبذهم الشيعة أنفسهم . لكن الأغلبية الساحقة تقول : إن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد . ( من علي إلى ذريته ) وإن الله تعالى نص على إمامة علي ثم الحسن ثم الحسين ، إلى نهاية الأئمة الاثنا عشر . وأنهم هم الآيات التى ذكرها الله عز وجل فى كتابه . وإنهم ورثوا علم النبى وجميع الأنبياء والأوصياء الذين قبلهم ، وعندهم جميع الكتب التى نزلت من عند الله عز وجل وإنهم يعرفونها على اختلاف لغاتها ، وعندهم ما يسمونه الصحيفة والجَفْر والجامعة ومصحف فاطمة ، وإنهم يعلمون متى يموتون وإنهم لا يموتون إلا باختيار منهم[١] .

وقد صدع النبى لأمر الله وأعلن يوم « غديرخُمْ » أن علياً مولاه ومولى كل مؤمن . وشهد بذلك ثلاثون صحابياً . واعترف أبو بكر وعمر يومها بإمامة علي[٢] .

وكل الأدلة تشير إلى اعتقاد علي نفسه بأنه كان أوْلى بالخلافة من أبى بكر ، وإن تَقَبَّلَ اختيار المسلمين ، وشارك فى الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية على امتداد أيام الخلفاء الثلاثة . ويبدو أنه كان يعبر عن عدم رضاه أمام بنيه ، حتى وجدنا الحسن بن على – وهو غلام صغير – يقول لأبى بكر وهو على المنبر : انزلْ عن منبر أبى ! ويحاول علي إصلاح الأمر فيقول لأبى بكر إنه غلام حَدَث ، وإنّا لم نأمره ، ويقبل الصديق الاعتذار[٣] . وفى مراسلات الحسن إلى معاوية يقول الحسن إن الخلفاء استولوا على الخلافة التى هى عهد لأبيه ، فيصحح له معاوية معلوماته بأن يذكره بالبيعة الحرة والشورى التى وضعت الخلفاء الثلاثة على رأس الأمة[٤] .

---

( ١ ) الكلينى ؛ الكافى ؛ كتاب الحجة .
( ٢ ) حيدر الحلى ؛ الكلام الجلي ؛ ص١٨٠ – ١٨٥ ، ١٩٣
( ٣ ) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ٥ ص٢٥٨ – ٢٥٩
( ٤ ) نفسه ؛ ص ٢٥٨ – ٢٥٩

## ● سبُّ الشيخين !

ومع الزمن تطور موقف أتباع علي وبنيه ، وظهرت فئات منهم ترى أن سب الشيخين عمل يُتعبد به ! ولم يكن كل الشيعة على ذلك المذهب . وقد نفى الإمام جعفر الصادق أن يكون سب أبى بكر وعمر نحلة آل البيت ، كما نفى ذلك أيضا علي زين العابدين (١) . ويُؤثر عن الصادق قوله لصاحبه جابر الجعفر : « يا جابر ، بلغنى أن قوماً من العراق يزعمون أنهم يحبوننا ، ويتناولون أبا بكر وعمررضى الله عنهما ، ويزعمون أني أمرتهم بذلك ، فأبلغهم أنى إلى الله برئ منهم . والذى نفس محمد بيده لو وُلِّيتُ لتقربت إلى الله بدمائهم ! لاَنَالَتْنى شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما » . وقال الصادق : « من لم يعرف فضل أبى بكر وعمر فقد جهل السُّنة » . (٢)

وكان الصادق يتابع رأى جده زين العابدين ، وأبيه الباقر ، القائل إن الطعن فى أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم مخالف للسنة(٣) .

ويؤثر عن علي بن أبى طالب نفسه شهادات عظيمة للشيخين . فعن محمد بن علي ( ابن الحنفية ) أنه قال لأبيه :« يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ؟ فقال : يا بنى أوَ مَا تعرف ؟ فقلت : لا . قال : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قال : عمر » . وخشيت أن يقول ثم عثمان فقلت : ثم أنت ؟ فقال : « ما أنا إلا رجل من المسلمين » . (٤)

والإمام الصادق هو الذى صاغ المذهب الاثنا عشرى ، وبهذا تميز على سائر الأئمة (٥) . وأحد أحفاده كان أول من أسس دولة علوية فى إفريقية(٦) .

## ● الغلاة يزورون !

**ولكن غلاة الشيعة لا يتورعون عن التقاط الأخبار الزائفة التى تحط من أقدار الصحابة . فيروى أحدهم خبراً مزوراً يقول : إن عمر بن الخطاب كان**

---

( ١ ) أبو زهرة ؛ جعفر الصادق ؛ ص٢٠ — ( ٢ ) نفسه ؛ ص ٢٤ .
( ٣ ) نفسه ؛ ص ٢٠٩ . — ( ٤ ) العقيدة الطحاوية ؛ ص٢٩٣
( ٥ ) د. إبراهيم دسوقى شتا ؛ الثورة الإيرانية ؛ ص ٢٦
( ٦ ) اتعاظ الحنفا ؛ جـ ١ ص ٣٥

يشرب الخمر ! وهذا الخبر موجود فى كتاب «العلل المتناهية» وهو كتاب شامل للاخبار المزورة . وعلق عليه ابن الجوزى ، مؤلف الكتاب ، بقوله : «هذا كذب من سعيد بن لعوة – راوى الخبر – الذى وصفه ابن حبان بأنه : شيخ كبير دجال ، يزعم أنه رأى عمر يشرب الخمر» [1] .وينكر الغلاة الأخبار المتواترة بأن أبا بكر صلى بالناس طوال مرض النبى الذى توفى فيه ! [2] .

وهم جُهَّال بالسيرة النبوية ، فيزعم أحدهم أن أبا بكر فَرَّ من المعارك مراراً قبل يوم بدر ! ومعلوم أن يوم بدر كان أول المعارك !

وهم يتورطون فى الإساءة إلى «علي» حين يتحدثون عن إنفاقه فى سبيل الله. ويقارنونه بأبى بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف ! ومعروف أن عليّاً كان فقيراً ، وليس له تضحيات مالية تذكر ، ومقارنته بأبى بكر وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف لا محل لها ! وقد رأينا فيما سبق تضحياتهم المالية السخية فى سبيل الإسلام . لكن غلاة الشيعة يتهمون الراشدين بالبخل ! [3]

وهم يخترعون وقائع للطعن فى الراشدين. من ذلك قصة ضرب عمر لفاطمة، رضى الله عنهما، وإسقاط حملها الذى أسموه «المحسن» .يقول شاعرهم:

**هل أسقط القومُ ضرباً حملَها فَهَوَت تئنُّ مما بهـا والضلعُ منكسـر**
**وهل كما قيل قادوا بَعْلَها فَعَدَتْ وراءه نادبةً والدمع منهمـر ؟**
**إن كان حقاً فإن القوم قد مرقوا عن دينهم وبشرع المصطفى كفروا !( ٤ )**

فالشاعر ليس واثقاً من صحة الواقعة ، وعلى الرغم من ذلك يطلق لسانه في تكفير الفاعلين المزعومين أو المتوهمين !

وينحط هذا الشاعر إلى أدنى دركات الإسفاف حيث يقول :

---

( ١ ) ابن الجوزى ؛ العلل المتناهية ؛ رقم ١٥٧ جـ٢ ص٤٥٩
( ٢ ) منهاج السنة النبوية ؛ جـ٤ ص ٢٩٠
( ٣ ) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ٣ ص٥٦
( ٤ ) محمد جمال الهاشمى ؛ الهاشميات ؛ ص٣٥

بهم الخلافة أصبحت متنزهًا فيها تعيث أرانب وذئاب

الخمر في واحاتها متشعشع والفسق في ساحاتها صخاب !

ويتهم الغلاة عمر بن الخطاب بقلة العلم ، لأنه يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وآله قال : إن النبى لم يمت ! ولأنه أمر برجم امرأة زانية وهى حامل ، فأخبره على بأنها حامل ، فرجع عن أمره .

والحق أن موقف عمر يوم وفاة النبى كان حكيماً ، لأن التأكد من الوفاة يستغرق بعض الوقت ، فأراد عمر ألاَّ يُعلن عن وفاة النبى إلا بعد التأكد من الوفاة . ولا دخل لهذا بقلة العلم ، فهو يعلم قول الله تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [ الرحمن:٢٦ ] وقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [ الزمر:٣٠ ] وقوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [ الأنبياء:٣٤ ] . ولم يكن عمر يعلم أن الزانية حامل ، فلما أخبره علي بذلك أجل تنفيذ الحكم .

ولقد بينا أن عمر رضى الله عنه كان من أعظم الصحابة علماً وفقهاً وثقافة .

**وكراهية أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها جزء أساسى من دين الغلاة !** فهم ينكرون أنها من آل بيت النبوة ، وينكرون أنها من أمهات المؤمنين ! فهى ابنة أبى بكر الذى اغتصب الخلافة من علي ، وليس لها أية منقبة أو ميزة غير ذلك ! وهم يردون كل الأخبار التى تتحدث عن حب النبى لها وتقديمه لها على سائر نسائه ، وعن تمريضها للنبى ، وموته فى حجرها ، وعن علمها الواسع بالإسلام . بل يتهمونها بالكذب على رسول الله ﷺ [1] .

● **إسفاف !**

ويغالى الشيعة بصفة عامة فى تقدير الأحساب والأنساب ، على نقيض ما يقرره كتاب الله تعالى فى قوله ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [ الحجرات :١٣ ] وينحدر الناقد الشيعى إلى الحضيض حين يتطاول على الأمهات . **من ذلك أنهم يمقتون عمرو بن العاص مقتاً شديداً لموقفه المؤيد لمعاوية ضد علي . فيقول**

---

( ١ ) المجلسى ؛ بحار الأنوار ؛ جـ٢ باب ٢٨ ص ٢١٣

**قائلهم : إن أم عمرو بن العاص كانت بغياً من صاحبات الرايات في مكة !** (١)
**أما الحقائق فتقول إن النبى صلى الله عليه وسلم وآله كان يقرب عمرو ابن العاص ويدنيه لمعرفته وشجاعته** : « وولاه غزاة ذات السلاسل ، وأمده بأبى بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح ، ثم استعمله على عُمان ، وكان من أمراء الأجناد فى الشام فى زمن عمر ، وهو الذى فتح قنسرين ، وصالح أهل حلب و« منبج » وأنطاكية وولاه عمر فلسطين» . وشهد له **قبيصة بن جابر فقال** :«**صحبت عمرو ابن العاص فما رأيت رجلاً أَبْيَنُ قرآناً ، ولا أكرم خلقاً ، ولا أشبه سريرة بعلانية منه**» . وكان الشعبى المحدث الكبير يقول : « دهاة العرب فى الإسلام أربعة ، فعدَّ منهم عمرو بن العاص . ثم قال : فأما عمرو فللمعضلات » . وَوَلي عمرو إمرة مصر فى زمن عمر بن الخطاب ، وهو الذى افتتحها .. ووليَ مصر لمعاوية من صفر سنة ٣٨هـ إلى أن مات سنة ٤٣ هـ (٢) .

**ومن حق الناقد أن يعترض على مواقف عمرو السياسية . لكن ليس من حقه أن ينال من عرض أمه ، حتى لو كان يملك الدليل القاطع على ذلك ، فما بالك حين لا يوجد دليل ؟ أَلَيس هذا رَمْي لامرأة محصنة ؟! ثم أليس لهذا القائد العظيم ، حرمة ؟ وأين زعماء الشيعة من عمرو بن العاص ؟ ماذا فتحوا من البلاد ؟ وماذا قادوا من الجيوش ؟** (باستثناء علي رضي الله عنه) .

هذا فى إيجاز موقف الشيعة من الصحابة ومن الراشدين . وهو موقف أساسى عندهم ، ومن العسير وإن لم يكن من المستحيل ، أن يتزحزحوا عنه! لأنه يستند إلى اعتقادهم أن الخلافة وصية ، وأن الراشدين اغتصبوها من علي !

● **موقف استثنائي**

والاستثناء الذى قابلته بينهم هو الدكتور موسى الموسوى ، وهو عالم شيعي معاصر ؛ إنه ينتقد موقف الشيعة **الذين يمارسون السباب بأحط الأساليب المُسفَّة** فى وصف الخلفاء الراشدين الثلاثة وأمهات المؤمنين . وهو يؤكد أن ذلك السباب لا يجوز أن يصدر من مسلم إلى مسلم آخر عادى ، ناهيك عن أن يكون خليفة ، وأن تصدر عن فرقة مسلمة ضد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله

(١) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ٥ ص ٢٩٠ – الهامش .       (٢) الإصابة فى تمييز الصحابة .

وأزواجه – صحابة لهم مكانة كبيرة فى قلوب المسلمين وأزواج النبى سماهم الله أمهات المؤمنين » [1] .

ثم يقول الدكتور الموسوى : « ولا أطلب من الشيعة فى هذه الدعوة التصحيحية أن تقول وتعتقد فى الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الإمام علياً ، أكثر مما قاله الإمام فى حقهم . **فلو التزمت الشيعة بعمل الإمام علي لانتهى الخلاف وساد الأمة الإسلامية سلام فكرى عميق ، فيه ضمان الوحدة الإسلامية الكبرى**»[2] .

● **موقف أهل السنة : مولاة جميع الصحابة**

**وفى مقابل موقف الشيعة من الصحابة يبرز الموقف الإيجابى لأهل السنة، وقد تميز بالاستناد إلى القرآن الكريم دون تعسف أو تأويل** . وقد أورد ابن حجر رحمه الله صورة ذلك الموقف بوضوح فقال : «إن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم . فمن ذلك قوله تعالى ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠ ] وقوله ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾ [الفتح :١٨ ] وقوله : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ [التوبة : ١٠٠ ] وقوله ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [الحشر :٨ ] وفى آيات أخرى كثيرة يطول ذكرها ، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها . وجميع ذلك يقتضى القطع بتعديلهم ، ولا يحتاج أحد منهم إلى تعديل أحد من الخلق . على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها ( من الهجرة ، والجهاد ، ونصرة الإسلام ، وبذل المهج والأرواح ، وقتل الآباء والأبناء والمناصحة فى الدين ، وقوة الإيمان واليقين ) القطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدلين الذين يجيئون

---

( ١ ) الشيعة والتصحيح ؛ ص ١٠ . ( ٢ ) نفسه ؛ ص ٤٨

من بعدهم . هذا مذهب كافة العلماء ومَنْ يعتمد قوله » . ثم روى حديثاً بسنده إلى أبى زرعة قال : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فَاعْلم أنه زنديق . وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كلَّه الصحابةُ . وهؤلاء يريدون أن يجرِّحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أَوْلى وهم زنادقة » . (١)

والرجل لا يعتبر صحابيًا إلا بخبر متواتر ، أو مستفيض ، أو مشهور ، أو بحضور يوم بدر أو الحديبية ؛ أو أن يقول الرجل عن نفسه أنا صحابى ، وهو ثابت العدالة ؛ وكذلك معاصرة الرجل للنبى ؛ وقول الراوى : سمعت من رسول الله ؛ وإمارة المغازى .

## ● تقويم الصحابة

**وتقويم الصحابة يجب أن يكون فردياً ، وإنها لجريمة كبرى سبُّهم جميعًا دون تمييز ! كما أن نقدهم بموضوعية عمل علمى ، فهم بشر ، ويخطئون ، بعكس عقيدة الشيعة أن الأئمة معصومون .** ونعلم جميعًا أن أحدهم قد ارتد بعد إسلامه وهو عبد الله بن خطل الذى أمر النبى بقتله وهو معلق بأستار الكعبة .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :« إن أهل السنة يتولون جميع المؤمنين ، ويتكلمون بعلم وعدل ؛ ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء . ويتبرأون من طريقة الروافض والنواصب جميعاً ، ويتولون السابقين الأولين كلهم ، ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم وَمَنَاقِبَهم ، ويرعون حقوق أهل البيت التى شرعها الله لهم . ولا يرضون بما فعله المختار ونحوه من الكذابين (٢) ، ولا ما فعل الحجاج ونحوه من الظالمين . ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين ، فيعلمون أن لأبى بكر وعمر من التقدم والفضائل مالم يشاركهما فيها أحد من الصحابة ، لا عثمان ولا على ولا غيرهما ... حتى أن الشيعة الأولى أصحابُ عليٍّ لم يكونوا يرتابون فى تقديم

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة ؛ جـ١

(٢) منهاج السنة النبوية ؛ جـ١ ص ١٦٥

أبى بكر وعمر عليه . وكيف وقد ثبت عنه ( عن علي ) من وجوه متواترةأنه كان يقول : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ؟» [١]

ويقول الإمام أبو حامد الغزالى :«إن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضى الله عنهم . ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله على إمام أصلاً ؛ إذ لو كان ، لكان أَوْلى بالظهور من نَصْبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود فى البلاد ، ولم يخف ذلك ، فكيف خفي هذا ؟! وإن ظهر ، فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا ؟ فلم يكن أبو بكر إماماً إلا بالاختيار والبيعة . وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وخرق الإجماع ، وذلك مما لا يستجرئ على اختراعه إلا الروافض . واعتقاد أهل السنة : تزكية جميع الصحابة ، والثناء عليهم ، كما أثنى الله تعالى ورسوله ﷺ » .[٢] وقد عبر الشاعر الشيخ شمس الدين بن الملحى ( توفى سنة ٧٤٤هـ) عن موالاة أهل السُّنة للصحابة جميعاً ولآل البيت فقال :

| | |
|---|---|
| ليس لى غير إلهى ذى الكرم | غافر الزلات |
| والنبى المصطفى بدر الظُّلَم | صاحب الآيات |
| أحمد الهادى الرسول المحتشم | سيد السادات |
| بدرُ حَقٍّ يخجلُ البدر التمام | مشرق الأنوار |
| الذى كان تغشاه الغمام | وهو فى الأسفار |
| سلم الله عليه وعلى | آله الأعيان |
| وعلى صدّيقه تاج العلا | سابق الإيمان |
| وعلى الفاروق مأمون الملا | والرضا عثمان |
| وعلى فارس الجيش الهمام | الفتى الكرار |
| وعلى أولاده الزهر الكرام | خيرة الأخيار |

( ١ ) الموضع نفسه . ( ٢ ) إحياء علوم الدين ؛ جـ١ ص ٨٩

رحم الله الشاعر شمس الدين وجزاه خير الجزاء .

**آخر وصية للرسول : «الصلاة وما ملكت أيمانكم»**

وكثير من الأدلة تثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله لم يوص لأحد بالخلافة . من ذلك قول أنس بن مالك رضى الله عنه :« كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، **حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه :«الصلاة وما ملكت أيمانكم»** [١] وعن على بن أبى طالب قال : **«كان آخر كلام النبى صلى الله عليه وسلم وآله :«الصلاة وما ملكت أيمانكم»**[٢] وكان بوسع النبى أن يوصى لعلي بالخلافة بكلمات كهذه : «علي بن أبى طالب هو الخليفة من بعدى»، ولكنه لم يقلها . ومن ذلك ما يرويه ابن هشام فى السيرة من أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، خرج فى مرضه الذى مات فيه عاصباً رأسه :« حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب « أحد » واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم » .[٣] ولو أراد أن يوصى لأحد لفعل ، من غير كتابة ولا صحيفة .

وعن الهُزَيل بن شُرحبيل قال :« أتقولون : أبو بكر كان يتأمر على وَصيٍّ رسول الله ﷺ ؟! وَدَّأبو بكر أنه وجد من رسول الله ﷺ عهداً، فَخَزم أنفه بخزام! »[٤] يريد أن يقول مستنكراً إن تلك مقولة كاذبة ، وإن أبا بكر لا يمكن أن يقبل أن يكون أميراً على أى إنسان أَوْصَى له النبى بالإمارة . فلم توجد وصية لأحد .

ويقول الذهبى :« وَوَلِيَ الخلافة عمر بنص من أبى بكر ، فلم يختلف عليه اثنان : فوالله لو نَصَّ النبي ﷺ على علي بن أبى طالب ، كما تفترى الرافضة – لما اختلف عليه اثنان أيضاً » .[٥]

حقًا ، كيف نُصدِّق انصياع كبار الصحابة لوصية أبى بكر لعمر ، وتنكرهم لوصية النبي ﷺ لعلى ؟!

---

( ١ ) ابن ماجة ؛ رقم ٢٦٩٧ جـ٢ ص٩٠ ( ٢ ) نفسه ؛ رقم ٢٦٩٨ .
( ٣ ) سيرة ابن هشام ؛ جـ٤ ص٦٤٩
( ٤ ) سُنن ابن ماجة ؛ كتاب الوصايا – رقم ٢٦٩٦ – جـ٢ ص ٩٠٠
( ٥ ) الذهبى ؛ العبر ؛ جـ١ ص ١٣

وأكـرر أن النبي ﷺ لو أراد أن يوصى بتـوليـة علي من بعـده لأَعْلَنَ ذلك بعبارات صريحة قاطعة ، وأخذ العهد على كبار الصحابة بالعمل به ، **كأن يقول : علي بن أبي طالب يجب أن يكون خليـفتى فى حكم الأمـة ، وعليكم جمـيعاً طاعته . وفى مرضـه الذى مات فيـه كان من المؤكد أن يعيد توكيد إمامة علي علنًا على رؤوس الأشـهاد حتى لا يقع خلاف ، والأمة مـهـددة بحـركـة الردة وظهور الأنبيـاء الكذبة . لكن شيـئًا من هذا لم يحدث ، وبذلك يصبح مذهب أهل السُّنة هو الأرجح .**

إن الخلفاء الراشدين عند أهل السُّنة خمسة :« أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ، ومن سواهم مبتز» هذا قول الشافعى كما سبق أن رأينا فلم يُثبت عمر بن عبد العززيز .[1] وترتيبهم هو الترتيب الذى حدث فى واقع حياة الأمة المسلمة .

أما عند الشيعة الإمامية فثمة خلاف كبير . فبعضهم يأخذ بما وقع فى التـاريخ ، ويقـترب من أهل السُّنة ، مع اعـتراضـات على الترتيب ، فكان الواجب عندهم أن يكون علي أولاً . وبعضهم لا يعترف بخلافة أبى بكر وعمر وعثمان ، ويعتبرونهم ظلمة اغتصبوا الإمامة من صاحبها الذى نَصَّ عليه النبي ﷺ . ويعضـهم يضيف الحسن بن علي بوصفه الخليفة الراشد الخامس ، مع اعترافهم بعدالة عمر بن عبد العزيز ومشروعية حكمه .

## ● عودة إلي المقارنات بين علي وأبى بكر

يقول أحد الكتاب الشيعة الإمامية مصوراً عقيدتهم :« إن الإمامية لما رأوا فضائل أمير المؤمنين ( علي بن أبى طالب ) وكمالاته لاتُحصى ، قد رواها المخالف والموافق ، ورأوا الجمهور قد نقلوا عن غيره من الصحابة مطاعن كثيرة ، ولم ينقلوا فى علي طعناً ألبتة ، اتبعوا قوله ، وجعلوه إمامًا لهم ، حيث نزهه المخالف والموافق ، وتركوا غيره حيث رُوِيَ فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن فى إمامته » .[2]

---

( ١ ) آداب الشافعى ؛ ص ١٩١

( ٢ ) منهاج السنة النبوية ؛ جـ٣ ص ٢

ويرد ابن تيمية رحمه الله على هذه المزاعم فيقول إن: «الفضائل الثابتة فى الأحاديث الصحيحة لأبى بكر وعمر أكثر وأعظم من الفضائل الثابتة لعلي». وأما المطاعن التى أشار إليها ذلك الكاتب: «فلا يمكن أن يُوَجَّه على الخلفاء الثلاثة من مَطعن إلا وجِّه عَلَى عليٍّ ما هو مثله أو أعظم منه».

وينفى ابن تيمية الزعم بأن عليًّا قد نزهه المخالفون، ويقول إن القادحين فى عليٍّ طوائف متعددة، وهم أفضل من القادحين فى أبى بكر وعمر وعثمان، والقادحون فى علي أفضل من القادحين فى أبى بكر وعمر وعثمان. والقادحون فى علي أفضل من الغلاة فيه. فالخوارج متفقون على كُفْره، وهم عند المسلمين خير من الغلاة الذين يعتقدون إلهيته أو نبوته، بل هم والذين قاتلوه من الصحابة والتابعين خير عندجماهير المسلمين من الرافضة الاثنى عشرية الذين اعتقدوه إمامًا معصومًا. وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ليس فى الأمة من يقدح فيهما إلا الرافضة. والخوارج المكفرون لعلي يوالون أبا بكر وعمر ويترضون عنهما. والمروانية الذين ينسبون عليًّا إلى الظلم ويقولون إنه لم يكن خليفة، يوالون أبا بكر وعمر، مع أنهما ليسا من أقاربهم» [(1)]

ثم يحاول ابن تيمية إثبات أن أبا بكر وعمر كانا أفضل من علي، فيقول: «إن الثلاثة - أبا بكر وعمر وعثمان - اجتمعت الأمة عليهم، فحصل بهم مقصود الإمامة، وقُوتل بهم الكفار، وفتحت بهم الأمصار. وخلافة علي لم يقاتَل فيها كافر، ولا فُتح مصر، وإنما كان السيف فيها بين أهل القبلة». [(2)]

وهنا أُذكِّر بما سبق أن قلتُه، وهو أن المقارنة بين الخلفاء خطأ علمى، لأن الظروف التى تَوَلَّى كل واحد منهم فيها مقاليد السلطة مختلفة. فأبو بكر واجه حركة الردة، وعمر تولى والأمة فى حرب ضد الروم، وعثمان كان عليه أن يواصل الفتوحات التى كانت دائرة. وأما علي فكان عليه أن يواجه انشطار الأمة إلى معسكرين متقاتلين. وكان لكل خليفة إسهاماته الخاصة فى سبيل الإسلام.

فأبو بكر أسهم بما له وجهده؛ وعمر أسهم بقوته ومكانته المرهوبة؛ وعثمان

---

(1) نفسه؛ جـ٣ ص٣ (2) نفسه؛ جـ١ ص ١٤٥

كان أسْخَى الممولين للدولة المسلمة الفتية . وعلي كان مثالاً نادرًا فى شجاعته وجسارته فى ميادين القتال . هذا فى إيجاز شديد بيان الفروق النوعية بينهم بما يجعل المقارنات والموازنات بينهم خاطئة .(١)

ولم يكن ذنب «علي» أنه قاتل معاوية وأتباعه ؛ بل الذنب يقع على عاتق معاوية . وكان «عليٌّ» على صواب فى قتال المبتزين المتمردين الذين أرادو القضاء على نظام البيعة الحرة . وكان أكبر خطأ فى تاريخ أمتنا هو تسليم الحسن بن علي مقاليد الحكم لمعاوية .

ثم إن قَدْحَ الخوارج على عليٍّ لا قيمة له ، ولا يجوز الاستشهاد به لإثبات فضل أبى بكر وعمر . بل العكس هو شهادة لصالح علي .

وأما الغلاة القائلون بألوهيته فكانوا طائفة شاذة ، وقد نكَّل بهم رضى الله عنه ، ورفضهم أولاده وشيعته جميعًا .(٢)

وأحسب أنه لا يجوز القول بتفضيل مَن قاتل عليًّا على من قاتل معه . وقد شهد الشافعى بأن معاوية كان مبتزًا ؛ فكل من قاتل معه فقد قاتلَ مع مبتز أو إمام جور ، بصرف النظر عن نياتهم وصلاح أعمالهم . وعلي هو الخليفة الراشد الرابع لدى المسلمين باستثناء بنى أمية ، وهو أمير المؤمنين الشرعى الذى بايعه المسلمون بالإجماع بُعَيْد مقتل عثمان . ولا يجوز أن نجارى الغلاة الذين رفعوا عليًّا إلى مرتبة النبوة أو الإلهية ، وحاولوا الحط من أقدار الراشدين : أبى بكر وعمر وعثمان ، رضى الله عنهم جميعًا ، فننزلق إلى هاوية الإساءة إلى هذا الصحابى أو ذاك ، ولا نجنى من وراء ذلك إلا المزيد من الشروخ التى تضرب كيان أمتنا المسلمة .

## ● عباس أراد الحصول على وصية من النبىّ

وقد أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن علي بن أبى طالب خرج من عند رسول الله ﷺ فى وَجَعِه الذى تُوُفِّيَ فيه فقال الناس : يا أبا حسن !

---

(١) ومن أراد المزيد فَلْيرجع إلى أبواب فضائل الصحابة فى كتب الحديث والتاريخ .
(٢) سنعالج مقولات الغلاة فى المبحث السادس .

كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئًا . قال ابن عباس : فأخذه بيده عباس بن عبد المطلب فقال : ألا ترى أنت – والله –أن رسول الله ﷺ سيُتوفَّى فى وَجَعه هذا ؟ إنى أعرفَ وجوه بنى عبد المطلب عندَ الموت ، فَاذْهب بنا إلى رسول الله ﷺ ، فَلْتَسْأله فيمن هذا الأمر ؛ فإن كان فينا عَلِمْنَا ذلك ، وإن كان فى غيرنا كلَّمناه فَأَوْصَى بنا . فقال علي رضى الله عنه : والله لَئِنْ سألناها رسول الله ﷺ فَمَنَعَنَاهَا لا يُعطيناها الناسُ أبداً ! فوالله لا أسأله أبداً! » (١)

وعن علي رضى الله عنه أنه قال يوم وقعة « الجمل » :« إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهداً نأخذ به فى إمارة ، ولكنه شىء رأيناه من قِبَل أنفسنا ، ثم استُخلف أبو بكر ، رحمةُ الله على أبى بكر ، فأقام واستقام ، ثم استُخلف عمر ، رحمةُ الله على عمر ، فأقام واستقام حتى ضَرَبَ الدين بجرانه » .(٢)

**هذان الخبران يبينان أن النبى ﷺ لم يُوصِ لأحد بعينه بالخلافة حتى أيامه الأخيرة قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى** . فلا بد من الشورى لاختيار أحد رجالات قريش للخلافة ، وهذا هو ما حدث ، وهو المعتمد لدى أهل السُّنة ولدى بعض أئمة الشيعة ، فعليٌّ إمام الشيعة الأول ، رفض أن يطلب من النبى الوصية له ، خشية أن لا يستجيب لطلبه ، فلا ينالها بعد ذلك أبداً . وفى الخبر الثانى يعلن علي أن الخلافة ذهبت إلى أبى بكر ثم إلى عمر بالرأى والمشورة . وكان الإمام أبو جعفر محمد الباقر يرى صحة إمامة أبى بكر وعمر ، وأن من أبْغَضَهما فقد أبْغَضَ سُنَّة محمد ﷺ .(٣)

وقال « غيلان الدمشقى » أحدُ أشهر القائلين بحرية الإرادة ، إن الإمامة تجوز لكل مَنْ يقوم بالكتاب والسُّنة ، وإنها لا تثبت إلا بإجماع الأمة .(٤) وهو يختلف مع أهل السُّنة ومع الشيعة ، كما سنرى ، لكنه يتفق مع ما آلت إليه أوضاع الأمة

---

(١) الفتح الربانى ؛ كتاب الخلافة والإمارة ؛ رقم ١ جـ٢٣ ص٤ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ؛ جـ٢ ص٣٤٧ ؛ والحديث أخرجه البخارى ، وابن هشام ؛ جـ٤ ص٦٥٤ .

(٢) الفتح الربانى ؛ كتاب الخلافة والإمارة ؛ رقم٢ ؛ جـ٢٣ ص٤ .

(٣) أبو زهرة الإمام الصادق ؛ ص ١١٢

(٤) الشهر ستانى ؛ الملل والنحل ؛ جـ١ ص ١٤٣

المسلمة اليوم، حيث أصبحت الديمقراطية أُمنية عزيزة لشعوبها شريطة الالتزام بالكتاب والسُّنة .

واتخذت الخلافة طريقاً آخرًا على يدى معاوية بن أبى سفيان ومن بعده بنو أمية ، وهى طريق « السيف » أو « الغَلَبة » ، بدون بيعة حرة ، وهو الملك الوراثى العضوض . ومن المحزن أن ذلك النظام هو الذى سيطر على الأمة على امتداد التاريخ وحتى اليوم باستثناء الفترة القصيرة التى حكم فيها عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، وفترات قصيرة فى العصر الحديث فى بعض البلاد المسلمة .

**● الخلافة وصية لعلي : عقيدة الإمامية**

أما الشيعة الإمامية فقد قرروا – كما ذكرنا سلفًا – أن مسألة الإمامة عقيدة ، وأنها قد ثبتت لعلي بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، ولولده من بعده فى حين رأى أهل السُّنة أنها مسألة عملية مصلحية لا تدخل فى العقائد ، وأنها غلو فى تقديرهم لأئمتهم .(١)

ويُورد الشيعة أحاديث لإثبات الوصية بإمامة علي . من ذلك حديث « غَديرخُم » – وهو مكان بين مكة والمدينة ، فيه خطب النبى ﷺ الناس ، حين رجع من حجة الوداع ، فقال: « أَلَسْتُ بأولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : اللهم بلى. فقال : مَنْ كنتُ مولاه اللهم وَالِ مَن والاه وعَادِ مَن عاداه ، وانصر مَن نَصَرَه ، واخذلْ مَن خذله .(٢) وقال أيضاً: « أَلَسْتُ أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجى أمهاتهم؟ فقلنا : بَلَى يا رسول الله : قال : فَمَنْ كنتُ مَوْلاه فعلي مَوْلاه ، اللهم وَالِ مَن وَالاه وعَادِ من عَادَاه » .(٣)

وقد اعتبر الشيعة أن هذا الحديث هو وصية لعلي بالإمامة بعد رسول الله ﷺ . لكن أهل السُّنة فَسَّروا الموالاة على أنها موالاة محبة .(٤)

---

(١) أبو زهرة ؛ رقم ١٦٢ ص ٢٠٣ .

(٢) نفسه ؛ ص ٣٦٦

(٣) الفتح الربانى ؛ رقم ٢٧٦ ؛ جـ٢٣ ص١٢٦ – وإسناده صحيح .

(٤) نفسه ؛ ص ٣٦٨ .

**وهذا هو الخلاف الرئيسى بين الشيعة والسُّنة . وقد ترتب عليه خلاف حاد فى الموقف من الصحابة عامة ومن الثلاثة الراشدين خاصة . فقد اعتبرهم بعض الشيعة ظلمة اغتصبوا حق علي فى الإمامة ؛ وبالغ بعضهم فى العداء للراشدين فاستحلوا سَبَّهم والانتقاص منهم والحط من أقدارهم** . وسوف أفصِّلُ القول فى هذه المواقف فيما بعد .

ويستشهد الشيعة بأحقية علي فى الإمامة بوصية النبى ﷺ حين قال لعلي: « أنت منِّى بمنزلة هارون من موسى ».[١] وفى رواية أخرى قال ابن إسحاق إن رسول الله ﷺ حين خرج إلى تبوك خَلَّف عليًّا على أهله :« وأَمَره بالقيام فيهم ، واستخلف على المدينة سِبَاعَ بن عُرْفُطَة » . قال عليٌّ : يا نبيَّ الله ! زعم المنافقون أنك إنما خلَّفتنى أنك استثقلتنى وتخففت منى ؟! فقال : كَذَبُوا ! ولكنى إنما خلَّفْتك لما ورائى ، فارجع فاخْلُفنى فى أهلى وأهلك . أفَلاَ تَرْضَى يا علي أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لاَ نَبيَّ بعدى ».[٢]

ويختلف أهل السُّنة فى تفسير هذا الحديث الصحيح . فيقول ابن حزم إنه لا يُوجب لعلي فضلاً على مَن سوَاه :« ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام ، لأن هارون لمَ يلِ أمر بنى إسرائيل بعد موسى (عليهما السلام)، وإنما وَلِيَ الأمر بعد موسى « يوشع بن نون » ، فَتَى موسى وصاحبه الذى سافر معه فى طلب الخضر (عليهما السلام) ويضيف قائلاً :« إن النبى قد استخلف قبل تبوك وبعد تبوك عَلَى المدينة رجالاً سِوَى عليٍّ رضى الله عنه . فَصَحَّ أن هذا الاستخلاف لا يُوجب لعلي فضلاً على غيره ، ولا ولاية الأمر بعده ، كما لم يُوجب ذلك لغيره من المستخلَفين ».[٣]

ويعتقد الشيعة الإمامية أن :« الإمامة منصب إلهى كالنبوة ؛ فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ، فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيَّه بالنص عليه ».[٤]

---

(١) صحيح مسلم ؛ جـ ١٥ ص ١٧٣-١٧٤ .
(٢) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ٩ هـ جـ٣ ص ١٠٣ - ١٠٤ .
(٣) الفِصَل ؛ جـ٤ ص ١٥٩- ١٦٠
(٤) كاشف الغطاء ؛ أصل الشيعة ؛ ص ١٢٨

وقد نَصَّ النبي على إمامة علي في حديث «غديرخُم» وأعلن أن منزلة علي منه كمنزلة هارون من موسى.[1]

● **نفي الوصية**

وينفي ابن حزم أن يكون النبي قد وَصَّى لعلي :« ولا ادَّعى ذلك عليٌّ قط ، لا في ذلك الوقت ( وقت وفاة النبي ) ولا بعده ، ولا ادَّعاه له أحد في ذلك الوقت . ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن ألبتة ، ولا يجوز ، اتفاق أكثر من عشرين ألف إنسان – مُتَنَابِذي الهمم والنيات والأنساب ـ وأكثرهم موتور من صاحبه في الدماء من الجاهلية ، على طيِّ عهد عَهِدَهُ رسول الله ﷺ إليهم . **وما وجدنا قط رواية عن أحد في النص المدَّعَى إلا رواية واهية عن مجهولين إلى مجهول يُكَنَّى «أبا الحمراء» لا يُعرفَ مَنْ هو في الخلق».**[2]

ويضيف ابن حزم قائلاً : **إنه إذا كان هناك نص قد عَرَفَه الصحابة وجحدوه، وعصوا الرسول فهم كفار فساق :«فكيف حلَّ لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء النوكى (الحمقى) أن يبايع طائعًا رجلاً إما كافراً وإما فاسقًا جاحداً لنص رسول الله ﷺ ، ويعينه على أمره ، ويجالسه في مجالسه ، ويواليه إلى أن مات ؟ ثم يبايع بعده عمر بن الخطاب ؛ مبادراً غير متردد ساعة فما فوقها ، غير مكره ، بل طائعًا ، وصَحِبَهُ ، وأعانه على أمره ، وأنكحه من ابنته (أم كلثوم) ... ثم قَبِلَ إدخاله في الشورى أحد ستة رجال ؟ فكيف حلَّ لعلي – عند هؤلاء الجهال – أن يشارك بنفسه في شورى ضالة ، وكفر ، ويغر الأمة هذا الغرور ؟» وكيف جحد الصحابة حق علي في الخلافة بعد النبي ثم بايعوه خليفة بعد عثمان ، وقاتلوا معه ، وقُتلوا بالمئات ؟ ثم وَلِيَ علي رضي الله عنه فما غَيَّر حكمًا من أحكام أبي بكر وعمر وعثمان ، ولا أبطل عهداً من عهودهم ... وقد ارتفعت التقية عنه».**[3]

---

(١) الميلاني (آية الله العظمى) ؛ قادتنا ؛ جـ١ ص ٢٣٧ – ٢٥٧

(٢) الفصل ؛ جـ٤ ص ١٦١ – ١٦٢

(٣) نفسه ؛ جـ٤ ص ١٦٤ –١٦٥

وإذا قيل إن المهاجرين كانوا يحقدون على عليٍّ لأنَّه قتل أقرباءهم فى الجاهلية، فلماذا لم يقف الأنصار معه ويعلنوا أنهم ملتزمون بالنص الذى أعلنه الرسول ؟ ولماذا لم يحقد المهاجرون على أبى بكر وعمر ويرفضون البيعة لهما وقد قتلا من المشركين ما قتلا وقادا الجيوش التى قتلت المئات من آبائهم ؟

**وصفوة القول إذن إنه لو وُجد نص لما خالفه صحابى مهاجر أو أنصارى .**

لكن الإمامية يؤكدون الوصية يوم « غديرخُم » بقدر ما ينفيها ابن حزم ! يقول الإمامية إن النبى -ﷺ- أوصى لعلي يوم الغدير ، وأن أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وغيرهم بايعوا عليًا وهَنَّأُوه ! ويحيلنا الشيرازى على « فتح القدير » للشوكانى ، وإلى تفسير الطبرى ، فلا نجد حرفًا واحداً عن تلك القصة أيضاً ![1]

ولا مجال هنا للخطأ فى أرقام الصفحات بسبب اختلافهما فى الطبعات المختلفة لأننا رجعنا إلى تفسير الآية ٦٧ من سورة المائدة ، لا إلى صفحة بعينها . فماذا نقول فى مثل هذا الكاتب الذى يوصف بأنه « سلطان الواعظين » ؟ أهو مخطئ أم مخادع ومتعصب ؟

والشيعة يؤكدون أن النبى أوصى بالخلافة لعلي ، لكنهم يذرفون الدمع تهتاناً لأن عمر منع النبى وهو على فراش الموت من أن يكتب وصيته لعلي ! والأخبار تقول إن عليًا خاف أن يسأل النبى أن يوصى له فيرفض ، وتقول عائشة إن النبى كان يريد أن يكتب لأبيها بالخلافة .

وهم يقولون إن النبى ﷺ قال :« تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً : كتاب الله وعترتى »[2] ثم يتباكون على كتاب ثالث يزعمون أن النبى كان « ينوى » أن يوصى فيه لعلي ! وعند الحديث عن حديث الغدير يؤكدون أن النبى

---

( ١ ) راجع كتاب « ليالى بيشاور » للشيرازى ؛ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ - وراجع تفسير الطبرى للآية وتفسير الشوكانى لها .

( ٢ ) صحيح مسلم ؛ جـ ١٥ ص ١٥٥

أوصى لعلي بالخلافة من بعده ، ولأبناء علي من بعده [١] **ويزعم الكليني أن جبريل نزل على النبي ﷺ بصحيفة فيها الوصية للاثنا عشر ، وأسر بها لعلي وفاطمة ! وهذا ما نفاه البرقعي نفياً قاطعاً !** [٢] وأين هي تلك الصحيفة المزعومة ؟ ولماذا لم يحتج بها علي ولم يبرزها ليحسم الخلاف ؟!

**● روايات الكليني ونقضها**

وقد أورد الكليني خمس روايات في باب «**أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد**» . وتنص الروايات على أن :«على كل إمام أن يوصي بأن الله عيَّن الإمام» ومعنى هذا أن الوحي لم ينقطع بوفاة النبي - ﷺ - وأنه استمر يتنزل على الأئمة لتعيين الإمام التالي للإمام السابق .

وهذا يناقض عقيدة ختم النبوة التي عبر عنها القرآن الكريم ، وعبر عنها علي - رضي الله عنه - حين خاطب النبي ﷺ بُعيد وفاته بقوله :«**بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء**».

- ويذكر البرقعي أن العلامة المجلسي ضَعَّف روايات الكليني ، وحكم بأن رواتها مجهولون ومضطربون ومرتدون !

ويقول البرقعي إن الكليني صنع بأولئك الرواة مذهباً مخالفاً لكتاب الله .. فقد رووا أن الله تعالى **أنزل صحيفة مختومة ممهورة من الله على رسوله عيَّن فيها ولاة الأمة وأوصياءها ، وكان ذلك وقت قبض روح النبي ﷺ حين أخْلَى الغرفة واختلى مع علي وفاطمة ، وقال لعلي : عليك أن تعمل بهذه الصحيفة وهذه الوصية ، وتوالي أولياء الله وتعادي أعداءه وتبرأ منهم ...**» في خبر طويل من الافتراءات !

- ويعلق البرقعي على هذا الخبر فيقول إنه كان الأجدى أن يعلن النبي عن تلك الصحيفة ، لا أن يسربها لعلي وفاطمة ! [٣]

---

(١) راجع : مكارم الشيرازي ؛ آيات الولاية في القرآن ؛ ص ٢٢ ، ص٣٦٣ ؛ والميلاني ؛ قادتنا : ٢/ ١١

(٢) كسر الصنم ؛ ص ٢١٥ (٣) كسر الصنم ؛ ٢١٤ -٢٢١

ثم يؤكد عدالة الصحابة بأدلة قرآنية عديدة ويؤكد مشروعية إمامة الصديق رضى الله عنه .

## ● الإصلاحيون الشيعة وتصحيح الأخطاء

- وكما سبق أن ذكرت يؤمن الشيعة الإمامية بأن الله تعالى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وآله بأن يعهد بالخلافة لعلي ، وأن النبى صدع بالأمر وأعلن ذلك فى «غديرخم» لكن أبا بكر وعمر تآمرا لاغتصاب الخلافة ، وعلى ذلك استباحوا سبَّهما وسبَّ الصحابة الذين أيدوهما !

- والشيعة متمسكون بذلك وقد أشرت من قبل إلى الاستثنائين اللذين لقيتهما وهما الدكتور موسى الموسوى وآية الله العظمى البرقعي اللذان يطالبان بالتوقف عن الزعم بوجود وصية إلهية وعهد نبوى بالخلافة لعلي .

- يقول الدكتور الموسوى إن الآراء القائلة إن الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وآله كانت فى علي وبالنص الإلهى ، وأن الصحابة - ماعدا نفر قليل منهم - خالفوا النص الإلهى بانتخابهم أبا بكر ، هذه الآراء ظهرت بعد إعلان غيبة الإمام الثانى عشر سنة ٣٢٩هـ . وذلك عهد الانحرافات ! (١)

- ويقول د . الموسوى إن مواقف بعض علماء الشيعة تتناقض مع : «مواقف الإمام علي والأئمة من بعده بصورة ملتوية ظاهرها مليح وباطنها قبيح ، لكى يثبتوا آراءهم حسب أهوائهم» . (٢)

- فقد كان الإمام علي يقول إنه : «لا نص عليه من السماء . وصحابة علي والذين عاصروه كانوا يعتقدون بذلك أيضاً . وقد استمر هذا الاعتقاد حتى عصر الغيبة الكبرى» . (٣)

- ويقرر د . الموسوى أن القول بوجود نص إلهى على خلافة علي يصطدم بخمس عقبات أساسية : كل واحدة منها تكفى لهدم الفكرة من أساسها ، وهذه العقبات هى :

---

(١) الشيعة والتصحيح ، ص١٤ (٢) نفسه ، ص١٦ (٣) نفسه ، ص١٩

١- موقف صحابة الرسول من الخلافة .

٢- أقوال الإمام نفسه فى الخلافة .

٣- بيعة الإمام علي للخلفاء الثلاثة .

٤- أقوال الإمام علي فى الخلفاء الثلاثة .

٥- أقوال أئمة الشيعة فى الخلفاء الثلاثة . [١]

## ● وصية علي لولده الحسن

ومما يؤكـد أن الإمـام علي بن أبى طالب رضى الله عنه لم يكن يؤمن بأن الخلافة وراثة ووصية وعهد من كل خليفة إلى ولده ، أنه لم يوص بالخلافة لولده الحسن .فبعد أن طُعن وحضره الموت، طلب دواة وصحيفة، وأمر الكاتب أن يكتب وصيته ، فقال :« أوصيك ياحسن ، وولدى ، وجميع أهل بيتى ، ومن بلغه كتابى هذا من المؤمنين بتقوى الله ﴿ **وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٠٢] ولم يوص بالخلافة للحسن ولا للحسين ، ولم ينصح أتباعه بالبيعة لأحد بعينه ، وتركهم ليتشاوروا ثم يختاروا .

## ● الشورى مطلب أمتنا اليوم

ومن المؤكد أن ترك الأمور شورى للأمة تكريم لها :« ولم يرد النبى صلى الله عليه وسلم وآله أن يقيد الأمة بقيد يعتبره الناس حكماً دينياً . فلو نص على شخص لصار الحكم فيه وفى أسرته وراثياً ، **ولكن الرسول أراد أن يترك الأمة حرة فى اختيارها . وكان هذا اعترافاً بحق الأمة وإرداتها . فيكون الإسلام -إذن- قد قرر الأصل الأول للديموقراطية** ، وجعل هذا الأساس الذى تقوم عليه دولة الإسلام »[٢] ويدل اختيارأبى بكر يوم السقيفة :« على أن طريق الحكم والسلطة فى الإسلام هواختيار الأمة . وهذا من أكبر مبادئ الديموقراطية »[٣]

---

(١) نفسه ؛ ص٣٠ (٢) د . محمد ضياء الدين الريس ؛ الإسلام والخلافة ؛ ص٢٦١

(٣) نفسه ؛ ص ٢٦٥

- واليوم يعتمد السُّنة والشيعة مبدأ أن الأمة هى مصدر كل سلطة . ويحاولون تطبيق المبادئ الديموقراطية ، بصرف النظر عن ذلك الخلاف التاريخى حول الإمامة . وتنجح بعض الشعوب المسلمة فى تطبيق الديموقراطية بدرجة أو بأخرى ، وتفشل معظم الشعوب المسلمة فى التخلص من النظم الاستبدادية والانقلابية و العسكرية ، ولكنها لا تكف عن النضال من أجل استعادة حقها فى حكم نفسها بنفسها ، واختيار النظام الذى تؤمن به ، والرئيس الذى تثق به ، والنواب الذين يعبرون عنها بنزاهة . والعالم من حولنا يعتمد النظم الديموقراطية ، مما يبشر بنجاحنا فى مسعانا .لكن الدولة الكبرى المتحكمة فى العالم الآن وهى أمريكا تعين الطغاة والمستبدين عسكرياً وإعلامياً ودبلوماسياً ومخابراتيًا ، لإحكام قبضتهم على مقدرات بلادنا لأن ذلك أضمن لمصالحها . وقد أفلح إخواننا الشيعة فى إيران فى التحرر من تحكم أمريكا ، وأقاموا دولتهم على أسس ديموقراطية . ونحن أهل السُّنة نجحنا أحياناً وأخفقنا كثيراً فى التحرر من هذا الطاغوت الأمريكى .

## المبحث السادس

# الـغـلاة

● قال الإمام جعفر رضى الله عنه :«الغلاة شر خَلْق الله ، يصغرون عظمة الله ، ويدعون الربوبية لعباد الله ! والله إن الغلاة لشر من اليهود والنصارى والذين أشركوا !»

## ● تأليه علي وبنيه

ـ يقدم الشهر ستانى رحمه الله تعريفاً جيداً للغلاة فيقول إنهم :« الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهُّوا واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخَلْق »( وهذا هو ما يسمى تأليه الإنسان وضده أَنْسَنَة الإله ! )

ـ ويضيف الشهرستانى قوله :« وبدَعُ الغلاة محصورة فى أربع : التشبيه، والبَداء ، والرجعة ، والتناسخ » [1]

ومن الجلي أن النظر إلى إمام معين على أنه إله أو شبْه إله أو يتمتع بصفة من صفات الإله ، لابد أن يصادم التوحيد ـ عقيدة الإسلام الأساسية . **لهذا اتفق الشيعة والسنُّة على تكفير كل من يدعى الألوهية لنفسه أو يعتقدها فى غيره .** فالله تعالى واحد لا شريك له ، وكل ما سواه من إنس وجن ومَلَك وحيوان وجماد مخلوقات لله تعالى ، وعبيد له ، طوعاً أو كرهاً .

ـ لكن الغلاة لا يقفون عند عقيدة أو شريعة إسلامية ، ولا يتقيدون بمبدأ أو حكم ، وإن كان مستنداً إلى مائة آية محكمة ! يتحدثون عن الله تعالى باستخفاف ونَزَق ، حتى قال بعضهم:« إنه لما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله شخص أفضل من علي رضى الله عنه ، وبعده أولاده المعصومون ، وهم خير البرية، **فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم . فمن هنا أطلقنا اسم الإلهية عليهم**» [2]

ـ فمن أفضلية علي وأولاده قفز الغلاة إلى إضفاء الألوهية عليهم !

وهذا ليس بمنطق أو برهان ولكنه نوع من الهوس المذهبى !

ـ وزعم بعض الغلاة أن علياً شريك للنبى فى الرسالة وقالوا :« إن علم التأويل ( الذى أرساه علي ) ، وقتال المنافقين ، ومكالمة الجن ، وقلع باب خيبر ، ( تم ) لا بقوةجسدانية . وهذه أدلة على أن فيه جزءاً إلهياً وقوة ربانية ، ويكون هو الذى

---

( ١ ) الملل والنحل ؛ جـ/ ص١٧٣ ( ٢ ) نفسه ؛ ١٨٩

ظهر الإله بصورته ، وخلق بيديه ، وأمر بلسانه . **وعلى هذا الأساس قالوا : كان علي موجوداً قبل خَلْق السماوات والأرض»**[1]

ـ فعندهم أن القوة البدنية التى عُرف بها علي تثبت أنه إله ! ونسوا شريكَهُ فى زعمهم ـ وهو النبى ـ وكان عليهم أن يجعلوه شريكاً ـ أيضاً ـ فى الألوهية !! وتختلط الأوهام بالحقائق فى مزاعم الغلاة : فقلْع باب خيبر حقيقة ، لكن مكالمة الجن أسطورة ! ولكنهم ينسجون من الحقائق والأوهام «أدلة !» لإثبات المستحيلات ! وإذا ثبتت الألوهية له كان من الطبيعى أن يكون «علي» موجوداً قبل خلق السماوات والأرض ، وقبل خلق آدم ونوح وإبراهيم ومحمد ﷺ ، وهذا ما زعموه فعلاً .

**ومن الغلاة النُّهيريَّة ـ من زعم أن أبا الحسن العسكرى إله !**[2]

ـ وينسب بعضهم إلى عليٍّ نفسه القول :**«إنى وأهل بيتى كنا نوراً يسعى بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق الله تعالى آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف سنة»**[3] **وأساس هذا الزعم قولهم إن علياً إله .**

ـ وهم ينسبون إلى الإمام الصادق ـ فى تفسيره لقول الله تعالى ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ [القصص :٨٨] ـ **قوله نحن وَجْهُه !!**[4] **و«الوجه» فى هذه الآية يؤوَّل بـ«الذات» ، أى أن وجه الله تعالى هو ذاته العلية ، كان الصادق يدعى** الألوهية ، والصادق برئ من ذلك براءة الذئب من دم ابن يعقوب !

**ولم يقبل أحد من أئمة الشيعة رضى الله عنهم كلمة واحدة من تلك الكفريات ، وقد عاقبوا القائلين بها وطردوهم واستبعدوهم وتبرأوا منهم .** واعتبرهم الشيعة من الفرق الهالكة كالقرامطة .[5]

ـ **فبعضهم ألَّه علياً** ، وأرادوا أن يعبدوه ، **فنهاهم عن ذلك واستتابهم ،**

---

(١) الشهرستانى ؛ جـ ١ ص١٨٩
(٢) النوبختى ؛ فرق الشيعة ؛ ص٧٨
(٣) الميلانى ؛ قادتنا ؛ حـ٤ ص٢١٤
(٤) بحار الأنوار ؛ جـ ٢٤ باب٥٣ ص١٩٢
(٥) محمدحسين آل كاشف الغطاء؛ أصل الشيعة وأصولها ؛ ص١٠٢-١٠٣

**وحين أصروا على غلوهم أمر بإحراقهم ، فقالوا ـ وهم يساقون إلى الحفيرة الموقدة ـ : «إنه الله ، وإنه هو الذى يعذب بالنار !»** (١)

ـ وزعم رجل اسمه «بيان بن سمعان» أنه من أتباع محمد الباقر ، وأن علياً إلهٌ ، وأن الحسن والحسين إلهان ! وردد هذه الكفريات رجل اسمه المغيرة ، وجاء إلى الإمام الباقر ، فطرده ، وجاء إلى ابنه جعفر الصادق فاستعاذ بالله منه ! (٢)

ـ لكن هذا الحسم من طرف الأئمة لم يقطع دابرهم ، وأخذوا يتناسلون !

## ● الغلو فى تعظيم علي

ـ وكثير من الكتاب يغالون فى تقديرهم لعلي بن أبى طالب وبنيه ، وإن لم يصلوا بهم إلى التأليه المباشر .

ـ من ذلك فى تفسيرهم لقول الله تعالى ﴿ **رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ** ﴾ [ الرحمن : ١٧ ] **يقولون : هم النبى وعلي والحسن والحسين .** (٣) والآية الكريمة تشير إلى عظمة الرب الخالق المالك المدبر وشمول سلطانه وربوبيته للكون كله ، ولا صلة لها بأحد من الأئمة .

ـ وهم يؤولون ألفاظ : **المتقين والمؤمنين والصالحين والأبرار وعباد الرحمن .. إلخ ، التى وردت فى القرآن الكريم على أنها تشير إلى أئمة الشيعة ، وألفاظ الكفار والمشركين والمنافقين على أنها تشير إلى مخالفيهم .** (٤)

ـ وعلي فى موازينهم **يساوى النبى محمداً ـ صلى الله عليه وسلم وآله ـ فى كل شىء ، عدا النبوة . وإذا كان محمد أفضل الأنبياء ، فإن علياً يكون أفضل من الأنبياء جميعاً ، عدا النبى محمد .**

ـ ومعلوم أن الله تعالى قد هَيَّأَ الأنبياء روحياً وعقلياً وبدنيًا لتلقى الرسالة

---

( ١ ) عباس محمود العقاد ؛ عبقرية علي ، ص ٥ ( ٢ ) أبو زهرة ؛ ص ١٢٤

( ٣ ) بحار الأنوار ؛ جـ ٢٤ باب ٣٠ ص ٦٧

( ٤ ) بحار الأنوار جـ ٢٣ باب ٢١ ص ٣٥٣

والقدرة على تحملها ونشرها . فلا يجوز أن يقال إن علياً يساوى النبى فى بشريته . وفى هذا دون شك تطاول على مقام النبوة ، وغُلو لا مسوغ له فى تقدير علي .

ـ ولا يجوز أن يقال إن علياً أفضل من جميع الأنبياء . وفضلاً عن الأساس الباطل الذى بُنى عليه هذا الزعم ، فإنه يتصادم مع القرآن الكريم الذى يقول ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣٣ - ٤٣] **وقد فضلهم الله تعالى على العالمين بالنبوة**»(١) **فلا يجوز أن يقال إن مَن ليس بنبى أفضل من جميع الأنبياء ! إن هذا القول يسئ إلى مقام النبوة ، ويدل على سوء أدب قائله وضلال تفكيره .**

ويردد الغلاة **زعمهم السخيف بأن الله خَلَق علياً قبل آدم ، مرة بأربعة عشر ألف سنة ، ومرة بأربعين ألف سنة !** (٢) ولا دليل لديهم سوى أقوال ينسبونها زوراً إلى علي أو إلى الصادق ، رضى الله عنهما ، وهما أبرياء من هذه الدعاوى .

ـ ويزعم الشيرازى أن رسول الله صلى الله عليه **وسلم** وآله **سئل عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فقال : «سأله آدم بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلا ما تُبْتَ عَلَيَّ ، فتابَ عليه !»** وهذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، ومع ذلك يتكرر بلا توقف فى المؤلفات الشيعية (٣).

وهذا الحديث الزائف يتعارض مع قول الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً** ﴾ [النساء: ١] وقصة الخلق مسجلة فى القرآن الكريم ، وفيها آدم أول البشر وأبو البشر، وزوجه خُلقَت منه ، وهى أم البشر ، لكن الهوس الذى يستبد بالغلاة يعمى أبصارهم فلا يتدبرون القرآن ، ولو فعلوا لَنَجَوْا من آثام الغلو وضلاله المبين .

---

(١) تفسير الطبرى ؛ رقم ٦٨٥٤ ـ المجلد ٦ ص ٣٢٧

(٢) بحار الأنوار ؛ جـ ٢٤ باب ٣٢ ص ٨٨

(٣) حيدر الحلى ؛ الكلام الجلى ؛ ص ١٩٥

وقد اختلف العلماء في «الكلمات» التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، والأرجح هو قوله ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]

ويزعم «الكليني» أن الوحي كان يتنزل على عليٍّ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وآله. ولإثبات ذلك حشر كلمة «ولامُحَدِّث» في سياق قول الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ من رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [الحج: ٥٢] ثم فسر الكليني لفظ «محدِّث» بأنه: «**إمام تأتي الملائكة إليه بالوحي ويحدِّثونه، ولكنه لا يرى الملائكة مثل الملائكة**»! [(١)]

ـ ويكذِّب «البرقعي» هذه المزاعم استناداً إلى قول الإمام علي حين خاطب النبي صلى الله عليه وسلم وآله بُعَيْد أن أسلم الروح وقال: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء» ثم اقتبس قول الشيخ المفيد: «إن نزول الوحي يمتنع على الأئمة، **لأن الإجماع انعقد بعدم نزول الوحي عليهم. ويتفق علماء الشيعة على أنه إذا ظن أحد بنزول الوحي بعد النبي على أحد، فإن ذلك كفر**» [(٢)] وعلى هذا يتفق علماء السُّنة أيضاً لأن ختم النبوة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآله عقيدة ثابتة عندهم. وكل من ادَّعى غير ذلك أُخرج من جماعة المسلمين، كما حدث للبابية والقاديانية. وهذه العقيدة هي التي تبطل مزاعم الغلاة عن مصحف فاطمة ونزول جبريل عليها، وكل ما يقال عن «الجفر» و«الجامعة» من أباطيل.

ولكي يرفعوا مكانة علي **زعم بعض الغلاة أن علياً كان الوحيد الذى يأتمنه النبي في إبلاغ رسائله**. ويستشهدون بحادثة نزول سورة «براءة» وكيف بعث النبي صلى الله عليه وسلم وآله علياً ليؤذِّن بها في الحجيج. فما وجه الصواب في هذه المسألة؟

ـ أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: «بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في المؤذنين، بعثهم يوم النحر يؤذنون بـ«منى» أنْ لا يحج بعد

---

(١) كسر الصنم؛ ص١٣١-١٣٢

(٢) نفسه؛ ١٣١-١٣٣

العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان »» ثم **أردف النبى** صلى الله عليه وسلم وآله **بعلي بن أبى طالب، فأمره أن يؤذن ببراءة** ، قال أبو هريرة : « فأذَّن معنا عليٌّ فى أهل « منى » يوم النحر ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان»[1] إذن ، كان أمير الحج أبو بكر . وقد كلف بعض الصحابة الموجودين فى الموسم بالتأذين بـ« براءة » ، ففعلوا . ثم أردف بعلي ليساعدهم ، فقد كانت مهمة شاقة **حتى كان الواحد منهم يصرخ فى الناس حتى «يصحل» صوته** .[2]

**ـــ ومن المعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله بعث عدداً من الصحابة رضى الله عنهم ليؤدوا رسائله إلى الملوك والأباطرة . كذلك كان يستعمل صحابياً لينوب عنه حين يترك المدينة لغزو أو عمرة : ففى سنة سبع ترك عُوَيْف بن الأضبط على المدينة حين خرج فى عمرة القضاء .[3] وحين خرج لفتح مكة ترك «أبارهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى»[4]** على المدينة وفى حجة الوداع استعمل النبى أبادجانة الساعدى على المدينة .[5] فكان الصحابة يؤدون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، لا عليٌّ وحده .

● **فَلْنبتسم !**

وأحياناً يحملنا الغلاة على الابتسام حين نطلع على أدلتهم على تفوق « علي » على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما !

فقد أَلَّف الغلاة حواراً بين شيعى وسُنِّى ، **لم يجد فيه إمام السُّنة أبو حنيفة لأبى بكر وعمر من المناقب سوى أنهما مدفونان مع النبى فى مكان واحد !!**
ويقول الشيعى : والله لئن كان المكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله دونهما فقد ظَلَمَا بدفنهما فى موْضع ليس لهما بحق ! وإن كان الموضع لهما فَوَهَبَاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فقد أساءا وما أحسنا ، إذْ رجعا فى هبتها ونسيا عهدهما !

---

( ١ ) فتح البارى ؛ كتاب التفسير ؛ رقم ٤٦٥٦ جـ٨ص٣١٧
( ٢ ) نفسه؛ الشرح ؛ ص ٣١٨ ( ٣ ) سيرة ابن هشام ؛ جـ ٤ ص٣٧٠
( ٤ ) سيرة ابن هشام ؛ جـ٤ ص٣٩٩ ( ٥ ) نفسه ؛ ص٦٠١

ـ ويحتار أبو حنيفة الفقيه الكبير ويعجز عن الرد فيقول : يا قوم ! نَحُّوه عنى، فإنه رافضى خبيث لَعَنَه الله تعالى ! » (١)

ـ ولن نناقش الفكاهة التى لم تعرف للشيخين منقبة سوى أنهما مدفونان مع النبى فى مكان واحد ، ولكن نشير بسرعة إلى **المغالطة الساذجة التى تصوَّرلنا أن المدفن الشريف إما ملك للنبى وإما للشيخين ، ويقْصُر بصر المزْور عن رؤية مُلاَّك آخرين ! وهو لا يعرف من المالك الحق !** وهل عائشة رضى الله عنها كانت هى المالكة أم لا ، وهل كان جميع نساء النبى شريكات فى الغرفة الشريفة أم أن كل واحدة منهن كان لها بيت خاص . **والقرآن ذَكر بيوت أمهات المؤمنين** ، فكان لابد من التحرى قبل إطلاق الأحكام ! لكن الغلاة لا يتوقفون عند آية ولا يراجعون مواقفهم قبل العدو ن على الأعراض ، **فيقول الكاتب الشيعى إن النبى مات عن تسع نساء ، ولكل واحدة منهن تسع الثُّمن من الغرفة وهو لا يزيد على شبر في شبر ! هذه هى نتيجة الهوس المبنى على الخطأ !**

## ● حوار مسرحي : حقائق وأباطيل

وفى حوار مسرحى ، آخر قال الشيعى للسُّنّى : لأى وجه وسبب تُفضل أبا بكر عَلَى : سيد الأوصياء ، وسند الأولياء ، وحامل اللواء ، عَلَيّ : إمام الإنس والجن ، وقسيم الجنة والنار ، والحال أنك تعلم أنه ـ عليه السلام ـ الصِّديق الأكبر ، والفاروق الأزهر وأخ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، وزوج البتول ، وتعلم أيضاً أنه وَقْتَ فرار الرسول إلى الغار من الظَّلَمة والفجرة ، الكفار : اضطجع عَلَى فراشه ، وشاركه علي فى حال العسر والفقر ، سَدَّ رسول الله أبواب الصحابة من المسجد إلا بابه ، وحمل علياً عَلَى كتفه لأجل كسر الأصنام فى أول الإسلام ، وَزوَّج الحقُّ ـ جل وعلا ـ فاطمة بعلي فى الملأ الأعلى ، وقتل عليه السلام عمرو بن عبد وُدٍّ ، وفتح خيبر ، ولا أَشرك بالله تعالى طرفة عين ، بخلاف الثلاثة ! وَشَبه ﷺ علياً بالأنبياء الأربعة ، حيث قال :« من أراد أن ينظر إلى آدم فى عمله ، وإلى نوح فى فهمه ، وإلى موسى فى بطشه ، وإلى عيسى فى زهده ، فَلْينْظر إلى علي بن أبى طالب . ومع وجود هذه الفضائل والكمالات الظاهرة الباهرة ، ومع قرابته عليه السلام للرسول ، وَرَدِّ الشمس له ، كيف يُعقل ويجوز تفضيل أبى بكر عَلَى علي؟(٢)

---

(١) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ٤ ص٣٨٠ (٢) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ١ ص٤٠٣

**وهنا مرة أخرى تختلط الحقائق بالأباطيل** : فلم يكن عليٌّ سيد الأوصياء، ولا إمام الجن ، ولا قسيم الجنة والنار، ولم يلقب بالصِّديق ولا بالفاروق، فالصديق أبو بكر والفاروق عمر ، ولم يشارك النبى فى حال العسر ، بل كان عنده كعياله ، وسَدَّ الرسول أبواب الصحابة إلا باب على وباب أبى بكر بسبب المصاهرة بينه وبينهما ، ولم يفتح خيبر وحده بل مع جيش من المسلمين بقيادة النبى ﷺ . **ثم إن انتقال الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر عثمان من الشرك إلى التوحيد عمل جهادى روحى عظيم يُحسب لهم ، ولا يجوز أن يتخذ مطعناً فيهم** ! ولم يكن علي أعلم الصحابة ولا أحَدَّهم فهماً ، ولا أشدهم بطشاً ولا أقواهم زُهداً . وأمَّارد الشمس له فخرافة لا يقبلها إلا عقل الغلاة القاصر !

## ● علي الخرافى يوم بدر وخيبر !

و« علي » رضى الله عنه لايفتقر إلى المناقب الحقيقية حتى يضطر كُتَّاب سيرته إلى المبالغات والخرافات . ومن أروع المعارك التى خاضها « علي » يوم فتح خيبر قتله الزعيم اليهودى العملاق « مرحب » . وقبل أن نعرض لتلك المعركة **نشير إلى وجود رواية تقول إن الذى قتل «مرحباً» هو محمد بن مسلمة** . [1] ولكنى أرجح أنه« علي » . وتقول الأخبار إن الزعيم اليهودى تقدم للمبارزة واضعاً على رأسه مغفراً ودرعاً من الحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، فبادره علي بضربة قوية حطمت الحجر والمغفر ورأس مرحب حتى بلغت أضراسه ! فراح المسلمون يكبرون ويهللون . هنا معركة شرسة ، واقعية ، شهدها مئات من المقاتلين من المسلمين واليهود ، لا خرافة مضحكة كما يرويها بعض الغلاة المهاويس ، وأثبت فيها علي تفوقه على سائر الصحابة .

**ـ يقول الغلاة عن يوم خيبر إن علياً مَدَّ يده فَعَبرَ العسكر عليها !! كأنها قنطرة بين جسرى نهر ! وأنه لمابرزله «مرحب» ضربه ضربةً واحدة فشقَّة طولاً وشقَ فرسه عرضاً ، ونزل السيف فى الأرض ذراعين أو ثلاثة !**

---

( ١ ) تاريخ الطبرى ؛جـ٣ ص١٠-١٣

ـ وقالوا إنه كان له سيف يمتد ويقصر ، سماه ذى الفقار !

**ـ وإنه كان يحمل فى خمسين ألفاً وفى ثلاثين ألفاً من الأعداء وحده !**

**ـ ويزعم أحدهم أن علياً قتل نصف قتلى يوم بدر.** [١] ومن سوء حظه أن أخبار يوم بدر سَجَّلت عدد القتلى وأسماءهم، ومَنْ قتَل مَنْ. وطبقًا لإحصاء ابن إسحاق قتل علي اثنا عشر رجلاً من سبعين كانوا مجموع القتلى . وتشير بعض الأخبار إلى **احتمال أن يكون علي قد قتل ثلاثة عشر رجلاً .** [٢] فهذا المجاهد البطل لا يحتاج إلى الكذب ليعرف الناس قدره كمقاتل جسور ، رضى الله عنه .

● **لا لتضليل الغلاة**

ولا ينبغى أن يضللنا الغلاة **بجدال عقيم يصرفنا عن معرفة أبطال الإسلام العظام ، زملاء علي فى المبارزة وخوض غمار المعارك ، ومن ورائهم القادة الكبار** الذين جَيَّشوا القوات وحشدوا الرجال ، ونظَّموا ورتبوا للمعارك الكبرى التى لا يقاس بها يوم بدر ويوم خيبر ، **مثل فتح الشام والعراق ومصر واليمن وبلاد فارس ، وقتال الروم ، وفتح أفريقية والأندلس . ومنذ يوم بدر نجد الأسماء اللامعة العديدة من المقاتلين والقادة العظام** . ونقف مبهورين أمام قيادة الصديق رضى الله عنه لحروب الردة ، وإدارة عشر جيوش تقاتل فى وقت واحد فى الشرق والجنوب ووسط الجزيرة العربية . وكذلك قيادة عمر بن الخطاب لمعارك فتح مصر وفارس والشام . ولا يمكن أن ننسى أسماء أبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص ، وسماك بن خرشة أبى دجانة ، وحمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يوم «**أُحد**» نادى :« مَنْ يأخذ عنى هذا السيف؟ »فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول : أنا ... أنا ! قال :«**فمن يأخذه بحقه ؟» فأحجم القوم ، إلا سماك بن خرشة ـ أبا دجانة ـ الذى قال : أنا آخذه بحقه ! فأعطاه النبى ذلك السيف العظيم ، «فَفَلَق به هام المشركين !»** [٣]

---

( ١ ) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ٢ ص٩٤ ( ٢ ) سيرة ابن هشام ؛ جـ ٢ ص٧٠٨
( ٣ ) صحيح مسلم ؛ جـ ١٦ ص٢٤

● **قادة عظماء**

ومن خلال الجهاد **برزت أسماء مبهرة لقادة عظام ومجاهدين شجعان ، من أمثال القعقاع بن عمرو الذى قال عنه أبو بكر الصديق : «لا يُهزم جيش فيه مثله !» ولم يُهزم جيش قط كان القعقاع أحد مقاتليه ! وما أكثر** المعارك التى خاضها ، وعلى رأسها معركة القادسية سنة ١٦هـ **ومن أمثال زُهرة بن حَوِيَّة** ابن عبد الله بن **قتادة التميمى ، رفيق القعقاع فى الجهاد . ومن أمثال المثنى بن حارثة ، وموسى بن نصير ، فاتح الأندلس ، وغيرهم ممن ذكرناهم فى أثناء الحديث عن معركة الردة** . وعلى امتداد التاريخ الإسلامى المديد تقابلنا هذه الأسماء اللامعة للمجاهدين المقاتلين والقادة العظماء فى معركة **اليرموك والقادسية ونهاوند وحطين ، وانتصارات الأمير عبد القادر الجزائرى** سنة ( ١٨٠٧-١٨٨٣م ) ضد المستعمرين الفرنسيين ، وفى انتصارات محمد أحمد المهدى ( ١٨٤٤-١٨٨٥م ) على الجيوش البريطانية ، وفى جهاد عمر المختار ( ١٨٦٠-١٩٣١م ) ضد الإيطاليين الفاشست فى ليبيا ، وفى **انتصارات عبد الكريم الخطابى** ( ١٨٨٢-١٩٦٣م ) الأسطورية ضد جحافل الجيش الإسبانى فى الريف المغربى ، حيث استطاع أن يبيد منهم عشرين ألفاً سنة ١٩٢١م ، **وأخيراً فى أفغانستان ضد الجيش الأحمر السوفيتى ، وفى فلسطين ضد الغزاة الصهاينة بقيادة أمريكا والغرب كله !**

يريد الغلاة صرفنا عن تاريخنا الإسلامى المجيد لكيلا نرى غير علي بن أبى طالب ! ولأن الهدف هو رفع علي فوق أبى بكر وعمر ، نجدهم يحرصون على الحط من قَدْرهما فى مقابل تعظيم قدر «علي» . وإذا لم تسعفهم الحقائق ، استعاضوا عنها بالخرافة !

**وقصة «ذى الثدية» أنموذج للخرافة التى تعظم قَدْرَ «علي» وتغمز أبا بكر وعمر فى الوقت نفسه ! وذو الثدية رجل اشتهر بالعبادة بين الناس . ولما ذكروه للنبى لم يعرفه ( لأنه لا وجود له ! ) . ثم تصادف أن جاء الرجل يوماً حتى وقف على مجلس فيه النبى ، ولم يسلِّم عليهم . فسأله النبى : هل قُلْتَ حين وقَفْتَ**

على المجلس :«ما فى المجلس أحد أفضل منى»؟ قال : نعم . ثم دخل المسجد ليصلى، فأمر النبى بقتله ! وتطوع أبو بكر لقتله ، لكنه تردد حين وجده يصلى ثم أراد عمر أن يقتله ، لكنه عاد دون أن يفعل شيئاً . وأخيراً قام علي ليقتله ، لكنه كان قد خرج ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم وآله :« **لو قُتل ما اختلف من أمتى رجلان**»[1]

ولابد للدارس أن يتساءَل : ماذا صنع الرجل لكى يأمر النبى بقتله ؟ هل قوله فى نفسه (**ليس فى المجلس من هو أفضل منى**) يستحق القتل ؟ وهل أخطأ أبو بكر حين امتنع عن قتله ؟ وهل كان الرجل هو سبب كل خلاف بين المسلمين ؟ وهل يمكن عقلاً ونقلاً القضاء على الخلاف بين المسلمين ؟! وما الخلافات التى أثارها ذلك الرجل بين المسلمين ؟ !

ـ هذا السؤال الأخير **يضع الخبر فى تناقض مع القرآن الكريم الذى يقول ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود:١١٨ – ١١٩]** فالاختلاف ظاهرة بشرية سببها فردانية البشر وتباين مصالحهم وقراراتهم . وموت «ذى الثدية» ـ إن كان شخصية حقيقية ـ أو حياته ، لا يمكن أن يقضى على الخلاف بين البشر . **فالقصة مزورة ، ومنسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم وآله لكى تكتسب احترام المسلمين وقبولهم ، وتحطُّ من قدر أبى بكر وعمر وترفع من قدر «عليٍّ» !**

## ● علي : يعلم الغيب !

وكما حدث الغلو فى «علي المقاتل» حدث أكثر منه فى «علي العالم» . فهذا الكلينى ينسب إلى علي رضى الله عنه قوله :«وَرَبِّ الكعبة ـ ثلاث مرات ـ لو كنتُ بين الخضر وموسى لأخبرتهما أنى أَعْلَمُ منهما ، ولأ نْبَأْتُهما بما ليس فى أيديهما، لأن موسى والخضر أعطيا علم ما كان ، **ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة.وقد ورثناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله**»[2]

---

(١) شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ ص ١٣٥

(٢) السيد حيدر الحلى الحسينى ؛ الكلام الجلى ؛ ٣١٤ – ٣١٥

ونسبوا إلى الإمام جعفر رضى الله عنه قوله :« عندنا الجفر الأبيض والجفر الأحمر والجفر الأكبر والجفر الأصغر ، والجامعة و الصحيفة ، وكتاب علي عليه السلام ».[1] والجفروالجامعة والصحيفة خرافات !

فهذا ادّعاء صريح بعلم الغيب ، علم ما هو كائن حتى تقوم الساعة . وقد ورثه علي عن النبى ﷺ . ولا شك أن هذا الادعاء يتعارض مع القرآن الكريم ، فضلاً عن تعارضه مع أقوال علي نفسه

قال تعالى ﴿ **قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ** ﴾ [ الأنعام : ٥٠ ]

وقال عز وجل ﴿ **وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ** ﴾

[ الأعراف :١٨٨ ]

وعن أم المؤمنين عائشة قالت :« مَنْ حدَّثكَ أنه ﷺ يعلم الغيب فقد كذب »[2]

وناقش « البرقعي » هذه القضية فقال إن الكليني أورد أربع روايات :« كلها متناقضة ومتعارضة بعضها مع بعض ! ونقل عن المجلسي قوله إن رواتها مجاهيل: **« كأنهم أعرضوا عن القرآن وكأن لهم عداوة معه »[3] واستشهد بقول علي رضى الله عنه :« لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمتُ في أي بيوت الدارهي ! »[4]**

وأراد الكليني أن يثبت أن الأئمة ـ علي وبقية الاثنا عشر ـ يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم مستنداً إلى روايات إما ضعيفة وإما مرسلة . وهذا يناقض قول الله تعالى ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ** ﴾ [ لقمان : ٣٤ ] وقد أكد علي رضى الله عنه هذه العقيدة القرآنية في خطبه .[5]

---

( ١ ) نفسه ؛ ص٢١٦-٢١٧ ( ٢ ) فتح البارى ؛ رقم ٧٣٨٠
( ٣ ) كسر الصنم ؛ ص ١٨٨ ( ٤ ) نفسه ؛ ١٨٩ ( ٥ ) كسر الصنم ؛ ص ١٩٣

فإذا كان علم علي قد شمل ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة كان من المنطقى أن يأتيه الجن هو وبقية الأئمة يسألونهم عن معالم دينهم . فيقول « البرقعى » :« إن الكلينى روى سبعة أحاديث فى هذا الباب ، عَدَّ المجلسى ستّة منها ضعيفة ومرسلة ومجهولة ، ويبقى خبر واحد ، فيعلق « البرقعى » قائلاً :« هل تبنى العقيدة الدينية على خبر واحد فيه رُواةٌ مثل سعيد الإسكاف الذى كان فاسد المذهب ، ومن مذهب الناووسية ، ثم كان قصاصاً يحكى القصص للناس ، وضَعَّفَه علماء الرجال وقالوا إن له أحاديث منكرة ، والآخر سهل بن زياد الغالى ( من الغلاة ) والآخر علي بن حسان ، وهو أيضاً ضعيف من الغلاة ، وكان له تفسير الباطن وهو كله باطل »[1]

وتطبيقاً لمقولة الغلاة إن علياً يعلم الغيب ، فإن من الطبيعى أن يأتيه الجن يسألونه ، لأنهم لا يعلمون الغيب . وقد جاء ثعبان ضخم إلى علي وهو يخطب على منبر مسجد الكوفة ، وكان خليفة لإمام الجن ، فسأله وأجابه علي !

ويسأل البرقعى : لماذا لا يسأل الجن الرسل الذين من جنسهم ؟ ولماذا يسألون الشيعة دون سائر المسلمين ؟

## ● علي أستاذ الصحابة أو تلميذهم ؟!

ومن المنطقى أن يكون علي أستاذاً للصحابة بما فيهم الشيخان ، طالما أنه ورث علم النبى وعلم الغيب وورث الكتب العديدة التى تحتوى على علوم الدنيا والآخرة . وهذه هى الغاية النهائية التى سعى إليها الغلاة بكل مزاعمهم الباطلة حول « علم علي »

أما الحقائق فشيء آخر . فعن إبراهيم التيميّ عن أبيه قال : خطبنا علي رضى الله عنه فقال : مَن زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة - فيها أسنان الإبل وأشياء من ( أحكام ) الجراحات - فقد كذب »[2]

---

( ١ ) كسر الصنم ؛ ص ٢٧٥

( ٢ ) الفتح الربانى ، أبواب ما جاء فى خلافة رابع الخلفاء الراشدين ، الباب الثالث ؛ رقم ٢٩٤ - جـ ٢٣ ص ١٣٤ - ورقم ٢٧٣ - ص ١٢٤

ـ وينفى ابن تيمية رحمه الله نفيًا باتًا أن يكون علي قد أفاد أبا بكر وعمر علماً ، وقال :«إن هذا من أعظم البهتان . أما أبو بكر فما عرف أنه استفاد من علي شيئاً أصلاً . وعلي قد رَوَى عن أبى بكر ، واحتذى حذوه واقتدى بسيرته . وأما عمر فقد استفاد علي منه أكثر مما استفاد عمر منه»(١)

ومن المفيد هنا أن نتذكر أن أبا بكر أسلم وسنُّه حوالي أربعين سنة . وكان علي يومئذ صبي لم يبلغ العاشرة . كان أبو بكر رجلاً بالغاً ناضجاً ، محنكاً ، وحكيماً، له مكانته فى مجتمع مكه، وقد بدأ يتعلم الإسلام وهو فى تلك السن، وواصل التعلم فى مدرسة النبوة لمدة ٢٣سنة ، ١٣سنة فى مكة ، كان خلالها لصيقاً بالنبى ﷺ ، حاملاً معه أعباء الدعوة ، باذلاً ماله فى سبيلها . ثم كان فى المدينة لمدة عشر سنوات وزير النبى الأول الذى يشاركه هموم الأمة والدولة . ومن ثم نضجت شخصيته الإسلامية علمياً وعملياً . ومن ثم استحق الخلافة ، دون منافس حقيقى جدير بها .

أما «علي» فلم يكد يتم العشرين من عمره فى مكة . ولم يكن مؤهلاً للقيادة أو الخلافة إلا بعد خبرات واسعة حصَّلها فى عهد النبوة فى المدينة ثم من خلال المشاركة فى الحياة السياسية طوال عهد الراشدين الثلاثة ، الذى امتد خمسة وعشرين عاماً ، وانتهى بمقتل عثمان والبيعة لعلى .

**وفى اعتقادى أن «علم علي» اكتمل فى تلك الفترة ، بحيث يمكن القول إنه بلغ مستوى أبى بكر وعمر . أما يوم تولَّى أبو بكر الخلافة فمن الظلم أن نقارن «علم علي» «بعلم أبى بكر». وفى ضوء هذه الحقائق نقول إن أبا بكر هو الذى كان أستاذاً للصحابة بعد وفاة النبى** . ثم آلت تلك الأستاذية لعمر ، ثم تقلدها «علي» بعد ٢٥سنة قضاها فى المدينة مشاركًا فى الحياة الإسلامية العلمية والعملية والدينية والسياسية . وليس فى هذا إساءة لعلي . فلابد من اعتبار فارق السن ومراحل التعليم والخبرات . **وأما مقارنة صبى فى العاشرة برجل فى الأربعين فلا أساس لها ولا مسوغ .**

---

(١) منهاج السنة النبوية ؛ جـ ٤ ص٢١٧

ـ وقد أثر عن «علي» رضى الله عنه الإشارة إلى حداثة سِنّه ، وقلة خبرته حين بعثه النبى إلى اليمن قاضياً ، فقال : «تبعثنى إلى قوم يكون بينهم أحداث ، ولا علم لى بالقضاء ؟» قال : «إن الله سيهدى لسانك ويثبت قلبك»[1] والمفروض أن يدرس ويراجع ويحفظ لكى يقوم بمهمة القاضى الخطيرة ، وبمرور الوقت ، مع الممارسة والمدارسة ، أصبح علي علماً مرموقاً فى عالم القضاء والعدالة . وفى الوقت نفسه ضعفت قواه البدنية ، وتلك سنة الله تعالى فى خلقه .

## ● جود علي وسخاؤه

ولا أحد يشك فى جود علي وسخائه . ولكن البذل مرتبط بالقدرة عليه ، ولا يجوز أن نقارن علياً بعثمان بن عفان أو عبد الرحمن بن عوف أو أبى بكر الصديق الذين بذلوا الألوف المؤلفة من أموالهم لنصرة النبى والإسلام ، لأنهم كانوا أغنياء قادرين على البذل .

ولكن الغلاة يفسرون آيات القرآن لتشهد لعلي بالجود دون سواه من الصحابة الكبار الذين بذلوا الأموال الباهظة فى نصرة الإسلام[2] قال تعالى ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ [المائدة : ٥٥ ] فينسج خيال الغلاة قصة حول سبب نزولها ، فيقولون إنها نزلت فى علي لأنه تبرع بخاتم لسائل سأله وهو راكع! ومعلوم أن المحتاجين ينتظرون عادة حتى يفرغ المسلم من صلاته ، ثم يسألونه العون ، ولا يسألون المصلين فى أثناء ركوعهم أو سجودهم ، فذلك تشويش على المصلين ولا أحد يسمح به .. ولا يجوز أن يخلع المصلى خاتماً من أصبعه وهو راكع ، لأن ذلك اشتغال بغير الصلاة ، وهو يبطلها . ثم إن التصدق بخاتم من حديد أو من فضة لا يشهد للمرء المسلم بالجود والسخاء !

---

( ١ ) الفتح الربانى ؛ السابق ؛ رقم ٢٩٠ – جـ ٢٣ ـ ص ١٣٢
( ٢ ) ليالى بيشاور ؛ ص ٢٦ ـ ٢٦٦

ـ والقرطبى يقول إن الآية نزلت فى أبى بكر فى رأي ، وفى آخر فى علي ، وفى ثالث فى الذين خُلِّفوا . والأرجح أنها نزلت فى المؤمنين عامة . [1] فلا مسوغ لحصر الثناء الذى يرد فى كثير من آيات القرآن فى شخص معين وهو شامل لكل من يستحقه بالأعمال الصالحة ومشجع على ذلك .

**● التزوير على «علي» : مجموعة من الخرافات والأكاذيب !**

ـ وفى خضم معركة تفضيل «علي» على الخلفاء الثلاثة يخلط الغلاة بين الحقائق والأباطيل . وفيما يلى قائمة بمقولاتهم الزائفة :

جاء زعيم الجن إلى علي وهو يخطب على منبر الكوفة ، وقد اتخذ شكل ثعبان ! أُلتَبَستْ عليه مسألة فجاء ليستوضحها من «علي»!

وذات يوم فاض الفرات وكاد يغرق الناس فى الكوفة ، فركب علي بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، فنزل على الشاطئ ثم دَعَا ، وضرب صفيحة الماء بقضيب ، فغاض الماء وظهرت الحيتان الكثيرة ، لتسلم عليه !

واشتغل علي يوم خيبر بقسْم المغانم **حتى غابت الشمس** ، **فسأل الله تعالى أن يردها لكى يصلى العصر ، فردها الله حتى صلى !**

وفى الطريق إلى بنى المصطلق **أرادت طائفة من كفار الجن الكيد للمسلمين**، فقاتلهم علي وأهلكهم !

وكان علي مستجاب الدعاء . دَعَا **على بعضهم بالعمى فَعَمُوا !**

وكان علي **يخبر بالغيب** والكائن قبل كونه !

وبوم خيبر ، انهزم أبو بكر وعمر ، ولم يتم الفتح إلا على يدى «علي»!

وعلي **لم ينهزم فى قتال** قط .

وعلي أعلم بالإسلام من جميع الصحابة !

وعلي هو **منبع علم الفصاحة** ، وكان أخطب الصحابة .

---

( ١ ) تفسير القرطبى ؛ تفسير الآية ؛ المجلد الثالث ، ص ٢٢١٩

**وجميع الصوفية يسندون الخرقة إليه .**

وهو **أصل علم الكلام .**

وهو **واضع النحو ، وهو الذى علّم الإعراب لأبى الأسود الدؤلى .**

وهو **مرجع الفقهاء** فى الفقه .

ولم يسبقه أحد فى **الزهد** ، ولالحقه أحد .

وكان علي **أعْبَدَ الناس** ، كان يصلى ألف ركعة كل يوم وليلة .

فإذا راجعنا هذه الادعاءات وجدنا أن : الشمس لم ترد له ولا لغيره . وعلي لم يقاتل الجن ، ولم يعلم الغيب ، والمسلمون جميعاً بعون الله هم الذين هزموا يهود خيبر ، لا علي وحده ، وهذا لا ينفى الدور البطولى الذى قام به، وأبو بكر وعمر لم ينهزما ، وإنما هما حاولا مع غيرهما فى مرحلة من المعركة الكبيرة . و«علي» انهزم فى «صِفِّين»ولم يستطع هزيمة الأمويين ، ولم يكن علي منبع الفصاحة ، ولا أخطب الصحابة ، ولا يشرّف علي أن يكون زعيم الصوفية أصحاب الخرقة ، ولم يكن علي أصل علم الكلام ، ولا واضع علم النحو ، ولا مرجع الفقهاء فى الفقه ، وسبقه كثيرون فى الزهد، ولم يكن علي أعبد الناس.

## ● ألف ركعة .. متى ؟

**ونقف قليلاً عند صلاة علي فنقول إن الليل والنهار ١٤٤٠ دقيقة ، والركعة تستغرق دقيقتين** فإذا صلى علي ألف ركعة ، احتاج إلى ألْفي دقيقة ! وهذا يُظهر زيف دعواهم . و«علي» لم يكن منقطعاً للصلاة ، بل كان زعيم أمة وقائد جيش ورئيس دولة تحتاج إلى وقت طويل وجهد جهيد لتصريف شؤونها . فلا يُطلب من الخليفة صلاة نوافل إلا أقل القليل ، وعبادته عبادات خاصة : فى تدبير شؤون رعيته ، وتوجيه عماله ، وإرساء العدل بين الناس ، وقيادة جيشه ، وغير ذلك من العبادات الخاصة . وهذا الزعم بانه كان يصلى ألف ركعة كل يوم خيال إنسان جاهل لا يعرف أن لكل فرد ـ إلى جانب العبادات العامة ـ أخرى خاصة تفرضها عليه إمكاناته المالية والاجتماعية والعلمية . فصورة «علي» فى

خيال ذلك الجاهل هي صورة إنسان بائس مسكين ، لا يقدر على عمل شيء سوى الجلوس في المسجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة . وهذه ليست صورة «علي» أمير المؤمنين وما عليه من أعباء .

## ● علي سوف يرجع

واعتقد بعض أولئك الغلاة أن علياً سوف يرجع إلى الحياة فكذبهم الإمام الحسن بن علي وقال : لو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه»[1] وقال بعضهم إن محمد بن الحنفية هو الذى سيرجع . والإمامية تؤمن بأن الإمام الثاني عشر هو الذى سيرجع .

## ● الغلو في تسمية الأولاد

ومن حماقات الغلاة أيضاً تسمية أولادهم بأسماء غير شرعية ، مثل : عبد الحسين وعبد الرضا .. إلخ وعقيدة الإمامية لا تسمح بهذا ، لأن فيه شبهة منافية للتوحيد .

ومن جهة أخرى يرفض الغلاة تسمية أولادهم أبا بكر أو عمر أو عثمان !!

هذا في حين أن إمام الشيعة الأول سمَّى أحد أولاده أبا بكر ، وسمى آخر عمر . وثالثاً عثمان .[2] وكذلك فعل الحسن بن علي بن أبي طالب .[3] وقد لا حظ هذا الغلو الدكتور موسى الموسوى ، فطالب الشيعة بالكف عنه . ولا ريب أن تسمية الشيعة أولادهم بأسماء أبي بكر وعمر وعائشة ، خطوة مؤثرة على طريق التقارب . **ومن جهة أهل السُّنة تعتبر أسماء علي وفاطمة والحسن والحسين هي أحب الأسماء إلى الجماهير** ، وأكثرها استعمالاً . ولمن شاء أن يقف على هذه الحقيقة أن يفتح دليل الهاتف في أى بلد سُنّي ، ويحصى أعداد : علي وحسن وحسين ! إنه لن يستطيع إحصاءها إلا بشق الأنفس !

---

(١) الفتح الرباني ؛ أبواب ما جاء في خلافة علي ؛ الباب الثاني رقم ٢٩٣ جـ ٢٣ ص١٣٤
(٢) المقريزى ؛ اتعاظ الحُنَفَا ؛ ص٣٠٣
(٣) الأصفهانى ؛ مقاتل الطالبيين ؛ جـ ص٨٦ – ٨٧

## ● الغلو فى فاطمة الزهراء رضى الله عنها

– وفى أخبار فاطمة الزهراء رضى الله عنها يظهر غلو الغلاة ويتناقض مع الحقائق الثابتة .

– فينسب إلى عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ! مالك إذا جاءت فاطمة قبَّلْتَها حتى تجعل لسانك فى فيها كله، كأنك تريد أن تلعقها عسلاً! قال :« نعم يا عائشة ، إنى لما أُسرى بى إلى السماء أدخلنى جبريل الجنة فناولنى منها تفاحة ، فأكلْتُها ، فصارت نطفة فى صلبى . فلما نَزَلْتُ واقعتُ خديجة ، ففاطمة من تلك النطفة ، وهى حوراء إنسية ، كلما اشتقت إلى الجنة قَبَّلتُها » (١)

**– ومعلوم من السيرة النبوية أن السيدة خديجة ، أم فاطمة ، رضى الله عنهما ، ماتت قبل الهجرة بخمس سنوات ، وبعد موتها بحوالى أربع سنوات أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وآله . وقد وُلدَتْ فاطمة قبل وفاة أمها بطبيعة الحال ، أى قبل الإسراء بأكثر من خَمس سنوات . فكيف كانت نطفتها تفاحة أكلها والدها بعد وفاة أمها بخمس سنوات !؟ (٢)**

وينسب إلى خديجة رضى الله عنها قولها :« لما حملتُ بفاطمة حملْت حملاً خفيفاً ، وكانت تحدِّثنى فى بطنى . فلما قرُبتْ ولادتُها دخل عليَّ أربع نسوة عليهن من الجمال والنور ما لا يوصف ! فقالت إحداهن : **أنا أمُّك حواء** . وقالت الأخرى : **أنا آسية بنت مزاحم** . وقالت الأخرى : **أنا كلثم أخت موسى** . وقالت الأخرى : **أنا مريم بنت عمران أم عيسى** . جئنا لنلِيَ من أمرك ما تلى النساء . فولدتُ فاطمة ، فوقعت على الأرض ساجدة ، رافعة أصبعها »(٣)

فها هنا معجزات تنسب إلى فاطمة ، لمْ ينسب مثلها للنبى نفسه ﷺ ، فلم تقل أُمُّه إنه كان يحدِّثها وهو فى بطنها . ولم تأت حواء وآسية وكلثم ومريم لخدمتها عند ولادته . وحين خرج من بطن أمه لم يسجد ولم يرفع أصبعه كأنه

---

(١) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ٤ ص٢٤٧
(٢) سيرة ابن هشام ؛ جـ ٤١٦ وتفسير القرطبى لأول سورة الإسراء
(٣) الميلانى ؛ السابق ، ص٢٤٩

يقول لا إله إلا الله . **ونحن لا نستطيع أن نصدق أن معجزات فاطمة أعظم من معجزات النبى نفسه ، ومن ثم نرد هذه الأخبار الزائفة فى وجوه الغلاة ، ليظل حبنا لفاطمة الزهراء مبنيًّا على حقائق سيرتها العطرة دون تزييف .**

**● غلو الفاطميين**

وكان الفاطميون يجسّدون الغلو بصورة مبالغ فيها إلى أبعد الحدود . فهذا المعز لدين الله الفاطمى يكتب رسالة إلى الحسن بن أحمد يقول فيها :« منْ عَبْد الله ووليِّه ، وخيرته وصفيه ، معد بن أبى تميم المعز لدين الله ، أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجلُ عليٍّ أفضل الوصيين إلى الحسن بن أحمد » ، وجاء فى رسالته الطويلة قوله :« وَلْيَعْلم من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد **أنَّا كلمات الله الأزليات ، وأسماؤه التامات ، وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيرات ، ومصَابيْحه البينات ، وبدائعه المنشآت ، وآياته الباهرات ، وأقداره النافذات ، لا يخرج منا أمر ، ولا يخلومنا عصر !**»[1]

كأنه ليس بشراً من البشر ، وكأنه يدعى الألوهية بأسلوب غير مباشر . ولم يُؤْثر مثل هذه الدعاوى عن أمير المؤمنين علي بن أبى طالب ولا عن أحد من بنيه ، رضى الله عنهم .

**ـ ولم يحترم المعزلدين الله النسب الشريف الذى ادعاه لنفسه ، بل كان حاكماً ظالماً دموياً مغرماً بقطع الرؤوس والطواف بها على أسنَّة الرماح ! وكانت أوامره بسبِّ الشيخين حماقة سياسية لأن الشعب المصرى كان سُنياً ، ويسيئه أشد الإساءة أن ينال الشيخين مكروه . وكان تحريم أكل الملوخية نكتة أضحكت المصريين على امتداد القرون !**

**● الغلو فى الحسن والحسين**

والأمة المسلمة تعرف للحسن والحسين قدرهما ، وتحبهما حبّاً كبيراً أساسه الحقائق المعروفة عن حياتهما ، وكم كان رسول صلى الله عليه وسلم وآله يحبهما . لكن الغلاة كعادتهم يذهبون بعيداً بعيداً ، فيجافون الحقائق الإسلامية والعقلية .

(١) المقريزى ؛ اتعاظ الحنفا ؛ جـ ١ ص١٩٤

ومن ذلك أنهم نسبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله حديثاً قال فيه : « لما عُرج بى إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، علي حب الله ، الحسن والحسين صفوة الله ، فاطمة أَمَةُ الله ، عَلَى باغضهم لعنة الله ، مهما ذَكر الله »

ومعلوم أن الإسراء والمعراج حدثا قبل الهجرة ، والحسن والحسين ولدا بعد الهجرة . فكيف يمكن تفسير ذلك ؟ ومتى كتبت تلك اللافتة ؟وكيف لا يُكتب اسم أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام وأسماء الأنبياء والرسل قبل اسمى الحسن والحسين ؟ الأرجح أن يقول الغلاة : علي أفضل من إبراهيم وموسى وعيسى ! وتلك العبارات كتبت على باب الجنة منذ أن خلقها الله ، وقبل خَلق آدم وسائر الأنبياء ، وكلام كثير من هذا القبيل . **وفى الماضى كانت الجماهير تصدق هذه المزاعم ، أما الآن فهى تبتسم عند سماعها !**

## ● العجوز والعنز

ويروى الغلاة قصصاً طريفة عن الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية لتصوير الجود والسخاء فى أخلاقهم . قالوا : إن عجوزاً أضافتهم يوماً على عنز لم تكن تملك غيرها ! وغضب لذلك زوجها وعاقبها ، فاضطرت إلى جمع البَعْر وبيعه فى المدينة . وتصادف أن رآها الحسن وعرفها فأعطاها ألف عنز وألف دينار ! وأعطاها الحسين ألفي عنز وألفي دينار ! وأعطاها محمد بن الحنفية ثلاثة آلاف عنز وثلاثة آلاف دينار .[1] وهكذا جمعت ثروة هائلة لم تكن تحلم بها ، ولا تعرف كيف تتصرف فيها !

**ـ والوضع والتأليف ظاهران فى القصة . فالحسن والحسين وأخوهما محمد لم يكن من الممكن أن يقبلا ضيافة سيدة عجوز لا تملك غير العنز التى ذبحتها !** والقصة ينقصها السيناريو ! فلم تقل لنا هل تلك الضيافة حدثت فى الحضر أم فى سفر ؟ وما الظروف التى اضطرت الأئمة الثلاثة إلى قبول ضيافة امرأة معدمة ؟ وما المناسبة التى جمعت الرجال الثلاثة ؟ هل كانوا فى طريقهم إلى الحج

---

(١) الميلانى ؛ قادتنا جـ ٥ ص١٨١

مثلاً ؟ ومن أى قبيلة كانت تلك العجوز ؟ وأين كان بيتها ؟ ومن زوجها ؟ وهل التصدق بآلاف الأعنز والدنانير لامرأة واحدة سلوك إسلامى سديد ؟ وهل كان محمد أكرم من الحسن والحسين ؟ وهل كان الحسين أكرم من الحسن ؟!

وفى خبر آخر يصور لنا المزورون أن الحسن كان فقيراً معدماً ، وأنه سئل الصدقة وكان لا يجد مايسدُّ به رمقه ! [1] ولم يكن الحسن فقيراً فى أى فترة من حياته . ويكفى أن نتذكر أنه كان يتقاضى خمسة آلاف درهم من بيت المال ، وكذلك الحسين ، قبل أن يتولى علي الخلافة . [2] لكن الغلاة يريدون تصوير الحسن فى صورة الفقير الزاهد ، كما تصوره الرواية الأولى فى صورة السخى الباذل، فيسرفون على أنفسهم فى الروايتين ، دون اعتبار لعقل المخاطبين !

## ● معجزاته

ومن الضرورى أن تكون للحسن معجزات ، فقالوا إنه جلس يوماً تحت نخلة يابسة من شدة العطش ، فدعا الله أن تخْضَرَّ ، فَاخْضَرَّت ، وَحَمَلَتْ رُطباً ! » [3] ومرَّت بالحسن بقرة ، فقال : هذه البقرة حُبلى بعجلة أنثى لها غرة فى جبينها ، ولما ذبحها القصاب وجدوا العجلة بالوصف الذى ذكره الحسن ، فقيل له : أَوَلَيْسَ الله عز وجل يقول : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ﴾ [لقمان: ٣٤] فكيف عَلْمتَهُ ؟ قال : «إنا نعلم المكنون ، المخزون ، المكتوم ، الذى لا يطلع عليه مَلكَ مقرب ولا نبي مرسل غير محمد وذريته» . [4]

ومن الممكن أن يكون الحسن قد نظر إلى البقرة فوجد لها غرة ، والأغلب أن تلد عجلة شبيهة بها . فالمسألة لا تحتاج إلى علم بالغيب ! لكن الغلاة حريصون على توكيد أن الأئمة يعلمون الغيب . ولا أعود إلى نفى هذا الزعم الذى يناقض القرآن اكتفاءً بما سبق قوله .

## ● الغلو فى الإمام الصادق

وامتد الغلو إلى الإمام الصادق رضى الله عنه ، قال الشيخ أبو زهرة

---

( ١ ) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ٥ ص١٣٧
( ٢ ) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١٥هـ رقم ٢٤١٢ - ٢٤١٣ جـ ٣ ص٦١٤
( ٣ ) الميلانى ؛ السابق ؛ جـ ٥ ص٢٣٢
( ٤ ) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ٥ ص٢٣٣

رحمه الله: «إن طائفة من الناس قد غالوا فى تقديره ، **ومنهم من انحرفوا فادَّعوا له الألوهية ، وكثيرون ادّعوا أنه فى مرتبة قريبة من مرتبة النبوة** ، أما العلماء الذين عاصروه ، والذين جاءوا من بعدهم ، فقد وصفوه بأنه فى الذروة بين العلماء واعترفوا له بالإمامة فى فقه الدين ، ولم يتجاوز مرتبة العالم الإمام المجتهد المتَّبع الذى يؤخذ عنه»[1]

## ● القرامطة ، والغلو فى أحمد بن محمد بن الحنفية

وهم فئة من الغلاة المارقين ، زعموا أن أحمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب هو رسول الله ! وأنه قد أُنزل عليه الكتاب !وكانوا يقولون فى الأذان للصلاة : أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ! وجعلوا الصلاة صلاتينْ فقط ، والصيام يومين فقط ! [2] واستفحل أمر القرامطة حتى عاثوا فى الأرض فساداً ، يقتلون الحجاج وينهبون متاعهم ، فقاتلهم الخليفة «المكتفى» العباسى سنة ٢٩٤ هـ وقضى على قائدهم المدعو «زكرويه» وعلى جيشهم واسترد الأموال التى نهبوها . [3] وهؤلاء لا ينتمون إلى الإمامية ، بل الإمامية يكفرونهم .

## ● الغلو فى تقديس قبور الأئمة

وهذه مسألة خلافية بين الشيعة والسُّنة، وبين أهل السُّنَّةَ بعضهم مع بعض . فالثابت فى السُّنَّة أن المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال هى : بيت الله الحرام فى مكة المكرمة ، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فى المدينة المنورة ، والمسجد الأقصى الذى بارك الله حوله . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى» .[4]

لكن الشيعة يشدون الرحال إلى مسجد الكوفة وغيره . ويقول الشوكانى: «وأما جعل مسجد الكوفة فى الشرف بعد الثلاثة مساجد فلم يثبت ذلك بدليل ، ولا كان للكوفة مسجد فى أيام النبوة . وكان الأوْلَى أن يجعل مكان

---

(١) الإمام الصادق ؛ المقدمة ؛ ص٣-٤

(٢) تاريخ الطبرى ، أخبار سنة ٢٧٨ جـ ١٠ ص٢٣ – ٢٦

(٣) نفسه ، أخبار سنة ٢٩٢ـ جـ ١٠ ص١٣٣ – ١٣٤

(٤) متفق عليه .

مسجد الكوفة مسجد قباء ومسجد عبد قيس ، بعد أن يُذكر شرف البقاع التى ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله صلى فيها »(١)

وعند الشيعة بعض قبور الأئمة واقعة داخل مساجد ، وهم يقدسون قبور آل البيت . وكان ذلك مدعاة للصدام بأهل السُّنة . وقد أمر الخليفة المتوكل العباسى ( الذى توفى سنة ٢٤٧هـ) بهدم قبر الحسين سنة ٢٣٣ هـ وما حوله من الدور ، وتحويل الأرض إلى مزارع ، ومنع الناس من زيارته . وقد أثار ذلك غضب الشيعة وأحزنهم فقال شاعرهم يعقوب بن السكيت :

**تالله إن كانت أمية قد أتتْ ... قتل ابن نبيِّها مظلوماً**
**فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبُره مهدوماً**
**أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... فى قتله فتتبعوه رميماً !**

## وخلاف بين أهل السُّنَّة

ويختلف أهل السُّنة أنفسهم حول تشييد القبور وما يجلبه من أعمال منافية للشرع ، واعتقادات خاطئة فى قُدْرة الأولياء الأموات والتوسل بهم . وكثير من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يعتبرون المصريين الذين يزورون قبر السيد البدوى بمدينة طنطا وغيره من الأضرحة كفاراً . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله :« لا تتخذوا قبرى مسجداً »(٢) واحترامًا لذلك يُفْصَلْ القبرُ أو الضريح عن ساحة المسجد ، بجدران وباب . لكن المصلين يدخلون المسجد وينتقلون منه إلى الغرفة التى فيها الضريح والعكس ، فاعتبر بعض الفقهاء هذا الفصل غير كاف ، وثارت عواصف بسبب ذلك بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين الذين يرون الفصل بين الضريح وساحة المسجد بأربعة جدران يكفى . وقد أشرنا إلى هجوم السعوديين على بلاد العراق وتدمير المساجد الشيعية ، وهو ما يزال فى الذاكرة لدى النخب الفقهية والثقافية ، ويعمل عمله فى تنْفير الفريقين أحدهما من الآخر . وقد يُضاف إلى ذلك حوادث الحج التى تصادم فيها الحجاج الشيعة مع الشرطة السعودية ووقع فيها الكثير من القتلى والجرحى .

---

( ١ ) الشوكانى ؛ السيل الجرار ص ١٧٩ ( ٢ ) إعلام الساجد ؛ فقرة ٥٨ – ص٣٥٦

## ● السَّب واللعن والتكفير

ومن مظاهر الغلو سبُّ المخالفين ولعنهم وتكفيرهم . وقد مارس أقوام من الفريقين ، السُّنة والشيعة ، سبَّ المخالف ولعنه وتكفيره . ولا تزال هذه الممارسات جارية إلى اليوم ، وقد فاقمتها ظروف العراق وتحولها إلى حرب طائفية بين السُّنة والشيعة .

ـ ويرى «المقريزى» رحمه الله **أن الخلاف بين السنة والشيعة يضرب بجذوره إلى زمن هاشم بن عبد مناف ، وابن أخيه أمية بن عبد شمس ، فقد كانت بينهما منافرة ، ثم انتقلت إلى ولديهما عبد المطلب بن هاشم ، وحرب ابن أمية ، وتمادت العدواة بين البيتْين حتى انتقلت من رجل إلى رجل ، وانتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله . وموقف أبى سفيان بن حرب معروف على امتداد الحياة النبوية** ، فكان حربًا على الإسلام . ثم انتقل الموقف السلبى إلى علاقة الإمام علي ومعاوية بن أبى سفيان ، ثم إلى الحسن ومعاوية ثم إلى الحسين ويزيد بن معاوية» ثم :«كان ما كان من ظلم بنى أمية لآل البيت الطاهر الذى فضله الله بالإمامة وشرف النبوة»(١)

ولا ننفى هذا الرأى ، ولكن الخلاف بين «علي» وأنصاره وبين معاوية ـ كما رأينا فيما سبق ـ نشأ بسبب مقتل عثمان ومطالبة معاوية بالقصاص من قتلته، وعدم قدرة «علي» على ذلك فى الأيام الأولى المضطربة من إمارته .(٢)

ـ وتتضارب الأخبار حول مَنْ بدأ السَّبَّ واللعن والتكفير . فتقول أخبار عديدة إن معاوية كان يلعن علياً ويطلب من الأئمة لعنه على المنابر . وكان أكثرهم يتأثم ويرفض بسبب معرفتهم بمكانة «علي» الرفيعة فى نظر الأمة المسلمة ، وبعضهم يطيع طمعاً فى رضا معاوية وذهبه .

## ● علي كَفَّر الأمويين

ويقول «الميلانى» إن علياً كان يكفر معاوية استناداً إلى قول الله تعالى ﴿ وَلَوْ

---

(١) المقريزى ؛ النزاع والتخاصم ؛ ص٢٣-٢٤

(٢) راجع المبحث الرابع من هذه الدراسة

**شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ** ﴾ [ البقرة:٢٥٣ ] قال علي لرجل سأله :« فلما وَقَعَ الخلاف ( بين علي ومعاوية ) كنا نحن أَوْلَى بالله وبالكتاب وبالنبى وبالحق . **فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا**»[١] فهذا تكفير بالجملة لبنى أمية وعلى رأسهم معاوية. وفى اعتقادى أن التكفير ربما يصدق على البعض منهم ، لكنه لا يمكن أن يصدق على الجميع . وأظن أن علياً ما كان يقصد تكفير الجميع ، لفظاعة الإثم فى تكفير المسلمين بالجملة ، وهم متأولون خَدَعَهم البعض بقميص عثمان والقصاص من قتلته فاستحلوا التمرد على أمير المؤمنين وقتل جنوده .

ـ فعن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يقول :« **أيُّما امرىء قال لأخيه : يا كافر ! فقد باءَ بها أحدهما : إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه**»[٢]

وعالج الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله قضية تكفير المسلم . فقال ـ ردًّا على سؤال عن حكم من يصرح بلَعْنِ يزيد بن معاوية ، هلْ يحكم بفسقه ؟ ـ قال الغزالى :« لا يجوز لعْنُ المسلم أصلاً . ومَن لَعَنَ مسلماً فهو الملعون . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله :« **المسلم ليس بلَعَّان** » وكيف يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم ، وقد ورد النهي عن ذلك ؟ وحُرمة المسلم أعظم من حُرمة الكعبة بنص النبى صلى الله عليه وسلم وآله بذلك » وعلى هذا قال الغزالى : « فإذن لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين ، ومَنْ لَعَنَهُ كان فاسقاً عاصياً لله عز وجل. ولو جاز لَعْنُه فسكت ( المرء المسلم ) لم يكن عاصياً بالإجماع ، بل لو لم يلعن إبليس طول عمره ، لا يقال له فى ( يوم ) القيامة : لِمَ لم تلعن إبليس ؟ ويقال للاعن : لِمَ لَعنْت ؟ ومن أين عرفت أنه ملعون مطرود ؟ وأما الترحم على المسلم فهو جائز ، بل هو مستحب ، بل هو داخل فى قولنا كلَّ صلاة : اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، فإنه كان مؤمناً ، والله أعلم » . وذَكَرَ الغزالى أنه قد صَحَّ

---

( ١ ) الميلانى ؛ حـ٢ ص٢٣٧      ( ٢ ) صحيح مسلم ؛ حـ٢ ص٤٩

إسلام يزيد بن معاوية ، ولم يثبت قتْله الحسين رضى الله عنه ، ولا أمْرُهُ بذلك ، ولا رضاه به . (١)

ـ ومن المؤكد أن كثيراً من العلماء لن يوافقوا الغزالى فيما ذكره عن يزيد ابن معاوية . أما إسلامه فالله أعلم به . على الرغم من الموبقات التى أَدْمَنَها ! **وأما قَتْل الحسين ففى عُنقه دون ريب ! وما كان عبيد الله بن زياد ليجرؤ على أمر رجاله بقتل الحسين وأولاده فى مجزرة رهيبة دون علمه اليقينى بأن يزيداً يريد ذلك ، وأنه سيكافئه عليه . ولو حُوكم يزيد أمام قاض مسلم عادل لكان حقه الإعدام ، وليس اللعن !**

## ● متى يكفر المسلم

وقال الإمام النووى ، شارح صحيح مسلم ، رحمه الله :« واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يُكَفرَّ أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يكَفرَّ أهلُ الأهواء والبدع ، وأن من جَحد ما يُعْلَم من دين الإسلام ضرورةً حُكِمَ بردته وكفره ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، أونشا ببادية بعيدة ، ونحوه ممن يخفى عليه ، فَيُعَرَّفُ ذلك. فإن استمر حُكِم بكفره . وكذا حكم من استحل الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التى يُعلم تحريمها ضرورةً . (٢)

ـ وفى خضم الصراع بين معاوية وعلي تطايرت الاتهامات باستحلال المحرمات، كالقتل ، وشرب الخمر والزنا ، وخَلَطَ المتصارعون بين **«اقتراف الفواحش» وبين «استحلال الفواحش»** والاقتراف ذنب ، لكن الاستحلال كفر! وأطلق أنصار « علي » اسم « المحلّين» على معاوية وأنصاره ، كما أطلقوا عليهم اسم « النواصب » يعنى أعداء آل البيت . ويكون التكفير بعد هذه الأوصاف نتيجة طبيعية .

وشاع التكفير المتبادل فى لغة ذلك العصر ، وسُجِّل فى أدبياته ، ومن ثم صار من العسير لجْمُ الألْسنة عن ممارسته ، إلا حين يتغير نظام الحكم من شيعى إلى

---

(١) فوات الوفيات ؛ رقم ٥٨٠ ؛حـ٤ ؛ ص٣٢٩-٣٣٠

(٢) صحيح مسلم ؛ الشرح ؛ حـ١ ص١٥٠

سُنِّى فيغير اتجاه التكفير ! ففى مصر مثلاً واصل الفاطميون سَبَّ الشيخين ، وسجلوا السِّباب فى دفاتر كانت تقرأ فى الجوامع . واستمر ذلك الوضع إلى أن سيطر صلاح الدين الأيوبى على مقاليدالحكم سنة ٥٦٥هـ ، فمنع سب الشيخين ، رضى الله عنهما ، وأبطل إضافة عبارات :« حَيَّ على خير العمل ، محمد وعلي خير البشر» إلى صيغة الأذان الشرعية . ثم صدرت الأوامر بأن يُذكر الخلفاء الراشدون الأربعة فى خطبة الجمعة .[1]

وحين كانت أجواء السياسة تهدأ **كان أمير المؤمنين علي بن أبى طالب ينهى أصحابه عن لَعْن أعدائهم ، وينصحهم بالدعاء لهم بالهداية . وهذا هو اللائق به رضى الله عنه .[2] وكان لموقف «علي» الحكيم أثره الإيجابى فى أوساط الإمامية ، حتى شهد كاشف الغطاء بأن الصحابة الذين كانوا مع أبى بكر وعمر ولم ينضموا إلى شيعة علي كانوا :«هم خيرة مَنْ على وجه الأرض يومئذ»[3] وهؤلاء ـ أعنى كاشف الغطاء والموسوى والبرقعى ـ هم الذين يُرجَى أن يتحقق التقارب معهم .**

● **الغلو الشيعي : لنبتسم مرة أخرى !**

وهناك « غلو شيعى » ، سلوكى ، يتسم بالحماقة ، هو إفراز طبيعى للغلو فى « علي » وآل البيت ، والعداء الشديد لمخالفيهم .

فبعض الحمقى يرفض الشرب من نهر حفره « يزيد » !

وبعضهم يرفض الأكل من التوت الشامى !

وبعضهم يكره لفظ « العشرة » لكرههم للعشرة المبشرين بالجنة !

وبعضهم يعتقد أن بدن غير الشيعى نجس !

---

(١) المقريزى ؛ اتعاظ الحنفا ؛ جـ٢ ص٣١٧

(٢) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ٢ ص٢١٩

(٣) كاشف الغطاء ؛ أصل الشيعة ؛ ص١١٣

وبعضهم يرفض القتال بالسيف فى غيبة الإمام !

وبعضهم كان يأتى بنعجة حميراء فيعذبها بنتف شعرها ويرى فى ذلك عقوبة للسيدة عائشة أم المؤمنين رضىَ الله عنها .

وبعضهم كان يسمى الحمارين اللذين يجران الرَّحى : أبا بكر وعمر !

وبعضهم يعظم أبا لؤلؤة المجوسى الذى اغتال الفاروق عمر بن الخطاب !

وبعضهم لا يوقد خشب الطرفاء لأن دم الحسين ـ رضى الله عنه ـ وقع على بعض أشجار الطرفاء .

وأصدر الفاطميون سنة ٣٩٥هـ أمراً بمنع أكل الملوخية لأنها كانت محببة لمعاوية ، ومنع أكل الجرجير لأنه كان محبباً للسيدة عائشة !

## المبحث السابع

# الغلاة من أهل السُّنة

**● الحشوية المشبهة**

والغلو قد يكون بتأليه الإنسان ، وقد يكون بأنسنة الإله ، غُلو يرفع البشر إلى مستوى الألوهية ، وقد رأيناه عند بعض غلاة الشيعة ، وغُلو يخفض مقام الألوهية إلى مستوى البشرية ، وهم الحشوية غُلاة أصحاب الحديث ، وهم ينسبون إلى أهل السُّنة ، الذين يتبرأون منهم كما يتبرأ الشيعة من كل مَنْ أَلَّه إماماً .

ويذكر الشهرستانى من أسماء الحشوية : مُضَر وكَهْمَس وأحمد الهجيمى ، وهم الذين أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه فى الدنيا والآخرة إذا بلغوا فى الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض » ويَحكى عن رجل اسمه داود الجواربى أنه كان يقول : « **اعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عما وراء ذلك !** » وكان يقول : « إن معبوده جسم ولحم ودم ، وله جوارح وأعضاء : من يدٍ ورجْلٍ ورأسٍ ولسان وعينينْ وأذنيْن ، ومع ذلك ( هو ) : جسم لا كالأجسام ، ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء . وكذلك سائر الصفات ، وهو لا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء » .

ـ **فالحشوية أجروا الآيات التى ذَكَرتَ الاستواء والوجه واليدين والمجيئ والفوقية ، على ظاهرها** . والشيء نفسه صنعوه فى الأحاديث النبوية [1] . وهذا الكلام لغو باطل ، مرفوض عند أهل القبلة جميعاً .

ـ أما أهل الحديث من أهل السُّنة فكانوا يحترزون عن التشبيه إلى غاية أن قالوا : « من حرك يده عند قراءة قوله تعالى ﴿ **خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ ص : ٧٥ ] أو أشار

( ١ ) الملل والنحل ؛ جـ ١ ص ١٠٥ – ١٠٦

بأصبعه عند روايته :« قلبُ المؤمن بين أصبعيْن من أصابع الرحمن » وَجَبَ قطْع يده وقلْع أصبعيه »[١]

● **غلاة الصوفية**

ويصور لنا الكواكبى رحمه الله غلاة الصوفية فيقول إنه ظهر من الصوفية فى القرن الخامس وما بعده :« بعض غلاة دهاة ، رأوا مجالاً فى جهل أكثر الأمة لأن يحوزوا بينهم مقاماً كمقام النبوة ، بل الألوهية، باسم الولاية والقطبانية أو الغوثية، وذلك بما يَّدعون من القوة القدسية و التصرف فى الملكوت ، فوسعوا فلسفة التصوف بأحكام تشبه الحِكَمْ ، بنوها على زخارف التأويلات والكشف ، والتحكمات ، والمثال والخيال والأحلام والأوهام ، وألَّفوا فى ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة ، محشوة بحكايات مكذوبة ، من تفسيرات مخترعة ، وقضايا وتركيبات لا مفهوم لها ألبتَّه ، حتى ولا فى مخيِّلة قائلها »[٢]

ويتحدث الصوفية عن كرامات أوليائهم « الناقضة للعادة أو الخارقة للعادة » فيقول القشيرى رحمه الله - :« **إن هذه الكرامات قد تكون : إجابة دعوة ، وقد تكون إظهار طعام فى أوان فاقة من غير سبب ظاهر ، أو حصول ماء فى زمان عطش ، أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة ، أو تخليصاً من عدو ، أو سماع خطاب من هاتف ، أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة**»[٣] و « . . . أَجَلُّ الكرامات التى تكون للأولياء : دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصى والمخالفات »[٤]

● **وفيما يلى نماذج للكرامات المناقضة للعادة :**

**ـ فقد زعم بعضهم أنه رأى القطب الغوث - وهو صاحب أعلى رتب الولاية ـ سنة ٣٠٩هـ فى مكة المكرمة ، يركب عربة من ذهب والملائكة يجرونها فى الهواء بسلاسل من ذهب .** [٥]

وغضب أبو سليمان الدارانى على تلميذه أحمد بن الحوارى لأنه قاطعه وهو مشغول القلب ، **فأمر بإدخاله فى التنور وهو مشتعل ، فأدخل . وبعد مدة أخرجوه فإذا به لم يصب بأى أذى !** [٦]

---

( ١ ) نفسه ؛ ص١٠٤ ( ٢ ) عبد الرحمن الكواكبى ؛ الاعمال الكاملة ؛ ص ٢٣٢
( ٣ ) الرسالة القشيرية ؛ جـ ٢ ص٦٦٤ ( ٤ ) نفسه ؛ ص٦٦٧
( ٥ ) عبد الوهاب الشعرانى ؛ الأجوبة المرضية ؛ص٤٢٢ ( ٦ ) نفسه ؛ ص٤٢٠

وزعم «الخواص» أن الكعبة المشرفة طافت بالشيخ إبراهيم المتبولي : «حجراً حجراً ، ثم رجع كل حجر إلى مكانه !» [1] الكعبة طافت حول الرجل لا العكس ! ولا نعلم أنها طافت بالنبى صلى الله عليه وسلم وآله ، بل هو الذى كان يطوف حولها !

● **السيد البدوى**

ويروى أن قاضى القضاة ابن دقيق العيد ( ٦٢٥-٧٠٢هـ) نصح أحمد البدوى فقال : ياأحمد ! هذا الذى أنت فيه ما هو مليح ، وأنت تارك للصلاة وللجمعة والجماعة ، وما هذا شأن الأولياء والصالحين . فقال البدوى : تأدَّب ! وإلا أَطَيِّر دقيقك! **ثم دفعه دفعة لطيفة ، حملته إلى جزيرة واسعة ، وهناك لقى الخضر عليه السلام ، فطلب منه القاضى أن يشفع له عند البدوى** ، فاشار عليه بأن يذهب إلى قبة كانت فى الجزيرة ليقابل البدوى . **وهناك وجد البدوى يؤم جماعة من الأولياء . وبعد الصلاة تعلق القاضى بأذياله حتى يعفو عنه ، فدفعه دفعة لطيفة حملته إلى باب داره بمصر ! ومن هول الصدمة بقي ثلاثة أيام أخرس لا يتكلم !** [2]

**فهذا جزاء النصيحة !**

ـ وتجرأ رجل فنصح أبناء قريته بألاَّ يقصدوا احتفال مولد البدوى ، فَوَشَى به رجل آخر . فقال البدوى: «ستطلع له حبَّة ترعى فمه ولسانه» وقد كان حتى مات بها ! [3]

وأسر الإفرنج شاباً ، فتوسلت أمه إلى البدوى أن يطلق سراحه ، فأحضره إليها وهو فى قيوده» [4]

قلت : لماذا لم يطلق سراح جميع الأسرى المسلمين ؟

**وعند الصوفية يمكن أن يوجد الولى فى عدة أماكن فى وقت واحد .** [5] **فلا قدسية لقانون الهوية الذى يستند إليه الفكر الإنسانى نظراً وعملاً !**

---

( ١ ) نفسه ؛ ص٥٦٦

( ٢ ) نور الدين الحلبى ؛ سيرة السيد أحمد البدوى ؛ ص ١١٠-١١١

( ٣ ) نفسه ؛ ص١١٩ ( ٤ ) الحلبى ؛ سيرة السيد أحمد البدوى ؛ ص١١٣

( ٥ ) الشعرانى ؛ الأجوبة المرضية ؛ ص٤٢٣

● **ابن عربى وأنسنة الإله !**

**ويعتبر ابن عربى من القائلين بأنْسنة الإله ، فنظرية وحدة الوجود التى قال بها تقول إن الله هو عين الأشياء وعين نفسه !**

وتقول :«الحق هو عين كل معلوم» يعنى الله موجود فى كل ما هو معلوم والله عنده مُنزَّه ومُشبَّة معاً ! والحقيقة الوجودية واحدة فى جوهرها . فالله موجودوالأشياء موجودة ، والوجودان وجود واحد ! والله له وجودان : وجوده فى ذاته ، ووجوده فى شكل أشياء العالم !

**فما نظرت عينى إلى غير وجهه ولا سمعت أذنى خلاف كلامه !**

ـ وهذا منتهى الغلو فى أنسنة الإله ، بل «شيأنة» الإله ، أى تصوره كشىء مادى . فكل وجه يراه ابن عربى هو وجه الله وكل صوت يسمعه هو صوته ! [١]

وأحسب أننى لا أحتاج إلى كلام كثير لأثبت أن هذه الفلسفة تتناقض مع مذاهب أهل السُّنة ومذاهب أهل القبلة جميعاً .

ويغلو ابن عربى فى تعبيراته غلواً شديداً حتى يخرج من الملة !

من ذلك بيت الشعر القبيح القائل :

● **فيحمدنى وأحمده : ويعبدنى وأعبده !**

وقد حاول الشعرانى تفسير هذا البيت بما يزيل عنه فحشه ، لكنه زاد الطين بلة ! فقد أورد أقوالاً لابن عربى تؤكد أن العبادة ذلة للمعبود ، ولا تليق بجلال الخالق جل وعلا ! فإذا كان ابن عربى قد عرف هذا ، فلماذا قال ذلك البيت ؟ لماذا أثبته فى مؤلفه ؟ لماذا لم يمحه ؟ [٢]

وإلى شىء قريب من فكر ابن عربى ذهب الحسين بن منصور الحلاج . **فقد كان يقول :«أنا الحق» أى «أنا الحق الخالق» أى :«أنا الله !»** [٣] وقد أتى من الأقوال والأفعال ما أوجب كفره وقتله، علَى الزندقة التى ثبتت عليه بإقراره. [٤]

---

(١) ابن عربى ؛ فصوص الحكم ؛ المقدمة ؛ ص ١٨٨ ؛ ص٣٤٦
(٢) الشعرانى الأجوبة المرضية ؛ ص٣٩٤ـ٣٩٦
(٣) د. عبد الرحمن بدوى ؛ شخصيات قلقة فى الإسلام ؛ ص ٧٠
(٤) ابن تيمية ؛ جامع الرسائل ؛ ص ١٨٧ ، ١٩٩

## ● السهروردى

وأما السهروردى ( شهاب الدين عمر ) فادعى النبوة ، وزعم أن الله قادر على إرسال نبى بعد محمد ﷺ ، محتجًا بأن الله قادز علي كل شيء . والمغالطة هنا هى إغفال عقيدة خَتْم النبوة التى أكدها القرآن بقوله تعالى ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ [الأحزاب : ٤٠ ] **فالله لن يخلق نبياً بعد محمد بإرادته العلوية لا عن عجز وغياب قدرة .**

ويغالى السهروردى فى تصوير رتبة المشيخة فيقول :« إن المجذوب المتدارك بالسلوك ، يبادئه الحق بالكشوف وأنوار اليقين ، ويرفع عن قلبه الحجب ، ويستنير بأنوار المشاهدة ، وينشرح صدره ، وينفسح قلبه ، ويتجافى عن دار الغرور ، وينيب إلى دار الخلود ، ويرتوى من بحر الحال ... ويقول معلناً : **لا أعبد ربًّا لم أره !**»[1]

فهل هو يطلب رؤية الرب تعالى ، أم يقرر أنه رآه ؟ وفى الحالتين لا سند له من الشرع عند السُّنة أو الشيعة .

ويكثر حديث الصوفية عن تجلِّى الله تعالى لأوليائهم . وقد تتوالى أنوار التجلى على قلب الولى ، كالبروق المتتابعة المتصلة التى تحيل الليل إلى نهار دائم : « فالعوام فى غطاء الستر والخواص فى دوام التجلى »[2]

## ● علم الصوفية من عند الله لا من الكتب !

**والصوفية يقولون إنهم يتلقون العلم من الله تعالى ، لا من الكتب ولا من الأموات ، ويسخرون من العلوم الإسلامية التى يتلقاها العلماء بالإسناد**. فيقول أبو يزيد البسطامى للفقهاء :« أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا نحن علمنا عن الحي الذى لا يموت »[3] وهذا يتناقض مع قول السهروردى إن :كل علم لا يوافق الكتاب والسنة وهو مستفاد منها أو معين على فهمها أو مستند إليهما كائناً ما كان ، فهو رذيلة وليس بفضيلة »[4]

---

( ١ ) عوارف المعارف ؛ جـ ١ ص٢٤٣ ( ٢ ) الرسالة القشيرية ؛ جـ ١ ص٢٧٦

( ٣ ) الشعرانى ؛ كتاب الجواهر والدرر ؛ ص١١٨

( ٤ ) عوارف المعارف ؛ ص١٧١

ـ وقال عبد القادر الجيلي :«**أوتيتم معاشر الأنبياء اللقب وأوتينا ما لم تؤتوا ! يعني :حجر علينا اسم النبي مع اطلاعنا على علمه من طريق كشفنا**»[١]

## ● الغلو في التفسير

ـ والصوفية من بين أهل السُّنة ذهبوا في تفسيرهم للقرآن مذاهب غريبة ومريبة . يقول الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله :«فهذا الذي قاله سهل التستري والذي قاله أبو عبد الرحمن السلمي مشكل كالمروي عن ابن عباس ، بل وأعظم منه إشكالاً حيث ادَّعوا أن هذه الحروف ( ألام ـ أل ر . . .الخ ) ترمز إلى أسرار غيبية ومعان مكنية . وإذا جُمعت هذه الحروف على طريقة مخصوصة كان كذا وكذا ، بل ويَّدعون أحياناً أن هذه الحروف هي أصل العلوم ومنبع المكاشفات على أحوال الدنيا والآخرة ، وينسبون ذلك إلى أنه مراد الله تعالى في خطابه العرب الأمِّية التي لا تعرف شيئاً من ذلك . **وهذه كلها دعاوى يدَّعونها على القرآن ، ولا أحسب أنهم استندوا فيها إلى دليل برهاني أو إقناعي** . وكل ما أقوله فيها : إنها دعاوى محالة على الكشف والاطلاع، ودعوى الكشف والاطلاع لا تصلح دليلاً شرعياً بحال من الأحوال »[٢]

قال الإمام أبو الحسن المفسر رحمه الله :«صنَّف أبو عبد الرحمن السلمي « حقائق التفسير » ، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر ! »[٣] وقال النسفي :«النصوص على ظواهرها ، فالعدول عنها إلى معانٍ يدعيها أهل الباطن إلحاد »[٤]

ويعلق د . الذهبي على هذه التفاسير فيقول :«إن مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن مزلَّة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم . وليتهم احتفظوا بها عند أنفسهم ، ولم يذيعوها على الناس فَيُوقعوهم في حيرة واختلاف ، منهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك مراد الله من كلامه ، وإذا عارضه ما يُنقل في كتب التفسير على خلافه فربما كذَّب به أو أشكل عليه . . » [٤]

---

( ١ ) الشعراني ؛ السابق ؛ ص ١٨١
( ٢ ) التفسير والمفسرون ؛ ح٢ ص٣٩٤
( ٣ ) نفسه ؛ص٣٩٩
( ٤ ) نفسه ؛ ص ٤٠٨

## ● ادعاء النبوة

وادعاء النبوة أحد مظاهر الغلو من جانب مدعيها لنفسه ومن جانب من يدعيها لغيره . وفى عهد النبوة المحمدية ادعى النبوة الأسود العنسى فى اليمن ومسيلمة الكذاب فى اليمامة . [١] وعلى امتداد التاريخ الإسلامى توالى الأدعياء الكذابون ، ولا يزالون حتى اليوم ، بعضهم أشخاص بارزون فى أقوامهم ، وبعضهم أفراد عاديون ، استغلوا جهل من حولهم ، فصدقوهم ، حتى إذا ذاعت أخبارهم حوكموا وسجنوا وذهبوا أدراج الرياح .

ـ ومشهور جداً الشاعر الكبير أبو الطيب المتنبى (٣٠٣-٣٥٤هـ) الذى اتهم بادعاء النبوة ، ونفاها عنه بعض نقاده . لكن بعض أبيات الشاعر تشير إلى صحة الاتهام . ومن ذلك قوله :

**ما مقامى بأرض نخلة إلاّ كمقام المسيح بين اليهود !**

وكان فى صغره اتصل برجل من المتفلسفة بالكوفة ، فَلَوَّث عقله بأفكار فلسفية مضطربة . وقد سئل عن حقيقة ادعائه النبوة فقال :«**هذا شىء كان فى الحداثة**» ولا يُعرف يقيناً إن كان المتنبى سنياً أو شيعياً . وكان هو حريصاً على إخفاء نسبه ، ولم يكن يُعنىَ بأن يعرف عنه إلا أنه المتنبى . [٢]

## ● الغلو فى الفروع

● وقد يكون الغلو فى بعض ممارسات التعاليم العملية ، والشكلية منها خاصة، مثل التيامن، وتجصيص القبور، وإعفاء اللحية وقص الشارب، والسماع أو الغناء، والتصوير، والتعصب للمذهب ورفض المذاهب السُّنية الأخرى، ومخاصمة أتباعها، وصبغ الشعر وسَدْله، والصلاة خلف الحليق .

ـ هذا النوع من الغلو شائع بين السلفيين المعاصرين، حتى صار مذهباً يميزهم . وأعالج هنا مسائل: **قَصّ الشارب وإعفاء اللحية وحكم الصلاة خلف الحليق، وصبغ الشيب وسَدْل الشعر**، كنماذج لهذا النوع من الغلو لدى أهل السنة أو بعضهم، لأن تغطية المسائل كلها يخرجنا عن موضوعنا ويضخم الدراسة دون مسوِّغ.

---

(١) راجع المبحث الأول ـ حركة الردة .

(٢) عبد الرحمن البرقوقى ؛ شرح ديوان المتنبى ؛ المقدمات

● وأصل القضية أن إعفاء اللحية وتقصير الثياب، والاعتمام، تستند إلى تعاليم إسلامية تبتغى تمييز الجانب الخارجى المحسوس من شخصية المسلم، كما هى متميزة فى المخبر والجوهر بعقيدة التوحيد، وفى السلوك الأخلاقى بالإيثار والغيرية . وهذه التعاليم تكملها أوامر أخرى تقضى بتحريم لُبْس الذهب للرجال، ومحاكاة الرجال النساء، والنساء الرجال، وتنظيم الولائم (العقيقة والزواج) واحتفالات الأعياد، واتخاذ التقويم الهجرى، وطراز العمارة الإسلامى . ويهمل المسلمون العديد من هذه التعاليم، حتى الذين يغالون فى إيجاب قص الشارب وإعفاء اللحية!

## ● قص الشارب

وفى قص الشارب ثلاثة أحاديث حيث قال رسول الله ﷺ : «مَنْ لم يُؤخذ من شاربه فليس منا.»[1] وقال أيضاً «من الفطرة قصُّ الشارب.»[2] وأبعد رجلاً له شارب طويل فقصَّه.»[3] وعلى الرغم من القوة فى الحديث الأول مما يرجح أنه للوجوب فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يقص شاربه ، بل كان يوفره ، وكان إذا غضب فَتَلَهَ.[4] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يلقاه كل يوم تقريباً ، ولم يؤثر عنه أنه أمره بقصه. والأرجح أن عمر فهم الأمر على أنه مستحب.وربما كان يقص أطراف شاربه وبذلك يحقق السُّنة مع بقاء الشارب بارزاً.

ـ ويقول ابن دقيق العيد رحمه الله إن أحداً لم يقل إن القصَّ واجب .[5] ومفهوم الأحاديث صريح بأن المطلوب القص ، وليس الحلق الذى يأتى على أصول الشعر ، بل إن الحلْق مخالف للأمر بالقص وسوء فهم له ، ومن ثم يكون معصية للنبى ﷺ .ولكن بعض الغلاة يحلقون الشوارب ويحسبون أنهم بذلك يصيبون السُّنة ، وهم يتنكبونها ، والأدهى من هذا أنهم يعتبرون مجرد تقصير الشارب لا يجزئ ، ومن ثم ينفرون من المقصرين نفوراً ظاهراً باعتبارهم عصاة !

## ● إعفاء اللحية

وقد جاء الأمر النبوى الكريم بإعفاء اللحية للغاية نفسها أعنى مخالفة

---

(١،٢،٣) فتح البارى؛ رقم ٥٨٨٨ ورقم ٥٨٨٩ وشرحه – جـ ١٠ صـ٣٣٧
(٤) فتح البارى ؛ شرح الحديث ؛ ص ٣٤٨-٣٣٥ (٥) الموضوع نفسه .

المشركين ، فقال صلى الله عليه وسلم وآله :« خالفوا المشركين ! وفِّروا اللِّحى وأَحَفُّوا الشوارب »[١] ومعروف أن المشركين العرب كانوا يوفرون لحاهم ، فلا يحقق المخالفة لهم إلا حَفُّ الشوارب . وكان المسلمون يعرفون كيف يخالفون المشركين ويحرصون على ذلك باعتباره علامة خارجية تبين أن ذلك الشخص مسلم .

ـ وفي العصر الحديث جاء المستعمرون إلى بلاد المسلمين بعاداتهم القبيحة ، وقلدهم السُّوقة أولاً ، ثم الكبراء ثانياً ، ثم عامة الأمة ، فحلقو اللحى والشوارب وحاكوهم فى الملْبس والمسكن والمآكل وكل شيء تقريباً ، إلا من رحم الله تعالى ! وتحرك العلماء وبحثوا المسألة ، فذهب بعضهم إلى أن الإعفاء واجب والحلاقة حرام، وذهب آخرون إلى أن الإعفاء مستحب ، والحلاقة مخالفة لا تُذَم ، وذهب فريق ثالث إلى أن الإعفاء مباح وكذلك الحلاقة .

ـ ويقول الإمام الغزالى رحمه الله إن صيغة الأمر « وَفِّرُوا » تحتمل خمسة عشر وجهاً ، منها الوجوب والندب والإباحة والإرشاد والتأديب .[٢] وهذه الصيغة : « ترجح جانب الفعل على جانب الترك بأنه ينبغى أن يوجد » . والواجب والمندوب واحد منهما ينبغى أن يوجد .فتوفير اللحى هو الأرجح . ولكن القول بأنه واجب يتطلب قرينة كالعقاب على الحلق أو الوعيد به أو غير ذلك . فإذا لم توجد قرينة ، كان العمل بالأمر مستحباً فقط ، وليس بواجب . **فإعفاء اللحية مستحب بناء على ذلك ، وترك المستحب لا يستحق الذم** .[٣]

ـ وغير المسلمين اليوم يعفون لحاهم ويقصون شواربهم ، فلم يعد الإعفاء كافياً لتحقيق المصلحة الشرعية المبتغاة من ورائه . ويقول الأصوليون إن السبب الذى جُعل لمصلحة يفقد مشروعيته إذا ثبت أنه لا يحققها .[٤] وهذه ليست دعوة لحلق اللحى ، معاذ الله ، ولكنها دعوة إلى معرفةالسُّنة معرفة سديدة ، ومن ثم البرْء من الغلو وتكفير المخالف والنفرة من المسلمين ومخاصمتهم دون داع .

---

(١) نفسه ، رقم ٥٨٩٣ ؛ ورقم٥٨٩٢ ؛ ص٣٣٤؛ ص٣٤٩
(٢) المستصفى ؛ ص٢٩٣ (٣) نفسه ؛ ص ٨١-٩٢
(٤) الموافقات ؛ جـ١ ص١٧٠،١٧٣

## ● حكم الصلاة خلفاً الحليق

مما سبق علمنا أن الحليق تارك لمستحب ، وترك مستحب لا يكفِّر ولا يفسِّق . وقد علمتنا السُّنة المطهرة أن الشطر الأول لإمامة الصلاة هو : إجادة قراءة القرآن الكريم . لقوله صلى الله عليه وسلم وآله :« يؤُمُّهم أَقْرؤُهم لكتاب الله »(١) وأقرؤهم يعنى أفقههم . (٢)

ولم يُذكر إعفاء اللحية كشرط للإمامة . وإذا توفر الشرط الجوهرى جاز أن يؤم المصلين : المبتدع والمخنث والمشارك فى الفتنة وولد الزنا والغلام والعبد والأعرابى . (٣)

## ● سَدْل الشعر أو فَرْقُه

وقد سَدَل النبى صلى الله عليه وسلم وآله شعره حين هاجر إلى المدينة لكي يتألف اليهود . فلما عاندوه وكذبوه وتآمروا عليه ولم يعد ثمة أمل فى تألفهم ، فَرَقَ شعره . وربما يكون السَّدْل قد جرى قبل الهجرة لتمييز المسلمين من المشركين، وكان الفرق فى المدينة بعد عناد اليهود .

فالسدل أو الفرق سبب لمصلحة شرعية ، فإذا لم يحققها يصير الأَوْلى تركه، والتماس أسباب أخرى . (٤)

## ● صبغ الشيب

كذلك أوصى النبى ﷺ بالخضاب ( أو صبغ الشيب ) وقال :« إن اليهود والنصارى لا يصبغون ، فخالفوهم »(٥) فالغاية أو المصلحة هى نفسها الغاية من قص الشارب :« فكان أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ يُخضِبّ بالحناء والكتم »(٦) لكن بعض الصحابة لم يخضب ، ولا أثر أن النبى أنكر عليهم ذلك ،

---

( ١ ) فتح البارى ،جـ ٢ باب٥٤ ص١٨٤

( ٢ ) ابن رشد ، بداية المجتهد ، جـ ١ ص١٧٤

( ٣ ) فتح البارى ، جـ ٢ باب٥٦، ص١٨٨ - ١٩٠

( ٤ ) ابن قدامة ، المغنى ، جـ ١ ص٨٨ - ٨٩

( ٥ ) فتح البارى ، الحديث رقم ٥٨٩٩ .

( ٦ ) صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ١٥ ،ص٩٤

وهذا يدل على أن الأمر للإباحة ، مثل قص الشارب ، ولكن البعض صنع من المسألة قضية خلافية خطيرة ! [١]

ـ وقد اختلف العلماء فى الخضاب فى العصور التالية فى الخضاب ، فقال النووى رحمه الله : إن الخضاب أولى إلا إن كان من عادة أهل البلد ترك الصبغ ، وأن الذى ينفرد بدونهم بذلك يصير فى مقام الشهرة ، فالترك فى حقه أولى »[٢] وهكذا نجده يأخذ عادات أهل البلد فى الاعتبار عند ترجيح الصبغ أو تركه ، وذلك يدل على أن الأمر للإباحة . وإذا نحن عالجنا المسألة انطلاقاً من الناحية الأصولية ننتهى إلى الحكم نفسه ؛ لأن الصبغ جُعل سبباً لمصلحة شرعية هى : تمييز المسلم من غيره من ظاهره ، فإذا لم يحقق تلك المصلحة ، بل أدى إلى مفسدة ، فقد الشرط مشروعيته وصار الأولى تركه [٣]

وقد شهدت خلافاً حاداً فى مسجد فى أمريكا عند صلاة الفجر لأن بعض المصلين دأب على القنوت ، وبعض السلفيين يرفضون ذلك ، وكادت الشمس تشرق دون أن يتفقوا على شيء !

ـ فلا نملك سوى أن نسأل الله تعالى البراءة من الغلو لأنفسنا ولإخواننا . لأنه معصية وليس تديناً ، كما يظن الغلاة .

## ● حماقات غلاة الأمويين !!

**ويرفض ابن تيمية غلو بعض الأمويين** ، فيقول : « وأما غالبية الشاميين ـ أتباع بنى أمية ـ فكانوا يقولون : إن الله إذا استخلف خليفة **تقبل منه الحسنات وتجاوزله عن السيئات ! وربما قالوا : إنه لا يحاسبه** ! ولهذا سأل الوليد بن عبد الملك عن ذلك العلماء ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين : أنت أكرم على الله أم داود ؟ وقد قال له **﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾** [ ص: ٢٦ ] [٤]

---

( ١ ) انظر ابن قدامة ؛ المغنى ؛ جـ ١ ، ص ٩٢

( ٢ ) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ جـ ١٠ ، ص ٣٥٥

( ٣ ) الشاطبى ؛ الموافقات ؛ جـ ١ ؛ ص ١٧٠ ـ ١٧٣

( ٤ ) ابن تيمية منهاج السنة النبوية ؛ جـ ١ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣

## المبحث الثامن

# المذهب الإمامى ورؤية أهل السُّنة له

**● من هم الشيعة ؟**

عرفنا أشياء عن الشيعة فيما سلف من هذه الدراسة ولكننا لا نزال نحتاج إلى المزيد من المعرفة بهم . فنحن أهل السُّنة ، وخصوصاً فى البلاد التى لا توجد فيها أقليات شيعية ، لا نكاد نعرف عن الشيعة إلا القليل . فأريد أن أضع المعالم الأساسية للمذهب الإمامى الاثنا عشرى خاصة ، أمام أنظار المسلمين السُّنة ، ومعها أكبر قدر ممكن من المعرفة بعناصر المذهب وجزئياته . وسوف ألتزم ، كما أفعل دائماً ، بالحق ، والموضوعية بقدر ما أستطيع ، وبالله تعالى التوفيق .

**● أصل لفظ «شيعة»**

يقول السيد محمد الموسوى الشيرازى إن : «رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله هو الواضع لكلمة شيعة علي» على عدد من أصحابه الكرام كسلمان وعماد وأبى ذر وغيرهم من أفضل الصحابة المقربين والمؤمنين المكرمين»[1] غير أنه لم يقدم الدليل الذى يثبت ذلك .

ـ ولفظ شيعة لفظ عربى ، وقد ورد فى القرآن الكريم عشر مرات بصيغ مختلفة . وهو يعنى : الفرقة والجماعة ، والأتباع والأنصار .[2]

**● تعريف الشهرستانى**

ويعرِّف الشهر ستانى الشيعة فيقول :«الشيعة هم الذين شايعوا عليًّا رضى الله عنه على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نَصّاً ووصيَّة ، إما جليّاً وإما خفياً ،

---

(١) ليالى بيشاور ؛ ص٥٩ (٢) المعجم الوسيط .

واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو تقية من عنده . وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحية تُناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هى قضية أصولية ، وهى ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله ، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله . ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر ، والقول بالتولى والتبرِّى قولاً وفعلاً وعقداً ، إلا فى حال التقية . [١] والتولِّى يعنى تأييد الإمام والتبرِّى يعنى البراءة من مخالفيه وأعدائه .

ثم يعود الشهرستانى ليلقى المزيد من الضوء على التعريف بهذه الفرقة ، فيقول: «هم القائلون بإمامة علي رضى الله عنه بعد النبى عليه السلام ، نَصّاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً ، من غير تعريض بالوصف ، بل إشارة إليه بالعين . قالوا : وما كان فى الدين والإسلام أمر أهمُّ من تعيين الإمام ، حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة ، فإنه إنما بُعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق ، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملاً يرى كل واحد منهم رأياً ، ويسلك كل واحد منهم طريقاً لا يوافقه فيه غيره ، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه ، وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه . وقد عَيَّن عليًا رضى الله عنه ، فى مواضع تعريضًا وفى مواضع تصريحاً»[٢] والتصريح حدث يوم «غَديرخُم» وأحاديث أخرى ووقائع فسروها بأنها وصية لعلي بالخلافة .

ـ واستناداً إلى هذا استجاز بعض الشيعة لأنفسهم الطعن فى أبى بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة الذين أيدوا أبا بكر وعمر ، وكفروهم ، ووصفوهم بالظلم والجور وبأشنع الموبقات ! لكن أئمة الشيعة ـ وخصوصاً علي والحسن والحسين والباقر والصادق والسجاد والكاظم ، تبرأوا من أولئك الأتباع وأدانوا سلوكهم المشين .

ـ ويعقب الشهرستانى قائلاً «كيف يستجيز ذُودين الطعن فيهم ونسبة الكفر إليهم ؟ وقد قال رسول الله ﷺ :«عشرة من أصحابى فى الجنة :أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن ابن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ؟» [٣]

---

(١) الملل والنحل ؛ جـ ١ ص١٤٦ (٢) نفسه ؛ جـ ١ ص ١٦٢ (٣) نفسه ؛ ١٦٣

ـ ويرد ابن تيمية على سباب الشيعة بقوله إنه إذا صح موقفهم لزم أن تكون هذه الأمة شر الأمم ، ولا أن يكون أولها خيرها ! وَلأنَّا نحن نعلم أن المتأخرين ليسوا مثل الصحابة ، فإن كان أولئك ظالمين مصرِّين على الظلم ، فالأمة كلها ظالمة ! فليست خير الأمم »[1]

ـ وهذه اللازمة تناقض شهادة القرآن لأمتنا بالخيرية ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾[آل عمران : ١١٠ ]

### ● فرق الشيعة

واختلف الشيعة وتفرقوا إلى فرق عديدة : الكَيسانية ( أربع فرق ) والزَّيدية ( ثلاث فرق ) والإمامية ـ التي هي موضوع دراستنا المقارنة هذه ، ( ست فرق ) ، والغالية ( عشر فرق ) [2] . وعدَّهم « الإيجي » اثنتان وعشرين فرقة ، وأصولهم ثلاث فرق : الغلاة ( وهم ثماني عشرة فرقة ) والزيدية ثلاث فرق ( والإمامية ) [3]

وصنَّفهم الفخر الرازى تصنيفاً مختلفاً قليلاً عن تصنيف الشهرستاني والإيجى، فقال :« الشيعة جنس تحته أربعة أنواع :الإمامية ، والكيسانية ، والزيدية ، والغلاة الإمامية . فالإمامية استقر رأيهم على أن الإمام بعد الرسول عليه الصلاة والسلام علي بن أبى طالب ، ثم ولده الحسن ، ثم أخوه الحسين ، ثم ابنه علي ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ، ثم ابنه موسى الكاظم ، ثم ابنه على الرضا ، ثم ابنه محمد المتقي ، ثم علي التقى ، ثم ابنه الحسن الزكى ، ثم ابنه محمد ـ وهو القائم المنتظر ، رضوان الله عليهم أجمعين . وقد كان لهم فى هذه المراتب اختلافات . فيقول القائلون بالنص الجلى على عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه . واتفقوا على أنه متعين للإمامة . وقالت الإمامية الأمر بعد النبى صلى الله عليه وسلم وآله إلى عليّ بن أبى طالب ، يفعل فى الإمامة ما أحب ، إن شاء جعلها لنفسه ، وإن شاء وَلَّاها غَيْرَه »[4]

---

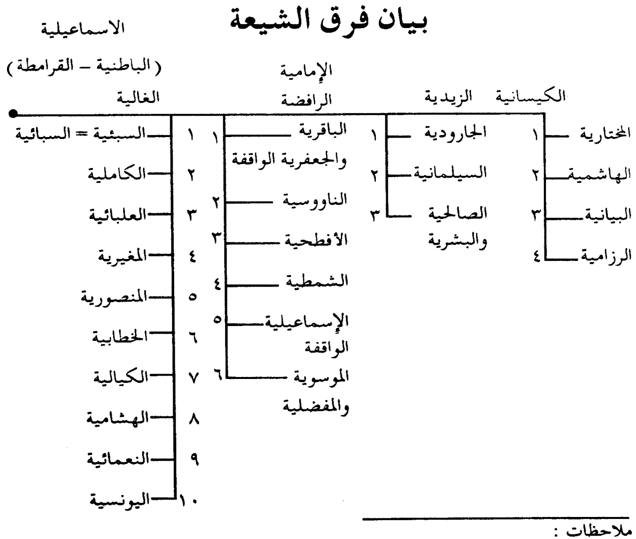
( ١ ) منهاج السنة ؛ جـ ٤ ص ٢٠٤

( ٢ ) انظر البيان فى الصفحة التالية

( ٣ ) الإيجى؛ المواقف ؛ ص٤١٨

( ٤ ) فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص٢٤١

# بيان فرق الشيعة




---

ملاحظات :

١– هذا هو تصنيف الشهر ستانى فى الملل والنحل .
٢– ٤ + ٣ + ٦ + ١٠ + ١ = ٢٤ = عدد فرق الشيعة
٣– عد أصناف الشيعة ٥ ، وهم : الكيسانية ، والزيدية ، والإمامية الروافض والغالية ، والإسماعيلية ( وهم الباطنية والقرامطة )
٤– أما عند الأشعرى فالتصنيف يختلف .
٥– فالشيعة عند الأشعرى ٣ أصناف ، وليس ٥ ، وهم : الغالية ، والإمامية ( الروافض ) ، والزيدية
٦– والأشعرى يُدخل الكيسانية ضمن الإمامية ( الرافضة ) ؛ والظاهر أنه يُدخل الإسماعيلية ( الباطنية أو القرامطة ) ضمن الإمامية .
٧– والإمامية ( الرافضة ) عند الأشعرى ٢٤ فرقة ( وليس ٦ كما عند الشهرستانى )
٨– والزيدية عند الأشعرى ٦ فرق ( لا ثلاثة كما عند الشهرستانى )
٩– الإمامية ، والرافضة ، اسمان لفرقة واحدة بعينها .
١٠– الإسماعيلية ، والباطنية ، والقرامطة ، والتعليمية ، والملحدة ، كلها أسماء لفرقة واحدة بعينها .
١١– الغالية عند الأشعرى ١٥ فرقة ( لا عشرة كما عند الشهر ستانى )

وقال الرازى :« إن الإمامية يؤمنون بأنه يجب على الله تعالى نَصْبَ الإمام ليكون لطفاً لنا فى فعل الواجبات العقلية وفى ترك القبائح العقلية ، وليكون أيضاً حافظاً للشريعة ومبيناً لها »[١] . وقال الرازى :« إن الاثنا عشرية والشيعة ، قالوا : « إن وجوب العصمة شرط لصحة الإمامة » ثم يعلق على هذا بقوله : إن الدليل أثبت صحة إمامة أبى بكر ، مع أنه لم يكن معصوماً .[٢]

ويعترض الرازى على قول الإمامية إن النبى صلى الله عليه وسلم وآله نَصَّ على إمامة علي ، لأن :« النص على هذه الخلافة واقعة عظيمة . والوقائع العظيمة يجب اشتهارها جداً . فلو حصلت هذه الشهرة لعرفها المخالف والموافق . وحيث لم يصل خبر هذا النص إلى أحد من الفقهاء والمحدِّثين ، علمنا أنه كذب »[٣] لكن الشيعة تؤكد وصوله .

ويقول البغدادى :« وجميع فرق الغُلاة منهم ( يعنى من الشيعة ) خارجون عن فرق الإسلام . فأما الزيدية وفرق الإمامية فمعدودون فى فرق الأمة »[٤] والشيعة أنفسهم يكفرون الغلاة .

ويقول الإمام النووى شارح صحيح الإمام مسلم رضى الله عنه :« واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفَّر أحدُ من أهل القبلة بذنب ، و لايكفر أهل الأهواء والبدع، وأن مِن جحد ما يُعلم من دين الإسلام ضرورة حُكم بِردَّته وكفره ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، أونَشأ ببادية بعيدة ونحوه ، ممن يخفى عليه ، فَيُعَرَّف ذلك ، فإن استمر حُكم بكفره . وكذا حكم كل من استحل الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التى يُعلم تحريمها ضرورة »[٥]

فالإمامية الاثنا عشرية الذين ندرس مذهبهم هنا مسلمون ، ولم يقل أحد من أهل السُّنة غير ذلك .

---

( ١ ) فخر الدين محمد بن عمرالخطيب الرازى ؛ أصول الدين ؛ ص١٣٣ – ١٣٤
( ٢ ) نفسه ؛ ص١٣٦ ( ٣ ) نفسه ؛ ١٣٧ ( ٤ ) الفرق بين الفرق ؛ ص٢١
( ٥ ) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ جـ١ ص١٥٠ – الهامش

## ● لماذا سموا روافض ؟

وقد سُمّوا « روافض » أو « رافضة » لرفضهم إمامة أبى بكر وعمر . وهم مجمعون على أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله نَصَّ على استخلاف عليّ بن أبى طالب باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف ، وأنها قرابة ، وأنه جائز للإمام فى حال التقّية أن يقول : إنه ليس بإمام . لكن الشيعة « الكاملية » وهم أصحاب أبى كامل « أكفَرُوا الناس بترك الاقتداء به ، وأكفروا علياً بترك الطلب » وانقسم الكاملية أربعة وعشرين فرقة ! [1] وهذه فوضى مذهبية واعتقادية وغُلو أفضى إلى تكفير بعضهم بعضاً .

لكن فخر الدين الرازى يقول إنهم سُموا روافض :« لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب رضى الله عنه خرج على هشام بن عبد الملك ، فَطَعَنَ عسكرُه فى أبى بكر ، فمنعهم من ذلك ، فرفضوه ، ولم يبق معه إلا مائتا فارس ، فقال لهم : رفضمتونى ؟ قالوا : نعم . فبقى عليهم هذا الاسم . وهم طوائف : الزيدية والإمامية والكيسانية »[2]

وقد زوُرت على رسول الله ﷺ أحاديث تقول : إن الرافضة مشركون ، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون » ![3]

## ● الإمامية مسلمون

والحق أن الاثنا عشرية مسلمون فى اعتقاد أهل السُّنة كما سبق أن بينت . ورفض إمامة أبى بكر لا يكفرهم ، لأنهم متأولون . وكذلك خلاف زيد بن علي ابن الحسين مع جنوده لا يكفر بمعايير التكفير عند أهل السُّنة . فلم يبق إلا أن نقول إن « الرفض » صار تهمة طائشة وجهت للمخالفين من الشيعة ، وجهها بعض أهل السُّنة بمعان متباينة ، ولكن كبار العلماء السنيين لم يستخدموها بمعنى رفض

---

(١) مقالات الإسلاميين ؛ ص٨٨ – ٨٩

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ؛ ص٧٧

(٣) ابن الجوزى ؛ العلل المتناهية ؛ ج١ ص١٥٩

الإسلام . وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ينقد الإمامية بقوة ولكنه ينصف بعضهم وينفى عنهم ضلال غيرهم فيقول :« وقول القائل إن الرافضة تقعل كذا المراد به بعض الرافضة »[1] وفى موضع آخر يقول : «**إن الإمامية ــ مع فرط جهلهم وضلالهم ــ فيهم خَلْق مسلمون ظاهراً وباطناً ، ليسوا زنادقة منافقين ، لكنهم جهلوا وضلوا واتبعوا أهواءهم**»[2] ويلاحظ الشافعى الذى عاش قبل ابن تيمية بستمائة سنة انتشار البدع بين الشيعة حتى قال :« ما كلمتُ رجلاً فى بدعة إلا رجلاً كان يتشيع »[3] ومعلوم أن الشافعى كان محباً لآل البيت حتى اتهمه هارون الرشيد بموالاة الشيعة ضد العباسيين، وأفلت الشافعى من قبضة الرشيد بذكاء إذْ قال له :أأَدَعُ من يقول إنى ابن عمه وأصير إلى من يقول إنى عبده؟! » [4]

ولم يكن بنو العباس يعطون لأبناء عمومتهم اعتباراً ، وإلا لما صنع هارون بالشافعى ما صنع من استدعاء وترويع واتهام ، دون اعتبار لقرشيته أو لمكانته العلمية الكبرى . ولم يكن الشيعة يقولون عن أمثال الشافعى إنهم عبيدنا . فكانت مقولة الشافعى « تقيّة »!

**● جوهر التشيع ، مدرسة آل البيت**

وصفوة القول إذن إن ما يميز الشيعة كفرقة إسلامية مختلفة عن الفرق الأخرى **هو اعتقادهم بأن علي بن أبى طالب هو أفضل الناس بعد النبى ، وأنه أحق بإمامة المسلمين من أبى بكر وعمر وعثمان ، وولده من بعده . فمن آمن بهذا فهو شيعى حتى لو اختلف معهم فى المسائل الأخرى** . [5] وهكذا وجدنا فرق الشيعة تختلف فى أشياء عديدة لكنها تتفق فى أفضلية علي بن أبى طالب . مثلاً فى اليوم التالى لقدوم المعز لدين الله الفاطمى إلى مصر ، وكان المصريون أهل سُنَّة ، كتب إلى المشايخ يقول :« خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله

---

(١) منهاج السنة النبوية ؛ جـ ١ ص٨ (٢) نفسه ؛ جـ ١ ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩
(٣) آداب الشافعى ومناقبه ؛ ص١٨٦ (ولد الشافعى سنة ١٥٠ ؛ ومات سنة ٢٠٤هـ)
(٤) نفسه ؛ ص٧٨ ؛ الهامش (٥) الشيعة فى التاريخ ؛ص١٣

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»[1] وظل الفاطميون يحاولون نشر هذه العقيدة فى مصر حوالى قرنين ونصف ( من سنة ٣٢٢ـ إلى سنة ٥٦٧هـ) حين انتهت دولتهم بانتصار صلاح الدين الأيوبى . ومن المدهش أن الشعب المصرى ظل محافظاً على مذهبه السُّنى ، على الرغم من حبه الشديد لآل بيت النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

**● الشيعة مدرسة آل البيت**

ويصف أحد الكتاب المعاصرين الشيعة فيقول :«**إن التشيع هو المدرسة التى تبنت زعامة أهل البيت عليهم السلام فكرياً وسياسياً . ومن زاوية تاريخية ، هو : الحركة التى ناضلت من أجل هذه الزعامة بوصفها القيادة الإسلامية الصادقة والمستوعبة ، وبوصف أهل البيت عليهم السلام الممثلين الحقيقيين للإسلام**»[2]

وهذا التعريف غير دقيق ، لأن كثيراً من أتباع الفرق الأخرى تتبنى زعامة علي بن أبي طالب والحسن والحسين ، ويتَبنَّون أفكارهم لأنها أفكار إسلامية . فمنبع الفكر عند جميع الفرق واحد ، وهو الكتاب والسُّنَّة . ومعلوم أن معظم أهل السُّنة ـ مثلاً ـ يوالون علي بن أبي طالب فى خلافه مع معاوية . ولم يحدث قط أن اعتُبر معاوية من الخلفاء الراشدين عند أهل السُّنة ، وقد أوردْت قول الشافعى الذى يضعه ضمن المبتزين . والمؤرخون من أهل السُّنة يصفون معاوية بأنه مؤسس الملك العضوض . ومن مظاهر الولاء لآل البيت بين أهل السُّنة العناية الكبرى بتراث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فأرَّخ له المؤرخون بموضوعية مشهودة وأنصفوه فى نزاعه مع معاوية ، وحقق الإمام محمد عبده كتاب «نهج البلاغة»وعلق عليه بما يكفل للمسلمين الانتفاع بما يحويه من الحكم والمبادئ .

---

(١) المقريزى ؛ اتعاظ الحنفا ؛ جـ ١ ص١٣٥

(٢) الشيعة فى التاريخ ؛ ص ٤٥ – ٤٦

● **العداء للشيخين**

**ومن المؤسف أن نقول إن من سمات المذهب الشيعى العداء للشيخين وللصحابة عامة عدا الذين أيدوا علياً** ! فأهل السُّنة يوالون زعماء الشيعة ، ومذهب أهل السُّنة يتسم بهذه السِّمة ، لكن المذهب الشيعى يتسم ـ على النقيض من ذلك – بالرفض الشديد والعنيف للشيخين ولعثمان ولسائر الصحابة . ولذلك لا يجد أهل السُّنة صعوبة فى التقرب إلى الشيعة ومشاطرتهم الحب والولاء لآل البيت، لكن الشيعة يجدون صعوبة كبيرة فى مشاركة أهل السُّنة الحب والتقدير للراشدين وسائر الصحابة الكرام رضى الله عنهم . وتبعاً لهذا الفرق الحاسم ، لا يجد السُّنى غضاضة فى الأخذ عن أمير المؤمنين علي بن أبى طالب وعن ابن عباس، وعن أئمة الشيعة ، إذا ثبت أنهم قد صدر عنهم القول أو الفعل ، كما يأخذون عن أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الروايات والأحاديث والاجتهادات بالشروط نفسها . لكن الشيعى يجد صعوبة كبرى تحول بينه وبين روايات أهل السنة . بل الشيعى يجد من العلماء الشيعة من يحرِّم عليه تلقى روايات المخالفين ! فقط علي وبنوه وأهل البيت وبنوهاشم وأبو ذرالغفارى وعمار بن ياسر ، والمقداد ، والزبير بن العوام ، وحُذيْفَة بن اليمان والبراء بن عازب ، وأُبَيِّ بن كعب ، هم الذين تُقبل رواياتهم وأخبارهم ! وعلى دعاة التقريب والإصلاح أن يجدوا حلاً لهذه المشكلة .

ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية **أن الشيعة لم يأخذوا مذهبهم عن آل البيت كما يقولون ، بل هم مخالفون لعلي رضى الله عنه وأئمة أهل البْيت فى جميع أصولهم التى فارقوا فيها أهل السنة والجماعة**: توحيدهم ، وعدلهم ، وإمامتهم! فإن الثابت عن علي رضى الله عنه وأئمة أهل البيت : من إثبات الصفات لله ، وإثبات القدر ، وإثبات خلافة الخلفاء الثلاثة ، وإثبات فضيلة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وغير ذلك من المسائل ، كلها يناقض مذهب الرافضة . والنقل بذلك ثابت مستفيض فى كتب أهل العلم بحيث أن معرفة المنقول فى هذا الباب عن **أئمة أهل البيت يوجب علماً ضرورياً بأن الرافضة مخالفون لهم لا موافقون**»[1]

(١) مناهج السُّنة النبوية ؛ جـ ٢ ص١١٦

● **من هم أهل البيت ؟**

الشيعة ـ كما ذكرت تواً ـ يُعرَّفون بأنهم أتباع آل البيت . فمن هم آل البيت ؟

جاءت آيات عديدة في سورة الأحزاب تتحدث عن أهل البيت . ونحن نستند إليها للجواب عن السؤال المطروح .

ـ قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً** ﴾ [ الأحزاب : ٢٨ ]

ـ وقال عز وجل ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً** ﴾ [ الأحزاب : ٣٠ ]

ـ وقال عز من قائل ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيراً** ﴾ [ الأحزاب : ٣٢-٣٤ ]

ومن الجلي أن الخطاب في هذه الآيات ، من أوامر ونواه ، ووعد ووعيد ، مُوَجَّهٌ إلى نساء النبي رضي الله عنهن . ويُبيِّن لهن التنزيل أن الله تعالى يريد أن يُذهب عنهن الرجس وأن يطهرهن ، إذا عملوا بهذه الأوامر وانتهوا عن تلك النواهي .

**ـ لكن المفسرين الشيعة يُخرجون نساء النبي من زُمرة أهل البيت ، لكيلا تشملهم إرادة إذهاب الرجس والتطهير الإلهي . والمقصود من وراء هذا التفسير هو إبعاد أم المؤمنين عائشة بالذات** ! وسند المفسر الشيعي هو استخدام القرآن صيغة المذكر في لفظي « عنكم » « ويطهركم » فالآيات كلها تتحدث عن نساء النبي ، وتستخدم المؤنث حتى آخر آية ، مع عبارة واحدة استخدم فيها المذكر وسط الآيات التي نادت النساء واستخدمت المؤنث أكثر من عشرين مرة ! لكن المفسر الشيعي يصر على أن نساء النبي لَسْنَ من أهل البيت ، **وإنما أهل البيت هم** فقط فاطمة وعلي والحسن والحسين .

ـ وأما المفسر السُّنى ـ القرطبى ـ رحمه الله فيقول :« والذى يظهر من الآية أنها عامة فى جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم وإنما قال ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ ﴾ ولم يقل « ويطهركن » لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وعلياً وحسناً وحسيناً كانوا فيهم ، وإذا جتمع المذكر والمؤنث غُلِّبَ المذكر ، فَاقْتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت ، لأن الآية فيهن ، والمخاطبة لهن ، يدل عليه سياق الكلام »(١)

والقرآن الكريم يقول للنبى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [ طه :١٣٢ ] وفى العربية الأهل هم الأقارب والعشيرة ، والزوجة . وأهل الدار سكانها . (٢) وبيت الزوج فى لغة القرآن الكريم هو بيت الزوجة ، فيقول سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ ﴾ [ الطلاق :١ ] وفى مرض النبى ﷺ الذى مات فيه استأذن نساءه أن يُمرَّضْ « فى بيت » عائشة . (٣)

● **آل البيت فى السُّنة**

وفى خبر عن زيد بن أرقم قال :« قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله بماءٍ يُدْعَى « خُمًّا »، بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذَكَّر ، ثم قال :« أما بعد ، ألاَ أيها الناس ! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب ، وإنى تارك فيكم ثَقَلَيْن أولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فتمَسَّكوا به وخذوا به » فحث عليه ورغَّب فيه ثم قال :« **وأهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى» قال حصين : يا زيد ، مَنْ أهل بيته ؟ أليست نساؤه من أهل بيته ؟ قال : بلى ، إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته ( أيضاً ) الذين ذَكَرَهم مَنْ حُرموا من الصدقة بعده : قال : ومن هم ؟ قال : آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس»**(٤)

---

( ١ ) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد رقم٦ـ طبعة الشعب ، ص٥٢٦٤ – ٥٢٦٦
( ٢ ) راجع معاجم اللغة .
( ٣ ) سيرة ابن هشام ؛ جـ ٤ ص٦٤٣
( ٤ ) البيهقى ؛ السنن الكبرى ؛ جـ ٢ ص١٤٨ـ وأخرجه مسلم .

هنا يبدو مفهوم أهل البيت متسعاً لكثيرين من بنى هاشم ، فضلاً عن نساء النبى رضى الله عنهن . ومن الجلي أن الحدث خلو من ذكرالوصية بالخلافة لعلي أو غيره ، وإنما ركز على القرآن وأهل بيت النبوة .

وتعليقاً على آيات سورة الأحزاب **يقول البيهقى إن الله تعالى قال «عنكم» بلفظ المذكر لأنه أراد دخول غيرهن معهن فى ذلك ، ثم أضاف البيوت إليهن فقال ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب : ٣٤] وقال البيقهى :«وفى كتاب الله البيان لما قصدناه فى إطلاق النبى** صلى الله عليه وسلم وآله «الآل» ومراده من ذلك **أزواجه ، أوهُنَّ داخلات فيه**»[١]

إذن ، نساء النبى رضى الله عنهن داخلات فى إرادة إذهاب الرجس وإرادة التطهير بحكم نص الآيات . ولكننا إضافة إلى هذا نختلف مع الشيعة فى فهمهم لإرادة إذهاب الرجس وإرادة التطهير . **فنحن نفهم أن حدوث ذلك مرهون بطاعة الأوامر التى وردت فى الآيات والانتهاء عن النواهى التى نهت عنها ، والله تعالى أعلم .**

والآيات واضحة فى الوعد والوعيد . وأهل السُّنة لا يفهمون أن الإرادة الإلهية هنا فى هذه الآية إرادة تكوين ، لأن النبى ﷺ - بُعيْد نزول هذه الآيات - دَعَا علياً وفاطمة والحسن والحسين ، ولَفَّهم فى كِسَاءٍ ، ثم قال :**«اللهم هؤلاء أهل** بيتى ، اللهم أذْهِب عنهم الرجس» **أى أنه** عليه الصلاة والسلام أحب أن يدخلهم فى الآية التى خوطب بها الأزواج . وسنرى بعد قليل أن الشيعة تؤمن بعصمة أئمتهم ، وتستند إلى هذه الآية وغيرها . وهذا فرق أساسى بين المذهبين. [٢]

**● العصمة**

**ومن الأركان الأساسية فى المذهب الإمامى الاثنا عشرى القول بعصمة الأئمة الاثنا عشر** . فالأئمة الاثنا عشر منصوص عليهم من أمر الله تعالى ،

---

(١) نفسه ؛ ص١٥٠

(٢) القرطبى ؛ الجامع لأحكام القرآن ؛ تفسير الآية .

إما مباشرة وإما بالواسطة . فالرسول نص على إمامة علي بن أبى طالب فى خطبة يوم الغدير، بأمر من الله، والنبى صلى الله عليه وسلم وآله نص على عصمة أهل البيت .

والأمة عاجزة عن تعيين الإمام ، مثلما أنها عاجزة عن تعيين النبى . فالإمامة ليست بيعة وشورى بين المسلمين . **والإمام الذى عيَّنه الله تعالى معصوم عصمة مطلقة عن كل الذنوب والآثام ، قبل البلوغ وبعده !**

**-«والعصمة منشؤها علم ، وهو ضرب من العلم الذى يمنع صاحبه من الإتيان بما يخالف أوامر الله فى السلوك والعمل»**(١)

هذه هى العصمة كما يفهمها علماء الشيعة الاثنا عشرية . ويستشهد كاتب آخر بقول الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [**النساء:٥٩**] **فيقول إن** أولى الأمر هم أهل البيت ، وقد اقترنوا بالنبى فى وجوب طاعتهم ، فهم :«معصومون من المعصية والزلل ، كالنبى صلى الله عليه وسلم وآله ، حتى اقترنوا به فى لزوم الطاعة فى الآية :«ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته وعلم أن ظاهره كباطنه، وأُمِنَ منه الغلط والأمر القبيح ، وليس ذلك بحاصل فى الأمراء ولا العلماء سواهم»(٢)

هذه النظرية تثير إشكالات عديدة تهدد بهدم المذهب الإمامى من أساسه ذاته .

**-وأول الإشكالات التعسف فى فهم «أولى الأمر» وقصر العبارة على أهل البيت** ، فى حين أنها تشمل جميع من يتولى الأمور من الآباء والأوصياء و الحكام والقضاة ، بشرط أن تكون الطاعة لهم فيما أحله الله ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم وآله :«لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» ولو كان تفسير الإمامية صحيحاً ما كان لقوله تعالى ﴿ **فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ [النساء:٥٩] معنى ، بل كان يقول : فردُّوه إلى الإمام وأولى الأمر»(٣)

---

(١) جواد الكسار ؛بحث فى الإمامة ؛ ص١٢٥-١٩٠

(٢) السبحانى ؛ أهل البيت ؛ ص ١٣٦

(٣) القرطبى ؛ تفسير الآية ؛ المجلد الثانى -ص١٨٢٩

وليس صحيحاً أن الله تعالى لا يجوز أن يوجب الطاعة إلا لمن ثبتت عصمته. فالشريعة الإسلامية توجب الطاعة للآباء والأمهات والأزواج وكل ولي أمر. ولا أحد من هؤلاء معصوم !

**● مذهب أهل الظاهر : الإمام المعصوم هو النبى وحده**

ويقول الإمام ابن حزم رحمه الله :«إن عمدة حجة الإمامية أنه لا بد أن يكون إمام معصوم عنده جميع علم الشريعة ، يرجع الناس إليه فى أحكام الدين ليكونوا مما تعبدوا به على يقين» ثم يقول :«هذا لا شك فيه ، وذلك معروف ببراهينه الواضحة وأعلامه المعجزة ، وآياته الباهرة ، وهو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله إلينا ، تَبْيَانُ دينه الذى أَلْزَمَنَاه إياه ، صلى الله عليه وسلم وآله ، فإن كلامه وعهوده ، وما بُلغ من كلام الله تعالى حجة نافذة معصومة من كل آفة إلى من بحضرته ، وإلى من كان فى حياته غائباً عن حضرته ، وإلى كل من يأتى بعد موته إلى يوم القيامة من جن وإنس . قال الله عز وجل ﴿ **اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** ﴾ [الأعراف:٣] فهذا نص ما قلنا ، وإبطال اتباع أحد دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وإنما الحاجة إلى فرض الإمامة لِيَنَفِّذَ الإمام عهود الله تعالى الواردة إلينا على من عبد فقط، لا لأن يأتى الناس بما لا يشاؤنه فى معرفة الدين الذى أقام به رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم إذا دُعى إلى التحاكم إلى القرآن أجاب، وأخبر بأن التحاكم إلى القرآن حق . . ولو كان التحاكم إلى القرآن لا يجوز بحضرة الإمام لقال «عليٌّ» حينئذ : كيف تطلبون تحكيم القرآن وأنا الإمام المبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله؟ فإن قالوا : إذا مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فلا بد من إمام يبلغ الدين . قلنا : هذا باطل ودعوى بلا برهان . وقول لا دليل على صحته . وإنما الذى يحتاج إليه أهل الأرض من رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله بيانه وتبليغه فقط، سواء فى ذلك من كان بحضرته ومن غاب عنه ومن جاء بعده، **فالمراد منه عليه السلام : كلام باق أبداً مُبَلَّغ إلى كل من فى الأرض**»[1]

---

(١) الفُصل ؛ جـ ٤ ص١٦٠-١٦١

**أئمة الشيعة لم يكونوا معصومين** : ويقول ابن تيمية رحمه الله :«إن أئمة الشيعة لم يكونوا معصومين . والدليل على ذلك أن علي أبى طالب رضى الله عنه أخطأ حين خطب جويرية بنت أبى جهل ، وأغضب فاطمة الزهراء رضى الله عنها غضباً شديداً ، وأغضب النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، حتى أضطرّ «علي» إلى الرجوع عن تلك الخطبة[1] وأخطأت فاطمة حين طلبت خادماً من السَّبْى ولم يكن لها الحق فى ذلك ، فلم يستجب لها النبى . وأخطأ علي حين استباح قتل المسلمين الذين تمردواعليه حتى سأله قيس بن عباد قال :أخْبِرنا عن مسيرك هذا ، أعهدٌ عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله أم رأى ارتأيته ؟ فقال علي : ما عهد النبى صلى الله عليه وسلم وآله إلىَّ شيئاً ، ولكنه رأى ارتأيته» ويقول ابن تيمية إن علياً استند إلى أحاديث للنبى صلى الله عليه وسلم وآله فى قتال الخوارج لكنه لم يستند إلى شىء فى قتاله فى معركة «الجمل» و «صفين» وَرَأْيُ علي ذاك أُريق به دَمُ أُلوف مؤلفة من المسلمين ، ولم يحصل بقتلهم مصلحة للمسلمين لا فى دينهم ولا فى دنياهم»[2]

والحق أن «رأى علي» لم يكن هو المسؤول عن إراقة دماء المسلمين فى تلك المعارك ، بقدر ما كان المسؤول أولئك الذين تمردوا على «علي» الإمام الشرعى الذى اختاره أهل الحل والعقد بالإجماع بُعَيْدَ مقتل عثمان بن عفان ، رضى الله عنهم جميعًا . لكن تلك الأحداث – على الرغم من هذا – تثبت أنه لا علي ولا غيره كان معصوماً . وإذا انْتَفَتْ العصمة عن «علي» فقد انتفت عن أهل البيت جميعاً .

**● الرسول صلى الله عليه وسلم وآله هو وحده المعصوم .**

أما مذهب أهل السُّنة **فلا يقرر العصمة لأحد سوى الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه مع خلافات حول حدود تلك العصمة** . فيقول التفتازانى رحمه الله :«إن الأنبياء معصومون عن الكذب ، خصوصاً فيما يتعلق بأمر التشريع وتبليغ الأحكام وإرشاد الأمة ، أما الكذب عمداً فهم معصومون عنه بالإجماع ،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٦ص٢

(٢) منهاج السنة النبوية ، جـ٢ص١٣٤،١٥٦-١٥٧،١٦٩-١٧٠

وأما سهواً فعند الأكثرين وفي عصمتهم عن سائر الذنوب تفصيل ، وهو أنهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالإجماع ، وكذا تعمد الكبائر عند الجمهور ، خلافاً للحشوية ، وإنما الخلاف في امتناعه ( أى تعمد الكبائر ) بدليل السمع أو العقل ، وأمَّا سهواً فَجوَّزه الأكثرون ( أي عمل الكبائر سهواً ) . وأما الصغائر فتجوز عمداً عند الجمهور ، خلافاً للجُبائي وأتباعه ( المعتزلة ) ، وتجوز سهواً بالاتفاق ، إلا ما يدل على الخِسَّة ، كسرقة لقمة والتطفيف بحبة . لكن المحققين اشترطوا أن ينبهوا عليه فينتهوا عنه كله بعد الوحي ، وأما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة . وذهبت المعتزلة إلى امتناعها لأنها توجب النَّفرة المانعة عن اتباعهم ، فتفوت مصلحة البعثة . والحق مَنْعُ ما يوجب النفرة ، كَعهْر الأمهات و الفجور والصغائر الدالة على الخسَّة »[1]

ويشرح ابن تيمية هذه العقيدة وما تستلزمه من قواعد وأصول فيقول :« إن أهل السُّنة **جعلوا الرسول الذى بعثه الله إلى الخلق هو إمامهم المعصوم ، عنه يأخذون دينهم ، فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه . وكل قول يخالف قوله فهو مردود عندهم وإن كان الذى قاله من خيار المسلمين وأعلمهم . وهو مأجور فيه على اجتهاده ، لكنهم لا يعارضون قول الله وقول رسوله بشيء أصلاً ، لا نقلٌ نُقِلَ عن غيره ، ولا رأي رآه غيره . ومنْ سواه من أهل العلم فإنما هم وسائط في التبليغ عنه ، إما للفظ حديثه وإما لمعناه .**

فقوم بلَّغوا ما سمعوا منه من قرآن وحديث ، وقوم تفقهوا في ذلك وعرفوا معناه ، وما تنازعوا فيه ردُّوه إلى الله والرسول . فلهذا لم يجتمع قط أهل الحديث على خلاف قوله في كلمة واحدة ، والحق لا يخرج عنهم قط . وكل ما اجتمعوا عليه فهو مما جاء به الرسول . وكل من خالفهم من خارجي ( يعنى من الخوارج ) ورافضي ومعتزلي وجهمي ( أتباع الجهم بن صفوان ) وغيرهم من أهل البدع ، فإنما

---

( ١ ) شرح العقائد النسفية ،ص١٥٥-١٥٦ ، وأيضاً صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ٣ص٥٣-٥٥ الشرح

يخالف رسول الله ﷺ ، بل مَنْ خالف مذاهبهم فى الشرائع العملية كان مخالفاً للسنة الثابتة»[1]

**ـ وعلى هذا يقرر ابن تيمية أن آراء الاثنا عشرية المخالفة لمذهب أهل السُّنة فى العصمة خطأ ، وفى غاية الفساد والبعد عن العقل والدين»[2]**

وعند ابن تيمية :«**القاعدة الكلية فى هذا أن لا نعتقد أن أحداً معصوماً بعد النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، بل الخلفاء وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ.** والذنوب التى تقع منهم قد يتوبون منها ، وقد تُكَفَّر عنهم بحسناتهم الكثيرة ، وقد يُبْتَلُون أيضاً بمصائب يكفِّر الله عنهم بها ، وقد يكفَّر عنهم بغير ذلك»[3]

## ● القرآن يؤيد مذهب أهل السُّنَّة

ويؤيد مذهب أهل السُّنة ما وَرَدَ فى بعض آيات القرآن الكريم والحديث الشريف من إشارات إلى أخطاء للنبى صلى الله عليه وسلم وآله. من ذلك ما جاء فى سورة الأحزاب بشأن زواجه عليه الصلاة والسلام من زينب بنت جحش . قال تعالى ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا** ﴾ [الأحزاب :٣٧] فيقول القرطبى إنها كانت أشد آية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم وآله .[4]

وفى صدر سورة التحريم يعاتب الله تعالى نبيه الكريم فيقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التحريم :١] وكان عليه الصلاة والسلام قد حرَّم على نفسه شراب العسل بعد أن سمع من بعض أزواجه أنه يخلِّف رائحة غير طيبة .

وفى صدر سورة «عَبَسَ» يعاتبه ربُّه فيقول ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ**

---

(١) منهاج السنة النبوية ؛ جـ٣ص٤١ — (٢) نفسه ؛ جـ١ص٢٣٢
(٣) نفسه ؛جـ٢ص١٧٧ — (٤) الجامع لأحكام القرآن ؛المجلد٦ص٥٢٧١

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ [عبس: ١ - ١١] فتشير الآيات إلى إعراض النبى ﷺ عن عبد الله بن أم مكتوم بسبب اهتمامه برجل من عظماء المشركين كان النبى يرجو أن يهديه الله إلى الإسلام .

ويثبت الفقهاء أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله سَهَى فى خمسة مواضع فى الصلاة :

١- فقد قام من اثنتين ( حديث ابن بحينه )

٢- وسلَّم من اثنتين ( حديث ذى اليدين )

٣- وصلَّى خمساً ( حديث ابن عمر - أخرجه البخارى )

٤- وسلَّم من ثلاث ( حديث عمران بن حصين )

٥- وسجد عن الشك ( حديث أبى سعيد الخدرى ) [١]

ومن الأدلة على صحة موقف أهل السُّنة من العصمة ما أُثر عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله من الاستغفار ، فيقول ابن تيمية : «وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله أنه كان يدعو بقوله : «اللهم اغفرلى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى ، وما أنت أعلم به منى . اللهم اغفرلى جدِّى وهزلى وخطئى وعمدى ، وكل ذلك عندى . اللهم اغفرلى ما قدمت وما أخَّرت وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به منى . أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير»[٢]

## ● والأنبياء السابقون

ويذكرنا العلماء بأخطاء الأنبياء السابقين على عهد نبينا صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً ، ابتداءً من أبينا آدم الذى أكل من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها ، وأكلت معه زوجه ، ثم اعترفا بخطئهما وقالا﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ

( ١ ) ابن رشد بداية المجتهد ؛جـ١ ص٢٤٠

( ٢ ) صحيح البخارى ؛ فتح البارى ؛ كتاب الدعوات ؛ المجلد الثامن ؛ ص ٥٨٤

﴿ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣] وأبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة السلام الذى لم يذكر الحقيقة حين سأله قومه عمن حطم أصنامهم ، وكان هو الذى حطمها ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٦٣](١) وهو يعلم أن الله عاصمه ولن يضروه شيئاً . ونوح عليه السلام الذى دَعَا على قومه دعوة ماحقة بقوله ﴿ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح:٢٦]

وموسى عليه السلام الذى قتل الرجل القبطى دفاعاً عن رجل من بنى إسرائيل دون أن يعلم أيهما المخطئ ، ولم يحاول فَضَّ المشاجرة ، ثم ندم ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [القصص:١٥ - ١٦] ويوسف عليه السلام دَبَّر مكيدة ليتهم إخوته بالسرقة توصلاً إلى احتجاز أخيه إليه ؛ ويصف القرآن الكريم تلك المكيدة فيقول ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ [يوسف:٧٠] ولم يكونوا سارقين !

**وعظمة الطاعة التى بذلها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا تتحقق مع القول بالعصمة . لأن المعصوم كالملاك كُتبت عليه الطاعات فلا يملك الحيد عما كُتب عليه وقُدِّرَ له . أما الأنبياء والأئمة فقد كانوا يصارعون الشهوات ويقهرون نوازع الغواية والشر ، ويهزمون الوسواس الخناس ، الذى يجرى من ابن آدم مجري الدم ، ويرتفعون إلى قمة الطاعة والامتثال لأوامر الله تعالى فى السراء والضراء وحين البأس . وكانوا بذلك القدوات الحسنة للمؤمنين فى كل العصور ، وعلى امتداد الدهور .**

والقول بعصمة الأئمة كما يقول الشيعة الاثنا عشرية دعوة إلى « اتباع دعوة الأئمة المعصومين الذين لا يُسألون عن الدليل على خلاف ما كان عليه أئمة السُّنة من تحريم اتباع أحد لذاته فى الدين بعد النبى محمد المعصوم الذى لا معصوم بعده ﷺ »(٢)

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ جـ٣ ص ٥٣ - ٥٥ بتصرف

(٢) تفسير المنار ؛ سورة يونس ؛ الآية رقم ١٠ ؛ جـ١١ص٢٠٨

## ● دفاع الإمامية عن عقيدة العصمة

ودافع الشيعة الامامية عن صحة اعتقادهم بعصمة آل البيت وعصمة الأنبياء والأولياء . فقال الإمام الرضا رضى الله عنه عن عقيدة العصمة فى قصة زواج النبى صلى الله عليه وسلم وآله من زينب بنت جحش رضى الله عنها إن زينب كانت زوجة لزيد بن حارثة ، وقد عَرَّف الله نبيَّه أنها ستكون من أزواجه ، فأخْفَى النبى ذلك خشية أن يقول المنافقون إن محمداً يَدَّعى أن امرأة على ذمة رجل آخر ستكون زوجته ! فهذا عيب كبير فى معايير ذلك المجتمع ، وهو يتضمن أن النبى سيرتب الأمور لكى يضطر زيد إلى طلاقها لكى يتزوجها هو ! وهذه لازمة مرفوضة رفضاً باتاً عند جميع الفرق المسلمة . .

وهنا تثور التسؤلات : متى عَّرف الله تعالى نبيه أن زينب ستكون من زوجاته ؟ أَقَبْل زواجها من زيد أم بعدَه ؟ ومن غير المحتمل أن يكون الله قد أخبر النبى بذلك قبل زواجها من زيد ، لأنها تزوجت زيداً بمباركة النبى ورضاه . فلما اشتد النزاع بينهما فَرَّق النبى بينهما .ثم أمر الله تعالى نبيه بالزواج منها لأنهاء تقليد جاهلى قديم يحرم زواج الرجل من امرأة ولده بالتبنى . ولم يكن يجرؤ أحد على ذلك غير النبى الكريم ﷺ بعد أن حَرَّم الله التبنى وقال ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾ [ الأحزاب : ٥ ] فأصبح « زيد بن محمد »« زيداً بن حارثه » ثم جاء الأمر بزواج النبى من زينب ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ [الأحزاب :٣٧ ] (١)

فبعد كل الشروح الشيعية يظل اللوم الإلهى أو العتاب الإلهى قائماً ، وإن اختلف النظر إلى سببه ، وهل هو تقولات المنافقين أو العرب المشركين عامة ، فى تفسير معنى « الناس » الذين خشيهم النبى صلى الله عليه وسلم وآله .

---

( ١ ) تفسير القرطبى ؛ المجلد رقم ٦ ص ٥٢٧١ – ٥٢٧٣

# المبحث التاسع

## الاثنا عشر والمهدى المنتظر
## لدى الشيعة والسُّنة

● **تمهيد**

يقول الاثنا عشرية إن أصول مذهبهم ضاربة بجذورها فى كتب هارون وإملاء موسى عليهما السلام !

فقد سأل شاب يهودى علي بن أبى طالب عن عدد الأئمة بعد محمد فقال :« يا هارونى ، إن لمحمد صلى الله عليه وسلم وآله من الخلفاء اثنا عشر إماماً عادلاً ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا يستوحشون لخلاف من خالفهم ، وأنهم أرسخ فى الدين من الجبال الرواسى فى الأرض . ويسكن محمد صلى الله عليه وسلم وآله فى جنته مع أولئك الاثنا عشر إماماً العدل »

قال الشاب اليهودى : صدقت ! والله الذى لا إله إلا هو إنى لأجدها فى كتب أبى هارون ، كتبه بيده ، وإملاء موسى ـ عمى »

ثم سأل اليهودى علياً عن وصي محمد فأخبره بما سيكون له ـ وعلي هو الوصى نفسه ـ من القتل . فأسلم اليهودى ونطق بالشهادتين . (١)

والكاتب الشيعي يعتقد أن هذا الخبر يؤكد صحة المذهب الاثنا عشرى ، لكننى لا أشاطره اعتقاده لأن الخبر يناقض بدهيات العقل ، فأين موسى وهارون عليهما السلام من مذهب نشأ بعد وفاتهما بمئات السنين ؟ وأين ذلك الشاب اليهودى من علي بن أبى طالب ؟ وهل يقسم اليهودى بقوله « والله الذى لا إله إلا هو » ؟ وأين الوثيقة التى أملاها موسى على هارون ؟! لماذا لم يبرزها اليهودى كدليل على صدقه ؟ ولماذا لم يطلبها « علي » منه ؟!

---

(١) آية الله العظمى الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ٥ ص ١٢

## ● أسماء الأئمة الاثنا عشر

وفيما يلى أسماء الأئمة الاثنا عشر :

١- علي بن أبى طالب ( المرتَضَى ) ( توفى سنة ٤٠ هـ)

٢- الحسن بن علي ( المجتَبَى )

٣- الحسين بن علي ( الشهيد )

٤- على بن الحسين ، زين العابدين ( السَّجاد )

٥- محمد الباقر ( ٥٧-١١٩هـ)

٦- جعفرالصادق ( ٨٠-١٤٨هـ)

٧- موسى بن جعفر، الكاظم ( ١٤٨-١٨٣هـ)

٨- على الرضا ( ١٥٣-٢٠٣هـ)

٩- محمد الجواد ( التقى )

١٠- علي الهادى ( النقى )

١١- الحسن العسكرى ( الزكى )

١٢- محمد بن الحسن العسكرى ؛ الحجة ؛ القائم المنتظر . [١]

وقد اختلف الشيعة حول الإمام الثانى عشر، المهدى المنتظر، وهل مات أم لا .
وقال الشهرستانى إن بين «الإخبارية» منهم - وهم الرافضون للاجتهاد - وبين «الكلامية» - المجتهدين - سيف وتكفير ، أى انهم اقتتلوا وكفر بعضهم بعضاً .[٢]

وذكر الشهرستانى :«أن الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق وسموا «قطعية» ، ساقوا الإمامة بعده فى أولاده ، فقالوا : «الإمام بعد موسى الكاظم ولده علي الرضا ، ومشهده بطوس ؛ ثم بعده محمد التقى الجواد أيضاً ، وهو فى مقابر قريش ببغداد . ثم بعده علي بن محمد النقى ، ومشهده بقم . وبعده الحسن العسكرى الزكى . وبعده ابنه محمد القائم المنتظر ، الذى هو بسر من رأى ، وهو الثانى عشر . هذا هو طريق الاثنا عشرية فى زماننا»[٣]

وأحب أن أذكر القارئ بأننا معشر أهل السُّنة نؤمن بأن هؤلاء الأئمة هم أئمتنا ، باستثناء الثانى عشر الذى اختفى وهو طفل ، ولكننا لا نغلوا فى تقديرهم

( ١ ) الشهرستانى ؛ الملل والنحل ؛ جـ ١ص١٧٣ ( ٢ ) نفسه ؛ص١٧٢
( ٣ ) الشهرستانى ؛ نفسه ١٦٩

غير الحق ، كما لا نغلوا فى تقدير أبى بكر وعمر وعثمان وأبى عبيدة وسائر الصحابة ، وأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل ، والتابعين وتابعى التابعين بإحسان إلى يوم الدين .

## ● الإمام الثانى : الحسن بن على

وأول ما نلاحظه فى تاريخ هذا الإمام رضى الله عنه أن أباه علي بن أبى طالب رفض أن يعهد إليه . فقد سأله جندب بن عبد الله ـ وهو على فراش الموت ـ فقال :« يا أمير المؤمنين : إن متَّ نبايع الحسن ؟ فقال : لا آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر »[١] كأنه يوصى بالشورى !

**وقد أوصى علي رضى الله عنه بالعبادات والطاعات والعقائد والمعاملات ، لكنه لم يذكر شيئاً عن الإمامة والعهد وواجب وراثة بنيه لها بتسلسل معين ، ولم يعهد للحسن ولا لغيره ، وهذا يقوى خبر جندب بن عبد الله .**

وبايع أهل العراق الحسن سنة ٤٠ هـ بُعَيْد وفاة أبيه ، وقيل إن أول من بايعه قيس ابن سعد . وكانت مدة خلافته قصيرة ، إذْ تَنازل عنها لمعاوية بن أبى سفيان .[٢]

ـ وقتل الحسن رضى الله عنه بالسم الذى دسته له امرأته فى طعامه بغواية معاوية بن أبى سفيان .[٣]

## ● انقسام أتباع الحسن

وتتضارب الأخبار حول مواقف الناس فى العراق من التصدى لمعاوية استمراراً لسياسة أمير المؤمنين على بن أبى طالب . فيذكر أن أربعين ألفًا من العراقيين بايعوا الحسن على الموت ، وكانوا أطوع للحسن وأحب له »[٤] لكن أخباراً أخرى تقول إن الحسن نظر فى حال أنصاره فوجدهم متخاذلين مما أثار عدي ابن حاتم فأخذ يؤنبهم بعنف . ولما ركب الحسن إلى معسكره تخلف عنه كثيرون ، فما وفُّوا بما قالوه وبما وعدوه ، وغروه كما غروا أمير المؤمنين ـ رضى الله عنه ـ من قبله » وبالرشوة استطاع معاوية اجتذاب قائدين من رجال الحسن ، هما الكندى

---

(١) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ جـ ٧ ص ٣١٠
(٢) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ٤٠ ، ٤١ ـ ج ٥ ص ١٥٨ ـ ١٦٥
(٣) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ٥ ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ، الشيعة فى التاريخ ؛ ص ٣٣
(٤) نفسه ؛ جـ ٥ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١

والمرادى ، بل كَتَبَ أكثرُ أهل الكوفة إلى معاوية يقولون : إنا معك وإن شئت أخذنا الحسن وبعثناه إليك . وهاجموا معسكره وجرحوه .

وإزاء هذا الانقسام أظهر الحسن ميلاً إلى الصلح مع معاوية ؛ وعندئذ ثار المتحمسون للمواجهة ضده حتى قال قائلهم : كفر والله الرجل ! » ثم هاجموا فسطاطه وانتهبوه وحاول أحدهم قتله . (١)

وفى تلك الظروف لم يجد الحسن مفراً من أن يقبل الصلح مع معاوية . واشترط الحسن أن يكف الأمويون عن سب أمير المؤمنين علي بن أبى طالب ، وألا يسمى الحسن معاوية أمير المؤمنين ، ولا يقيم عنده شهادة .

وقد وجد كثير من الشيعة فى مسلك الحسن أخطاء جسيمة ، مما يتصادم مع اعتقادهم فى عصمته، فكيف سلَّم مقاليد السلطة والإمامة لمعاوية، مع ظهور فجوره؟ وكيف بايعه وأخذ صلاته ؟ وكيف أظهر موالاته مع وفرة الأنصار والأصحاب ؟

يجيب «الميلانى» قائلاً إنه :«لابد من التسليم بصحة جميع أفعاله» وإن كان فيها مالا يُعرف وجهه أو نَفَرَتْ النفوس منه !» (٢) فهو يغلِّب المذهب على الواقع الحسى المشهود !

## ● أهل السنة يؤيدون مسلك الحسن

وأما أهل السُّنة عامة فيمتدحون تسليم الحسن الإمامة لمعاوية ، حقناً لدماء المسلمين ، لا تأييداً لمعاوية . وهم يصورون ذلك التسليم بأنه أعاد وحدة الأمة ، ويُسَمُّون ذلك العام عام الجماعة . فابن تيمية يمتدح الحسن لترك القتال ( وقبل ذلك ) لنصحه لأبيه بتركه . (٣)

ولم يكن أهل العراق بذلك الحال السيئ كلهم جميعاً . فبعيد وفاة علي جاء جارية بن قدامة البصرى إلى الحسن وبايعه وعزاه فى أبيه وقال : «**ما يُجلسك ؟! سِرْ يرحمك الله إلى عدوك قبل أن يُسَار إليك !» فقال له الحسن : لو كان الناس كلهم مثلك لسرْتُ بهم» وجاء سليمان بن صرد إلى الحسن بعد الصلح وقال له : «ما ينقضى تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة وشيعتك أهل البصرة»**.(٤) وهذا يشعر الباحث بان موقف الحسن

---

( ١ ) العبر ؛ جـ ١ص٣٤ ( ٢ ) الميلانى ؛قادتنا ؛ جـ ٥ص٢٣٠-٢٨٣

( ٣ ) منهاج السنة النبوية ؛جـ ٢ص١٢١

( ٤ ) نزار المنصورى ؛ النصرة لشيعة البصرة ؛ ص ٩٠ - ٩١

كان غريباً وغير مفهوم . **وقد آثار غضب كبار القادة من شيعة علي ، فدخل سفيان بن أبي ليلى النهدى على الحسن ثائراً وقال : السلام عليك يامُذلَّ المؤمنين !» وخاطبه آخر بقوله : «يا مسوِّدَ وجوه المؤمنين !»** [1]

● وأنا أقول إن التسليم لمعاوية لم يحقن دماء المسلمين ، بل فتح أبواب التاريخ على مصراعيها لكى تنزف بغزارة ودون توقف . **ذلك لأن التسليم لمعاوية قَضَى على نظام الشورى والبيعة ، وأسس نظام التغلب بالسيف ، أو القرصنة السياسية ، ولم تستطيع الأمة المسلمة أن تستعيد نظامها الشورى إلا فى فترات قصيرة جداً ، وظلت بصفة عامة خاضعة لحكم قراصنة الحكم من الأمويين ثم العباسيين ثم المماليك ثم العثمانيين !** ولم تتوقف الثورات والانقلابات الدموية يوماً . ولم يحدث قط أن عادت حياة الجماعة المسلمة . ولذلك سقطت الدولة الأموية بعد حوالى تسعين عامًا ، وجاء العباسيون بكل قسوة يمكن تصورها لذبح كل أموى ، ونَبش قبور ملوكهم وإحراق رمائمهم ! ثم أخذ العباسيون يقتل بعضهم بعضاً بضراوة ، كما فعل الأمين والمأمون ، حتى فاق عدد القتلى فى الحروب الداخلية العباسية كل ما خسرته الأمة قبل ذلك فى حروبها كلها . وليقرأ من شاء أخبار سنتى ١٩٤ – ١٩٥ هـ في تاريخ الطبرى» ليرى أنهار الدماء يريقها الحكام ، والمدن تحترق ، وتنهب ، وتخرَّب ، فى همجية لم يعرفها الجاهليون ، **فحق للإمام المودودى أن يقرر أن الدولتين الأموية والعباسية لم تكونا دولتين إسلاميتين !**

**كان على الحسن بن عليّ رضى الله عنه أن يتمسك بالخلافة وأن يدافع عن الشورى التى وضعته على رأس الأمة ولايسمح لمعاوية بفرض سطوته بالسيف على رقاب المسلمين ويؤسس نظام الملك العضوض والقرصنة السياسية الذى أهلك الحرث والنسل وتسبب فى تخلف أمتنا إلى اليوم .**

● ولم يذكر الحسن فى مواقفه السياسية مبدأ الوصية الإلهية بان يكون هو الإمام الثانى للأمة ، ولا ذكر أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وآله التى ذكرت الأئمة الاثنا عشر ورتبتهم .. الخ .

فقط بعد وفاة أبيه خاطب الحسن الناس فقال :«أيها الناس مَن عرفنى فقد

---

(١) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ٣ ص ٤٤٢

عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم وآله ، أنا ابن البشير أنا ابن النذير . . أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، والذين افترض الله مودتهم في كتابه ».[1] وهذا كله حق ، ومعظم أهل العراق يعرفونه ، ولذلك بايعوه على الخلافة ، لكنه فَاجَأهم بالتسليم لمعاوية !

### ● مناقب الحسن

● والمؤلف الشيعي حرص على أن ينسب إلى الحسن منقبة علمية ، دون تدقيق ، فأساء إليه . قال إن الحسن **سئل عن الرجل إذا نام ، أين تذهب روحه ؟** فأجاب قائلاً : إن روحه متعلقة بالريح ، والريح متعلقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة ، فإن أذن الله برد تلك الروح على صاحبها ، جذبت تلك الروحَ الريحُ ، وجذبت تلك الريحُ الهواءَ ، فرجعتْ وسكنتْ في بدن صاحبها . وإن لم يأذن الله عز وجل برد تلك الروح على صاحبها ، جذبت الهواءُ الريحَ ، فجذبت الريح الروحَ ، فلم تُرد على صاحبها إلى وقت ما يبعث ».[2]

ولو أن المؤلف الشيعي راجع ما يقوله القرآن الكريم لنجا من ترديد مثل هذا الخبر الخرافي الذي يسئ إلى الحسن رضي الله عنه ، وهو خريج مدرسة آل البيت وأهل العلم بالقرآن ويستحيل أن يقول كلامًا يناقض القرآن . يقول الله تعالى **﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾** [الأنعام: ٦٠] وقال جل شأنه **﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾** [الأنعام: ٦١] ، ويقول جل جلاله **﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾**

[الزمر: ٤٢]

فالنوم نوع من الوفاة . واليقظة بعث من موت . والله تعالى هو الذي يكلف الملائكة بقبض أرواح العباد الذين حل أجلهم ، ويمسكها ، ويرسل أرواح الذين لم يحل أجلهم بعدُ . ولا دخل للريح والهواء بهذه الظواهر .

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني ؛ مقاتل الطالبيين ؛ ص ٥١

(٢) الميلاني ؛ قادتنا ؛ جـ ٥ ص ٢٩٣

وبحسب عقائد الشيعة كان الحسن يعلم أن الحسين هو الإمام الذى سيخلفه ، بحسب النص الإلهى على ذلك . وقد أورد « الكلينى » ثلاثة أحاديث فى هذا الباب ولكن المجلسى ضعَّفها جميعًا فى كتاب مرآة العقول ، لأن من الرواة مفضوحين ذمهم علماء الرجال ، كبكر بن صالح الذى قالوا فيه إنه ضعيف جداً ، ويروون عنه الغرائب والعجائب . وقال « الممقانى » : « جميع رواياته لا اعتبار لها ».[1] ويعترف « البرقعى » بأن الحسن أوصى لأخيه الحسين ، لكن ليس بنص إلهى كما أراد الكلينى.[2] وإذا كان الحسن قد فقد الإمامة حين سلمها لمعاوية ، لم يبق له إلا الإمامة الروحية ليوصى بها لشقيقه الحسين رضى الله عنهما .

## ● الإمام الثالث الحسين بن علي رضى الله عنه

لا تذكر المراجع الشيعية والسنية الكثير عن حياة الإمام الحسين بن علي رضى الله عنه ، باستثناء قصة خروجه على يزيد بن معاوية والتى تنتهى كما نعلم جميعاً بمجزرة يستشهد فيها ثمانية عشر رجلاً وطفلاً من أبناء علي وفاطمة ، وعبد الله بن جعفر ، وعقيل بن أبى طالب ، وآخرون .

وُلِدَ الحسين رضى الله عنه فى المدينة المنورة سنة ٤هـ ، بعد ميلاد أخيه الحسن بأقل من سنتين . ونشأ فى حضن أبويْه الكريمين وجدِّه العظيم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، حيث كان بيت على فى جوف المسجد بجوار بيوت النبى عليه الصلاة والسلام .

والأخبار العديدة تتحدث عن حب النبى له ولأخيه ، وتدليله عليه السلام لهما .

وشارك الحسين بطبيعة الحال فى المعارك التى خاضها أبوه يوم الجمل وصفِّين ، وضد الخوارج . ورأى الحسين مقتل أبيه غيلة وتولى أخيه الحسن الخلافة من بعده ،

---

( ١ ) راجع : كسر الصنم للبرقعى ؛ ص ٢٣٤ – ٢٣٥

( ٢ ) الموضع نفسه

ثم تنازله عنها لمعاوية . وكان معاوية يغْدق على الحسين ، يسترضيه ، حتى بلغ ما كان يعطيه ثلاثمائة ألف ! لكن الحسين كان يسمع رجال بنى أمية يسبُّون أباه على المنابر ! ومن المؤكد أن ذلك كان له أثر أليم شديد على نفسه ، لا تمحوه أموال معاوية وعطاياه . وكان الحسين رضى الله عنه شديد الاعتزاز بنسبه الشريف ، ومما له مغزاه هنا أنه وهو طفل صغير قال لعمر بن الخطاب الذى كان يهابه الجميع : انزل من على منبر أبى واصعد منبر أبيك ! فقال عمر : إن أبى لم يكن له منبر ! ثم أخذ عمر الحسين إلى داره ، وسأله : أيْ بنى ! مَن علَّمك هذا ؟ قال الحسين : ما علمنيه أحد . قال عمر : أي بني ! لَوْ جَعلتَ تاتينا وتغشانا ؟» فالحسين الصبى يضيق ذرعاً بأى رجل يصعد منبر جده عليه الصلاة والسلام ! والخليفة العظيم عمر يقدر مشاعره ، ثم يستحثه على زيارة بيته .[1]

وحين دوَّن عمر الدواوين وقرر للناس أعطيات ، خصص للحسين خمسة آلاف وللحسن مثلها ، وهو ما يساوى ما خصصه لمن حضر يوم بدر .

وعاش الحسين فى المدينة المنورة طوال عهد معاوية . ومن المؤكد أن أعمال بنى أمية كانت تثير حفيظته ، فضلاً عن الذكريات الأليمة التي انتهت بمقتل أبيه أمير المؤمنين علي بن أبى طالب ، وتسليم الخلافة إلى معاوية ، ثم قتل أخيه الحسن ابن علي بالسم فى مؤامرة خسيسة . ثم مات معاوية سنة ٦٠ هـ وقبل موته عهد بالخلافة لابنه يزيد ، وَحَمَلَ الناس قسرا على البيعة له .

**● لماذا خرج الحسين**

وكان يزيد فاسداً سكيراً عربيداً ، لا يصلح لذلك المنصب الكبير فرفض الحسين البيعة له ، وأسرع بالخروج إلى مكة ، ليتجه بعدها إلى العراق .

يقول الذهبى :« كان الحسين قد أَنِفَ من إمرة يزيد بن معاوية ولم يبايعه . وجاءته كُتُبُ أهل الكوفة يحضونه على القدوم عليهم ، فَاغْتَرَّ ، وسار فى أهل بيته » .[2]

---

( ١ ) ابن سعد « الطبقات الكبرى » ٣٨ / ب – تحقيق الطباطبائى .
( ٢ ) الذهبى « العبر » جـ ١ ص ٤٨ – أخبار سنة ٦١

وكان أهل البيت والصحابة رافضين لخروج الحسين ، وقد نصحوه وحاولوا إثناءه عن قراره دون جدوى : نصحه ابن عباس وابن عمر وأبو سعيد الخدرى وجابر ابن عبد الله وأخوه غير الشقيق محمد بن الحنفية ، بترك الخروج، ووعظوه ، وكشفوا له عن مخاوفهم من فشله وقتله بأيدى بنى أمية ، لكنه لم يستجب لأحد .(١)

لماذا ؟ قلتُ إن أعمال بنى أمية المشينة والمخالفة لمبادئ الإسلام كانت تثير حفيظة الحسين وغيره من الغيورين على الدين . ويضاف إلى ذلك رؤيا رآها الحسين ، ورأى فيها النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، ولم يقل للناس ماذا قال له . لكن إصراره على الخروج يُفهم منه أنه عليه الصلاة والسلام لم ينْهَهُ عن الخروج ، وإلا لكان تركه . يضاف إلى ذلك رسائل عديدة جاءته من أهل الكوفة وقادتها تستحثه على الخروج وتعده بالنصرة والتأييد . وصرح الحسين بمضمون تلك الرسائل فقال لعمر بن سعد قائد جنود بنى أمية : « والله ما أتيتكم حتى أتتْنى كُتُبُ أَمَاثلكم بأن السُّنة قد أُميتَتْ والنفاق قد نَجَمَ ، والحدود قد عُطلت ، فَأَقْدمْ لعلَّ اللهَ تبارك وتعالى يصلح بك أمة محمد ﷺ ، فأتيتكم ! فإذْ كرهتم ذلك ، فأنا راجع عنكم ، وارجعوا إلى أنفسكم فانظروا : هل يصلح لكم قتلى أو يحل لكم دمى ؟ أَلسْتُ ابن بنت نبيكم وابن عمه وابن أول المؤمنين إيماناً ؟ أَوَ ليس حمزة والعباس وجعفر عمومتى ؟ ألم يبلُغكم قول رسول الله ﷺ فىَّ وفى أخى : « هذان سيدا شباب أهل الجنة ؟ »

ولم تؤثّر هذه الكلمات فى عمر بن سعد ورجاله باستثناء « الحر بن يزيد » أحد بنى رياح بن يربوع – الذى انضم إلى الحسين وقاتل معه حتى قتل .

## ● مجزرة

وبقية القصة سلسلة من التصرفات الإجرامية الوحشية قام بها السفاح عبيد الله بن زياد ، عامل يزيد على الكوفة ، الذى تكفل له بالقضاء على الحسين ، وعمر بن سعد قائد السرية التى قتلت الحسين وبنيه وأهل بيته ، **وعلى رأس الجميع يزيد بن معاوية الذي حاول إصلاح سوآته بعبارات يموه بها على المؤرخين الطيبين !**

---

(١) طبقات ابن سعد ٤ ٥٣ / ب ، ٥٤ / أ

لقد قتل الحسين رضى الله عنه ، وسعد بذلك يزيد بن معاوية . لكن دم الحسين لم يذهب هدراً ، فظلت الأمة المسلمة غاضبة على بنى أمية رافضة لحكمها، وتوالت القلاقل والتوترات والثورات حتى عَصَفَت بدولة أمية الفاسدة ، بعد عُمر لم يتجلور ٩١ عاماً . **ولقى الأمويون المنهزمون من العباسيين المنتصرين ، أضعاف أضعاف الذل والمهانة التى لقيها الحسين ، وأهرقت دماؤهم أنهاراً ، وأبيدت خضراؤهم ، ونُبشت قبورهم ، وأحرقت جماجمهم ، ورمائمهم ، ونَهبت أموالهم ودورهم ، فى سلسلة من المعارك لم يعرف لها تاريخ العرب قبل ذلك مثيلاً فى بشاعتها !**

ومن المؤسف أن الدولة العباسية كانت مثل الدولة الأموية : دولة تغلّب بالسيف ، دولة قرصنة سياسية ، لا مكان فيها للشورى أو البيعة الحرة . فحين سلم الحسن بن على الخلافة لمعاوَية سلّمه فى اللحظة نفسها حكم الإعدام على دولة البيعة الحرة والشورى . ولا تزال الأمة المسلمة ترسف فى قيود المُلك العضوض الذي أسسه معاوية بن أبى سفيان إلى اليوم وتجاهد للفكاك منه، فلا تبلغ من أهدافها إلا أقل القليل .

## ● الإمام الرابع : علي بن الحسين رضى الله عنه

علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم هو الإمام الرابع لدى الاثنا عشرية . ويُذكر أن أُمَّه بنت يزدجرد ابن ملك فارس .[1] **قال فيه سعيد بن المسيب ، المحدّث الكبير :«ما رأيت أوْرَع منه». وقال عنه الزهرى ، أمير المؤمنين فى الحديث :«ما رأيت أحداً أفقه منه ، لكنه قليل الحديث».**[2] يعنى قليل الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله .

ويذكر عبد الرسول الموسوى أن الخليفة الوليد بن عبد الملك هو الذى قتل هذا الإمام بالسم سنة ٩٥ هـ .[3]

## ● أفضل هاشمى

ويصفه شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول إنه كان :**«من كبار التابعين**

---

( ١ ) د. النشرتي ؛ يسألونك عن الشيعة ؛ ص ١٤٧
( ٢ ) الذهبى ؛ العبر ؛ جـ ١ ص ٨٣ ( ٣ ) الشيعة فى التاريخ ؛ ص ٣٣٠

وساداتهم علماً وديناً . أخذ العلم عن أبيه وابن عباس والمِسْوَر بن مَخْرَمَة ، وأبى رافع ، مولى النبى صلى الله عليه وسلم وآله وعائشة وأم سلمة - أمهات المؤمنين - وعن مروان بن الحكم وسعيد بن المسيب وعبد الله بن عثمان بن عفان وذكوان ، مولى عائشة ، وغيرهم ، رضى الله عنهم . ورَوَى عنه : أبو سلمة عبد الرحمن ويحي بن سعيد الأنصارى والزهرى وأبو الزناد وزيد بن أسلم ، أو ابنه ، وأبو جعفر . قال يحي بن سعيد : **هو أفضل هاشمى رأيته فى المدينة** . وقال محمد بن سعد فى الطبقات : **كان ثقة مأموناً ، كثير الحديث ، عالياً رفيعاً**. وروى عن حماد بن زيد قال : سمعت علي بن الحسين - **وكان أفضل هاشمى أدركته** - يقول : يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام ، فما برح بنا حبكم حتى صار عاراً علينا » . وعن شيبة بن نعاسة قال : كان علي بن الحسين يبخل ، **فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة فى السِّر** . وكان له من الخشوع وصدقة السر وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف ، حتى إنه كان من صلاحه ودينه يتخطى مجالس أكابر الناس ، ويجالس زيد بن أسلم ، مولى عمر ابن الخطاب وكان من خيار أهل العلم والدين من التابعين ، فيقال له : تَدَعُ مجالس قومك وتجالس هذا؟ فيقول : **إنما يجلس الرجل حيث يجد صلاح قلبه**» .(١)

وجاء فى أصول الكافى «صحيفة» نسبها «الكلينى» إلى علي بن الحسين، تحدث فيها عن الزهد فى الدنيا ، وحذر منها فقال إنها :«لَتَرْفع الخميل وتضعُ الشريف وتورد أقواما إلى النار غداً ، وفيها إشارات إلى :«سُنَن الجور وبوائق الزمان وهيبة السلطان ووسوسة الشيطان» - وهو زمان حكم بنى أمية! (٢)

هذه صورة مشرقة لفقيه عالم عابد ، من آل البيت ، عاش فى المدينة المنورة التى كانت تموج بالمحدثين والفقهاء ، فنهل من علمهم ، ثم علَّم وأرشد وفَقَّه . والرجل فوق هذا نموذج للمسلم العارف لدينه العامل به ، فكان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، ويمثل آية فى التواضع والنبل ، رضى الله عنه .

---

(١) منهاج السنة النبوية ؛ جـ٢ ص ١٢٣

(٢) أصول الكافى ؛ صحيفة علي بن الحسين (رضى الله عنهما) وكلامه فى الزهد .

## ● الإمام الخامس : محمد بن علي الباقر (أبو جعفر) رضى الله عنه

ولد الباقر سنة ٥٧ هـ . قال عنه ابن كثير : «**هو تابعي جليل ، كبير القدر كثيراً . أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً**. وهو أحد من تدعى فيه طائفة الشيعة أنه أحد الأئمة الاثنى عشر ، ولم يكن الرجل على طريقهم ، ولا على منوالهم ، ولا يدين بما وقع فى أذهانهم وأوهامهم وخيالهم ، **بل كان ممن يقدِّم أبا بكر وعمر ، وذلك عنده صحيح فى الأثر . وقال أيضا : ما أدركت أحداً من أهل بيتى إلاَّ وهو يتولاهما رضى الله عنهما** . وقد رَوَى «الباقر» عن غير واحد من الصحابة . وحدَّث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم . فممن روى عنه ابنه جعفر الصادق والحكم بن عتيبة ، وزبيعة ، والأعمش ، وأبو إسحاق السبيعى ، والأوزاعى، والأعرج – وهو أسَنُّ منه، وابن جريج ، وعطاء ، وعمرو بن دينار ، والزهرى. [1]

## ● باقر العالم

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : « أبو جعفر محمد بن علي من خيار أهل العلم والدين ، وقيل **إنما سُمِّى الباقر لأنه بقر العلم ، لا لأجل بقْر السجود** جبهته ... وأخذ العلم عن جابر وأنس بن مالك . وَرَوَى أيضًا عن ابن عباس وأبى سعيد وأبى هريرة وغيرهم من الصحابة ، وعن سعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن أبى رافع – كاتب علي » .[2] .

ويذكر أنه قال لجابر : «بلغنى أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ، ويتناولون أبا بكر وعمر ، ويزعمون أنى أمرتهم بذلك ، فَأبلغْهم عنى أنِّى إلى الله منهم برئ ! والذى نفس محمد بيده – يعنى نفسه – لو وُلِّيت لتقربت إلى الله بدمائهم ! ولا نالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وآله إن لم أستغفر لهما ، وأترحم عليهما ! » وقال أيضاً :

---

(١) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ جـ٩ ص ٣١٣

(٢) منهاج السنة النبوية ؛ جـ٢ ص ١٢٣

« من لم يعرف فضل أبى بكر وعمر فقد جهل السُّنَّة » . [1] وسأله جابر : أكان منكم أهل البيت أحد يسب أبا بكر وعمر ؟ قال : لا ، فأحبهما وتولاهما واستغفر لهما » . [2]

ومن أقوال الباقر :« قال عمر بن الخطاب : إذا رأيتم القارئ يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان فهو لص ! »

وقال الباقر أيضاً : « سلاح اللئام قبيح الكلام » .

وقال أيضا : « أشد الأعمال ثلاثة : ذِكر الله على كل حال ، وإنصافك من نفسك ، ومواساة الأخ فى المال » .

وقال كذلك :« الإيمان ثابت فى القلب ، واليقين خطرات ، فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية ! وما دَخَلَ قلبَ عبدٍ شىءٌ من الكبر إلا نقص من عقله بقدره أو أكثر منه ! » [3]

والمواقف الإيجابية للباقر تجاه أبى بكر وعمر لا تعنى أنه ليس من أئمة الشيعة . فهو الإمام الخامس باعتراف الجميع . لكنه ليس من الغلاة الذين انحرفوا عن طريق أئمة أهل البيت ، ابتداءً من « علي » ومروراً بالحسن والحسين ، إلى الباقر. والحق أنه يجب أن نفرق بين أهل البيت وبين الغلاة لكى نتجنب الكثير من الاضطراب والخلط ، ونبنى آراءنا على أساس من مزاعم الغلاة ، ظانين أنهم يمثلون المذهب الحق ، فتتسع الهوة الفاصلة بين السُّنَّة والشيعة ، ونبتعد عن تحقيق الوحدة الإسلامية التى هى سبيلنا الوحيد للنجاة من الضياع والخراب والهزيمة والمذلة أمام الطاغوت الأمريكى . وتوفى الباقر سنة ١١٧ هـ .

### ● الإمام السادس : جعفر بن محمد الصادق ، رضى الله عنه

وهو ابن محمد الباقر بن على زين العابدين . ووالدته : أم فروة بنت القاسم بن محمد ، حفيدة أبى بكر الصديق . والقاسم بن محمد نشأ فى حجر خالته

---

( ١ ) ابن كثير ؛ الموضع نفسه .

( ٢ ) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ؛ جـ٥ ص ٣٨٠

( ٣ ) ابن كثير ؛ السابق ؛ جـ٩ ص ٣١٤

أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنهم جميعاً .[1] ويُذكر أن الإمام جعفر بن محمد الصادق وُلد سنة ٨٠ ( أو ٨٣ ) هـ ، ومات سنة ١٤٨ هـ ، وُيقال إنه قُتل بالسم على يد المنصور الدوانيقى .[2]

وجملة أخباره تبين أنه رضى الله عنه **هو الذى شيد المذهب الفقهى الإمامي، حتى سُمى باسمه : «المذهب الجعفرى» ، بعد أن كان مفرقاً ، فيقول شاعرهم :**

**بنهجك قد وضح المذهب — فسار به ركبنا المتعب**

**وزال عن الجو ذاك الغبار — فَلاَحَ لنا الأفق الأرحب[3]**

ويصور لنا شيخ الإسلام ابن تيمية شخصية الإمام الصادق فيقول : «وجعفر الصادق رضى الله عنه من خيار أهل العلم والدين . أخذ العلم عن جده -أبى أُمِّه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق- وعن محمد بن المنكدر ، ونافع مولى ابن عمر ، والزهرى ، وعطاء بن أبى رباح ، وغيرهم . وَرَوَى عنه يحيى بن سعيد الأنصارى ، ومالك بن أنس وسفيان الثورى وسفيان بن عينية وابن جريج، وشعبة ويحيى بن سعيد القطان ، وحاتم بن إسماعيل ، وحفص بن غياث، ومحمد بن إسحاق بن يسار . وقال عمرو بن أبى المقدام : **كنتُ إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمتُ أنه من سلالة النبيين».** ويعقب ابن تيمية بقوله : «ولهذا نَسبت إليه أنواع من الأكاذيب ، مثل كتاب البطاقة والجفر والهَفْت والكلام على النجوم ، وفى مقدمة المعرفة من جهة الرعود والبروق واختلاج الأعضاء» .[4]

ويذكر الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله أن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، جد الصادق لأمه ، كان أحد الفقهاء السبعة الذين دونوا العلم المدنى ، أو كانوا أظهر من دوَّنه . وأن القاسم هذا قد رَوَى عن أم المومنين عائشة رضى الله عنها ، وعلم عبد الله بن عباس ، رضى الله عنه ، وكان مجتهداً ذَا رأي ؛ وقد توفى

---

( ١ ) ،( ٢ ) أبو زهرة ؛ ص ٢٦
( ٣ ) محمد جمال الهاشمى ؛ الهاشميات ؛ ص ٢٨١
( ٤ ) منهاج السنة ؛ جـ ٢ ص ١٢٤

سنة ١٠٨ هـ والصادق فى الثامنة والعشرين ، فلا بد أنه التقى به وأخذ عنه ». [١]
وروى الإمام جعفر الصادق عن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب .
وذكر جعفر زيداً يوماً فقال : يرحم الله عَمِّى ، كان والله سيداً ؛ والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله ». [٢]

**وينسب إلى الإمام الصادق أنه أَلَّف كَتاباً فى الكيمياء ، كان عبارة عن خمسمائة رسالة** ، ضمنها أبو موسى الطرسوسى فى كتاب ألفه . ولكن الشيخ صلاح الدين الصفدى نفى أن يكون للإمام الصادق مؤلفات فى الكيمياء وقال : أنا أنزه جعفر الصادق رضى الله عنه عن الكيمياء ، وإنما أراد هذا الشيطان الإغواء بكونه عزا ذلك إلى جعفر الصادق ». [٣] ولا ريب أن من الممكن أن يستغل البعض مكانة الصادق ، كما استغلت مكانة كبار الفلاسفة والفقهاء ، فينسب البعض مؤلفاتهم إليه . لكن يظل من الممكن أن يكون الإمام قد كتب شيئاً فى الكيمياء ؛ والمسألة بحاجة إلى تحقيق . ولست أرى فى الكيمياء ما يشين الباحثين فيها حتى يقال كما قال الشيخ الصفدى إنه ينزه الإمام عنها !

وكان الإمام جعفر الصادق حكيماً بحق . وقد تجلى ذلك فى توجيهاته لتلاميذه وأتباعه وأهل بيته . فيذكر أن السيد الحميرى كان يرى رجعة محمد بن الحنفية فى الدنيا وأنه لم يمت ، وأنه فى جبل بين أسد ونمر ، يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان . . ويعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . ويقال إن السيد ( الحميرى ) اجتمع بجعفر الصادق عليه السلام فعرفه خطأه ، وأنه على ضلالة ، فتاب.[٤] ولما أراد يحيى بن زيد الثورة على الأمويين ، فى خلافة هشام ، نهاه الصادق عن ذلك ، وعرفه أنه مقتول كما قتل أبوه ». وقد صَدَقَتْ حكمة الصادق وفراسته.[٥]

---

( ١ ) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ الفقرة ٧٠ ص ٩٠ والفقرة ١٣٢ ص ١٦٦ – ١٦٧
( ٢ ) محمد شاكر الكتبى ؛ فوات الوفيات ؛ ص ٣٥ – ٣٦
( ٣ ) نفسه ؛ ص ٢٧٥
( ٤ ) فوات الوفيات ؛ ص ١٨٨ – ١٨٩
( ٥ ) نفسه ؛ ص ٣٧

## ● الإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم رضى الله عنه

هو ابن جعفر بن محمد الباقر . ولد بالمدينة المنورة سنة ١٨٣ هـ . قلده أبوه منصب الإمامة فى وقت شهدت فيه الدولة العباسية الاستقرار والسكينة ..

والإمام الكاظم تلقى العلم فى بيت أبيه الإمام الباقر . وينسب إلى أبى حنيفة أنه قال : حججتُ فى أيام أبى عبد الله الصادق عليه السلام . فلما أتيت المدينة دخلتُ داره ، فجلست فى الدهليز أنتَظر إذنه – عليه السلام – **إذْ خرج صبى فقلت : يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم !**

قال : على رِسلك ! ثم جلس مستنداً إلى الحائط ، ثم قال : تَوَقَّ شطوط الأنهار ، ومساقط الثمار ، وأفنية المساجد ، وقارعة الطريق ، وتوار خلف جدار ، وشل ثوبك ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ، وضع حيث شئت !

قال أبو حنيفة : فأعجبنى كلامه ، فسألته : ما اسمك ؟

قال : أنا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب .

فقلت له : يا غلام ، ما المعصية ؟

قال : إن السيئات لا تخلو من إحدى ثلاث : إما أن تكون من الله ، وليست من العبد ( وهذا مذهب الجبرية ! ) فلا ينبغى للرب أن يعذب العبد على ما لا يرتكب ! وإما أن تكون منه ومن العبد ، وليست كذلك ، فلا ينبغى للشريك القوى ( أى الله تعالى ) أن يظلم الضعيف ( أى العبد ) ! وإما أن تكون من العبد ، وهى منه ، فإن عفا ( الله عنه ) فكرمه وجوده ! وإن عاقب فبذنب العبد وجريرته ! ( وهذا مذهب الإمامية والمعتزلة القائلين بحرية الإرادة )

## ● طفل فقيه

**ومن الواضح أن حرص الإمامية على جعل هذه المناقشة جزءاً من سيرة الكاظم القصد منه إثبات سعة علمه منذ الصغر ، لدرجة انبهار الإمام والفقيه السنِّى الكبير أبو حنيفة به . ومن الطبيعى أن يحفظ الصبى فى بيت كبيت الباقر الكثير من الأحكام الفقهية والآراء الكلامية .**

لكن المؤلف الشيعي في سيرة الكاظم يسئ إليه من حيث يقصد تعظيم علمه .

### ● حدود فدك الخرافية !

يقولون إن هارون الرشيد قال للكاظم : « خُذْ فَدَكاً، فقال : لا آخذها إلا بحدودها ! قال هارون : وما حدودها ؟ قال الكاظم : يا أمير المؤمنين : إن حَدَّدْتُها لم تردَّها ! قال هارون: بحق جدك إلا فعلْت ! قال الكاظم : **أما الحد الأول فَعَدَن !** فتغير وجه الرشيد ، وقال : **الحد الثاني سَمَرْقَنْد !** فَارْبَدَّ وجه الرشيد . قال الكاظم : **والحد الثالث إفريقيا !** فَاسْوَدَّ وجه الرشيد ! قال الكاظم هيه **والرابع، قال: سيف البحر** مما يلي الخَزَر وأرمينية ! فقال الرشيد : فلم يبق لنا شيء ! قال الكاظم: قد أعلمتُك أني إن حددتها لم تردَّها ! فعند ذاك عزم هارون الرشيد على قتل الإمام الكاظم !

ومعروف للكافة أن هذه ليست حدود « فدك » . فهل كان الكاظم يجهل الحدود الحقيقية لـ « فدك » ؟ هذا مستحيل ، لأن أرض فدك معروفة بحدودها جيداً لأهل الحجاز منذ أن تسلمها النبي صلى الله عليه وسلم وآله . فماذا يقصد بهذه الحدود : عدن – سمر قند – إفريقيا – أرمينية ؟ هل يقصد أن تلك المناطق من حق الشيعة أن يحكموها ؟ وهل من اللباقة أن يعلن ذلك في وجه هارون؟ (١)

والظاهر أن هارون أدرك أن الكاظم يحدد نصيبه من المملكة تحت شعار استعادة « فدك » ؛ وهذا هو ما يفَسِّر حَبْسَهُ للإمام الكاظم حتى مات محبوساً ! والحق أن حبس الكاظم لم يجد من المؤلفين العناية الكافية التي تكشف عن أسبابه الحقيقية . وما ذَهَبْتُ إليه هنا مجرد خَرْصٍ لا يرقى إلى اليقين .

وأما عبادة الكاظم وأخلاقياته وكرمه فيشهد بها الجميع ، وتضرب بها الأمثال ، رضى الله تعالى عنه .(٢)

---

( ١ ) راجع المبحث الأول – البذرة الثانية للخلاف .

( ٢ ) ابن تيمية ؛ منهاج السنة النبوية ؛ جـ ٢ ص ١٢٤

وبحكم طبيعة هذه الدراسة المقارنة يهمنا أن نتذكر هذه العلاقات الطيبة التى ربطت الإمام أبا حنيفة والإمام مالك – رضى الله عنهما ، وهما كما نعلم أعلام الفقه السُّنى – بالإمام الباقر وأولاده وأهل البيت جميعاً رضى الله عنهم .

**● الإمام الثامن علي بن موسى ، رضى الله عنه**

ولد علي بن موسى سنة ١٥٣ هـ ، وعاش فى عهد المأمون العباسى حتى مات سنة ٢٠٣ هـ عن ٥٠ عاماً . ويقول ابن كثير :« إن المأمون قدَّمَهم أن ينزل له عن الخلافة ، فَأَبَى عليه ذلك ، فجعله وليّ العهد من بعده » . (١) ولكن ابن تيمية يقول :« إن المأمون قربه وزوجه ابنته ، أم حبيب وولاًه الخلافة » . لكنه رجع إلى القول إنه جعله وليَّ العهد ، واستمر ذلك إلى أن مات علي بن موسى ، ولم يخلعه من عهده » . (٢) ولم يُذكر شيء عن سبب ذلك ، هل هو حب المأمون لابنته ، أم لثقته فى علي بن موسى ، أم نكاية فى المستحقين لوراثة الخلافة ، أم لصعوبات كبيرة واجهت المأمون ! لا بد أن نفكر فى هذه الاحتمالات لأنه أمر جَلَلٌ أن ينقل المأمون وراثة العرش العباسى إلى عَلَوى ! ولا نستطيع أن ننسى القلاقل المدمرة التى حاقت بالدولة العباسية فى نهاية المائة الثانية والحروب الأهلية التى أكلت الأخضر واليابس بين الأمين والمأمون . (٣)

ويشهد ابن تيمية للإمام علي بن موسى الرضا بأنه :« كانت له من المحاسن والمكارم المعروفة ، والممادح المناسبة للحالة اللائقة به ما يعرفه بها أهل المعرفة » . لكن ابن تيمية ينفى قول الإمامية إنه كان أزهد الناس وأعلمهم » . ويقول : « إنه كان فى زمانه من هو أعلم منه وأزهد منه كالشافعى وإسحاق بن راهوية وأحمد بن حنبل وأشهب بن عبد العزيز وأبو سليمان الدارانى ومعروف الكرخى ، وأمثال هؤلاء . هذا ولم يأخذ عنه أحد من أهل العلم بالحديث شيئاً ، ولا رَوَى له حديثًا فى كتب السنة » . (٤)

---

(١) البداية والنهاية ؛ جـ ١٠ / ص ٢٧٢
(٢) منهاج السُّنة النبوية ؛ جـ ٢ ص ١٢٥ – ١٢٦
(٣) راجع تاريخ الطبرى ؛ الأحداث فى السنوات العشر الأخيرة من المائة الثانية .
(٤) منهاج السنة النبوية ؛ جـ ٢ ص ١٢٦

## ● لوازم مصاهرة المأمون

وأحسب أن مصاهرة المأمون لا بد أن تكون قد جذبت الإمام علي بن موسى إلى خضم السياسية التى كانت مشتعلة بنيران حرب الأخين : الأمين والمأمون . ولا أتصور أن الإمام يرى صهره فى تلك الظروف العسيرة ثم يجلس ساكناً يتفرج ! لا بد أنه خاض فى تلك المشكلات على نحو أو آخر ، وهو ولي عهد الخليفة رسمياً . وما كان المأمون ليضعه ولياً لعهده إلا لثقته فى خبرته السياسية . وفى مثل تلك الظروف لا يستطيع ولي العهد أن يتفرغ للدراسة والتدريس فى مدارس بغداد وجوامعها . وبالمثل من العسير على ولي عهد المأمون أن يمارس الزهد وسط الحياة الثرية فى قصور العباسيين . فلا لوم على الإمام أن اكتفى بالقليل من العلم الذي لا يجوز لمثله أن يجهله ، ولا حرج عليه أنه لم يدخل فى سباق مع كبار الزهاد فى عصره .

ولعلنا ننصفه حين نتذكر أنه من النادر جداً أن يستطيع رجل من أهل البيت أن يفوز بثقة الخليفة العباسى حتى يزوجه ابنته ، ويعينه ولياً لعهده . لقد عرف فيه المأمون صفات عظيمة ، لكن كتب التاريخ لم تسجلها ، أو لعلها سجلتها لكنها لم تصل إلى علمنا المحدود .

## ● الإمام التاسع محمد بن علي الجواد (وكنيته : أبو جعفر)

وهو ابن موسى الكاظم . ولد سنة ١٩٥ هـ . تزوج بنت الخليفة المأمون ، أُم الفضل . واشتهر بالسخاء . وتوفى سنة ٢٢٠ هـ وهو فى حوالى الخامسة والعشرين، ودفن فى بغداد . وكان المأمون يعطيه كل سنة ألف ألف درهم ، كان ينفقها على الفقراء والمحتاجين .

وقد عاش الإمام الجواد حياته القصيرة – حوالى ٢٥ عاماً – فى المجتمع العباسى الذى كان يموج بالأفكار والتيارات . والأرجح أن حياته القصيرة لم تتح له الزمان المتسع للتحصيل والنضج ، وممارسة الإمامة العلمية الكاملة . وسنجد فى سيرته أخباراً تريد أن تؤكد له تلك الإمامة المفتقدة !

● **زواج قسرى**

**ومن أبرز أحداث حياته زواجه من ابنة الخليفة المأمون «أم الفضل»**. فيذكر أن المأمون زوَّجه ابنته قَسْرًا ، بهدف تبرئة نفسه من قتل الإمام الرضا ، وإخماد انتفاضات العلويين . هذه رواية ؛ وهى أكثر معقولية من **الرواية الأخرى التى تقول إن المأمون شغف بحب الجواد لما رأى من فضله فى العلم والحكمة ، فزوجه ابنته «أم الفضل»** وتذكر الرواية أن الجواد لم يكن قد أتم العاشرة من عمره! فكيف يتفوق طفل فى العاشرة على أعلام الفقه والأدب فى ذلك العصر ؟ بل كيف يجوز شرعاً تزويج طفل صغير ، قسرًا أو طوعاً ، بغير ولي ؟!

**وتمضى الروايات الحالمة لإثبات علم المشيخة والإمامة للصبي الصغير !** فحين يعترض أبناء الأسرة المالكة على زواج الجواد من ابنة المأمون يقترح الخليفة عقد امتحان فقهى له ، على الملأ لإثبات جدارة الجواد . ويجتمع الناس لمشاهدة الامتحان ، ويأتي العالم الفقيه ، قاضى القضاة ، يحيى بن أكثم ، ويطرح السؤال : **ما تقول فى مُحْرِم قَتَل صيداً** ؟ فيتساءل الجواد : قتله فى حل أو حرم ؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً ؟ قتله عمداً أو خطأ ؟ حرًّا كان المحرم أم عبدًا ؟ صغيرًا كان أم كبيرًا؟!

ولا مشكلة فى الرد على هذه التساؤلات ، لأن الأمر هو مجرد تقديم بيانات ومعلومات ، يتطلبها إصدار الفتوى ، والمنطقى هنا هو أن يقدم قاضى القضاة هذه المعلومات . **لكن الأخبار لا تقول هذا ، بل تقرر أن قاضى القضاة : تحيَّر ، وَبَانَ فى وجهه العجز والانقطاع والجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره !**

وهكذا تزيف الرواية نفسها بنفسها ! فهى تريد إقناعنا بأن قاضى القضاة الفقيه الكبير عجز عن تقديم المعلومات الأولية اليسيرة التى تبنى عليها الفتوى !

واندهش المأمون من سعة علم الجواد – الذى لم يصدر الفتوى ! – ومن عجز قاضى القضاة ، فعرض ابنته على ذلك الصبي الفقيه البارع ، **وقال : أتخطب يا أبا جعفر ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين !**

ومرة أخرى ينسى مؤلف الرواية أن الجواد لم يكن قد أنجب ، ولاله ولد ، ولم يكتسب كنية «أبو جعفر» بعدُ ، وكان على المأمون أن يناديه باسمه «محمد» !

### ● امتحان قاضى القضاة

ويذكر أن الجواد أراد امتحان قاضى القضاة ، فطرح سؤالاً «معقداً» فعجز الفقيه الكبير عن الجواب ، وعندئذ علمه الجواد الإجابة ! وكانت صيغة السؤال هى : خَبِّرنى عن رجل نظر إلى امرأة أول النهار ، فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار حلَّت له ، فلما زالت الشمس حُرِّمَتْ عليه ، فلما كان وقت العصر حَلَّت له ، فلما غربت الشمس حُرِّمت عليه ، فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له ، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه ، فلما طلع الفجر حلت له! ما حال هذه المرأة ؟ وبماذا حلت له وحرمت عليه ؟

وعجز قاضى القضاة عن الجواب ، وأجاب الجواد ( الصبي محمد بن علي ! ) ، وسعد المأمون بذلك ، وقُهِرَ أبناء البيت المالك !

إن وفاة الجواد فى سنٍّ مبكرة تسببت فى مشكلات للمؤرخ الإمامى ، فتفتق ذهنه عن هذه الأخبار المتناقضة التى لا تقابلنا فى سيرة الباقر أو الصادق ، تلك السيرة العامرة بالحقائق ، رضى الله عنهم أجمعين .

### ● الإمام العاشر علي بن محمد الهادى

هو ابن محمد الجواد ، وكنيته أبو الحسن ، ويعرف بالعسكرى . أمه «أم الفضل» - بنت الخليفة المأمون العباسى . وقد وُلد سنة ٢١٢ هـ ، ويقال إنه مات مسموماً بفعل الخليفة المعتز العباسى ، فى مدينة سامراء ، ( أو المتوكل فى رواية أخرى ، هى الأرجح )

وقد قرر المؤرخون أن الهادى كان علماً مرموقاً فى مجالات العلم . وقد تلقى عنه علوم الشريعة عدد كبير من التلاميذ . وتحفل كتب الحديث والفقه والتفسير بما أُثر عنه ، وإن لم يؤلف هو نفسه أى كتب :من ذلك قوله :«إن الله جعل الدنيا

دار بلوى ، والآخرة دار عُقبىَ ، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً ، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً » . وقال أيضاً : « الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون » . وقال كذلك :« اذكر مصرعك بين يدي أهلك ، ولا طبيب يمنعك ، ولا حبيب ينفعك » .

وهذه الأقوال والمواعظ تعبر عن توجه تزهدى إسلامي أصيل .

**● فتاواه**

وتُذكر للإمام الهادى فتاوى ، للتدليل على تضلعه فى الفقه ، لكن التدقيق فيها لا يدل على ذلك . وظنى أن بعض هذه الفتاوى منحولة عليه .

**الفتوى الأولى تدور حول رجل نصرانى فجر بامرأة مسلمة ، فأراد المتوكل أن يقيم عليه الحد ، فأسلم الرجل النصرانى ، ومن ثم ارتبك الفقهاء فى شأن عقوبته** . وكتب المتوكل يستفتى الهادى ، فرد عليه بقوله :« يُضرب حتى يموت » . واستند الهادى إلى قول الله تعالى ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۞ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [ غافر : ٨٤ – ٨٥ ]

ونحن نرى أن الآيتين لا تحكمان فى جريمة الزنا . وحد الزنا معروف ، والأدلة عليه معروفة ، وهى قول الله تعالى ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** ﴾ [ النور : ٢ ] هذا لغير المُحْصَن . أما المحصن فحدُّهُ الرجم حتى الموت .

ولهذا تثور الأسئلة :

هل كان الرجل مُحْصَناً أم لا ؟

وهل كانت العقوبة للزنا أم للتوقِّى من العقوبة بإعلان الإسلام نفاقاً ؟

وهل تيقَّن الإمام أو المتوكل من أن إيمان الرجل كان مجرد تَوَقٍّ وليس صادقًا؟

ولا تبين الفتوى إن كانت الجريمة قد ثبتت باعترافه أم بأربعة شهود ؟

**والعقوبة الحدية للزنا هى الرجم حتى الموت ، وليس الضرب حتى يموت ! والفتوى حكمت بالضرب حتى الموت . وهذا تناقض : فإما رجم حتى الموت ، وإما ضرب (لغير المحصن) حتى أربعين جلدة . فهنا خلط بين الحدَّيْن ، وهو لا يليق بالإمام الهادى ويحتم رفض نسبة الفتوى إليه .**

**والفتوى الثانية كانت عن «حد المال الكثير»** . وكان المتوكل قد نذر لله إن رزقه الله العافية أن **يتصدق بـ«مال كثير»** فلما عافاه الله سأل الفقهاء عن «حد المال الكثير» . فاحتاروا ، فسأل الخليفة الإمام الهادى فأفتاه بأنه ثمانون درهماً . واستند الإمام إلى لفظ : «مواطن كثيرة» [1] الذى ورد فى القرآن ، وعَدَّ تلك المواطن فوجدها ثمانين موطنًا .

**وهنا أيضاً نجد صعوبة كبيرة فى إجازة هذه الفتوى . وقد تردد لفظ «كثيرة»** ١١ مرة فى القرآن ، وحوالى ١٣ مرة بصيغ مختلفة من اللفظ نفسه . ولننظر فى آية واحدة لنعرف مدى دقة الفتوى . قال تعالى ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً** ﴾ [البقرة:٢٤٩] والفئة هنا فرقة من الجنود ، وقد يبلغ عددهم الآلاف !

**ومن البدهىّ أن لفظ «كثيرة وكثير» نسبى . فقد يقال :«هذا كثير» على العشرة والعشرين ! وقد يقال : «هذا قليل» على بضْع ألوف**. وكانت فرصة أن نَذْرَ الخليفة دون تحديد ، لكى يفسر المال الكثير بالآلاف . فهذا هو السلوك الفقهى السديد فى فتوى تحدد صدقة ملك عظيم جداً . ومن المؤكد أن ثمانين درهمًا هو مبلغ ضئيل جداً بالنسبة لخليفة ، وإن كان كثيراً بالنسبة لإنسان فقير والله تعالى أعلم .

**وتستغرق سيرة الهادى جانباً كبيراً لوصف صلته بالخليفة المتوكل .** فعندما كان الهادى يعيش فى المدينة كان المتوكل يتوجس منه خيفة ، لما حدث

---

(١) سورة التوبة ؛ شطر الآية ٢٥

من العلويين من ثورات وانقلابات ، فأرسل الخليفة يحيى بن هرثمة إلى المدينة ليراقبه ويتجسس عليه . وبعد فترة عاد هرثمة إلى الخليفة وأخبره بأن الإمام رجل عالم زاهد . ومع هذا لم تهدأ شكوك المتوكل ، فأمر بإحضار الإمام إلى سامراء ليكون تحت رقابته . وانتهت علاقة الرجلين بأن دُسَّ السُّم فى طعام الإمام ، فلحق بالرفيق الأعلى فى رجب سنة ٢٤٥ هـ ، رضى الله عنه ، وهو فى شرخ الشباب .

**الإمام الحسن بن علي العسكرى ( ابن على الهادى ) رضى الله عنه .**

وهو الإمام الحادى عشر فى سلسلة الأئمة الاثنا عشرية ، ولد سنة ٢٣٢ هـ لقب بالعسكرى نسبة إلى « سامراء » وكانت مدينة العسكر ومات مسموماً بمؤامرة من الخليفة العباسى المعتمد سنة ٢٦٠ هـ وعمره ثمان وعشرون سنة ، ودفن مع أبيه .

عاش الإمام العسكرى فى حياة ثلاثة من خلفاء بنى العباس هم : المعتز والمهدى والمعتمد . وكان عصره عصر استبداد ومظالم ، وبذخ ولهو فى قصور الحكام . ومن الطبيعى أن يقع صدام بين السلطة الظالمة وبين العلماء والأئمة ، الذين ينتقدون الأوضاع الخاطئة ، ولو بأساليب غير مباشرة . فالحديث عن العدل فى الإسلام وفى تطبيقات الخلفاء الراشدين يثير حفيظه الحكام الظلمة فى جميع العصور ، وحتى يوم الناس هذا ، وهم يعتبرون تقريظ الخلفاء الراشدين زراية بهم وتحريضًا للناس ضدهم .

**● السجن !**

ومن أجل ذلك زُجَّ بالإمام الشاب الحسن العسكرى فى السجن غير مرة ، كما اعتقل بعض أنصاره من الشيعة العلويين . وكدأب السادة العظماء من الأئمة والعلماء ، كان الإمام الشاب يتخذ من السجن معبداً ، ومعهداً ، فيقضى أيامه الطوال فى الصلاة وقراءة القرآن ودراسة الشريعة ، ومن ثم نال محبة الناس وثقتهم . فتروى قصة عجيبة عن القحط الذى أصاب « سُرَّ من رَأى » وكيف أن راهباً نصرانياً رفع يده إلى السماء فأمطرت ، مما أغرى البعض على اعتناق النصرانية ! وعندئذ لجأ الناس إلى الإمام العسكرى فذهب معهم للاستسقاء . وجاء الراهب النصرانى ،

وأراد أن يرفع يده إلى السماء كما فعل فى اليوم السابق ، لكن الإمام أمر بعض مماليكه أن يأخذوا بيد الراهب ويروا ما فيها ، فوجدوا فيها عظماً أسود ، فأخذه الإمام وطلب من الراهب أن يستسقى فَفَعَلَ ولكن لم يستجب له كما جدث فى اليوم السابق !

وسأل الخليفة الإمام عن ذلك فقال : «إن هذا الراهب مَرَّ بقبر نبى فوقع فى يده هذا العظم ، وما كُشِفَ عن عظم نبى إلا هطلت السماء بالمطر» .

وهكذا بدد الإمام الصورة الكاذبة لذلك الراهب وأعاد للناس الثقة فى أئمتهم .

**ومن الصعب قبول هذه الرواية ، لأن المسلمين لم يعرفوا شيئاً اسمه التوسل بعظام الأنبياء .**

**تفسيره للقرآن**

**ولعل تفسير الإمام الحسن العسكرى لبعض آيات القرآن الكريم هو أهم جانب فى أعماله العلمية . من ذلك أن بعض الشكاك قالوا** : إنكم تقولون فى صلواتكم ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة:٦] أولستم فيه ؟ هل أنتم متنكبون عنه فتدعون الله أن يهديكم إليه ؟ وقد رد الإمام على هذه الشكوك المبتذلة فقال إن معنى الآية هو : «أدم لنا توفيقك الذى به أطعناك فى ماضى أيامنا حتى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمالنا» .

وعرف الإمام «الصراط المستقيم» فقال : «الصراط المستقيم هو صراطان : صراط فى الدنيا وصراط فى الآخرة . أما الأول فهو : ما قَصُرَ **عن الغُلو ، وارتفع عن التقصير ، واستقام فَلَم يعدل إلى شىء من الباطل**» .

وفَسَّر قول الله تعالى ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾ [الفاتحة:٧] فقال : «ويتصوَّر أن المراد من النعمة هو المال والأولاد وصحة البدن ، وإن كان كلٌ هذا من نعمة الله ، ولكن المراد من الآية القرآنية قوله ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾ [الفاتحة:٧] **هو نعمة التوفيق والهداية**» .

وهذا قريب جداً من تأويل شيخ المفسرين السُّنة الإمام الطبرى رحمه الله إذْ يقول إن ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ : « هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه » . ثم يقول بعد قليل : « والذى هو أولى بتأويل هذه الآية عندى أن يكون معنياً به : **وَفِّقْنَا للثبات على ما ارتضيته وَوَفَّقْتَ له مَنْ أنعمتَ عليه من عبادك ، من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم** » .[١]

أما غلاة الشيعة فلا يقفون عند المعانى المقررة للألفاظ ، ولا يحترمون القرائن، ولا يلقون بالاً لأئمة المفسرين السُّنة أو الشيعة ! فيقول أحدهم ﴿ **الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ **هو علي بن أبي طالب ، أو هو صراط محمد وآله** . ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾ **يقول** : النبى ومن معه **وعلي بن أبى طالب وشيعته** » .[٢] **وينسب ذلك إلى رسول الله** ﷺ ، وهى أحاديث لم يعرفها الإمام الطبرى ولا الإمام الحسن العسكرى!

ولو سألناه : أي شيعة يقصد ؟ هل هم الإمامية أم الزيدية أم الإسماعيلية ؟ لما وجد جواباً إلا الرجوع إلى تفسير الأئمة العظام . **إذْ لا يمكن تفسير الآيات بحصرها تعسفياً فى حق أئمة مذهب من المذاهب ، ثم يتنازعها مخالفوه ، وتروج عندئذ سوق التزوير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله !**

## ● العلماء بعد الأئمة الاثنا عشر

بعد الحادى عشر ، ينتظر الشيعة الإمام الثانى عشر الغائب ، ويتولى العلماء دور الأئمة طول فترة الغيبة . لقد انتهى عهد التعيين والوصية ، وانتقلت الزعامة الحقيقية إلى علماء الشيعة » .[٣]

ويقول الشيعة إن الوقوف عند الثانى عشر ثابت بنص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله حيث قال للحسين بن علي : « هذا إمام ابن إمام ، أخو إمام ،

---

( ١ ) تفسير الطبرى ؛ تفسير فاتحة الكتاب ؛ جـ ١ ص ١٧٠ – ١٧١

( ٢ ) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ٣ ص ٣٥ – ٣٦

( ٣ ) القبانجى ؛ تاريخ التشيع الفكرى ؛ ص ٨٢

أبو أئمة تسعة ، تاسعهم قائمهم ، اسمه كإسمى ، وكنيته كنيتى ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ». **هذا الحديث أورده ابن تيمية نقلاً عن كتاب «منهاج الكرامة»** ، **وعلق عليه فقال : إن سائر مذاهب الشيعة تكذبه : الزيدية والإسماعيلية ، وبقية فرق الشيعة التى تبلغ نحو سبعين فرقة ! وعلماء الشيعة المتقدمون** لم ينقلوا هذا ( الحديث ) ولم يحتجوا به ، **بل كانوا يحتجون بوجود نص على إمامة «علي» أو على ناس بعده ، لكن أحداً منهم لم يدَّع النص على اثنا عشر »**.(١)

## ● حديث سمرة بن جندب

وينفى ابن تيمية أن يصْدُق حديث جابر بن سمرة الذى أخرجه الإمام مسلم على الاثنا عشر عند الإمامية . فنص الحديث يقول : « لا يزال الإسلام عزيزاً » . وهذا يدل على أنه يكون أمر الإسلام قائماً فى زمن ولايتهم .. وعند الاثنا عشرية لم يقم أمر الأمة فى مدة أحد من هؤلاء الاثنا عشر! بل ما زال أمر الأمة فاسداً منتقضاً ، يتولى عليهم الظالمون المعتدون ، بل المنافقون الكافرون ، وأهل الحق أذَل من اليهود ».(٢)

ونص حديث سمرة كما أخرجه مسلم يقول : « دخلتُ مع أبى على النبى صلى الله عليه وسلم وآله فسمعته يقول :«إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة ».(٣)

وعلق الإمام النووى على هذا الخبر بقوله: إنه مخالف للحديث القائل : **«الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً»** . ومعلوم أنه لم يكن فى الثلاثين سنة التى تلت وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وآله غير خلافة الراشدين الأربعة ، والأشهر القليلة لخلافة الحسن بن علي بن أبى طالب ، ثم انقلب الحكم بعدها إلى مُلك عضوض . ويحاول النووى تصحيح حديث سمرة ، فيقول:« إن المراد فى

---

(١) منهاج السنة النبوية ؛ جـ٤ ص ٢٠٩
(٢) نفسه ؛ ص ٢١٠
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ جـ١٣ ص ٢٠١

حديث :« الخلافة ثلاثون سنة » خلافة النبوة » . ويؤكد هذا الشرح خبر آخر جاء فيه أن :« خلافة النبوة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون مُلكاً » . وأما خلافة الاثنا عشر فلم توصف بأنها خلافة نبوة » .[1] وهكذا يزول التعارض بين حديث الاثنا عشر خليفة وبين الحديثين الآخرين بأن خلافة النبوة ثلاثون سنة ، وبين واقع التاريخ الإسلامى . ومع هذا يظل حديث الاثنا عشر غير مقبول عند أهل السُّنة ، لأنه يسقط خلافة الراشدين الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان ، ويُعَدْ « علي بن أبى طالب » أول الاثنا عشر . هذا فى فهم الإمامية وحدهم !

ويعلق ابن تيمية على حديث سمرة بن جندب فيقول إن الخلفاء هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي – ولا يذكر الحسن بن علي « ثم تولَّى من اجتمع الناس عليه وصار له عزٌّ ومَنْعة : معاوية وابنه يزيد ، ثم عبد الملك وأولاده الأربعة ، وبينهم عمر بن عبد العزيز » .[2] **وفى يقينى أن أى مسلم يعرف نظام الإسلام السياسى لا يمكن أن يقبل رأي ابن تيمية هذا . فلم يكن معاوية خليفة بالمعايير الشرعية ، ناهيك عن ابنه يزيد ، بل كان حاكماً غير شرعى ، استلب المنصب بالقوة والخديعة والرشوة ، وقضى على نظام الشورى والبيعة الحرة ، دون أن يجتمع الناس عليه ، وكانت عزته زائفة أساسها الظلم والبطش والقتل ، ولذلك عانت دولته من القلاقل والثورات حتى سقطت سنة ١٣٢ هـ**

### ● عمل الإمام : حفظ الإسلام

والإمام فى المذهب الاثنا عشرى عالم وفقيه ومرشد ، ولم يمارس السلطة السياسية إلا الإمام علي بن أبى طالب وولده الحسن . وهذا لايعنى أنهم لم يريدوا ممارسة السلطة الزمنية والحكم ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك . وحاول الإمام الحسين رضى الله عنه الاستيلاء على السلطة لكنه لم يستطع . وحاول بعض آل البيت ، فأفلح الفاطميون فى تأسيس دولتهم فى إفريقية ومصر ، لكن أحداً من الأئمة الاثنا عشر لم يترأسها .

---

(١) الموضع نفسه .
(٢) منهاج السنة النبوية ؛ جـ٣ ص ٢٠٦

وعمل الإمام ليس يسيراً . ولذلك يحتاج إلى مواهب وقوى خارقة فى نظر الإمامية . **فهو مرشد وعالم وفقيه ، ومسؤوليته حفظ الإسلام ، وإيصال الناس إلى القرب الإلهى»** . وهو مزوَّد بـ« روح القدس » التى تعبر عنها الآيات والروايات العديدة . وأعمال الناس تُعرض على الإمام « فى كل يوم وليلة » . والإمام مُشَرِّع للأمة ، يحلل ويحرم – كما جاء فى نص أصول الكافى – والإمام يعلم الغيب ! هذا على الرغم من اعتراف الإمام علي رضى الله عنه بأنه أراد ضرب جارية فهربت منه ، فلم يعلم فى أى غرفة من الدار اختبأت !(١) ولكى يؤدى الإمام مسؤولياته لا بد أن يكون معصوماً عصمة مطلقة .

وفى الواقع كان الائمة ، كما تشير أخبارهم ، قادة دينيين ، وأئمة روحيين . وبعضهم كان مرموقاً ، فذاً ، مثل الباقر والصادق ، فى المجالات العلمية . وبعضهم كان أنموذجاً للعُبَّاد المخبتين . وكان علي بن أبى طالب طرازاً فريداً وحده ، فى علمه وحكمته وشجاعته ، وسمو أخلاقه ، وعدالة حكمه ، رضى الله عنهم جميعاً .

ومن نافلة القول أن أذكر أن **أهل السُّنة يضعون أئمة الشيعة الأحد عشر الموضع الرفيع الجديرين به ، علماً وديناً . لكنهم لا ينسبون إليهم قدرات خارقة كعلم الغيب ، أو العصمة ، أو عرض أعمال العباد عليهم ، وهو الموقف نفسه الذى يتخذه أهل السّنة تجاه قادتهم الدينيين فى كل العصور ، باستثناء بعض الصوفية .**

## ● الإمام الثانى عشر ، المهدى المنتظر ومعجزاته

يقول الشيعة الإمامية إن أبا الحسن علي بن محمد العسكري ، الإمام الحادى عشر فى سلسلة أئمتهم اشترى جارية اسمها نرجس ، كانت رومية فى سَبْي سَبَاهُ المسلمون ، وكان جَدُّها قيصر ، وأبوها يشوعا بن قيصر الروم . تزوج الإمام

---

(١) راجع جواد الكسار ؛ بحث حول الإمامة ؛ ص ٥٣ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٧٠ ، ٢٥٨ ، ٣٠٩ ، ٣٧٤ .

أبو الحسن تلك الجارية فولدت له المهدى :«المولود الكريم على الله عز وجل ، يحيى الله عز وجل به الأرض بعد مَوْتها».(١)

ويذكر عباس القمى من معجزات المهدى أنه كان يقرأ القرآن وهو جنين في بطن أمه . وقد وُلدمختونًا ، وقد كُتب على ذراعه الأيمن : ﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الإسراء: ٨١] وقد سجد على وجهه . وكان يطير على جناح طائر ، وهو روح القدس . وقد عاد بعد أربعين يوماً . **وقرأ صحف آدم بالسريانية ، وكتاب إدريس ، وكتاب نوح ، وكتاب هود ، وكتاب صالح ، وصحف إبراهيم ، وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى وفُرقان جدّه – رسول الله** صلى الله عليه وسلم وآله .

**وقد أرسل الله ملكيْن ، فحملاه إلى سرادق العرش حتى وَقَفَا به بين يدى الله عز وجل ، فقال له : مرحباً بك عبدى لنصرة دينى وإظهار أمرى ، ومهدى عبادى ، آليتُ أنى بك آخذ وبك أعطى ، وبك أغفر ، وبك أعذب . ارْدُدَاه أيها الملكان ! رُدَّاه على أبيه ردًا رقيقًا ، وأبلغاه بأنه فى ضمانى وكنفى ، وبعينى ، إلى أن أُحق به الحق وأزهق به الباطل ، ويكون الدين لى واصباً».(٢)**

وللمهدى عند الإمامية ١٨٢ اسماً ، منها : بقية الله ، الحجة ، القائم ، ولي العصر ، ومحمد . وينسب إلى الإمام الباقر قوله إن الآية القرآنية الكريمة ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ** ﴾ [الملك: ٣٠] إنها نزلت فى القائم (٣) .

وواضح أن هذا الكلام يتصادم مع قول الله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ [الشورى: ٥١] **وبهذا تزيَّف القصة من أولها إلى آخرها ، بما فيها من معجزات لم يَحظ بها النبى** صلى الله عليه وسلم وآله ،

---

(١) عباس القمى ؛ تاريخ الإمام الثانى عشر ؛ ص ١٧
(٢) نفسه ؛ ص ٢١
(٣) نفسه ؛ ص ٢٦ – ٢٧

ولا حظى بها أحد من أولى العزم من الرسل ، وبهذا يشكك فى صحة الكتاب الذى أورد القصة الزائفة .

ومن خصائص المهدى عند الإمامية : «إحياء الموتى» وحضورهم فى ركابه : **سبعة وعشرون رجلاً (من ظهر الكوفة) ، خمسة وعشرون من قوم موسى عليه السلام ... وسبعة من أهل الكهف ، ويوشع بن نون ، وسلمان ، وأبو دجانة الأنصارى ، والمقداد ، ومالك الأشتر** ، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً» .[1]

ونُسب إلى الإمام الصادق قوله : **العلم سبعة وعشرون جزءاً ، فجميع ما جاءت به الرسل جزء ان ، .. فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين جزءاً فبثها فى الناس ، وضم إليها الجزءين حتى يبثها سبعة وعشرين جزءاً»** .[2]

ويذكر القمى : «بعضاً من آداب العبودية ورسوم الطاعة لمن خضع لإمام العصر والزمان عليه السلام ، وأدرك أنه من عبيده ، والمتطفل على مائدته وجوده وإحسانه ، واعترف له بالإمامة ، وأنه الواسطة لوصول الفيوضات الإلهية والنعم غير المتناهية - الدنيوية والأخروية - على المخلوقات» .[3]

ومعنى هذا أن المهدى المنتظر سيأتى بكتاب جديد إضافة إلى القرآن الكريم ، وأنه جدير بالعبودية ! **وهذه المزاعم مرفوضة رفضاً باتاً عند الشيعة الإمامية فضلاً عن أتباع الفرق الأخرى . ولهذا أرفض الأقوال الغالية التى عزاها القمى إلى الأئمة الكبار مثل الإمام الصادق الذى يستحيل أن يقول كلاماً يناقض القرآن .**

## ● من يكون المهدى ؟

وهذا الإمام المهدى الذى ولد سنة ٢٥٥ هـ هو صاحب السرداب ، يقال إنه دخل سرداباً سنة ٢٦٦ هـ وهو فى حوالي التاسعة من عمره ، ولم يخرج منه إلى اليوم .

---

(١) القمى ؛ تاريخ الإمام الثاني عشر ؛ ٣٥

(٢) نفسه ؛ ص ٣٧ (٣) نفسه ؛ ص ١٤١

ويقول ابن تيمية إمام أهل السُّنة إن ذلك الطفل لو كان موجوداً معلوماً لكان الواجب فى حكْم الله الثابت بنص القرآن والسُّنة والإجماع أن يكون محضوناً عند من يحضنه فى بدنه ، كأمه وأم أمه ، ونحوهما من أهل الحضانة ، وأن يكون ما له عند من يحفظه . (لأن أباه تُوفى وسنُّه خمس سنين) . فكيف يكون من يستحق الحجر عليه فى بدنه وما له إماماً لجميع المسلمين ، معصوماً ، لا يكون أحد مؤمناً إلا بالإيمان به ؟ ثم إن هذا (الإمام) باتفاق منهم ، سواء قدِّر وجوده أو عدمه، لا ينتفعون به لافى الدين ولا فى الدنيا ، ولا علَّم أحدًا شيئًا ، ولا عُرِفَتْ له صفة من صفات الخير ولا الشر ، فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ومصالحها الخاصة ولا العامة ، بل إن قُدِّر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلاً . . »[1]

وتقول فرق شيعية أخرى غير الإمامية **إن المهدى المنتظر هو محمد بن علي ابن أبي طالب - محمد بن الحنفية ، الذى دخل سرداباً بجبل رَضْوى ، واختفى فيه** ، وسيظهر بعد حين . وهو بين أسد ونمر ، يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان من بحار ماء وعسل ، وإنه يعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً . »[2]

**ومن الجلي أن هذه الاعتقادات تخص الإمامية وحدهم ، ويستنكرها كثير من أتباع المذاهب الأخرى ، وعلى رأسهم أهل السُّنة** . ويدافع الإمامية عن عقائدهم مستندين إلى حديث رواه ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله قال فيه : « **يخرج فى آخر الزمان رجل من ولدى ، اسمه كاسمى ، وكنيته كنيتى ، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً ، وذلك هو المهدى**» . وهذا الحديث صحيح ، ولكن المهدى عند الإمامية اسمه محمد بن الحسن ، فى حين أن المنعوت فى الحديث اسمه محمد بن عبد الله . والمهدى المشار إليه فى الحديث يجب أن ينحدر من صلب الحسن بن علي بن أبى طالب ، بحسب الحديث المروى عن علي رضى الله عنه ، وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله نظر إلى الحسن وقال إن

(1) منهاج السنة النبوية ؛ جـ٢ ص ١٣١ - ١٣٢
(2) د.حمزة النشرتى ؛ يسألونك عن الشيعة ؛ ص ١٦٢

المهدى سيخرج من صلب هذا . هذا فضلاً عن أن كثيراً من طوائف الشيعة وغيرهم يدعون أن المهدى سيكون منهم .(١)

ويؤكد الشيعة الإمامية عقيدة المهدى عندهم بقولهم إنها تشبه عقيدة كثير من شيوخ الدين والزهد : **إلياس والخضر والغوث والقطب ورجال الغيب .** ويجادل ابن تيمية قائلاً إن النبى صلى الله عليه وسلم وآله لم يشرع لأمته التصديق بوجود هؤلاء ( الخضر والغوث والقطب ) ولا أصحابه كانوا يجعلون ذلك من الدين، ولا أئمة المسلمين. ثم إن الإمام القائم عند الإمامية شخص مجهول لا يُرى له عين ولا أثر ، ولايُسمع له حِسٌ ولاخبر ، فلم يحصل لهم من الأمر المقصود بإمامته شيء» . وكيف يكون طفل لم يتوضأ ولم يصل ، وهو لا يزال فى حجر وَليِّه، أن يكون إماماً ؟ ذلك هو الحسن بن علي العسكرى الذى دخل السرداب وغاب فيه حتى الآن » .(٢)

ويتطلع الإمامية لليوم السعيد الذى سيرجع فيه المهدى المنتظر فيملأ الأرض عدلاً ، بعد أن مُلئت ظلماً ، وكانوا هم المظلومين والضحايا . فهذا شاعر معاصر يستعجل عودته فيقول :(٣)

**يا صاحب الأمر يكفيك السكوت فقد — حاطت بكل سرايانا أعادينا**
**ضاق الخناق بنا فى كل ناحية — فلا ملاذ لنا إلاَّكَ ينجينا**
**فانهض فكم من حسين غُصَّ فى دمه — فينا وكم من يزيد فى نوادينا**
**كم ذا وقوفك والأحداث تنشرنا — على الرزايا وبالأهوال تطوينا**

إلى أن يختم القصيدة بقوله :

**عَجِّل فقد جَفَّ منا كلُّ منتهلٍ — فلا نرى مورداً للحق يروينا**

والشاعر هنا مخطئ ، لأن الأئمة حددوا حكام الشيعة فى أثناء الغيبة ، وقال

---

( ١ ) منهاج السُّنَّة النبوية ؛ جـ ٤ ص ٢١١
( ٢ ) نفسه ؛ ص ٢٢ – ٣٠
( ٣ ) محمد جمال الهاشمى ؛ الهاشميات ؛ ص ٢٩٧ – ٢٩٨

الإمام الباقر : «**انظروا إلى من كان منكم قد رَوَى حديثنا ، ونظر فى حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا ، فارضوا به حكماً ، فإنى قد جعلته عليكم حاكماً . فإذا حكم بحكمنا فلم يُقبل منه ، فإنما بحكم الله اسْتُخِفَ ، وعلينا رد . والراد علينا رادٌ على الله ، وهو فى حَدّ الشرك بالله**».(١) وهذا هو أساس ولاية الفقيه المطبقة حالياً فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية .

ومن الشيعة طائفة لا تؤمن برجعة المهدى أو ظهوره ، وطائفة أخرى تؤمن بأن الذى سيرجع هو علي بن أبى طالب . وقد كذبهم ابنه الحسن وقال :«**كذب أولئك الكذابون ! لو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه ، ولا قسمنا ميراثه**».(٢)

## ● خلافٌ حولَ الرجعة

ويقول الدكتور موسى الموسوى إن أعلام المذهب الإمامى لا يجمعون على الاعتقاد بالرجعة :«الأكثرية الساحقة من الشيعة لا تعرف شيئاً عنها ولا تدرك مغزاها». (٣) لكن من المؤسف أن الدفاتر التى يقرأها الشيعة فى أثناء زيارتهم لمشاهد أئمتهم تشتمل على عقيدة الرجعة والبَدَاء ، ولا يعترض أحد على ذلك ، فى حين أن بعض الزعامات كان يبدى امتعاضاً أو إنكاراً لفكرة الرجعة والبَدَاء فى مجالسه الخاصة ، ولكنه لم يُبْدِ الرأي فيها علناً». (٤)

وعقيدة الرجعة تعنى – إذن – أن يعود الإمام المهدى إلى الأرض ويملأها قسطاً ، وبذلك يمهد السبيل لرجعة أجداده ابتداءً من علي بن أبى طالب . وكل واحد منهم سوف يحكم الدنيا فترة ، ثم يتوفى ، ويخلفه ابنه ، حتى ينتهون إلى الحسن العسكرى ، ثم تقوم القيامة : «كل هذا تعويضاً لهم عن حقهم الشرعى فى الخلافة والحكومة التى لم يستطيعوا ممارستها فى حياتهم قبل الرجعة». (٥) وسوف يرجع إلى الحياة أيضاً أعداء الشيعة لكى ينتقم منهم الأئمة.(٦)

---

(١) القمى ؛ تاريخ الإمام الثانى عشر ؛ ص ١٩٠
(٢) الفتح الربانى ( مسند الإمام أحمد ) رقم ٢٩٣ جـ٢٣ ص ١٣٤
(٣) ، (٤) الشيعة والتصحيح ؛ ص ١٤١
(٥) نفسه ؛ ص ١٤٢ (٦) نفسه ؛ ص ١٤٥

ويقرر الدكتور موسى الموسوى أن **هذا الكلام كذب وافتراء ، ويجب تنقية دفاتر الزيارات من كل العبارات التى تشير إلى الرجعة والانتقام من الخلفاء الراشدين ، لأنها خطأ ، ولأنها تثير غضب أبناء المذاهب الأخرى.**(١)

## ● لا مهدى عند السنة

والأرجح أن أهل السُّنة لا يؤمنون بالمهدى المنتظر ، وقد درس الدكتور عبد المنعم النمر الأخبار التى وردت عنه فى مصادر أهل السنة وزيَّفها ، ثم **انتهى إلى القول :« لا أظن أن هناك عالماً منصفاً للدين وللحق ولنفسه ، يصر على دعوى أنه سيكون لنا مهدى ، وأن ذلك من أمور الدين التى لا يصح لنا إغفالها ، بحجة أن بعض كتب الأحاديث عندنا قد ذَكَرَتْها** . فقد علمنا ما فى هذه الأحاديث من ضعف ، أو وَضْع ، لا يستقيم لمسلم أن يقيم عليها عقيدة من العقائد الغيبية ، وبالتالى لا يسوغ له أن يطالب مسلماً بالإيمان بها ». (٢)

أخرج ابن ماجة فى سُنَنه سبعة أحاديث عن « المهدى » . من ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم وآله عن أم سلمة قالت :« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يقول : « المهدى من ولد فاطمة ».(٣) وعن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « المهدى منا أهل البيت يصلحه الله فى ليلة ». (٤)

وأورد ابن الجوزى عدداً من الأحاديث عن خروج المهدى ، ثم علق عليها بقوله إن أغلبها غير صحيح ، وبعضها لا بأس به ، وبعضها صحيح ، وهو الحديث القائل : « لا تذهب الدنيا حتى يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتى ، يواطئ اسمه اسمى ». (٥) وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله قال : « أبشركم بالمهدى ، يبعث فى أمتى على اختلاف من الناس ، وزلازل ، فيملأ

---

(١) الشيعة والتصحيح ؛ ص ١٤٥
(٢) د . النمر ؛ الشيعة ، المهدى ؛ ص ٢٠٤
(٣) رقم ٤٠٨٦ جـ ٢ ص ١٣٦٨ (٤) نفسه ؛ رقم ٤٠٨٥ جـ ٢ ص ١٣٦٧
(٥) العلل المتناهية ؛ رقم ١٤٣٥ جـ ٢ ص ٣٧٤

الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً » . [1] فى حديث طويل . وعن أبى سعيد أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله قال : « يكون فى أمتى المهدي ، إن قصُر فَسَبْعٌ ، وإلا فتسع ، فتنعم فيه أمتى نعمة لم ينعموا مثلها قط . تؤتى أُكُلَها ، ولا تدخر منهم شيئا . والمال يومئذ كَدُوس ، فيقول الرجل : يا مهدي أعطنى ! فيقول : خذ ! » . [2]

لكن تأمل هذه الأحاديث لا يَستخرجُ منها فكرة المهدى المنتظر كما هى لدى الشيعة وبالأوصاف والمعجزات والخوارق التى نَسبوها إليه . والباحث الموضوعى لا بد أن يُرجح ضعفها بحيث لا يمكن أن تبنى عليها عقيدة إسلامية . وقد يرى فيها البعض بُشرى خير للأمة بأن مصيرها إلى حاكم راشد صالح يملأ الأرض عدلاً ، يضع حدًّا للمظالم التى حاقت بالمسلمين .

## • المسيح عيسى ابن مريم والمسيح الدجال

والتراث الإسلامى عامر بكثير من الروايات عن نزول المسيح ابن مريم عليه السلام ، والمسيح الدجال . فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « والذى نفسى بيده لَيُوشكَنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مريم ﷺ ، حَكَماً مُقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد » . [3] وعن جابر بن عبد الله قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وآله يقول : « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة » قال : « فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم : تعال ! صلِّ بنا ! فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة اللههذه الأمة » . [4]

## • المسيح الدجال

وتروَى أخبار عديدة عن المسيح الدجال لدى أهل السُّنة . من ذلك ما أخرجه

---

( ١ ) مسند أحمد ( الفتح الربانى ) رقم ١٤٤ جـ ٢٤ ص ٥٠

( ٢ ) سنن ابن ماجة ؛ كتاب الفتن ؛ رقم ٤٠٨٣ جـ ٢ ص ١٣٦٦

( ٣ ) أخرجه مسلم ؛ جـ ٢ ص ١٨٩ – وأورده الطبرى فى تفسيره للآية رقم ٥٥ من سورة آل عمران – رقم ٧١٤٤ ، وأعاده برقم ١٠٨٣

( ٤ ) ابن حزم ؛ المحلى ؛ جـ ١ ص ٩

الإمام مسلم فى صحيحه – فى كتاب الفتن – من قوله صلى الله عليه وسلم وآله :
« لا تقوم الساعة حتى يكون فيكم ثلاثون دجالاً كلهم يزعم أنه رسول الله ».(١)
« وأعظم الدجاجلة فتنة الدجال الكبير الذى يقتله عيسى ابن مريم ».(٢)

وتثير مسألة الدجال أسئلة كثيرة . فقال الإمام القرطبى :« اختلف فى تسميته دجالاً على عشرة أقوال . ومما يحتاج إليه فى أمر الدجال : أصله ، وهل هو ابن صياد أو غيره ؟ وعلى الثانى : فهل كان موجوداً فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله أو لا ؟ ومتى يخرج ؟ وما سبب خروجه ؟ ومن أين يخرج ؟ وما صفته ؟ وما الذى يدَّعيه؟ وما الذى يظهر عند خروجه من الخوارق حتى تكثر أتباعه ؟ ومتى يهلك ؟ ومن يقتله ؟» (٣)

وترد الإجابات عن هذه الأسئلة فى مصادر أهل السنة . فيصف ابن حزم الدجال بأنه :« كافر، أعور، ممخرق ( أى مموه )، ذو حيل ». ويستند فى هذا إلى حديث عن أنس قال فيه :« قال رسول الله ﷺ : « ما من نبى إلاّ وقد أنذر أمته الأعور الكذاب! ألآ إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور! مكتوب بين عينيه: ك ف ر ».(٤)

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ... وحتى يُبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله » .(٥)

وفى صحيح مسلم أن شاباً اسمه « **صاف بن صياد** » ، عاش فى بلاد الحجاز فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، قيل إنه الدجال ، وقيل إن ابن عمر رضى

---

( ١ ) صحيح مسلم ؛ جـ ٨ ص ١٨٩
( ٢ ) ابن تيمية ؛ جامع الرسائل ؛ المجموعة الأولى ؛ ١٩٧
( ٣ ) نقلاً عن فتح البارى ؛ كتاب الفتن ؛ ٧١٣١ – جـ ١٣ – ص ٩١
( ٤ ) المحلى ؛ المسألة رقم ٨٩ – جـ ١ ص ٤٩ وأخرجه البخارى ؛ كتاب الفتن ؛ رقم ٧١٣١ – جـ ١٣ ص ٩١
( ٥ ) فتح البارى ؛ كتاب الفتن – ٢٥ باب – رقم ٧١٢٥ – جـ ١٣ ص ٨١

الله عنهما كان يقول : «والله ما أشك أن ابن صياد هو المسيح الدجال!» [1] ويقول النووى إن قصة ابن صياد مشكلة ، وأمره مشتبه فى أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ؟ ولا شك أنه دجال من الدجاجلة» . وكان ابن صياد يهودياً ، يشتغل بالكهانة ، ولم يقتله النبى لأنه احترم المعاهدة التى عقدها مع اليهود.[2]

وفى اعتقادى أن هذه الأخبار يمكن أن تفهم على نحو يزيل عنها السِّمة الأسطورية . **فالدجاجلة كثيرون ، منهم ابن صياد ، ومنهم فرويد وماركس ، وأعداد من القادة والزعماء والسياسين الذين يزعمون أنهم مصلحون وهم أفسد الفاسدين** ! وهذا الفكر المادى الذى لا يبالى بالدين ، هو الأعور الدجال الذى يجب القضاء عليه . **وكل مصلح صحيح الإيمان ملتزم بدين الله القويم هو المسيح الحق الذى يجب على كل مسلم تأييده ونصرته . وبذلك نتخذ من القصة وقوداً لقاطرة النهضة الإسلامية .**

ومن الممكن أن نفهم أخبار الدجال العديدة والمتضاربة حرفياً ، فننتظر ظهور ذلك الأعور الكافر الكذاب ، وننتظر المسيح الذى سيقتله عند باب «اللُّد» القرية المعروفة فى فلسطين !

وصفوة القول إذن إن التراث السُّنى عامر بأخبار كثيرة عن المهدى المنتظر «السُّنى» ، وعن نزول المسيح عليه السلام ، وعن الدجاجلة الكفار ، الذين سيحاولون فتنة الأمة وإخراجها من دينها ، إلى أن ينزل المسيح الحق ويقتل المسيح الدجال لكى تنعم الأمة بما لم تنعم به من قبل ! **وعلى الرغم من ذلك لا يعتبر الإيمان بالمهدى المنتظر من العقائد الواجب على السُّنى الإيمان بها .**

---

(١) صحيح مسلم ؛ جـ١٨ ص ٤٦ – ٥٧ والفتح الربانى ؛ رقم ١٧٠ جـ ٢٤ ص ٦١
(٢) صحيح مسلم ؛ الشرح ؛ جـ١٨ ص ٤٦ – ٤٨

# المبحث العاشر

## العقائد

- التوحيد والتنزيه
- التأويل فى آيات الصفات
- التشبيه والتجسيم
- القَدَر
- الرؤية فى الآخرة
- البَداء

# التوحيد والتنزيه

## ● عقيدة أهل السُّنَّة

● عبر الإمام أبو حامد الغزالى عن عقيدة أهل السُّنة فى التوحيد والتنزيه فقال :« إن الله تعالى في ذاته واحد لا شريك له ، فرد لا مثيل له ، صمد لا ضد له ، منفرد لا ند له . وإنه واحد قديم لا أول له ، أزلى لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدى لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له ، دائم لا انصرام له . لم يزل ولا يزال موصوفًا بنعوت الجلال ، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال ، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم . » (١)

– وقال ابن حزم :« إن الله تعالى خالق كل شىء سواه، لا خالق سواه. ولا يشبهه عز وجل شىء من خلقه فى شىء من الأشياء . وإنه تعالى لا فى مكان ولا فى زمان ، بل هو تعالى خالق الأزمنة والأمكنة . » ويثبت ابن حزم :« لله عز وجل عزًّا وعزةً وجلالاً وإكراماً ، ويداً ويدين وأيديًا ، ووجهًا وعينًا وأعْيُنًا ، وكبرياء . وكل ذلك حق ، لا يرجع منه ولا من علمه تعالى وقدره وقوته إلاّ إلى الله تعالى ، لا إلى شىء غير الله عز وجل أصلاً ، مقر من ذلك مما فى القرآن وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله . »

–« وإن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ؛ وهو فعلٌ يفعله ، عز وجل، ليس حركة ولا نقلة . » (٢) وهذه عقيدة الظاهرية .

## ● عقيدة الشيعة

وعبر الشيرازى عن عقيدة الشيعة الإمامية فقال : « نعتقد بوجود الله سبحانه . وهو واحد أحد ، فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

---

(١) إحياء علوم الدين ؛ جـ١ ص ٨٩

(٢) المحلى ؛ جـ ١ – أرقام ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ . ٦٢ – ص ٢٩ – ٣٣

لا إله إلا هو العزيز الحكيم ليس له جسم ولا صورة ، ولا يحل فى جسم ، ولا يحدَّد بمكان . ليس بعَرض ولا جوهر ، بل هو خالق العَرَض والجوهر ، وخالق كل شيء ، منزَّه عن جميع الصفات التى تشبهه بالممكنات . وهو الغنى المطلق ، والكل محتاج إليه على الإطلاق ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . »[١]

ويؤكد كاشف الغطاء أن عقيدة الشيعة الإمامية هى : التوحيد المحض ، وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوقين أو ملابسة لهم فى صفة من صفات النقص . وهم يعتبرون تأليه الأئمة من أشنع الكفر والضلالات . ولذلك يعتبر الإماميةُ الفرقَ الغاليةَ من الفرق الهالكة ، كالقرامطة ، ويتبرأون منهم براءة التحريم .[٢]

وبصفة عامة ، أثبت الشيعة الإمامية لله تعالى من الصفات ما أثبته القرآن الكريم . وقسموا الصفات إلى :

أ – صفات ذاتية ، مثل العلم والحياة ، وهى صفات لا يمكن أن يوصف الله تعالى بأضدادها ، فهو القادر الذى لا يوصف بالعجز ، والعادل الذى لا يوصف بالظلم ، والعالم الذى لا يوصف بالجهل .

ب – وصفات أفعال تُنسب إلى الله تعالى كما يُنسب إليه ضدها ، فهو سبحانه يعطى ويمنع ، ويحيى ويميت ، ويوجد ويُعدِم .

**وأقر الشيعة الإمامية صفات الله التى وصفه بها حُجج الله من خلفاء نبيِّه .[٣] وهذه مسألة خلافية مع أهل السُّنة الذين لا يقبلون أن يُوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيُّه .**

وقد اختلف الشيعة فى العقائد كما اختلف أهل السُّنة . فمذهب الإمام

---

(١) ليالى بيشاور ؛ ص ٨٢ – ٨٣
(٢) أصل الشيعة وأصولها ؛ ص ١٠٢ – ١٠٣ ، ص ١٠٦
(٣) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ الفقرة رقم ١٨٥ ص ٢٣٣ – ٢٣٤

علي وابن عباس متفق مع المذهب الذى اتخذه الصحابة ، من إثبات الصفات والقَدَر . [1] ولما ظهر الاعْتزَال ، واختلط الشيعة بالمعتزلة ، تأثروا بهم . **فيقول الشيخ أبو زهرة :إن الأسلم أن يقال إن الإمامية أقرب إلى المعتزلة فى كثير من آرائهم فى أصول الدين ، لكن ذلك لا يعنى أنه لا خلاف بين الطائفتين .** [2]

واختلف أهل السُّنة فيما بينهم ، كما اختلفوا مع المعتزلة . ويصف الإمام محمد عبده ما حدث فيقول : «**إن الأشعرى سلك مسْلكه المعروف وسطاً بين موقف السلف وبين تطرف من خالفهم ، وأخذ يقرر العقائد على أصول النظر .** وارتاب فى أمره الأولون ، وطعن كثير منهم على عقيدته ، وكَفَّره الحنابلة واستباحوا دمه . ونَصَرَه جماعة من أكابر العلماء كأبى بكر الباقلانى ، وإمام الحرمين ، والاسفراييني وغيرهم ، وسمَّوا رأيه بمذهب أهل السُّنة والجماعة ... فانهزم بين أيدى هؤلاء الأفاضل قوتان عظيمتان : قوة الواقفين عند الظواهر وقوة – الغالين فى الجرى خلف ما تزينه الخواطر .» [3]

والقوتان العظيمتان المشار إليهما هنا هما السلفيون والمعتزلة .

## ● التأويل

وتعددت المذاهب خاصة فى تأويل الآيات القرآنية التى توصف بالمتشابهات والتى تتحدث عن صفات الله تعالى . وينقل «السيوطي» عن «ابن اللبان» **قوله فى** المتشابه من آيات الصفات ، فأورد منه قوله تعالى ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ [طه:٥] وقوله جل جلاله ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ [القصص:٨٨] وقوله سبحانه : ﴿ **وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي** ﴾ [طه:٣٩] وقوله عزَّ من قائل ﴿ **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [الفتح:١٠] وقوله سبحانه ﴿ **وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ [الزمر:٦٧] ثم قال : «**وجمهور أهل السنة ، ومنهم السلف وأهل الحديث ، على الإيمان بها ، وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها .**» [5]

---

(١) ابن تيمية ؛ منهاج السنة النبوية ؛ جـ١ ص ١٧١

(٢) الإمام الصادق ؛ فقرة رقم ١٨٤ ص ٢٣٣

(٣) رسالة التوحيد ؛ ص ٣٦

(٤) انظرْ : الماتريدى ؛ تأويلات أهل السنة .

(٥) السيوطى ؛ الإتقان فى علوم القرآن ؛ جـ٢ ص ٨٧

ويرى ابن خلدون أن المتأخرين من المحدِّثين وَلَجُوا فى باب التشبيه فى قولهم فى الاستواء ؛ فيقول إنهم : « ارتبكوا فى مَحْمَل هذه الصفات ( الاستواء والمجئ والنزول والوجه واليدين والعينين وأمثال ذلك ) فحملوها على صفات ثابتة لله تعالى ، مجهولة الكيفية ، فيقولون فى ﴿ **اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ [ الأعراف : ٥٤ ] : نثبت له استواءً ، لا بحسب مدلول اللفظ ، فراراً من تعطيله ، ولا نقول بكيفية ، فراراً من القول بالتشبيه الذى تنفيه آيات السلوب من مثل قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [ الشورى : ١١ ] و ﴿ **سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [ المؤمنون : ٩١ ] ... ولا يعلمون مع ذلك أنهم وَلَجُوا من باب التشبيه فى قولهم بإثبات الاستواء . والاستواء عند أهل اللغة إنما موضوعه : الاستقرار والتمكن ؛ وهو جسمانى . » [١]

والصواب عند ابن خلدون العدول عن المعانى الحقيقية إلى المجازات ، كما فى قول الله تعالى ﴿ **يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ** ﴾ [ الكهف : ٧٧ ] أى الجدار ، والجدار لا إرادة له ، فالإرادة هنا على المجاز ، لا على الحقيقة .[٢]

وأهل السنة ينكرون التشبيه . فيقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله إن الله تعالى : « لا يشبه شيئًا من خَلْقه ، ولا يشبهه شىء من خَلْقه ، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين : يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لا كقدرتنا ، ويرى لا كرؤيتنا . » [٣]

ويقول ابن حزم الظاهرى إن الله تعالى : « لا يشبهه عز وجل شىء من خَلْقه فى شىء من الأشياء . قال عز وجل ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [ الشورى : ١١ ] وقال تعالى ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [ الإخلاص : ٤ ] « وإنه تعالى لا فى مكان ولا فى زمان ، بل هو تعالى خالق الأزمنة والأمكنة . قال تعالى ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾ [ الفرقان : ٢ ] . ووصف ابن حزم حديث النزول فقال : « إنه فعلٌ يفعله عز وجل ، ليس حركة ولا نقلة . » « فالحركة والنقلة من صفات المخلوقين ، حاشى لله تعالى منها . » وأثبت ابن حزم لله تعالى يداً ووجهًا وعينًا : « وكل ذلك حق . » لأن القرآن والسّنة أثبتا هذه الصفات ، ولا يجوز أن يُزاد

---

( ١ ) مقدمة ابن خلدون ؛ ص ٤٣٤
( ٢ ) الموضع نفسه .
( ٣ ) مختصر العقيدة الطحاوية ؛ ص ٢١

على ما جاء فيهما أو يُنْتَقَص منه شيء .(١) والقاعدة المعتبرة هنا أن الله تعالى : « يجب أن يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تشبيه . »

ويُرجع ابن خلدون هذه الاختلافات فى العقيدة إلى النصوص ذاتها :« وذلك أن القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل فى آى كثيرة ، هى سلوب كلها وصريحة فى بابها ، فوجب الإيمان بها . ووقع فى كلام الرسول صلوات الله وسلامه عليه وآله ، وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها . ثم وردت فى القرآن آىٌ أخرى قليلة تُوهم التشبيه مرة فى الذات وأخرى فى الصفات . »

« فأما السلف فغلَّبوا أدلة التنزيه ، لكثرتها ووضوح دلالتها ، وعلموا استحاله التشبيه ، وقضوا بأن الآيات من كلام الله ، فآمنوا بها، ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل ، وهذا معنى قول الكثيرين منهم :« اقرءُوها كما جاءت » أى آمنوا بأنها من عند الله ولا تتعرضوا لتأويلها ولا لتفسيرها، لجواز أن تكون ابتلاء » ، فيجب الوقوف والإذعان له . » (٣)

لكن الألفة الشديدة لألفاظ اللغة تجر القارئ إلى إسقاط معانيها المعجمية المعروفة على الموصوف حيثما استعملت ، فيخيم التشبيه على ذهنه دون إرادة منه . والتأويل يساعد على الفرار من ذلك .

### ● الإمام محمد عبده

وفى العصور الحديثة جرت بعض المحاولات لتقديم مذهب أهل السُّنة فى شروح مبسطة ؛ و« رسالة التوحيد » للشيخ محمد عبده رحمه الله كانت مفيدة جداً ، لأن الكتب التراثية صعبة على القارئ الحديث . ومثل هذا حدث فى المذهب الإمامى ، فألف الإمام المرجع السيد محمد الحسينى الشيرازى كتاب

---

(١) المحلّى ؛ أرقام ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٢ – جـ١ص ٢٩ – ٣٣
(٢) مختصر العقيدة الطحاوية ؛ ص ٣٢١
(٣) مقدمة ابن خلدون ؛ ص ٤٢٧ – ٤٢٨

«العقائد الإسلامية» (١) وكتب ناصر مكارم الشيرازى :«عقيدتنا» – مختصر عقيدة الشيعة الإمامية» ؛ نشر دار الهدف بالقاهرة . وقد عانيت الكثير بسبب ندرة المؤلفات الشيعية التى كتبها أبناء المذهب أنفسهم.والتى يعتد بها كمصادر معتبرة .

– وقد شرح الشيخ محمد عبده بعض صفات الله فقال :

١ – صفة الإرادة : «هى صفة تخصص فعلَ العالم (وهو هنا الله جل جلاله) بأحد وجوهه الممكنة» فالفعل يمكن أن يقع على وجوه مختلفة ، وإرادة الله التى تخصص الوجه الذى يقع عليه .

٢ – صفة القدرة والاختيار : «وهى صفة (يتم) بها الإيجاد والإعدام .»

٣ – صفة الوحدة : «ومما يجب له صفة الوحدة ذاتا ، ووصفاً ووجوداً وفعلاً» .

وعن بعض الصفات السمعية (أى التى وردت فى القرآن الكريم والسّنة المطهرة) كتب الشيخ الإمام :

١ – صفة الكلام :«فقدَ ورد أن الله كلم بعض أنبيائه، ونطق القرآن بأنه كلام الله . فمصدر الكلام المسموع عنه سبحانه لابد أن يكون شأنًا من شؤونه» .

٢ – صفة البصر : «ومما ثبت له بالنقل صفة البصر ، وهى : ما به تنكشف المبصرات» .

٣– وصفة السمع ، وهى :«ما به تنكشف المسموعات ؛ فهو السميع البصير . لكن علينا أن نعتقد أن هذا الانكشاف ليس بآله ولا جارحة ولا حدقة ولا باصرة مما هو معروف لنا » .(١)

ويتسم كتاب السيد محمد الحسينى الشيرازى بأنه يقدم العقيدة للمؤمنين ويدحض افتراءات الملحدين . وقد عرض لصفة الوحدانية والعلم والسمع والبصر

---

(١) دار الجميع للنشر ؛ بيروت ؛ سنة ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ - ط١

(٢) رسالة التوحيد ؛ ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣

والقـدرة والحكمـة والإرادة والخَلْق . ولم يتطرق إلى المقـارنة بين المذهـب الإمـامى والمذهب السُّنى . وكل مـا قاله يمثل المذهبين ، ولا يخص أحـدهـمـا ، باسـتـثـناء مـا كتب عن الإمامة والائمة حيث التزم بالمذهب الإمامى .

## ● الموقف من المتشابهات فى الحديث

وعن المتشابهات فى الحديث ، كحديث الرؤية ، يقول الترمذى : إن مذهب أهل العلم من الأئمة أنهم قالوا :« **نروى هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها ، ولا يُقال كيف ، ولا نفسر ، ولا نتوهم** » . « وذهبت طائفة من **أهل السُّنة إلى أننا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى** . هذا مذهب الخلف » .(١)

وقال ابن دقيق العيد :« إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب، لم يُنكر أو بعيداً توقَّفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذى أُريدَ به مع التنزيه . قال : وما كان معناه من هذه الالفاظ ظاهراً مفهومًا من تخاطب العرب ، قلْنا به من غير توقيف ، كما فى قوله تعالى ﴿ **يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ** ﴾ [ الزمر:٥٦ ] فنحمله على حق الله وما يجب له » .(٢)

**معنى هذا أنه يريد النظر فى المتشابه آية آية وحديثًا حديثًا ، وأن يتجنب التعميم فى قبول التأويل أو رفضه** . وفى اعتقادى أن هذا المنهج هو الأقرب إلى الصواب ، فإن التدقيق فى فهم الآيات والأحاديث يكشف عن فروق تجعل التأويل مستساغاً أو غير مستساغ . وإذا وجدنا الآية تقبل التأويل دون تعسف أو خروج على لسان العرب ، فإن اللجوء إلى المجاز مَخْرَج معتبر للتأويل ، « وقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة .. وَلَوْ وَجَبَ خُلُوُّ القرآن من المجاز ، لَوَجَبَ خُلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص ، وغيرها » .(٣)

ومعلوم للكافة أنه لا يخلو من ذلك .

ويشرح « الماتريدى » – المتوفى سنة ٣٣٣ هـ – مذهب أهل السُّنة فيقول إن : « **الأصل فى هذا ونحوه ( يقصد المتشابه ) أن إضافة هذه الأشياء إلى الله عز وجل**

---

( ١ ) نفسه ؛ ص ٨ . ( ٢ ) نفسه ؛ جـ ٢ ص ٤٧ . ( ٣ ) الموضع نفسه .

**لا تُوجب حقيقة وجود تلك الأشياء منه على ما يوجد في الأجسام ... «والأصل أن الإتيان والانتقال والزوال في الشاهد إنما يكون لخلتين : إما لحاجة بَدَتْ فيحتاج إلى الانتقال من حال إلى حال ، والزوال من مكان إلى مكان ، ليقضيها ، أو لسآمة ووحشة تأخذه ، فينتقل من مكان إلى مكان لينفي عن نفسه تلك السآمة أو الوحشة. وهذان الوجهان في ذي المكان . والله تعالى يتعالى عن المكان ، كان ولا مكان ، فهو على ما كان . فالله تعالى يتعالى** عن أن تَمسَّه حاجة ، أو تأخذه سآمة ، فَبَطُل الوصف بالإتيان والمجيء والانتقال من حال إلى حال أو من مكان إلى مكان » .(١)

## ● تأويلات المعتزلة

واتخذ المعتزلة منهج تأويل المتشابهات باصطناع المجاز ، وهذه نماذج لتأويلاتهم :

– قوله تعالى ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] يعني : «بقدرتي وعلمي» .

– قوله جل ثناؤه ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة:٦٤] تأويله : بل نعمتاه مبسوطتان على خلقه : رزق موسع ورزق مضيق ، ينفق كيف يشاء» .

قوله جل ثناؤه ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [الملك:١] يعني : له المُلك . وكذلك تقول العرب المُلك بيد فلان ، وقد قبض فلان المُلك والأرض ، وذاك في قبضته وبيمينه يعنون : في قبضة الله بيمينه ، يعني في قدرته وملكوته وسلطانه اليوم ويوم القيامة، وفي كل وقت » .(٢)

بهذا المنهج يتجنب المعتزلة التشبيه والتجسيم ؛ وهو منهج العدول إلى المجاز لاستحالة الأخذ بالمعاني الحقيقية للألفاظ . لكنهم وقعوا في خطأ آخر هو : نفي الصفات ، ولذلك أُطلق عليهم اسم «النفاة» وقد انتقدهم أهل السُّنة ، فقال ابن تيمية :«إنه من أصول ضلالهم أنهم ظنوا أنهم متى وَصَفوا الله تعالى بصفة إثبات

---

(١) الماتريدي (محمد بن محمد بن محمود) ؛ تأويلات أهل السُّنة ؛ ص ٤٣٦

(٢) القاسم الرسي : كتاب العدل والتوحيد (ضمن رسائل العدل والتوحيد) جـ١ ص١٠ .

أو نفي كان فيه تشبيه بذلك ، ولم يعلموا أن **التشبيه المنفى عن الله هو : ما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين ، أو يُجعل شيء من صفاته مثل صفات المخلوقين ، بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم ، أو يجب له ما يجب لهم ، أو يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقًا ، فإن هذا هو التمثيل الممتنع المنفى بالعقل مع الشرع ، فيمتنع وصفه بشيء من النقائص ، ويمتنع مماثلته غيره له فى شيء من صفات الكمال . فهذان جماع لما يُنزه الرب تعالى عنه».**(١)

وأخذ الماتريدى على المعتزلة أنهم لا يصفون الله بالعلم .(٢)

ويختلف أهل السُّنة مع الشيعة الذين ساروا على نهج المعتزلة فى نفي الصفات خشية التعدد والتشبيه والتجسيم ، وهم بعض الشيعة المتأخرين . **أما مذهب الإمام علي ومذهب ابن عباس فهو مذهب أهل السُّنة ، كما سبق أن أشرت .**

### ● عقيدة واحدة

**إن أهل السُّنة متحدون فى عقيدة التوحيد والتنزيه مع أئمة الشيعة . وعلى كل من شذ عن هذه العقيدة ، كالمعتزلة والمجسمة والمشبهة ، أن يعودوا إليها ، فهى أساس الاتحاد الوطيد بين المسلمين .** والقاعدة الذهبية فى الصفات تقول إن الله تعالى : «يجب أن يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تشبيه».(٣) **ومن الواضح أن هذه ليست دعوة للشيعة لاعتناق مذهب أهل السُّنة، بل دعوة لهم للالتزام بعقيدة إمامهم الأول – علي بن أبى طالب ، رضى الله عنه** – وسوف أجد نفسى أعيد هذه الدعوة فى الفصول القادمة تحت إملاء الحقائق الإسلامية .

### ● نفي التشبيه والتجسيم

**ويتفق أهل السُّنة والشيعة الإمامية فى نفي التشبيه والتجسيم عن الله تعالى .**

---

(١) منهاج السنة النبوية ؛ جـ٣ – ١٥١
(٢) تاويلات أهل السنة ؛ ص ٥٩٢
(٣) مختصر العقيدة الطحاوية ؛ ص ٣٢١

فيقول الإمام أبو حامد الغزالى فى بيان عقيدة أهل السُّنة إن الله تعالى :«ليس بجسم مصوَّر ، ولا جوهر محدود مُقدَّر . وإنه لا يماثل الأجسام ، لا فى التقدير ، ولا فى قبول الانقسام . وإنه ليس بجوهر ، ولا تحله الجواهر ، ولا بَعَرض ولا تحله الأعراض ، بل لا يماثل موجوداً ، ولا يماثله موجود . ليس كمثله شىء ، ولا هو مثل شىء . وإنه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه الأرضون ولا السماوات ؛ وإنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده ، منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكين والحلول والانتقال . لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته . وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شىء إلى تخوم الثرى ، فَوْقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء ، كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شىء شهيد . . . »(١)

ثم يثبت الغزالى لله تعالى صفات : الحياة والقدرة والعلم والإرادةوالسمع والبصر والكلام .

**وقد نَفَى الإمام الصادق التجسيم والتشبيه فقال إن الله تعالى : «لا جسم ولا صورة ، وهو مُجَسِّم الأجسام ومصوِّر الصور . لم يتجزأ ، ولم يتناه ، ولم يتزايد ولم يتناقص .** ولو كان كما يقولون – يشير إلى المشبهة والمجسمة – لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق ، ولا بين المنشِىء والمنشَأ» **ونَفَى التشبيه بقوله إنه تعالى :«لا يشبهه شىء ، ولا يشبه هو شيئاً»**.(٢)

وكان السلف من أهل السُّنة يحترزون عن التشبيه حتى قالوا : «من حرك يده عند قراءة قوله تعالى ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص:٧٥] أو أشار بأصبعه عند روايته: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن، وَجَبَ قطع يده وقلع أصبعيه».(٣)

---

(١) إحياء علوم الدين ؛ جـ ١ ص ٨٩
(٢) محمد الحسينى المظفرى ؛ الإمام الصادق ؛ ص ١٩٠ – ١٩١
(٣) الشهرستانى ؛ الملل والنحل ؛ جـ ١ ص ١٠٤

## ● المشبهة الحشوية

وعلى الرغم من تلك التحذيرات الشديدة والوعيد المخيف ، ظهر بين أهل السُّنة وبين الشيعة من تورط فى القول بالتشبيه ( راجع المبحث السادس ) . وقد ذكر منهم الشهرستانى : مُضَر ، وكَهْمَس ، وأحمد الهجيمى . وهؤلاء أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ؛ **وقال داود الجواربى :« اعفونى من الفرج واللحية واسألونى عما وراء ذلك ! »** (١) **وهذا منتهى الفجور والكفر !**

وكذلك تباينت مواقف الشيعة الإمامية ، فذهب هشام بن سالم الجواليقى إلى أن الله على صورة الإنسان ، لكنه ليس بلحم ولا دم . إنه نور ساطع يتلألأ بياضاً ، وإنه ذو حواس خمس ، كحواس الإنسان . وكذلك زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ، له نهاية وَحَدّ ، طويل عريض عميق . . إلخ (٢) وهذا كله ضلال فى نظر الشيعة والسنة جميعاً .

**هؤلاء وأولئك :« وقعوا فى التجسيم الصريح ، ومخالفة آي التنزيه المطلق ، التى هى أكثر موارد وأوضح دلالة ، لأن معقولية الجسم تقتضى النقص والافتقار ،** وتغليب آيات السلوب . . . **ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم :« جسم لا كالأجسام! » وليس ذلك بدافع عنهم ، لأنه قول متناقض وجَمْعٌ بين نفي وإثبات »** . (٣)

## ● القضاء والقدر

والإيمان بالقضاء والقدر عقيدة إسلامية قرآنية ، وردت بها عدة آيات ، وعدد من الأحاديث ؛ كما وردت آيات تقرر حرية إرادة العباد :

– قال تعالى ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [ القمر : ٤٩ ] .

– وقال سبحانه ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا** ﴾ [ الأنعام : ١٢٥ ]

---

( ١ ) نفسه ؛ جـ ١ ص ١٠٥ ( ٢ ) ابن تيمية ؛ جـ ١ ص ٢٠٣

( ٣ ) عبد الرحمن بن خلدون ؛ المقدمة ؛ ص ٤٢٨

– وقال سبحانه ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [ الأعلى : ٣ ]

– وقال جل جلاله ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾

[ الطلاق : ٣ ]

– وقال أيضا ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ [ الأنعام : ١٠٧ ]

– وقال سبحانه ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [ الأنعام : ١١٢ ] .

– وقال سبحانه ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾

[ يونس : ٩٩ ]

– وقال سبحانه ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [ الإنسان : ٣٠ ]

● وهذه بعض الآيات التى تعزز حرية العباد :

– قال تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

[ الكهف : ٢٩ ]

– وقال كذلك ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾

[ الإنسان : ٢٩ ]

– وقال جل جلاله ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ [ المدثر : ٣٧ ]

– وقال سبحانه ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ [ عبس : ١١ ]

وقد فسر الإمام الطبرى رحمه الله الآية رقم ١٢٥ من سورة الأنعام فقال : « إن السبب الذى به يوصل إلى الإيمان والطاعة غير السبب الذى به يوصل إلى الكفر والمعصية ، وإن كلا السببين من عند الله » .[١] ولم يهتم الطبرى بمناقشة اللوازم العقلية التى تترتب على مذهبه هذا الجبرى ، وأهمها نفي حرية الإرادة التى هى مسوغ الحساب .

---

( ١ ) تفسير الطبرى : جـ ١ ص ١٠٨

## ● القَدَر فى السُّنة

**والسُّنة النبوية تؤيد المذهب الجبرى** . فعن علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « كنا جلوسًا » عند النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، وبيده عُود . فنكت فى الأرض ، ثم رفع رأسه فقال : « ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومعقدُه من النار » . قيل : يا رسول الله ! أفَلاَ نتكل ؟ قال : « لا ، اعملوا ولا تتكلوا، فكلٌ ميسَّر لما خُلق له » .[1] وهذا حل إيمانى للمسألة ؛ وسنرى أنه لا حل سواه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « **كل شىء بقَدر ، حتى العجز والكيس** » . قال ابن حجر :« ومعناه أن كل شىء لا يقع فى الوجود إلا وقد سبق به علم الله ومشيئته ، وإنما جعلها فى الحديث غاية لذلك للإشارة إلى أن أفعالنا – وإن كانت معلومة لنا ومرادة منا – فلا تقع مع ذلك منا إلا بمشيئة الله » .[2] وأضاف ابن حجر قوله :« **ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى** » .[3] .

وأخرج مسلم فى صحيحه حديث جبريل حين نزل يسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان ، وقد جعل النبى الإيمان بالقَدَر – خيره وشره – جزءاً من الإسلام » .[4]

والكتاب والسُّنة هما الطريق المشروع لمعرفة القضاء والقَدَر . وفى هذا يقول أبو المظفر بن السمعانى ، المحدِّث الكبير :« سبيلُ معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة ، دون مَحْضِ القياس والعقل ، فمن عَدَلَ عن التوقيف فيه ضل وتاه فى بحار الحيرة ، ولم يبلغ شفاء العين ، ولا ما يطمئن به القلب ، ولأن القَدَر سِرٌ من أسرار الله تعالى ، اختص العليم الخبير به ، وضرب دونه الأستار ، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم ، لمِاَ عَلِمَهُ من الحكمة ، فلم يعلمه نبى مُرسل ، ولا مَلَك مُقَّرب » .[5]

---

( ١ ) أخرجه ابن ماجة فى سننه ؛ رقم ٧٨ – جـ ١ ص ٣٠

( ٢ ) فتح البارى ؛ كتاب القَدَر ؛ رقم ٦٥٩٥ – جـ ١١ ص ٤٧٧

( ٣ ) الموضع نفسه .

( ٤ ) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ جـ ١ ص ١٥٧

( ٥ ) فتح البارى ؛ كتاب القدر رقم ٦٥٦٥ جـ ١١ ص ٤٧٧

## ● رأى علي

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه لرجل سأله عن القَدَر : « بحر عميق فلا تلجه ! » فأعاد الرجل السؤال فقال له :« **طريق مُظلم فلا تسلكه !**» فعاود السؤال ثالثة فقال له :« **سر الله فلا تتكلمه !**» [١] **وعلى هذا يمكن القول إن مذهب الإمام علي هو نفسه المذهب الذى** عبّرت عنه أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وآله . وإذا ساير المتأخرون من الشيعة الإمامية مذهبَ المعتزلة فإنهم يكونون قد خالفوا إمامهم الأول !

إن البشر لم يكفوا عن السؤال عن القَدَر . وحاول الفلاسفة تقديم إجابات عقلية فأخفقوا ، وتناقضوا بين جبرية مطلقة وحرية مطلقه ، ومركبات متنافرة من الجبرية والحرية ! أو : « لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين » .[٢]

وأما الحياة العملية فتقوم على أساس أن الإنسان حر الإرادة ، ومن ثم كان الثواب والعقاب هو عماد النظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والأخلاقى . **وإذا كانت حرية الإرادة لا يمكن إثباتها ، كان محتماً أن نعترف بأن الحياة البشرية تقوم على مسلَّمة غير مبرهن عليها !** وهذه الحقيقة هى التى عبر عنها الحديث الشريف « **كلٌ مُيسَّرٌ لما خُلق له** » وقول علي رضى الله عنه « **سر الله !** » وقول السمعانى « **سر من أسرار الله تعالى** ».

لكن أقواماً من أبناء الإسلام أصروا على النظر فى القَدَر ، وخاضوا فى بحاره العميقة ، متأثرين بالفلسفة ، وانتهوا إلى مذاهب متناقضة ، بعضها يؤكد أن الإنسان مُخَيَّر وبعضها يؤكد العكس ، وبعضها يحاول التوفيق بين الطرفين المتناقضين ، وهيهات!

## ● علم الله سابق وشامل

ويذكر أن أول من قال بالقَدَر بالبصرة « مَعْبَدٌ الجُهَنِىَ ».[٣] ويعنى أنه قال : لا قَدَر ! وإن الله يعلم بما يفعل بعد وقوعه ! » [٤] **ومن الجلي أن هذه المقولة**

(١) السيد حيدر الحلى ؛ الكلام الجلي ؛ ص ٣٩
(٢) المجلسى ؛ بحار الأنوار ؛ جـ ٥ باب ١ ص ١٢
(٣) صحيح مسلم ؛ جـ ١ ص ١٥٠
(٤) نفسه ؛ الشرح ؛ جـ ١ ص ١٥٦

**تصادم عدداً من آيات القرآن التي تبين أن علم الله تعالى شامل وسابق :**

- قال تعالى« ﴿ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ** ﴾ [البقرة:١٩٧]

- وقال سبحانه ﴿ **قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾ [آل عمران:٢٩]

- وقال جل جلاله ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الانعام:٥٩]

- وقال سبحانه ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** ﴾ [الرعد:٨-٩]

- ويقول جل ثناؤه ﴿ **يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ** ﴾

[غافر:١٦]

**هذه الآيات الكريمات تبين بوضوح أن الله تعالى يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض ، ولا يخفى عليه شيء فى مُلكه ، ولا يقع فيه شيء دون علمه ؛ وعمل الإنسان كله معلوم لله سلفاً ، سواء أخفاه فى صدره أم جهر به ؛ سواء كان مجرد عمل قلبى أو نشاط ذهنى أو كدح فى عالم الواقع . فعلم الله تعالى شامل شمولاً تاماً مطلقاً لكل ما كان وكل ما سيكون إلى أبد الآبدين .**

**- كيف نفسر الحساب العادل ؟**

لكن معنى علم الله الشامل السابق أننا لسنا أحرار الإرادة . فليس بوسع إنسان أن يفعل شيئا لم يكتبه الله له . وإذا لم يملك الإنسان إرادة حرة ، كيف يحاسبه الله ، ويثيبه ويعاقبه ؟ أليس ذلك ظلماً ؟

- هذه هى المشكلة العويصة التى واجهت المفكرين المؤمنين بالله ، سواء كانوا مسلمين أو يهود أو نصارى أو غيرهم . **فإذا أثبت المفكر علم الله الشامل ، عجز عن إثبات صفة العدل له تعالى ، وهى صفة مؤكدة لذاته العلية . وإذا**

**أثبت صفة العدل ، اضطر إلى القول بحرية الإرادة ، وعجز عن إثبات علم الله الشامل !** ولم ينج الفلاسفة غير المؤمنين بالله من مأزق مماثل . فهم يعترفون بأن المرء من بنى الإنسان يرث أهله بيولوجيا ، فقواه العقلية والبدنية والروحية وميوله الأخلاقية موروثة . وتأتى التربية لتصُوغ الفرد البشرى فى القالب الاجتماعى السائد . وليس بوسعه أن يفلت من تأثيرات الأسرة والمدرسة والفنون والآداب والتقاليد . والتسليم بهذه التأثيرات يجعل من العسير إثبات حرية الإرادة ، ومن ثم تسويغ النظم العقابية القانونية والأخلاقية . وفى ضوء هذه الحقائق اختلف الفلاسفة أشد الاختلاف ، فأنكر بعضهم حرية الإرادة إنكارًا تاماً مثل اسبينوزا ( ١٦٣٢ – ١٦٧٧م ) وأكد آخرون أن الإنسان حر حرية تامة ، حتى فى اختيار والده ، كما قال أحد الوجوديين المعاصرين !

وكما سبق أن ذكَرت ، **اتفق أهل السُنة وأئمة الشيعة الإمامية ، على توكيد علم الله الشامل ، وعلى عدله المطلق . وإن لم يستطع العقل المنطقى التوفيق بين الصفتيْن** ( العلم الشامل ، والعدل المطلق ) [١] . وأما المعتزلة فقد أكدوا صفة العدل ، ولذلك قالوا بحرية الإرادة ، لكنهم تورطوا فى إنكار صفة العلم الشامل . وتاثر بهم بعض الشيعة الذين اختلطوا بهم ، متناسين أقوال أئمتهم (علي وابن عباس والباقر والصادق عليهم السلام) .[٢]

## ● دفاع أئمة السنة عن عقيدتهم

ودافع الإمام الطبرى رحمه الله عن مذهب أهل السُنة . قال القَدرية والمعتزلة من بعدهم :« إن إزاغة الله قلب مَن أزاغ قلبه من عباده عن طاعته ، وإحالته له ، فيها جَوْر! » . يقول الطبرى :« لأن ذلك – لو كان كذلك – لكان الذين قالوا : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران :٨ ] بالذَّم أولى منهم بالمدح ! لأن القول – لو كان كما قالوا – لكان القوم إنما سألوا ربَّهم بمسألتهم إياه أن لا يزيغ

---

( ١ ) راجع : ابن حزم ؛ المحلى ؛ أرقام ٦٩ ، ٧٢ جـ ١ ص ٣٧

( ٢ ) راجع مثلاً : رسائل العدل والتوحيد ؛ رسالة الحسن البصرى فى القدر ؛ جـ ١ ص ٨٣ – ٨٨ ؛ السيد حيدر الحلى ؛ الكلام الجلي ؛ ص ٣٩

قلوبهم ، أن لا يظلمهم ولا يجور عليهم ! وذلك من السائل جهل ، لأن الله جل ثناؤه لا يظلم عباده ولا يجور عليهم . وقد أعلم عباده بذلك ونَفَاهُ عن نفسه بقوله ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ فصلت : ٤٦ ](١)

وعارض الإمام الشافعي توجهات الجهمية والمعتزلة والمتكلمين المتأثرين بالفلسفة العقلية فقال : « **إن للعقل حدًا ينتهي إليه ، كما أن للبصر حدًا ينتهي إليه** » (٢) وفي العصر الحديث ، سَعَت الفلسفةُ النقدية لعمانويل كانط ( توفي سنة ١٨٠٤ م ) إلى الكشف عن محدودية العقل المحض ، وكيف أنه يتورط في التناقضات إذا زُجَّ به في المسائل الميتا فيزيقية ، دون سند من الحواس ، مثل مسألة حرية الإرادة وخلود الروح ووجود الله .. الخ . (٣)

وينقد الشيخ محمد عبده توجهات المعتزلة والجهمية فيقول : « **تفرقت السُبل بأتباع واصل بن عطاء الغزال – وهو رأس المعتزلة – وتناولوا من كتب اليونان مَالاَقَ بعقولهم ، وظنوا من التقوى أن تُؤَيَّد العقائد بما أثبته العلم ، بدون تفرقة بين « ما كان منه راجعًا إلى أوَّليات العقل » و« ما كان سرابًا في نظر الوَهْم ، فخلطوا بمعارف الدين ما لا ينطبق على أصل من أصول النظر ولجُّوا في ذلك حتى صارت شيعهم تُعد بالعشرات ، وأيدتهم الدولة العباسية وهي في ريعان القوة** » . (٤) وقصة تعذيب الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – معروفة ومخجلة ، وعار على عهد الخليفة المأمون ومن بعده المعتصم !

### ● ركيزة اتفاق

● **إذن ، مسألة القدر مسألة خلافية بين بعض الشيعة وبعض السّنة ، وركيزة اتفاق بين الأئمة الكبار في المذهبين** . وعلى الرغم من هذا يتفق الجميع على عدالة الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة ، ضار بين عرض الحائط باللجاج

---

( ١ ) سورة فصلت تفسير الطبرى ؛ آل عمران جـ ٦ ص ٢١٢
( ٢ ) آداب الشافعي ومناقبه ؛ ص ٢٧١
( ٣ ) موضوع كتابه الشهير **Critigue of Pure Reason**
( ٤ ) رسالة التوحيد ؛ ص ٣٣

الطويل العريض الذى تفجر ، ولا يزال ، حول قضية حرية الإرادة : « وفى الإسلام لا تنتفى الحرية بإثبات إرادة الله النافذة ، ولا بتوكيد علمه السابق الشامل ؛ ولا تنتفى أيضًا بالاعتراف بضغط الميول الفطرية أو تأثيرات البيئة الاجتماعية والثقافية . الإكراه الخارجى المباشر هو وحده الذى يُعتبر قَسْرًا نافيًا للحرية » . (١) كالعواصف والزلازل التى قد تضطر الإنسان إلى التقصير فى واجباته ، أو عمل بعض الآثام ؛ وكذلك إجبار المرء على قول خطأ أو فعل إثم ؛ وكذلك الخطأ الذى ينتج عنه أذىً للآخرين ، كحوادث السير التى صارت وباءً اليوم !

## ● الرؤية فى عقيدة علي

واختلف أهل السُّنة والشيعة حول هذه العقيدة . فالشيعة ينكرون رؤية البشر لله تعالى فى الدنيا والآخرة .(٢) وهم يؤولون قول الله تعالى ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [ القيامة : ٢٢-٢٣ ] بمعنى انتظارها رحمة الله .(٣)

ولكن الإمام علي بن أبى طالب له قول يخالف قول الشيعة! فقد قال إن الله : « لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ، **ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان** » .(٤) وهذا القول يحتمل تفسيرات عديدة . فهو ينفى الرؤية بالعيون التى يبصر بها البشر موجودات الدنيا ، والتى لا ترى إلا الأجسام ، وبشرط وجود الضوء ، وسلامة البصر ، والمخ الذى يستقبل الصور ويترجمها . **والشيعة والسُّنة يؤمنون بأن الله تعالى ليس بجسم ، ومن ثم يستحيل رؤيته بالباصرة البشرية الدنيوية . فالمذهبان متفقان فى هذا النفي .**

وقول علي يثبت الرؤية بالقلوب ، بحقائق الإيمان . وهذه العبارة تحتمل تفسيرات متباينة ، فالقلب أداة للإدراك العقلى ، والله تعالى يقول : ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا**

---

( ١ ) د . أحمد عبد الرحمن ؛ الفضائل الخلقية فى الإسلام ؛ دار الوفاء ؛ ط سنة ١٤٠٩ هـ ؛ ص ٣٨ ؛ ١٩٨٩ م .

( ٢ ) عبد الرسول الموسوى ؛ الشيعة فى التاريخ ؛ ص ٤٧ –٤٨

( ٣ ) تفسير الطبرى ؛ رقم ١٣٦٩٤ – جـ ١٢ ص ١٣ – ١٧

( ٤ ) نهج البلاغة ؛ الخطبة رقم ١٧٩

في الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج: ٤٦] وهو أداة للإدراك النُّوراني كما في قوله تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [الزمر: ٢٢] وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم وآله عن ذلك النور فقال : «نعم، يدخل القلب نور». (١) وفضلاً عن هذا فإن «مفهوم القلب في القرآن الكريم يثير أسئلة عديدة (٢) ولا بد أن نتساءل عن إدراك القلوب لله هل يقع في الدنيا أم في الآخرة ، أم في الإثنتين ؟ وهل «حقائق الإيمان» هي اليقين بوجود الله ، أم هي شيء آخر ؟ وكيف نوفق بين كلمة الإمام علي وبين ما جاء في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف ؟

**● عقيدة أهل السنة**

أما أهل السُّنة فيؤمنون بوقوع رؤية العباد لربهم يوم القيامة لقوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] (٣) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله حين سئل عن رؤية العباد لربهم يوم القيامة ، فقال : «نعم ، هل تضارُّون في رؤية الشمس بالظهيرة صَحْوًا ليس معها سحاب ؟ أو هل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر صَحْوًا ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال : «ما تضارُّون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما» (٣) واستند ابن حزم إلى الآيتين الكريمتين ، وإلى قول النبي صلى الله عليه وسلم وآله : «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا - ونظر إلى القمر - لا تضارون في رؤيته». لكي يقول : «إن الله تعالى يراه المسلمون يوم القيامة بقوة غير هذه القوة». (٤) والآية الكريمة تقول ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ .. ﴾ ولا تقول «أبصار» أو «أعين» .

وهكذا يتفق ابن حزم مع الإمام علي في الإشارة إلى قوة إدراكية غير العَيْن

---

(١) تفسير القرطبي ؛ جـ ٣ ص ٢٥١٧
(٢) راجع كتابي : مفهوم القلب في القرآن الكريم ؛ صدر سنة ٢٠٠٠م ؛ ص ٣٧
(٣) صحيح مسلم ؛ جـ ٣ ص ٢٥ -٢٦
(٤) المحلَّى ؛ رقم ٦٣ جـ ١ ص ٣٤

الدنيوية . وقد أشار الإمام على إلىّ طبيعتها كأداة قلبية تتصل بحقائق الإيمان ، فى حين أشار ابن حزم إلى وجود تلك القوة دون أن يصفها بأية نعوت .

– **وأنا أرجح وجود تلك القوة فى الآخرة دون الدنيا . فرؤية الله فى الدنيا غير ممكنة عند الشيعة وعند أهل السُّنة** . حتى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم وآله ليلة الإسراء وقع فيها الاختلاف بين قول أم المؤمنين عائشة بنفى الرؤية ، ومعها أبو هريرة وجماعة من الصحابة ، وما روى بالإثبات عن ابن عباس وأُبَىّ والحسن البصرى ، رضى الله عنهم جميعًا .[1] وإذا ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وآله قد رأى ربه بعينه – كما نُسب ذلك لابن عباس – فإن تلك تكون معجزة له ولا يثبت بها إمكان الرؤية فى الدنيا لسائر عباد الله .

– **والرؤية فى الآخرة هى الأرجح ، استنادًا إلى القرآن والحديث الذى سبق أن أوردناه** . وفضلاً عن هذا يجب أن نتذكر أن الإنسان والبيئة لن يكونا فى الآخرة كما فى الدنيا . فماء الأنهار لا يأسنْ ، وألبانُها لا يتغير طعمها ، لأنه لا توجد هناك بكتريا . وسكان الجنة ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا * إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا** ﴾ [الواقعة:٢٥ – ٢٦] و ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا** ﴾ [النبأ:٣٥] ومعنى هذا أن البنية العقلية لإنسان الآخرة ستكون منزهة عن إمكانات اللغو والكذب . ومن الطبيعى أن يوازى هذه التغيرات الجذرية فى بيئة الآخرة فى عقلية إنسانها تغيرات فى قواه الإدراكية تمكنه من التمتع برؤية ربه ، فى الآخرة كما ينص على ذلك قوله تعالى ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [القيامة:٢٢ – ٢٣] فالقوة الناظرة ستكون فى الوجوه لا فى الأعين .

وكان من الضرورى تفسير قول الله ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام:١٠٣] لإزالة أي التباس فى مذهب أهل السُّنة القائلين بالرؤية فى الآخرة . ومن الممكن القول إن الآية الكريمة تنفى إدراك الأبصار لله تعالى فى الدنيا ؛ ولا أحد ينازع فى ذلك . لكن الطبرى ذهب إلى أبعد من

---

(١) صحيح مسلم ؛ جـ٣ ص ٥ .

هذا، فميز بين : «**الرؤية بالأبصار**» وبين «**الإدراك بالأبصار**» . : «فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم ، ولا تدركه أبصارهم» . وإذا كان الأمر كذلك : «لم يكن في **نفي إدراك الله** عن البصر ، **نفي رؤيته له**» .[1] لكن الرؤية بالأبصار تستدعي الجسمية ، وهي مرفوضة لدى السّنة والشيعة .

**صفوة القول إذن إن أهل السُّنة يؤمنون برؤية الله تعالى في الآخرة بقوة إدراكية أخروية غير العين البشرية الدنيوية ، وينفون إمكانها في الدنيا** . ومن الممكن تفسير خطبة الإمام علي رضى الله عنه على نحو يوفق بينها وبين القرآن والحديث ، ولا يمكن تفسيرها على نحوٍ يتنافى معهما . **وبهذا يتفق مذهب أهل السُّنة مع مذهب الإمام علي** . لكن الشيعة اليوم يختلفون مع أهل السُّنة . ومن ثم لا بد أن يفسروا آية الرؤية ، والأحاديث النبوية ، وخطبة «الإمام علي» بحيث تنفى إمكان الرؤية في الدنيا والآخرة وبذلك يظل الخلاف قائماً .

لكن أحد الإصلاحيين الشيعة المعاصرين يقرر أن الروايات التي أخرجها الكليني في الرؤية ضعيفة ولاتُثبت الرؤية ولا تنفيها ، ثم إنها تتعارض مع آية الرؤية . وبحسب قول الإمام الرضا يجب تكذيب الروايات التي تتعارض مع القرآن، فيجب تكذيب تلك الروايات ، وتبعًا لذلك تثبت الرؤية في الآخرة .[2]

ومن الواضح أن الخلاف في الرؤية ليس له انعكاسات عملية في مجالات العبادات والمعاملات والأخلاق . وبهذا لا يكاد يشعر به عامة المسلمين . ولا يجوز بحال إصدار أحكام بالتضليل أو التفسيق أو التكفير بناء على هذا الخلاف فالفريقان اجتهدا وتأوَّلا ، فوصل كل فريق إلى نتائج مختلفة .

ومن الواضح أيضاً أن إيمان السُّني بنفي الرؤية في الدنيا وإثباتها في الآخرة لا يخرجه عن مذهبه ولا يلحقه بالمذهب الشيعي ؛ وكذلك الشيعي الذي يوافق أهل السُّنة في «الرؤية» ، يظل شيعياً .

---

(١) تفسير الطبري ؛ الآية رقم ١٠٣ من سورة الأنعام .

(٢) آية الله العظمى البرقعي ؛ كسر الصنم ؛ ص ٩١

**غير أن ابن تيمية يرى أن نفي الرؤية في الآخرة هو إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة ، ومن ثم فمن ينفيها كافر** .[1] ونحن لم نجد لدى السُّنة أو الشيعة نفياً باتّاً قاطعاً للرؤية . والخلاف يدور حول القوة الإدراكية التي سيرى بها العباد ربَّهم يوم القيامة . فلا محل للتكفير ولا مسوغ .

– ومن الشيعة من سخر من إثبات أهل السُّنة للرؤية ، واعتبر ذلك خرافة وإقراراً بالجسمية لأن الرؤية في نظره لا يمكن أن تتم إلا بالأبصار الدنيوية ، والتي لا تعمل إلا بوجود جسم يسقط عليه شعاع ثم ينعكس على العين . وهذا غير صحيح . **فأهل السُّنة أثبتوا الرؤية في الآخرة ، وبقوة أخروية ، لأن كل شيء في الآخرة مختلف عن أشياء الدنيا كما سبق أن بينْت . فهذه السخرية نزق واستخفاف مشين بصاحبها ، فضلاً عن أنها سخرية بالإمام الأول للشيعة رضى الله عنه ، لأنه أثبت الرؤية بقوة قلبية .**

## ● البَدَاء ... هل يجوز على الله تعالى ؟

● في المعاجم ، البَدَاء هو تغير الرأى أو القرار . فيقال : بَدَاله في الأمر كذا ، يعنى : جَدَّ له فيه رأي . ويقال فَعَلَ كذا ثم بَدَا له ، يعنى رجع عما فعل . والبَدَاء يقع لكل إنسان ، ولكن هل يجوز أن يقال على الله تعالى ؟!

**إخواننا الشيعة يقولون إنه يجوز ، ويستدلون على ذلك بالنسخ في القرآن الكريم** . والنسخ حقيقة قرآنية ثابتة ؛ والله تعالى يقول ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** ﴾ [البقرة:١٠٦] .

ويفسر د. موسى الموسوى ظهور فكر البَدَاء في المذهب الإمامى فيقول إن المذهب يقتضى أن يكون الابن الأكبر هو وارث الإمامة عن أبيه . لكن الابن الأكبر للإمام الصادق – وهو إسماعيل – مات قبل وفاة أبيه ، فانتقلت الإمامة إلى أخيه موسى – الابن الأصغر للإمام الصادق – . فهذا التغيير في سلسلة الأئمة اعتبر «بَدَاء» ، لأن الإمامة منصب إلهى كان مقدراً منذ الأزل لإسماعيل ، لكن البداء حدث لله – حاشاه سبحانه ! – فأعطى الإمامة إلى موسى ! .

---

(١) ابن تيمية ؛ مجموع الفتاوى ؛ جـ ١٢ ص ٤٩٧

– ويقرر الدكتور موسى الموسوى **أن القول بالبَدَاء فيه انتقاص فى حق الله تعالى ، ويطالب بحذف كل ما كتب عنه فى المؤلفات الشيعية وفى الدفاتر التى يقرأها العامة فى أثناء زيارتهم لقبور الأئمة ، لما فيها من كلام عن البداء**.[1]

– وينفى الشيخ أبو زهرة أن يكون الإمام الصادق قد قال بالبَدَاء على الله تعالى . ويفسر التغيرات التى تقع فيقول إن الله تعالى : «قدَّر فى علمه الأزلى لكل حكم ميقاتاً وزماناً معلوماً . فإذا انتهى زمانه حل محله حكم آخر بأمره ونهيه سبحانه ، فليس فيه تغيير لعلمه الأزلى» .[2]

## ● عقيدة أهل السّنة

**وينكر أهل السُّنة القول بالبَدَاء على الله تعالى** . وينفى الإمام أبو حامد الغزالى ( توفى سنة ٥٠٥ هـ) البداء ، ويؤكد أن النسخ لا يعنى البداء . والقائلون بالبداء يستندون إلى روايات عن «علي» وعن جعفر بن محمد . وقالوا إن عليًا رضى الله عنه كان لا يخبر عن الغيب مخافة أن يبدو لله تعالى فيغيره ! وحكوا عن جعفر أنه قال ما بدا لله فى شيء كما بدا له فى إسماعيل ، أى فى أمره بذبحه !

– يقول الإمام الغزالى إن الدليل على استحالة البَدَاء على الله تعالى هو أنه سبحانه محيط بكل شيء علماً . وقوله سبحانه ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ** ﴾ [ الرعد : ٣٩ ] معناه أنه يمحو الحكم المنسوخ ويثبت لنا الناسخ ؛ أو يمحو السيئات بالتوبة .[3]

## ● تعقيب عام

وفى ختام هذا الباب يمكن أن نقول إن أهل السُّنَّة احترموا ظاهر النصوص فى مباحث العقيدة ، ولم يمارسوا التأويل إلا قليلاً وبشروط خاصة . وحيثما لوحظ تعارض بين بعض النصوص وبين مقررات العقل لجأ معظمهم إلى التفويض ، وقليل

---

( ١ ) الشيعة والتصحيح ؛ ص ١٤٨
( ٢ ) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ فقرة رقم ١٨٩ ص ٢٤١
( ٣ ) المستطفى ؛ ص ١٣١

منهم اصطنع التأويل . وبهذا المنهج نفسه تحدث أئمة الشيعة الاثنا عشرية ، وعلى وجه الخصوص الإمام علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما . ولكن المتأخرين من علماء المذهب الإمامي مالوا إلى نظريات المعْتزلة ، واصطنعوا التأويل منهجاً ، فقادهم إلى القدر ، أو القول إن الإنسان مخير لا مسَيَّر ، وإلى نفي الرؤية في الدنيا والآخرة ، وغير ذلك من المقولات الاعتزالية .

**– وكان من اليسير ، بفضل الله تعالى ، الكشف عن وحدة العقيدة بين المذهبين ، على أساس من الكتاب والسُّنة وأقوال الرعيل الأول من الصحابة والتابعين** .ومن ثم يمكن القول إن التنزيل قرآناً وسنة ، هو البنية المتحدة الموحدة للعقيدة في المذهبين ، وإن أية خلافات بينهما مردها إلى التعسف في التأويل والتفسير أو إلى روايات غير صحيحة أو أصداء وتأثيرات لمذاهب فلسفية وكلامية تبلورت في وقت متأخر .

# المبحث الحادى عشر

# مصادر التشريع

● **مقدمة**

● بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وآله لن يتنزل قرآن ، ولن يزداد الحديث الشريف كلمة واحدة . وفى الوقت نفسه أحداث الحياة تجرى ، وتظهر مشكلات جديدة تحتاج إلى أحكام تضبطها ضبطًا شرعيًا . هذه الحقيقة هى التى يعبر عنها علماء أصول الفقه بقولهم : « النصوص متناهية ، والحوادث غير متناهية » .

وللتغلب على هذه المشكلة استخلص العلماء أحكاماً لضبط كل جديد مستندين إلى القرآن والسُّنة . وقد أطلق عليها مصطلح « الأصول » كما أطلق مصطلح « الفروع » على الأحكام المستندة إليها . وتبلورت مناهج محددة دقيقة لممارسة اشتقاق الأحكام ، كالإجماع ، والقياس ، والمصالح المرسلة . والشيعة يرفضون القياس لكنهم يتوسعون فى « إعمال العقل » ، والظاهرية يرفضون القياس مثل الشيعة ، لكنهم توسعوا فى استعمال الاستصحاب .

وبين مذاهب أهل السُّنة اختلافات حول القياس والمصالح المرسلة والاستصحاب ، وكذلك الشيعة . **ويتفق بعض فقهاء السّنة أحياناً مع بعض فقهاء الشيعة ، ويختلف بعضهم مع بعض . وهذه الحقيقة تيَّسر استفادة الفريقين كل من الآخر** . والبحث الموضوعى الجاد سوف يُبدد كثيراً من السحب التى تخيم على المشهد الأصولى ، وسيرى التكفيريون من الفريقين ما لا يسعدهم !

## ● أصول الشريعة عند الشافعي

● ويعبر الإمام الشافعي رحمه الله عن موقف أهل السنة من أصول الشريعة فيقول : « ليس لأحد أبداً أن يقول فى شىء حَلَّ ولا حَرُمَ إلا من جهة العلم . وجهة العلم : الخَبَرُ فى الكتاب أو السُّنة ، أو الإجماع ، أو القياس » . [١] والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وكفر من قال إنه مخلوق .[٢]

– ويشرح مشروعية القياس فيقول : « وأما القياس فإنما أخذناه استدلالاً بالكتاب والسنة والآثار » .[٣] والقياس والاجتهاد عنده : « اسمان لمعنى واحد » .[٤]

– وضرورة القياس أو الاجتهاد تنشأ من حقيقة أن : « كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم ، أو – على سبيل الحق – فيه دلالة موجودة . وعليه – إذا كان فيه بعينه حكم – اتباعه . وإذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة – على سبيل الحق فيه – بالاجتهاد ، والاجتهاد القياس » .[٥]

– ومعنى هذا أن الشريعة يجب أن تظلل حياة المسلمين كلها . فإذا وُجدت الأحكام فى الكتاب أو السنة وجَبَ اتباعها . وإذا لم توجد وجب الاجتهاد لمعرفتها بالقياس على الأصول . وهذا هو المنهج الذى اتبع على امتداد التاريخ الإسلامى إلى اليوم . وقد أدى الاجتهاد إلى إنتاج ثروة فقهية وتشريعية باذخة ملأت عشرات المجلدات التى سطرها أعلام الفقه والتشريع الإسلامى ، وواجهت أعظم التطورات وأعمق التغيرات التى قابلت المسلمين على امتداد العصور . ونشأ علم أصول الفقه الذى وَطَّد قواعد الاجتهاد وضبط أعمال المجتهدين ، فصار مفخرة للأمة المسلمة .

وسواء كان الشافعي هو الرائد فى تأسيس علم أصول الفقه أو كان الإمام

---

(١) الرسالة : ص ٢٥
(٢) آداب الشافعي ؛ ص ١٩٤
(٣) نفسه ؛ ص ١٠١
(٤) نفسه ؛ ص ٢٠٥
(٥) نفسه ؛ ص ٢٠٦

الباقر هو الرائد ، فإننا نعتز بهذا العلم العظيم الذى يُعد إبداعاً إسلاميًا خالصاً ، فى مواجهة المنكرين لدور أمتنا الثقافى والحضارى من قبل بعض الأوربيين المتعصبين ، ومعهم زمرة من العلمانيين من أبناء جلدتنا .

ويقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله ، بعد دراسة مقارنة لعلم أصول الفقه عند السنة والشيعة :« إن الشيعة يتفقون مع الشافعيين فى منهاجهم فى أصول الفقه إلى حد كبير » .[1] ويصف هذا المنهاج فيقول :« إنه ينظر فى القواعد مجردة من غير أن يجعلها خادمة للفروع ، بل يجعلها مقاييس تضبط الفروع وتزنها بموازين دقيقة، فيقررون الأصول كما هى موافقين أو مخالفين لجمهور المسلمين » .[2]

ويجب أن نتذكر أن الخلافات بين مذاهب أهل السنة فى أصول الفقه عديدة . وهى لاتستدعى النفرة أو الشقاق أو التكفير . والشىء نفسه يجب أن يقال عن الخلاف بين الإمامية وأهل السُّنة ، ويجب أن نتذكر أن عناصر الاتفاق عديدة وواسعة ، خصوصًا بين الإمامية والشافعية .[3]

## ● القرآن فى وصف ابن حزم الظاهرى

ويصف ابن حزم رحمه الله القرآن فيقول :« إن القرآن الذى فى المصاحف بأيدى المسلمين شرقًا وغربًا فما بين ذلك ، من أول أم القرآن إلى آخر المعوذتين ، كلام الله عز وجل ووحْيه ، أنزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وآله ، من كفر بحرف منه فهو كافر . وكل ما رُوِىَ عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن فى مصحفه فكذب موضوع لا يصح ، وإنما صَحَّتْ عنه قراءة عاصم عن زر ابن حبيس عن ابن مسعود ، وفيها أم القرآن والمعوذتان » .[4]

– وهنا يرد ابن حزم على المدعين بأن القرآن الذى بأيدى أهل السنة فيه حذف وإضافة !

---

( ١ ) الإمام الصادق ؛ رقم ٢١٧ ص ٢٧٩
( ٢ ) الموضع نفسه .
( ٣ ) نفسه ؛ ص ١٧ – ١٨
( ٤ ) المحلى ؛ المسألة رقم ٢١ جـ ١ ص ١٣

– ويقول ابن حزم :« والقرآن كلام الله وعلمه غير مخلوق »[١] ويقول أيضا إن القرآن :« هو المكتوب فى المصاحف والمسموع من القارئ ، والمحفوظ فى الصدور، والذى نزل به جبريل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وآله ؛ كل ذلك كتاب الله ، وكلامه القرآن ، حقيقة لا مجازاً ، مَنْ قال فى شيء منه إنه ليس هو القرآن ولا هو كلام الله تعالى ، فقد كَفَر ، لخلافه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وآله وإجماع أهل الإسلام » .[٢]

– ومن الجلي هنا أن ابن حزم يقطع الطريق على دعاوى بعض الفلاسفة والمتكلمين الذى خاضوا فى مسألة « خَلْق القرآن » وتعددت آراؤهم ، وقاد المعتزلة بدعة القول إن القرآن مخلوق بتشجيع من المأمون الخليفة العباسى ، ولم تنته إلا فى عهد المتوكل ، بعد ألوان من العذاب ذاقها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره ممن أبوا ترديد البدعة المعتزلية !

## ● أدلة الأحكام عند الإمام الغزالى

ويقول الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله : « اعْلمْ أَنَّا إذا حققنا النظر فإن أصل الأحكام واحد هو : « قول الله تعالى » . إذْ قول الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ليس بحكم ولا ملزم ، بل هو مخبر عن الله تعالى أنه حكم بكذا وكذا ، فالحكم لله تعالى وحده . والإجماع يدل على السُّنة ، والسُّنة ( تدل ) على حكم الله تعالى ، وأما العقل فلا يدل على الأحكام الشرعية ، بل يدل على نفي الأحكام عند انتفاء السَّمْع ( يعنى عدم وجود نص ) . . . إلاَّ أَنَّا إذا نظرنا إلى ظهور الحكم فى حقنا ، فلا يظهر إلا بقول الرسول عليه السلام ، لأنا لا نسمع الكلام من الله تعالى ولا من جبريل . فالكتاب يظهر لنا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم وآله . **فإذن ، إذا اعتبرنا المُظْهِر لهذه الأحكام فهو قول الرسول فقط ، إذْ الإجماع يدل على أنهم استندوا إلى قوله ؛ وإن اعتبرنا السبب المُلزِم فهو واحد ، وهو : حكم الله تعالى** . لكن إذا لم نجرد النظر ، وجمعنا المدارك ، صارت الأصول التى يجب النظر

---

( ١ ) نفسه ؛ المسألة رقم ٥٨ جـ ١ ص٣٢

( ٢ ) نفسه ؛ المسألة رقم ٥٩ جـ ١ ص ٣٢

فيها أربعة ».[1] وهى : الكتاب والسُّنة والإجماع ودليل العقل، وهى تفسها الأصول عند الإمامية .

ويقول الأصولى القدير الإمام الشاطبى رحمه الله :« الأدلة الشرعية ضربان : أحدها ما يرجع إلى النقل المحض ( أى إلى الكتاب والسنة ) ؛ والثانى ما يرجع إلى الرأى المحض ؛ وهذه القسمة هى بالنسبة إلى أصول الأدلة ، وإلاَّ فكل واحد من الضربيْن مفتقر إلى الآخر ، لأن الاستدلال بالمنقولات لابد فيه من النظر ، كما أن الرأى لا يعتبر شرعاً إلا إذا استند إلى النقل . فأما الضرب الأول فالكتاب والسنة ؛ وأما الثانى فالقياس والاستدلال ».

« ويلحق بالضرب الأول : الإجماع ، ومذهب الصحابى وشرع مَن قبلنا ،لأن ذلك كله راجع إلى التعبد بأمر منقول صرف ، لا نظر فيه لأحد ويلحق بالضرب الثانى : الاستحسان والمصالح المرسلة ».[2]

## ● القرآن هو عمدة الملة

ويصف الشاطبى القرآن فيقول : « إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة ، وعمدة الملة ، وآية الرسالة ، ونور الأبصار والبصائر ، وأنه لا طريق إلى الله سواه ، ولا نجاة بغيره ، ولا تمسُّك بشيء يخالفه . وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه لأنه معلوم من دين الأمة . وإذا كان ذلك لزم – ضرورة – لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع فى إدراك مقاصدها واللحاق بأهلها ، أن يتخذه سميره وأنيسه ، وأن يجعله جليسه على مَرِّ الأيام والليالى ، نظرًا وعملاً ، لا اقتصاراً على أحدهما ، فيوشك أن يفوز بالبُغْيَة ، وأن يظفر بالطَّلِبَة ، ويجد نفسه من السابقين، وفى الرعيل الأول . فإن كان قادراً على ذلك ، ولا يقدر عليه إلا من زاول ما يعنيه عن ذلك من السُّنة المبيِّنة للكتاب ، وإلا فكلام الأئمة السابقين والسلف المتقدمين آخذٌ بيده فى هذا المقصد الشريف والمرتبة المنيفة ».[3]

---

( ١ ) المستصفى ؛ ص ١١٩

( ٢ ) الموافقات ؛ جـ ٣ ص ٢٤

( ٣ ) نفسه ؛ جـ ٣ ص ٢٢٤

ذلك أن السُّنة كما يبين الإمام مبينة للقرآن ، وهذه حقيقة معروفة لكل دارس للإسلام . وهى وَحْىٌ من عند الله تعالى ، وقد تأتى بأحكام ليست مذكورة فى القرآن . لكن تظل الحقيقة الكبرى الكلية دون مساس ألا وهى أن :« القرآن فيه بيان كل شيء . . فالعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة ، ولا يعوزه منها شيء » . [1] والله تعالى يقول ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ [ المائدة:٣ ] ويقول ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾ [ الأنعام:٣٨ ] ويقول ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [ النحل:٨٩ ] .

## ● الأصول عند الشيعة

ويقول السيد محمد آل كاشف الغطاء :« **المسلمون متفقون على أن أدلة الأحكام الشرعية منحصرة فى : الكتاب والسنة ثم العقل والإجماع ، ولا فرق فى هذا بين الإمامية وغيرهم** . نعم ، اختلف الإمامية عن غيرهم فى أمور ، منها: أن الإمامية لا تعمل بالقياس . وقد تواتر عن أئمتهم أن الشريعة إذا قيست مُحق الدين . . ومنها أنهم لا يعتبرون من السُّنة الأحاديث النبوية إلا ما صح منها عن طريق أهل البيت عن جدِّهم ، يعنى ما يرويه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين رضى الله عنهم ؛ ومنها أن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً بخلاف جمهور المسلمين » .[2]

ولكن تأثير هذه الخلافات ، أو بعضها ، ليس ملموساً ،فالقياس عند السنة مثلاً يستعاض عنه عند الشيعة بالاجتهاد والعقل . ثم إن ابن حزم الظاهرى لا يقر القياس . وقد مارس الشافعية وغيرهم القياس فى خدمة الشريعة ، ولم يُمحق الدين بسبب ذلك ! وعلى الرغم من ردِّ الشيعة روايات أهل السُّنة فإن الحصيلة النهائية من الأحاديث المعتبرة لدى الجانبين متقاربة حيث ذكر إحصاء بالكمبيوتر

---

( ١ ) نفسه ؛ ص ٢٤٤

( ٢ ) نقلاً عن أبى زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ الفقرة رقم ٢٢٤ ؛ ص ٢٨٨ .

أن ٩٠٪ من الأحاديث هي هي . وقد لاحظت أن كثيراً من الشيعة يقبلون روايات أهل السُّنة إذا وجدوها تؤيد ما يذهبون إليه . ونحن أهل السنة نقبل روايات أئمة الشيعة بالشروط نفسها التي نقبل بها روايات أئمتنا . **والغاية القصوى هي تحاشي رد حديث صحيح ، وتحاشي قبول حديث مزور !** وهذه الغاية يجب أن تحكم موقف الجميع، دون نظر إلى التحريمات المذهبية الموروثة عن عصور الصدام الدامي.

– **ثم إن إغلاق باب الاجتهاد لم يحدث بحكم قواعد أي مذهب سُنّي ، ولكن بفتوى غير صحيحة من بعض الشيوخ . فليس ثمة فرق بين المذهبين من هذه الجهة** . وأبواب الاجتهاد مفتوحة الآن على مصراعيها ، وقد عُولجت المستجدات التي **جلبها الاختلاط الكثيف مع الغرب في مؤتمرات وبحوث ورسائل وجهود فردية .**

ويعبِّر عن عقيدة الشيعة في القرآن قول عبد الحسين شرف الدين :«إن حلال محمد هو الحلال إلى يوم القيامة ، وكذلك حرامه وسائر أحكامه ، سواء كانت تكليفية أم وضعية . وهذا مما أجمع عليه المسلمون كافة ، كإجماعهم على نبوته صلى الله عليه وسلم وآله .»[1]

### ● أسباب الخلاف

والنتيجة المنطقية للإيمان بالقرآن عند السُّنة والشيعة هي انخفاض سقف الخلافات إلى أدنى مستوى يمكن تخيله . ولا ريب أن القرآن جمع بين كل المؤمنين به على أهم المبادئ في العقيدة والشريعة والأخلاق . لكن ثمة عوامل أخرى أشاعت الاختلافات ضمن الإطار القرآني الجامع ؛ وقد جمعها الإمام الشاطبي ، فإذا هي ثمانية أسباب :

١ – الاشتراك في الألفاظ .

٢ – دوران اللفظ بين الحقيقة والمجاز .

---

( ١ ) النص والاجتهاد ؛ ص ٨٣

٣ – دوران الدليل بين الاستقلال بالحكم ، وعدمه .

٤ – دوران الدليل بين العموم والخصوص .

٥ – اختلاف مصادر الرواية .

٦ – الاجتهاد والقياس .

٧ – دعوى النسخ وعدمه .

٨ – ورود الأدلة على وجوه تحتمل الإباحة أو الندب والوجوب .[١]

وسوف نرى أن وحدة الإيمان بالقرآن لم تعمل عملها التوحيدى المنتظر منها **بسبب التفسير بالرأي ، وفيه الكثير من التعسف والانفلات من قانون التأويل** . ومن الواضح أن الأسباب الثمانية للخلاف ليست منحصرة فى إثارة الخلافات بين الشيعة والسُّنة باستثناء السبب الخامس ، بل كانت سبباً للخلاف بين جميع الفقهاء والمفسرين من كل المذاهب الإسلامية .

## ● قضية تحريف القرآن

وهذه بدون شك أخطر قضية على وحدة الأمة المسلمة ، بل على وجودها ذاته ، وقد تبادل السنة والشيعة الاتهام بتحريف القرآن والزيادة والنقص فيه ، وألفت فى ذلك كتب عديدة ، ويأتى التكفير بالجملة نتيجة مَنْطقية للتحريف .

– يقول الإمام الخوئى ، كبير علماء الشيعة فى تفسيره المسمى «البيان» – ص ٢٥٩– «**إن حديث تحريف القرآن حديث خرافة ، لا يقول به إلا من ضعف عقله**».[٢]

## ● رأى الإمام الخمينى

وقال الإمام الخمينى زعيم الثورة الإسلامية فى إيران : «إن كتاب فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب» للمدعو «النورى» عبارة عن روايات

---

(١) الموافقات ؛ جـ ٤ ص ١٣٨ – ١٣٩

(٢) نقلاً عن الدكتور موسى الموسوى ؛ الشيعة والتصحيح ؛ ص ١٣٢

ضعيفة : « ولو كان الأمر كما توهَّم صاحب فصل الخطاب لكان الذي كتبه لا يفيد علماً ولا عملاً ، وإنما إيراد روايات ضعاف أعرض عنها الأصحاب وتنزه عنها أولو الألباب من قدماء أصحابنا » .(١) وقال محسن الأمين إن : « **كتب الشيعة المحققين ، ومَنْ يُعْتَنَى بقولهم من علماء الشيعة ، مجمعة على عدم وقوع تحريف القرآن لا بزيادة ولا نقصان .**

**● نفي مطلق للتحريف**

**وتفصيل الكلام في ذلك أن المسلمين كافة قد اتفقوا على عدم الزيادة في القرآن . واتفق المحققون وأهل النظر من الشيعيين والسنيين على عدم وقوع النقص . ووردت روايات شاذة من طريق السُّنيين ومن بعض الشيعة تدل على وقوع النقص . ونُقضَتْ فلم تَبْقَ لها قيمة » .(٢)**

– وأهم من هذا كله أن دعوى تحريف القرآن تتناقض مع قول الله تعالى ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر: ٩] فكيف يتعهد الله تعالى بحفظه ، ثم لا يحفظ ؟ ! فهي دعوى باطلة عند كل مؤمن بالقرآن الكريم .

**● دعاوى الغلاة**

لكن الغلاة لا يتوقفون أمام الحقائق ، ويتسترون وراء الأئمة وينسبون إليهم أفكارهم الضالة . فهذا عباس القمي ينسب إلى الإمام الصادق رضى الله عنه قوله : « ويلكم ! **نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم ، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا ، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة** ،الذى خص الله به محمداً صلى الله عليه وسلم وآله والأئمة من بعده ، وتأملت فيه مولد قائمنا ( يعنى المهدى المنتظر ) وغيبته وإبطاءه وطول عمره ، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان » .(٣)

---

( ١ ) نقلاً عن كتاب د . محمد سليم العوا ؛ ص ٢٥ – ٢٦
( ٢ ) الشيعة بين الحقائق والأوهام ؛ ص ١٦٠
( ٣ ) عباس القمي ؛ تاريخ الإمام الثاني عشر ؛ ص ١٤٤

– ومعنى هذا أن النبى ﷺ كان قد تلقى كتاباً آخر من عند الله هو كتاب الجفر ، وإنه لم يعلنه على المسلمين ، بل احتفظ به سرًا إلى أن خص به الأئمة . وفى الجفر علم الغيب ، بل علم الغيوب كلها ! وهنا بالذات يناقض القرآن الكريم الذى خَصَّ الله تعالى وحده بعلم الغيب فى أكثر من آية قرآنية ، منها قوله تعالى ﴿ **قل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عندي خَزَائنُ اللَّه وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ** ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقوله تعالى ﴿ **عَالمُ الْغَيْب فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِه أَحَدًا** ﴾ [الجن: ٢٦] والإمام الصادق حافظ للقرآن ، عالم بعقائده فلا يمكن أن يتورط فى هذه الأكذوبة الفجة ! إنهم الرواة الجهلة إذن ، وكاتبهم عباس القمى !

– وأكاذيب أخرى تنسب أيضا إلى الإمام الصادق **حول الجفر والجامعة ومصحف فاطمة** . ولا نعيد ما قلنا عن الجفر ؛ أما «الجامعة» فقد قال عنها : تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً فى عرض الأديم ، مثل فخذ الفالج (وهو الجمل الضخم) . قيل له : **فمصحف فاطمة** ؟ قال : إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله خمسة وسبعين يومًا ، وكان دَخَلَها حزن شديد على أبيها ، **وكان جبريل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ، ويطيب نفسها ، ويخبرها عن أبيها ومكانه ، ويخبرها بما يكون بعدها فى ذريتها . فهذا مصحف فاطمة عليها السلام»** .(١)

## ● سورة الولاية !

والغلاة من الشيعة لا يكفون عن الحديث عن سورة الولاية التى حذفها أهل السُّنة من المصحف لأنها تشهد بأحقية على فى الخلافة، ويتلقف المتعصبون من أهل السُّنة هذه القصص ليثبتوا أن الشيعة حرفوا القرآن ، وكل من يحرف القرآن فهو كافر !

أما الحقائق فتنقض كل هذا الهراء . من ذلك أن طارق بن شهاب قال :

---

(١) محمد بن يعقوب الكلينى ؛ الكافى – الأصول والروضة ؛ وبحار الانوار ؛ جـ ٢٦ باب ١ ص ١٨

« شهدتُ علياً رضى الله عنه وهو يقول على المنبر :« والله ما عندنا كتاب نقرأه عليكم إلا كتاب الله تعالى . وهذه الصحيفة (التى كانت معلقة بسيفه) أخذتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، فيها فرائض الصدقة » .[1]

– و« علي » يقسم للناس على أنه ليس لديه غير القرآن ، فذلك يدل على ذيوع أقاويل الغلاة عن الجفر ومصحف فاطمة وما إلى ذلك . وكان « علي » أميراً للمؤمنين ، فلو كان لديه شيء غير القرآن لأظهره دون خوف أو « تقية » .

– والقول إن جبريل تزل على فاطمة يناقض عقيدة ختم النبوة ، وليس بوسع أحد أن يتأول لبقاء باب النبوة مفتوحاً ما لم يكن فى قلبه مرض وفى عقله زيغ » .[2]

وعن عبد العزيز بن رُفَيْع قال :« دخلت أنا وشداد بن مَعْقل على ابن عباس رضى الله عنه، فقال له شداد : أَتَرَكَ النبى صلى الله عليه وسلم وآله من شيء ؟ قال : ما ترك إلا ما بين الدفتيْن . قال : ودخلنا على محمد بن الحنفية (بن علي بن أبى طالب) فسألناه السؤال نفسه ، فقال : ما ترك إلا ما بين الدفتين » .[3]

ولو أن غلاة أهل السُّنة حذفوا سورة أو آية كانت تشهد لعلي بالخلافة لأعلن ذلك علي وبنو هاشم وأنصارهم من الصحابة ، وهذا ما لم يحدث قط . وقد اعترف الصحابة بقول النبى لعلي : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » ، فلماذا ينكرون سورة أو آية تنص على خلافته ؟!

ومن الأدلة الحاسمة على براءة الشيعة من تهمة تحريف القرآن ، أن نسخ المصحف المنتشرة فى إيران هى هى النسخ المنتشرة فى العالم السُّنى . وكان العلامة لطف الله الصافى فى كتاب له صدر سنة ١٣٨٩ هـ قد دعا الغلاة من السُّنة إلى قراءة المصاحف المنتشرة بأيدى الشيعة فى إيران لكي يتأكدوا من كذب تلك

---

(١) مسند أحمد (الفتح الربانى) ؛ رقم ٢٩٥ – جـ ٢٣ ص ١٣٤

(٢) أبو الأعلى المودودى ؛ الإيمان ؛ ١٩٦ – ١٩٧

(٣) فتح البارى ؛ كتاب فضائل القرآن ؛ رقم ٥٠١٩ جـ ٩ ص ٦٤ – ٦٥

التهمة الشنيعة بالتحريف .[١] ومن التدقيق فيما يسمى سورة الولايات يكتشف الدارس أنها خليط من عبارات قرآنية حشر فيها اسم علي حشراً غشيماً .[٢] وبالمثل كذب الباحثون السُّنة الزعم بأن المعوذتين والفاتحة غير موجودة فى مصحف ابن مسعود . وقد اقتبْستُ كلام ابن حزم عن ذلك فيما سبق .

● **غلاة النقاد السُّنة**

ولو أَتَيتَ الغلاة بألف شهادة بأن الشيعة لا يقبلون ببدعة تحريف القرآن ، وأنهم ينكرون أن يكون لديهم كتاب مقدس غير القرآن ، فإن الغلاة من نقاد أهل السّنة لن يسلموا بذلك ، ويقول قائلهم :« ربما يظن القارئ أن ذلك الإنكار صادر عن عقيدة ، بل الحقيقة أن ذلك من منطلق التقية التى يحتمون بها » .[٣] والكاتب يقول هذا الكلام بعد أن أورد أسماء العلماء الشيعة الكبار الذين ينكرون تحريف القرآن ويدينون القائلين به ، من أمثال الطوسى والشريف المرتضى والطبرسى . فبدلاً من أن يسعد بوجود أولئك العلماء الرافضين للتحريف ، يشكك فى نواياهم بحجة التقية !

وأنا أتعجب من هذا الاتجاه الخاطئ الذى لا يهمه إلا الإدانة والتشويه ، والأخذ بآراء الغلاة، وطمس آراء العلماء الكبار! وأتعجب من الاستناد إلى التقية ! فهل كان أولئك العلماء يعيشون فى وسط سُنّى معادٍ لهم ، أم فى وسط شيعى يكفل لهم الأمن ليقولوا ما يؤمنون به وما يؤمن به بعض الناس فى ذلك الوسط؟ وهل الشيعة المنكرون للتحريف الآن يخشون أحداً ؟ هل إيران تخاف من البحرين أو قطر أو السعوية ، ولذلك تجبر علماءها على إدانة التحريف إرضاء لهم أو خوفاً منهم ؟ أظن أن العكس هو الصحيح ! فالعرب عامة يخشون قوة إيران ونفوذها ، لما لحكومتها الإسلامية من جاذبية ، ولما تملك من ثروة وقوة ، ولمواقفها الرافضة للخضوع للطاغوت الأمريكى الصهيونى ، فى وقت استسلم فيه العرب لذلك الطاغوت !

---

( ١ ) فهى هويدى ؛ إيران من الداخل ؛ ص ٣٢٥

( ٢ ) نفسه ؛ ٣٢٦

( ٣ ) محمد مال الله ؛ الشيعة وتحريف القرآن ؛ ص ٢٠

– أما الباحث السُّنى الرصين الإمام محمد أبو زهرة فقد قالها صريحة واضحة بعد أن كتب كتابه القيم عن «الإمام الصادق» وألمَّ بحقائق المذهب الإمامى ؛ قال رحمه الله " «**إن إخوتنا الإمامية – على اختلاف منازعهم – يؤمنون بالقرآن الكريم كما يؤمن به كل مؤمن**».(١) ومع هذا لم يغفل عن حقيقة مزاعم الغلاة مثل الكلينى فأفتى بكفره لإصراره على التشويش على صدق كتاب الله . (٢) وأعلام الإمامية يكفرون كل من يزعم أن الوحى قد نزل على أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله .(٣)

**● التكفير نتيجة التحريف**

هكذا سارت الأمور عبر قرون : الشيعة يتهمون السُّنة بتحريف القرآن بحذف سور وآيات منه ، والسُّنة يتهمون الشيعة بتحريف القرآن بإضافة سور وعبارات وألفاظ إلى آياته . ومن اليسير لدى كل من يقتنع بأن الآخرين حرفوا القرآن أن يكفرهم ! ومن هنا جاءت ظواهر التكفير بالجملة ! فبكل استهتار ونزق ، استجاز البعض تكفير الآخرين – الملايين أو المليارات من أتباع المذهب المخالف !

**وهذه فى حسبانى أشنع معصية يرتكبها مسلم على الإطلاق !**

– ومن واجبنا اليوم أن نقنع كل مسلم بالتوبة عن تلك المعصية ، لصالحه هو نفسه فى الدنيا والآخرة ، لا لصالح الفريق الآخر الذى يكفره ظلماً وعدواناً ! ولا ريب أن التوبة عن التكفير خطوة واسعة نحو التقارب والتآلف بين المسلمين . وهذه الغاية النبيلة تتطلب جهوداً جبارة : تربوية وثقافية وإعلامية وفنية . ولابد من تنقية التراث التكفيرى وملء أيدى الجماهير وعقولهم بثقافة الأخوة الإسلامية .

**● النسخ**

ويخلط البعض بين التحريف والنسخ (٤) . ولكن النسخ ثابت بالقرآن

---

(١) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ ص ٣٠٠ (٢) نفسه ؛ ص ٣٣٢ – ٣٣٤
(٣) البرقعى ؛ كسر الصنم ؛ ص ١٣٣
(٤) ناصر مكارم الشيرازى ؛ عقيدتنا ؛ ص ٣٦ –٤٦

والإجماع ، فى حين أن التحريف مرفوض . وكما رأينا ، التحريف إما حذف من القرآن وإما إضافة إليه . لكن النسخ إنزال آية من عند الله مكان آية ، لقوله تعالى ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [البقرة:١٠٦] أو نسخ حديث شريف بآخر .

ويشرح الإمام الطبرى رحمه الله معنى آية النسخ فيقول : « ما نبدل من حُكم آية فنغيره ، أو نترك تبديله فنقره بحاله، نأتِ بخير منها لكم – من حكم الآية التى نسخنا فغيرنا حكمها – إما فى العاجل ، لخفته عليكم ، من أجل أنه وضْعُ فَرْضٍ كان عليكم ، فأسقط ثقله عنكم ، وذلك كالذى كان على المؤمنين من فَرْض قيام الليل ، ثم نسخ ذلك فَوُضِعَ عنهم ، فكان ذلك خيراً لهم فى عاجلهم ، لسقوط عبء ذلك وثقل حمله عنهم ، وإما فى الآجل لعظم ثوابه ، من أجل مشقة حمله عنهم ، وثقل عبئه على الأبدان، كالذى كان عليهم من صيام أيام معدودات فى السنة فنسخ وفرض عليهم مكانه صوم شهر كامل كل حول ».(١) ولا يمكن البت فى نسخ آية بآية أخرى إذا أمكن الجمع بينهما :« فى حال واحدة على صحة ».(٢)

ويقول الإمام الغزالى رحمه الله :« إن النسخ ثابت بالإجماع والنص . أما الإجماع فاتفاق الأمة قاطبة على أن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وآله نسخت شرع مَن قَبْلَه ، إما بالكلية وإما فيما يخالفها فيه . وهذا متفق عليه ». وأما النص فقوله تعالى ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾ [النحل:١٠١] والتبديل يشتمل على رفع وإثبات . والمرفوع إما تلاوة وإما حُكم ، وكيفما كان فهو رفع ونسخ ».(٣)

---

(١) تفسير الطبرى ؛ فقرة ١٧٧٦ – جـ ٢ ص ٤٨٢
(٢) نفسه ؛ الفقرة ٢٦٢٧ – تفسير الآية ١٨٠ من سورة البقرة – جـ ٣ ص ٣٨٥
(٣) المستصفى ؛ ص ٣٢ – ١٣٣

## ● تعريف النسخ وأنواعه

● ويقول الغرناطى رحمه الله : « النسخ فى اللغة هو الإزالة والنقل . ومعناه فى الشريعة : رفع الحكم الشرعى بعد ما نزل . ووقع فى القرآن على ثلاثة أوجه :

– الأول نسخ اللفظ والمعنى ، كقوله ( لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم ) .

– والثانى نسخ اللفظ دون المعنى ، كقوله ( الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة ، نكالاً من الله والله عزيز حكيم ) .

– والثالث نسخ المعنى دون اللفظ ، وهو كثير ، وقع منه فى القرآن ، على ما عَدَّ بعض العلماء ، مائتا موضع واثنا عشر موضعًا منسوخة ، إلا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخًا ، والاستثناء نسخًا ، وبين هذه الاشياء وبين النسخ فروق معروفة » .[1] وهذا توسع غير مشروع .

وقيل : نسخ آية معناه تبديلها ، أو تثبيت خطها وتبديل حكمها .

ويقول ابن حزم إن القرآن ينسخ القرآن ، والسنة تنسخ السنة والقرآن » .[2] وهذا يخالف الشافعي الذى أكد أن القرآن لا ينسخه إلا القرآن ، لقول الله تعالى ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ﴾ [ يونس:١٥ ] .[3]

**ومن أمثلة النوع الأول** ، أى نسخ اللفظ والمعنى ما رُوى عن زِرّ بن حبيس عن أُبَيٍّ بن كعب رضى الله عنهما قال : كم تقرءون سورة الأحزاب ؟ قال : بضعاً وسبعين آية . قال : لقد قرأتها مع رسول الله ﷺ مثل البقرة أو أكثر منها ، وإن فيها آية الرجم » .وقال ابن حزم : « هذا إسناد صحيح لا مغمز فيه » .[4]

وعن أُبَيٍّ بن كعب قال إن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تبارك وتعالى أمرنى أن أقرأ عليك القرآن » . قال فقرأ ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ [ البينة:١ ] قال فقرأ فيها :« ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فَأُعْطِيَه ، لسأل

---

( ١ ) الغرناطى ؛ كتاب التسهيل ؛ ص ١٨     ( ٢ ) المحلى ؛ رقم ٩٤ – جـ ١ ص ٥٢

( ٣ ) الرسالة ؛ رقم ٥٧٢ ص ٩٨ .

( ٤ ) مسند أحمد ( الفتح الربانى ) رقم ١٣٢ ص ٥٨ – والمحلى لابن حزم ؛ رقم ٢٢٠٤ جـ ١١ ص ٢٣٤ – ٢٣٦

ثانياً، فأعطيه ، لسأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وإن ذلك الدين القيم عند الله – الحنيفية غير المشركة ، ولا اليهودية ولا النصرانية ، ومن يفعل خيرًا فلن يُكفَرَه » .(١)

**ومن أمثلة النوع الثانى** ، أى نسخ اللفظ دون المعنى، الآية القائلة : ( الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألْبتة ) .(٢) ومن أمثلة ما روى عن أبى موسى الأشعرى أنه قال : « نزلت سورة براءة ، ثم رفعت » .(٣)

**ومن أمثلة النوع الثالث** الذى نسخ معناه وبقى لفظه قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً** ﴾ [المزمل :١-٣] منسوخ بقوله تعالى ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** ﴾ [المزمل : ٢٠] (٤) ومن أمثلة قول الله تعالى ﴿ **لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ** ﴾ [المائدة : ٢] منسوخ بقوله ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ** ﴾ [التوبة : ٥] (٥)

## ● تفسير القرآن

القرآن كما قرر العلماء الكبار هو أصل الأصول فى دين الإسلام ، أو هو عمدة الملة ، منه العقائد والفقه وأصول الفقه ، ومعيار الصواب والخطأ . والقرآن واحد عند الشيعة والسُّنة . ومن ثم كان يفترض أن يكون مصدر الالتقاء والتقارب والوحدة ، والعاصم المتين من التشرذم والفرقة والاقتتال . ولقد أخبر رسول الله ﷺ حُذَيفة بأن سيكون بعده خلاف وفُرقة ، فسأله حذيفة : فماذا تأمرنى إن أدركت ذلك ؟ فقال :« تعلَّم كتاب الله واعمل بما فيه، فهو المخرج من ذلك » . وكرر حذيفة السؤال ثلاثًا ، فأعاد النبى عليه الجواب ثلاثًا .(٦)

---

( ١ ) نفسه ؛ الفقرة رقم ١٣٦ جـ١٨ ص ٦٠
( ٢ ) المكى ؛ السابق ؛ الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ؛ ط ١ ص ٥٦
( ٣ ) نفسه ؛ ص ٥٩ ( ٤ ) الشافعى ؛ الرسالة ؛ ص ٥٨ – ٥٩
( ٥ ) تفسير الطبرى ؛ من رقم ١٠٩٦٤ – ١٠٩٦٨ – جـ٩ ص ٤٧٦
( ٦ ) أبو حامد الغزالى ؛ إحياء علوم الدين ؛ جـ١ ص ٢٩١

– ومن البدهى أن نصيحة النبى لحذيفة موجهة لكل مسلم . فعلينا أن نحفظ القرآن ونتدبره ونحاول فهمه والعمل به ، فذلك هو المخرج من الخلاف والفرقة .

**● خطر التعسف فى التأويل**

**لكننا نصطدم اليوم بتأويلات عديدة ، بعضها شاذ ، ولا يتفق مع أصول التأويل والتفسير ، وبعضها منفلت كلية من كل الضوابط . وكثير مع المفسرين يُخضع القرآن الكريم لهواه ورأيه ليحتج به على صحة مذهبه أو مشروعية غرضه :«ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى»**. وعندئذ يصبح التفسير أو التأويل معْوَلَ هدم لوحدة أمتنا وتوسيع الشقة بين أبنائها ! إن مثل هؤلاء لا يرجعون إلى تراث أمتهم ليتعلموا أصول التأويل والتفسير ، فهم :« كمن يدَّعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب ، أو يدَّعى فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك!» (١)

– وهكذا تراكمت مجلدات ضخام فى خزائننا ، وصار التفسير المنفلت هو سيد الموقف وتوارى التفسير العلمى المنضبط خلفه ، ونادراً ما يجد من يحققه وينشره . وقد تقوَّل بعض المفسرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فزعموا أنه قال إن للقرآن سبعة وسبعين بطنًا ! وقال بعض المفسرين الشيعة :«إن الله تعالى جعل ظاهر القرآن فى الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة وجعل باطنه فى الدعوة إلى الإمامة والولاية وما يتعلق بهما» .(٢)

**● فماذا كانت النتائج !**

– خذ مثلاً قول الله تعالى ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ** ﴾ [ محمد:١٥ ] .

---

( ١ ) نفسه ؛ ص ٢٩٢

( ٢ ) د. الذهبى ؛ التفسير والمفسرون ؛ جـ ١ ص ٣٠

– **يقول المفسر الشيعي إن المعنى الباطني لهذه الآيات هو : علوم الأئمة .**

وقوله تعالى ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [ العصر : ٢ ] .

– يقول المفسر الشيعي : « علي بن أبي طالب » . [١]

– والحق أن الذين يصدُق عليهم وصف القرآن هنا ملايين من المؤمنين ، ومنهم علي بن أبي طالب وغيره من آل البيت ، ومن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم الدين من الشيعة والسُّنة وسائر الفرق المسلمة .

– وقوله تعالى ﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** ﴾ [ الهمزة : ١ ] قال المفسر الشيعي : « الذين همزوا آل محمد حقهم ، ولمزوهم ، وجلسوا مجلساً كان آل محمد أحق به منهم » . [٢] **يشير إلى الخلفاء الراشدين الثلاثة أبي بكر وعمرو وعثمان رضي الله عنهم** . وهذا تبديل لكلمات الله تعالى للتطاول على أعظم عظماء الإسلام بعد النبي وأتقاهم . وهذا إثم عظيم وفاحشة ترتكب باسم تفسير آيات القرآن الكريم !

– ولا أحسب أن خطوة واحدة نحو التقريب يمكن أن تُقطع طالما استمرت المطابع في إخراج مثل هذا الهراء باسم الشيعة !

● **إننا بحكم القرآن إخوة ، لكن هذا التطاول يحيلنا إلى أعداء !**

– فماذا نحن صانعون ،سُنَّة وشيعة ؟ !

واستناداً إلى أخبار لا وزن لها يروى الكليني أن الإمام الجواد الذى – توفى سنة ٢٢٠ هـ – بينما كان يسير في الطواف جاءه رجل وقال : **أنا إلياس النبى ، وأنا** حي دائما، وقال له إن ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾[القدر : ١ ] **نزلت بشأن الأئمة . فيتساءل** « البرقعي » كيف يمكن أن يكون إلياس حياً في زمن الجواد؟ والله تعالى

---

( ١ ) الميلاني ؛ قادتنا ؛ جـ ٣ ص ٤٥٥

( ٢ ) نفسه ؛ ص ٤٥٧

يقول ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾[الأنبياء : ٣٤ ](١)

– ويفسر محمد الحسين آل كاشف الغطاء قول الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[البينة : ٧ ] عَلى أنه **وصف لشيعة علي**.(٢)

وأحسب أن هذه الأمثلة كافية لبيان التعسف الخطير في تفسير القرآن ، وعلى من يريد الاستزادة أن يرجع إلى كتاب « الميلاني » :« قادتنا ، كيف نعرفهم » ، فقد أنفق مجلداً كاملاً في مثل هذا التفسير .(٣)

## ● أفحش الفواحش !

● وزعم الكليني أن قول الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٣٧ ] **نزل في أبي بكر وعمر وعثمان ، آمنوا بالنبي أولاً ، ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية علي ، ثم آمنوا بالبيعة لعلي ، ثم كفروا بعد موت النبي ، ثم ازدادوا كفراً بأخذ البيعة من كل الأمة**.(٤)

**– هذا الكلام الخطير والعدواني ، إذا لم يكذّب ويدان من زعماء الشيعة ، بكل الوسائل الممكنة ، فليس يستطيع سُنِّي أن يضع يده في يد أحد ممن يؤمنون بهذه الافتراءات البشعة .**

## ● قانون التأويل

ولقد عرف العلماء منذ عهد النبوة أن تفسير القرآن له قواعد وأصول ، وأن تأويله محكوم بقانون اسمه قانون التأويل . وكثير من آيات القرآن ظني الدلالة ، يعني يحتمل أكثر من معنى ، لكن هذا لا يعني الفوضى . وعلى المفسر أن يمتنع عن تعيين أحد المعاني الممكنة ، لأنه إن فعل يكون قد حكم على مراد الله

---

(١) كسر الصنم ؛ ص ١٨٥

(٢) أصل الشيعة وأصولها ؛ ص ١١٠

(٣) المجلد الثالث ، الذي يقع في ٤٦٤ صفحة من القطع الكبير .

(٤) أصول الكافي ؛ ٣ / ٣٢٥

تعالى بالظن والتخمين ، وهذا خطأ : «فإنما تَعلم مراد المتكلم بإظهار مراده ؛ فإذا لم يظهره ، فمن أين نعلم مراده إلا أن تنحصر وجوه الاحتمالات ، ويبطل الجميع إلاّ واحداً ، فيتعيَّن ( هذا ) الواحد بالبرهان . ولكن وجوه الاحتمالات فى كلام العرب ، وطرق التوسع فيها كثير ، فمتى ينحصر ذلك ؟ **فالتوقف فى التأويل أسلم**». (١)

– إذا لم يتقيد المفسر بقواعد التأويل وأصول التفسير فإنه يغامر ، ويعرض نفسه للوقوع فى إثم الحكم على مراد الله تعالى بالتخمين والظن . وهذا إثم كبير، **ولا يرخص فيه إلا لضرورة الأعمال والعبادات التى تدرك بالاجتهاد** . أما العلوم المجردة فلا يجوز أن يقال فيها بالظن . والعاقل يقول : أعلمُ أن الظاهر ( فى النص ) غير مراد ، لأنه يناقض العقل . وأما عيْن المراد فلا أعرفه ، ولا حاجة بى إلى معرفته، لأنه لا يتعلق به عمل . ومثال ذلك قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ [ الأعراف : ٥٤ ] فالظاهر غير مراد ، لأنه يناقض العقل ، ونحن نؤمن به ولا نسأل عنه ، أو كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة . (٢)

**إن الاستفادة من الوحدة التى يضمنها القرآن تتطلب احترام قانون التأويل وتوحيد قواعد التفسير عند السُّنة والشيعة ، فهل نفعل ؟**

## ● التفسير الصوفى

– **والصوفية من أهل السُّنة يخرجون من القرآن أشياء لا صلة لها به !**

وها هنا أمثلة لهذا المنهاج من التفسير .

– **يقول محي الدين بن عربى** فى رؤياه لقول الله تعالى ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾[ الرحمن :١٩– ٢١ ] : «هل بالبحر ، الذى أوصله به ، فأفناه عن الأعيان ؟ أو بالبحر الذى فصله عنه

---

( ١ ) معارج القدس ( وضمنه قانون التأويل ) ؛ ص ٢٤١

( ٢ ) نفسه ؛ ص ٢٤٢

وسمَّاه بالأكوان ؟ أو بالبرزخ ، الذى « استوى عليه الرحمن » ؟ ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [ الرحمن: ١٣ ] ؟

« يخرج من بحر الأزل « اللؤلؤ » ومن بحر الأبد « المرجان » ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؟ - ﴿ وله الجوارى ﴾ الروحانية ﴿ المنشآت ﴾ من الحقائق الأسمائية ، فى البحر الذاتى الأقدس ﴿ كالأعلام ﴾ ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؟

- « يسأله » العالَم العلوى على علوه وقدسه ، والعالَم السفلي على نزوله وبخْسه ، كل خطوة « فى شأن » . ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؟ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [ الرحمن: ٢٦ ] وإن لم تنعدم الأعيان ،لكنها رحلة من « دَنَا » إلى « دان » : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ؟ ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؟(١)

فكلام ابن عربى عن البرزخ لا يشرح شيئًا ، بل يلقى ظلالاً من الغموض على الآيات . وكلامه عن اللؤلؤ وبحر الأبد وبحر الأزل غير مفهوم ، لا للخاصة ولا للعامة . ولذلك أكتفى بهذا المثال ، لأن إضافة غيره لن تضيف شيئًا ، اللهم إلا تضييع الجهد والوقت . ونحن هنا نبحث فى أصول التشريع ومصادره حيث لا يجدى إلا الكلام المحدد المفيد كأصول للتشريع . وقد عرفنا القليل عن تفاسير الغلاة فى المبحث السادس ؛ وهذا ينتسب إليهم .

**● إدانة التفسير بالرأى**

**عن ابن عباس قال : قال رسول الله** صلى الله عليه وسلم وآله : **«مَنْ قال فى القرآن برأيه فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَه من النار»** (٢) **وعن أبى معمر قال : قال أبو بكر الصديق** رضى الله عنه : **«أى أرض تقلُّنى وأي سماء تظلنى إذا قلت فى القرآن ما لا أعلم»**.(٣)

- وأورد الطبرى أخباراً أخرى تؤكد هذا المنهج ثم قال : « وهذه الأخبار

---

( ١ ) الفتوحات المكية ؛ رقم ٤٨٢ - السفر الاول ص ٢٧٢
( ٢ ) تفسير الطبرى ؛ فقرة ٧٣ جـ ١ ص ٧٧
( ٣ ) نفسه ؛ فقرة ٧٩ - جـ ١ ص ٧٨

شاهدة لنا على صحة ما قلنا : من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذى لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، أو بنَص فيه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيلُ فيه برأيه، بل القائل فى ذلك برأيه – وإن أصاب الحق فيه – فَمخطئ فيما كان من فعله ، بقيله فيه برأيه ، **لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق** ، **وإنما** هى إصابة خارص وظان . والقائل فى دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم . وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك فى كتابه على عباده فقال ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف :٣٣]

● **والتقول على الله من أفحش الفواحش .**

وتخصيص العام منهج أصولى معروف له قواعده . لكن بعض الدارسين يتوسع فيه دون مسوغ شرعى ، فيكون ظاهر الآية العموم ، لكنه يقصرها بعدد من الناس ، ويكون التعصب للمذهب هو السبب . مثال ذلك قوله الله تعالى : ﴿ **وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة :١١٩] **يفسرها البعض بأن الصادقين هم محمد ﷺ وعلى بن أبى طالب . والحق أن الأمر فيها بتأييد الصادقين فى كل مكان وزمان .**

## ● السُّنة : المصدر الثانى للتشريع

وتأتى السُّنة النبوية المطهرة بعد القرآن الكريم كمصدر للتشريع عند أهل السُّنة والشيعة ، مع الاختلاف حول رواتها عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله .

– يقول الإمام الأصولى السُّنى الشاطبى :« يُطلق لفظُ السُّنة على ما جاء منقولاً عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله على الخصوص ، مما لم يُنَص عليه فى الكتاب العزيز ، إنما نص عليه من جهته عليه الصلاة والسلام ( سواء ) كان بياناً لما فى الكتاب أَوْ لاَ » .

« ويطلق أيضاً لفظ السُّنة فى مقابلة البدعة » .

« ويطلق أيضاً لفظُ السُّنة على ما عمل عليه الصحابة ، ( سواء ) وُجد ذلك في الكتاب أو السُّنة، أو لم يوجد، لكونه اتّباعًا لسُنَّة ثَبُتَتْ عندهم لم تُنقل إلينا ، أو اجتهاداً مجمعاً عليه منهم أو من خلفهم . فإنَّ إجماعهم إجماع ، وَعَمَلُ خلفائهم راجع – أيضاً – إلى حقيقة الإجماع ، من جهة حَمْلِ الناس عليه حسبما اقتضاه النظر المصلحى عندهم . فيدخل تحت هذا الإطلاق : المصالح المرسلة والاستحسان ، كما فعلوا فى حد الخمر ( يقصد عدد الجلدات ) وتضمين الصُّناع وجَمْع المصحف ، وحَمْل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة ، وتدوين الدواوين ، وما أشبه ذلك ».[1]

– وسوف نناقش هذا التعريف ومدى موافقته أو مخالفته للمذهبين موضع الدراسة : مذهب أهل السُّنة ، والمذهب الاثنا عشرى .

من حيث المبدأ قَبِل أهل السُّنة والشيعة سُنَّة النبى صلى الله عليه وسلم وآله كمصدر للاحكام . واستند الشيعة إلى أخبار تقول إنه عليه الصلاة والسلام قال : « عليكم بكتاب الله وعترتى » – والعترة هم أهل البيت عليهم السلام . واستند أهل السنة إلى أخبار تقول إنه عليه الصلاة والسلام قال : « عليكم بسُنَّتى وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين ، عُضُّوا عليها بالنواجذ ».[2] وفى حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بما عرفتم من سُنَّتى وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين عُضوا عليها بالنواجذ ».[3]

**والأخذ بأخبار العترة هو أخذ بالسُّنة . فالعترة وأهل البيت هم الحفظة على السُّنة المطهرة . ولكن أهل السُّنَّة أخذوا السُّنَّة عن أهل البيت وعن الصحابة بشروط حددها علماء الحديث لكيلا نأخذ خبراً زائفاً على أنه صحيح أو نَرُدَّ خبراً صحيحاً على أنه زائف** . ولتحقيق هذه الغاية النبيلة أنشأ المسلمون « علوم الحديث » التى تخصص فيها العباقرة من أبناء الأمة من جميع المذاهب .

---

( ١ ) الموافقات ؛ جـ ٤ ص ٤ ( مع إبقاء الحروف الستة ومشروعية القراءة بها )
( ٢ ) سنن ابن ماجة ؛ رقم ٤٢ جـ ١ ص ١٦
( ٣ ) نفسه ؛ رقم ٤٣ جـ ١ ص ٤٣

لكن معظم الشيعة الإمامية – ولا أقول جميعهم – لا يقبلون كلمة منسوبة للنبى إلا عن طريق أئمتهم . ويروى أهل السُّنة أحاديث كثيرة تؤكد عدالة الصحابة وصدقهم ، ومن ثم يقبلون رواياتهم للسُّنة بشروط العدالة والضبط وغيرهما من الشروط لأن الراوى قد ينسى وقد يخطئ وإن كان ثقة . من ذلك ما رواه حذيفة ابن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : «إنى لا أدرى ما قَدْرُ بقائى فيكم ، فاقتدوا باللَّذيْن من بعدى» وأشار إلى أبى بكر وعمر .[1] وأحياناً كان يحيل السائل إليهما . والشيعة لا يعترفون بالخلفاء الثلاثة ويطعنون فيهم ، كما رأينا من قبل ، وكما سنرى فى بقية هذه الدراسة . وعلى هذا اختلفت السُّنة لدى الفريقين إلى حد ما .

### ● شرط قبول الرواية

والشرط العام لقبول الرواية لدى السُّنة والشيعة هو أن تتفق مع القرآن ، وأية معارضة للقرآن الكريم معناها زيف الخبر أو الرواية .

فقد قال صلى الله عليه وسلم وآله :« ما أتاكم عنى فَاعْرضوه على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله فَأنَاقلتُه ، وإن خالف كتاب الله فلم أقُله أنا ، وكيف أخالف كتاب الله وبه هدانى الله؟ »[2] وهذا المعيار مقبول لدى أهل السنة ولدى الاثنا عشرية وسائر المذاهب الإسلامية . ومرد ذلك إلى أن :« السُّنة راجعة فى معناها إلى الكتاب ، فهى تفصيل مُجمله ، وبيان مُشْكله ، وبَسْط مختصره ، وذلك لأنها بيان له ، وهو الذى دل عليه قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤] فلا تجد فى السنة أمراً إلا والقرآن قد دَلَّ على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية ».

– « ولأن الله جعل القرآن تبياناً لكل شىء ، فيلزم من ذلك أن تكون السُّنة حاصلة فيه فى الجملة ، لأن الأمر والنهى أول ما فى الكتاب ».[3] لكن هذه

---

(١) نفسه ؛ رقم ٩٧ جـ ١ ص ٣٧
(٢) الموافقات ؛ جـ ٤ ص ١٣
(٣) نفسه ؛ جـ ٤ ص ٩

الحقائق لا تمنع أن تشرّع السُّنة مستقلة عن القرآن ، لكنها لا يمكن أن تخالف القرآن . وهذا المجال هو مايسميه الشاطبي : «المسكوت عنه في القرآن».(١)

● **العدالة لا المذهب**

**ويرفض الشيعة روايات أهل السُّنة (على الأرجح) ، ولو كان الراوي عدلاً ، ثقة ، معروفًا أنه لا يكذب ، ما دامت روايته لا يوثقها إمامي أو يمدحه إمامي ، ولم تتوسط بين اثنين من الإمامية** . ويقرر الشيخ أبو زهرة أن أهل السُّنة فعلوا الشيء نفسه ؛ **والصواب عنده أن يُنظر إلى عدالة الراوي ، لا إلى مذهبه ،** وهذا هو ما انتهجه الزيدية . ويدين أبو زهرة ردَّ الرواة على أساس المذهب ، ويطالب بوضع حد لذلك المنهج الخاطئ.(٢)

– ومن الطبيعي أن تتباين مواقف المحدِّثين من روايات المخالفين . فيروى أن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه أخذ ببعض فقه ابن عمر رضي الله عنه في مشكلة رجل «وَاقَعَ أهله قبل الطواف في الحج» حيث قال له ابن عمر : اقض ما بقي عليك من المناسك ، وأهرق دمًا ، وعليك بالحج من قابل».(٣) ومن جانب أهل السُّنة قبِل المحدِّثون روايات بعض الشيعة من غير الغلاة . قال الذهبي رحمه الله عن :«أبان بن تغلب» الكوفي إنه : شيعي جَلْد ، **لكنه صدوق ، فلنا صدقه وعليه بدعته** . وقد وثقه أحمد بن حنبل ، وابن معين ، وأبو حاتم».(٤) وميز الذهبي بين التشيع مع الغلو والتشيع بغير غُلو ، وهو الذي كان شائعاً بين كثير من التابعين : «مع الورع والصدق . فَلَوْ رُدَّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية ، وهذه مفسدة بيِّنة».(٥)

– وحدد الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله شروط قبول الرواية وليس من بينها أن يكون الراوي من أهل السُّنة ؛ وهذه الشروط هي :

---

(١) نفسه ؛ جـ٤ ص ١٥ (٢) الإمام الصادق ؛ ص ٣٩٣ – ٤٠١ – ٤٠٢
(٣) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ فقرة رقم ٢٠٠ ص ٢٥٦
(٤) ميزان الاعتدال ؛ حرف الألف – رقم جـ١ ص ٥
(٥) نفسه ؛ ٥ – ٦

١ – أن يكون مسلماً .

٢ – وأن يكون مُكَلَّفًا .

٣ – وأن يكون ضابطًا .

٤ – وأن يتصف بالعدالة .

٥ – ولا يشترط تعدد الرواة .[١] ( وهذا يعنى قبول خبر الواحد بشروط )

ومن الواضح أن ردَّ الروايات بين الفريقين يشكل معضلة فى الحوار . فيقول ابن حزم رحمه الله إنه :« لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونها ، ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها » .[٢]

● **الشروط الضرورية**

**وأقول إن حوارنا الموضوعى المخلص يعتمد على القرآن ، وعلى الروايات المقبولة من الطرفين ، وعلى القرآن والعقل كمعايير للصحة ، وعلى حرص عدد من الطرفين على إعادة النظر فى الكثير من المواقف والأحكام القديمة ، ونقد كثير من الروايات واستبعادها وتبنى مناهج إصلاحية وإسلامية تعلو على المذهبية .**

**وربما يساعد على ذلك بيان أن كثيراً من الذين ردوا روايات السُّنة كانوا مخطئين . وها هنا غلو حول رد الروايات الواردة فى كتب السُّنة الصحيحة .**

● **دفاعنا عن الصحاح**

**يقول الشيرازى إن فى الصحاح والمسانيد لدي أهل السنة كُفريات وخرافات مضحكة يأباها العقل السليم**[٣] ومن ذلك قول أهل السنة إن العباد يرون ربهم فى الآخرة . ومعنى هذا أن الله تعالى له جسم ، لأن الرؤية غير ممكنة بغير وجود الجسم . وهذا كفر !

---

( ١ ) المستصفى ؛ ص ١٨٠ ( ٢ ) الفصل ؛ جـ ٤ ص ١٥٩

( ٣ ) ليالى بيشاور ؛ ص ٨٤

هنا نواجه أخطاء مركبة . فأهل السُّنة – كما سبق أن رأينا – يؤمنون برؤية الله فى الآخرة استنادًا إلى قول الله تعالى ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [ القيامة : ٢٢–٢٣ ] وليس استناداً إلى رواية فى الصحاح !حقاً هناك روايات فى الصحاح ، لكن الأساس هو القرآن . ولم يقل أهل السُّنة إن العباد سيرون ربهم بقوة الإبصار الدنيوية ، بل بقوة أخروية لا تحتاج إلى جسم .[1] **ونفى الرؤية فى الآخرة كما يرى الشيعة يناقض الآيتين ( رقم ٢٢ ، ٢٣ من سورة القيامة )** ، ولم يستطيعوا البراءة من التناقض إلا بتأويل متعسف ! وكان أحرى بالناقد الشيعى أن يتحرز من تكفير أهل السُّنة بناء على تأويل الآيتين ؛ ويعيد النظر فى مذهبه هو !

– ويطعن فى حديث عائشة رضى الله عنها عن يوم العيد والسودان يلعبون بالدرق والحراب حيث سألها النبى : « تشتهين تنظرين ؟ فقلت : نعم . فَأَقامنى وراءه ، خَدى على خده ، وهو يقول : « دونكم يا بنى أَرْفَدة ! » ( يشجعهم على اللعب ) ، حتى إذا مَلِلْتُ قال : « حَسْبُكِ ؟» قلت : نعم . قال : « فاذهبى » .[2] السيد الناقد يعتبر هذا العمل مهينًا للنبى صلى الله عليه وسلم وآله . وقد زور الصيغة فقال إن **النبى حمل عائشة على ظهره** ، والرواية تقول : « **فأقامنى وراءه** » . وهذه صورة رائعة لزوج عظيم كريم لا إهانة فيه .

وزعم الشيرازى أن البخارى لم يخرِّج الروايات التى تتحدث عن مناقب علي بن أبى طالب رضى الله عنه . وهذه أكذوبة وقحة ، لأن البخارى خصص باباً كاملاً عنوانه : « **مناقب علي بن أبى طالب القرشى الهاشمى أبى الحسن رضى الله عنه** » أخرج فيه ستة أحاديث ؛ ثم الباب رقم ١٠ عن « مناقب جعفر بن أبى طالب الهاشمى رضى الله عنه » ( ٣ ) ثم الباب رقم ١١ عن : « ذكر العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه » ؛ ثم الباب رقم ١٢ عن : « مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبى صلى الله عليه وسلم وآله » [5]

---

( ١ ) راجع بحث الرؤية فى العقائد فى هذه الدراسة .

( ٢ ) فتح البارى ؛ رقم ٩٥٠ جـ ٢ ص ٤٤٠

( ٣ ) كتاب فضائل الصحابة ؛ باب ٩ – جـ ٧ ص ٧٠ – ٧١

( ٤ ) نفسه ؛ ٧٥ ( ٥ ) نفسه ؛ ص ٧٧

ويزعم الشيرازى أن المذاهب الأربعة عند أهل السنة :«**أوجدتها يد السياسة ، وكان الهدف منها إبعاد المسلمين عن مذهب أهل البيت وتعاليم العترة الهادية**».[1] **وهو** يعتبر أن نقد علماء السنة بعضهم بعضاً « تفسيق بعضهم بعضاً ».[2] لكنه **لم يقل لنا اسم السلطة التى أوجدت المذهب الحنفى ، الذى مات صاحبه فى سجون بنى العباسى لرفضه العمل معهم ؟ والظاهر أنه لا يدرى شيئاً عن جهاد الإمام أحمد رضى الله عنه فى مواجهة المعتزلة بقيادة الخليفة المأمون ولم يسمع عن سجنه وجلده شهوراً دون أن ينحنى أمام السلطة؟** ولم يسمع عن الشافعى المحب لآل البيت والذى استُدعى إلى بغداد بتلك التهمة ، ولم ينج من بطش المأمون إلا بلطف من الله تعالى ! هل السلطة هى التى جعلت الشافعى يقول : إن الراشدين خمسة ومن سواهم مبتز ؟ هل تعترف السلطة بأنها ابتزاز إجرامى لا مشروعية له ؟!

– ثم إن أهل السّنة لا يرون أحداً معصوماً إلاّ النبى صلى الله عليه وسلم وآله؛ ونَقْدَ العلماء بعضهم بعضاً جزء مهم فى مناهجنا الإسلامية لبلوغ الحقائق ، وليس تفسيقاً . فالحقيقة عندنا قبل كل الرجال والأئمة والفقهاء والقادة ، ولانتردد فى القول أن أبا بكر أخطأ أو عمر أخطأ . وهذا هو الإسلام الحق الذى ارتضاه لنا ربنا جل جلاله .

ويزعم الشيرازى أن **الخليفة المنصور العباسى أمر مالكاً رضى الله عنه ؛ «بوضع كتاب فى الفقه ، فَألَف كتاب «الموطأ» ، فأعلن المنصور أن مالكاً أعلم الناس ، وَحَمَل الناس عليه بالقهر ».**[3]

– ويعلم الله تعالى أن هذه الاتهامات افتراءات مُختلَقَة مناقضة للحقائق . إن الإمام الكبير رحمه الله شرع فى تأليف كتابه الرائد قبل أن يتولّى المنصور الخلافة . وأمضى الإمام أعوامًا طويلة فى عمله، ومراجعته ، وبحثه مع علماء المدينة المنورة .

---

( ١ ) ليالي بيشاور ؛ ص ١٣٤ ( ٢ ) نفسه ؛ ص ١٣٦
( ٣ ) ليالى بيشاور ؛ ص ٣١٢

ولما وافقوه على أن الكتاب قد جمع سنة رسول الله ﷺ كما كانت مُطبقة بينهم في واقع حياتهم ، أسماه « الموطأ » – أي المتواطأ على صحته . ثم تصادف أن اطلع عليه الخليفة المنصور وأراد أن يفرضه على المسلمين ، **فأَبى ذلك مالك وقال له : يا أمير المؤمنين ! لا تفعل هذا ، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ... وإنَّ رَدَّهم عما قدْ اعتقدوه شديد ، فدَعِ الناس وما هم عليه». [1] ولم ينشىء المنصور مدرسة لتعليم المذهب المالكى ، ولا فرضه على أحد . فكيف يجرؤ كاتب مسلم على هذه الافتراءات ؟ وما موقف الشيعة الاثنا عشرية من مثل هذه الأكاذيب ؟**

إن سلسلة الأكاذيب عند هذا الرجل تبلغ أضعاف ما عرضت له ؛ ولكنى استكثر أن أعطيه فوق ما أعطيته . والمهم أن نتبين أن كثيراً ممن ردوا روايات أهل السنة كانوا مخطئين ، وبعضهم – للأسف ! – كانوا كاذبين ومفترين ، وهم يضرون إخوانهم الشيعة أبلغ الضرر لأنهم يضللونهم ويشعلون الحقد والكراهية لأهل السنة فى قلوبهم .

أهل السّنة يقبلون روايات أهل البيت كما يقبلون روايات الصحابة رضى الله عنهم جميعاً . لكن هذا لا يمنع خضوع تلك الروايات للفحص والتدقيق ؛ فالراوى من هؤلاء الرجال الكرام عادل صادق ثقة ، لكنه قد ينسى أو يخطئ . ولهذا نشأ علم الجرح والتعديل الذي تناول جميع رواة الحديث من الصحابة والتابعين بالبحث والدرس للتأكد من درجة ضبطهم ومدى عدالتهم ، فكل ابن آدم خَطَّاء ، والإيمان بالعدالة عام ، لكن هذا لا يمنع الخطأ منعاً باتاً ، وقد استطاع علماء الحديث العظام أن يقدموا السُّنة النبوية الصحيحة إلى أمتهم الإسلامية نقية من كل الشوائب والأكدار ، ليشيدوا عليها حياتهم العقدية والتشريعية والأخلاقية، إلى جانب كتاب الله تعالى .

---

(١) مقدمة «الموطأ» ؛ د . محمد كامل حسين ؛ ص ٢٧

## ● المصادر الأخرى : الإجماع

● وتُعتمد مصادر أخرى كحجة للأحكام الشرعية إلى جانب القرآن والسُّنة، وبإجازة منهما .

ويأتى الإجماع على رأس القائمة . فيقول الشافعى إن إجماع الصحابة حجة شرعية ، لأننا نعلم : « أنهم إذا كانت سُنَنُ رسول الله لا تَعْزُب عن عامتهم ، وقد تعزب عن بعضهم ؛ ونعلم أن عامتهم لا تجتمع على خلاف سنة رسول الله ، ولا على خطأ ، إن شاء الله » .وقد أمر رسول الله بلزوم جماعة المسلمين ، على أن : « إجماع المسلمين ، إن شاء الله ، لازم » . [١] وسوَّغ الشافعى مذهبه هذا بقوله إن : « الغفلة إنما تكون فى الفرقة ( أو الأفراد ) ، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافةً غفلةٌ عن معنى كتاب ولاسُنّة ولا قياس ، إن شاء الله » .[٢] فقد ينسى أحد الصحابة شيئاً من القرآن أو السُّنة ، لكن من غير الممكن أن ينسى الجميع آية معينة أو حديثاً معيناً . . ثم إن الصحابة لا يمكن أن يجتمعوا على أمر يخالف القرآن والسُّنة. ولا يمكن أن يجمعوا على خطأ . فإذا أجمعوا على أمر ما استناداً إلى حديث شريف ، فهو إجماع صحيح ، وعلينا العمل به .[٣]

– وأما الغزالى فيرى أن « مستند الإجماع – فى الأكثر – نصوص متواترة ( يعنى آيات قرآنية وأحاديث نبوية ) وأمور معلومة بالضرورة ، بقرائن الأحوال » .[٤] ثم ساق الغزالى عدداً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تثبت حُجِّية الإجماع ، منها قوله صلى الله عليه وسلم وآله :« لا تجتمع أمتى على الخطأ، ولا تجتمع أمتى على الضلالة »[٥]

– ويعتقد معظم الإمامية بحُجِّية الإجماع ، وشذ عنهم من قال إنه غير حجة . وقد عرَّف الإمامية الإجماع بأنه :« اتفاق جماعة يكشف اتفاقهم عن رأى المعصوم » . [٦] **فهو بصفة عامة موضع اتفاق بين المذهبين .**

---

( ١ ) الرسالة ؛ رقم ١١٠٥ – ص ١٧٥ ( ٢ ) نفسه ؛ رقم ١٣٢٠ ص ٢٠٥

( ٣ ) نفسه ؛ رقم ١٣١٠ ، ١٣١٢ ، ١٣٢٠ – ص ٢٠٤ – ٢٠٥

( ٤ ) المستصفى ؛ ص ٢٠٠ ( ٥ ) المستصفى ؛ ص ٢٠٢

( ٦ ) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ فقرة ٣٦٨ ص ٤٧٥

## ● العقل

ويتفق المذهبان فى اعتماد العقل كمصدر للأحكام . فيقول الإمام الشاطبى إن : « الأدلة الشرعية لا تُنافِى قضايا العقول » لدليل على ذلك من وجوه :

« أحدها : أنها لو نافتها لم تكن أدلة للعباد على حكم شرعى ولا غيره ؛ لكنها أدلة باتفاق العقلاء ، فَدَلَّ على أنها جارية على قضايا العقول . وبيان ذلك أن الأدلة إنما نُصبت فى الشريعة لتتلقَّاها عقول المكلفين حتى يعملوا بمقتضاها من الدخول تحت أحكام التكليف . ولوْ نافَتْها لم تتلقها فضلاً عن أنْ تعمل بمقتضاها . . . »

« والثانى : أنها لَوْ نافَتْها لكان التكليف بمقتضاها تكليفاً بما لا يطاق . وذلك من جهة التكليف بتصديق ما لا يصدقه العقل ولا يتصوره ، بل يتصور خلافه ويصدقه . فإذا كان كذلك امتنع على العقل التصديق ضرورة » .

« والثالث : أن مورد التكليف هو العقل، وذلك ثابت قطعاً بالاستقراء التام ، حتى إذا فُقد ارتفع التكليف رأساً ، وعُدَّ فاقده كالبهيمة المهملة » .[1]

– وترتبط بالعقل مشكلات عديدة ، فهو يختلط بالأهواء والشهوات والتحيّزات المذهبية والعرقية . وفى **العصر الحديث حاول العقلانيون جعل العقل المصدر الأول للتشريع ، ومن ثم يكون حاكماً على الكتاب والسُّنة ! ولا يزالْ** هذا التوجه طاغياً ، وعلى أساسه يطالبون بتغيير الشريعة الإسلامية . من ذلك مثلا المساواة الكاملة بين الذكر والأنثى ، ومن ثَم تغيير شرائع الزواج والطلاق والميراث القرآنية . وقد انقسمت الأمة المسلمة إلى معسكريْن متضاديْن ، أحدهما يجعل الهيمنة على حياتنا للعقل ، والثانى يجعلها للشرع – أي للكتاب والسُّنة – ولا فرق فى هذا الانقسام بين الشيعة والسّنة ! **ومن الواجب أن يتحد الشيعة والسُّنة ضد أنصار الغلو فى تقدير دور العقل ، وهم العلمانيون . لكن البعض** يتغافل عن هذه المعركة الكبرى لكى يعيد إشعال معركة صِفّين بين علي ومعاوية !

---

(١) الموافقات ؛ جـ٣ ص ١٥

- وعند الإمامية : ما يأمر به العقل مطلوب ، وما ينهى عنه يكون منهيًا عنه. لكن العقل فى ذاته لا يأمر ولا ينهى ، ولكنه يكشف عن أمر الله تعالى ونَهْيه. ومن ثم يكشف عن رأى الإمام فى الأمر ، وذلك لا يمكن أن يكون إلا بعد أن يكون الله تعالى قد أَمَرَ وَنَهَىَ فى كتابه وعلى لسان رسوله النبى الأمين صلى الله عليه وسلم وآله . [1] وبعبارة أخرى إذا لم يوجد الدليل الشرعى من الكتاب والسنة والقياس والمصلحة والاستصحاب، أخذ بدليل العقل ، بمعنى ما يقتضيه من حُسْن وقبح . فمنْ شَرْطِ العملِ بدليلِ العقلِ عدمَ وجود دليل شرعى.[2]

- لكن الإمام الغزالى يرى للعقل دوراً غير مايراه الإمامية . فعنده أن أحكام الشرع لا تُدرك بالعقل . **لكن العقل يدلنا على براءة ذمتنا من الواجبات قبل بعثة الرسول** . فإذا جاء نبيٌّ وأَوْجَبَ خمس صلوات ، فإن الصلاة السادسة تظل غير واجبة . أى أن عدم وجوبها يستمر إلى ما بعد بعثة النبى. ومعنى هذا أن العقل هو الذى دلنا على عدم وجود حُكم الوجوب : «والعلم بعدم الدليل حجة» [3] وهذا هو دليل الاستصحاب عندالغزالى .

## ● الاستصحاب

ويتفق الشيعة وأهل السُّنة على العمل بالاستصحاب . وقد رأينا معناه عند الغزالى ؛ **أما ابن القيم فيقول إنه : «استدامة ما كان ثابتاً ، ونفى ما كان منفياً - أى بقاء الحكم نفياً وإثباتاً حتى يقوم دليل على تغيير الحالة» وهذا هو المعنى نفسه الذى** قال به الغزالى ولكن بألفاظ أخرى . والمعنى نفسه يقرره الإمامية ، فهو عندهم : «استمرار لبقاء حكم ، أو وصف يقينى ، ثبت فى الماضى ، وفى الحاضر». مثال ذلك الطهارة ، فإذا ثبتت يقيناً ثم حصل شك فى وقوع ما ينقضها، فإن حكمها يبقى».[4]

---

(١) الإمام الصادق رقم ٣٨٥ ص ٤٩٧ (٢) نفسه ؛ رقم ٣٨٦ ص ٤٩٨

(٣) المستصفى ؛ ص ٢٣٠

(٤) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ فقرة رقم ٣٩٨ ص ٥١٤

وهكذا يكون الاستصحاب عنصر اتفاق أصولي بين المذهبين .

## ● المصالح المرسلة

وكان الإمام مالك رحمه الله أول من اعتبر المصالح المرسلة مصدراً للتشريع .
وقد قسم الغزالى المصالح إلى :

١- قسم شهد الشرع لاعتبارها

٢ - وقسم شهد لبطلانها ،

٣ - وقسم لم يشهد الشرع لا لبطلانها ولا لاعتبارها .(١)

- ومعنى المصلحة :« المحافظة على مقصود الشرع . **ومقصود الشرع من الخَلْق خمسة ، وهو : أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم** . فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ».(٢) وقد انتهى الشيخ أبو زهرة رحمه الله بعد بحث المصالح عند الإمامية إلى أنهم يأخذون بالمصلحة :« أصلاً من أصول الاستنباط ، وإذا لم يكن قرآن ولا سنة ولا إجماع فى المسألة التى يجتهدون فيها . وإن ذلك يتفق فى جملته مع الفقه المدنى ... **وإن سُمّى ذلك حكم العقل».(٣) فهذا إذن عنصر اتفاق بين السنة والشيعة ، ولكن اختلاف المصطلحات قد يقودنا إلى الظن بأن الفقه الجعفرى لا يعتبر المصلحة فى أصوله** . وهذا الاتفاق فى اعتقادى شيء طبيعى ، لأن الفقه الجعفرى امتزج بالفقه المدنى ، وأخذ الفقهاء الكبار من الجانبين بعضهم عن بعض ، دون حرج ، قبل أن يستفحل الاستقطاب المذهبى فى العصور التالية . والجميع على علم بتلقى الإمامين أبى حنيفة ومالك العلم على يد الإمام الصادق ، رضى الله عنهم .

## ● القياس

وهنا يواجهنا الكُتَّاب رافعين لافتة تقول : إن الشيعة لا يجيزون القياس فى حين يجيزه أهلُ السنة . لكن ماذا وراء هذه اللافتة من آراء ؟

---

(١) المستصفى ؛ ص ٢٥٠ (٢) نفسه ؛ ص ٢٥١
(٣) أبو زهرة ؛ فقرة رقم ٩٦ ص ٥١٣

– يقول ابن حزم :« لا يحل القول بالقياس فى الدين ولا بالرأى ، لأن أمر الله تعالى – عند التنازع – بالرد إلى كتابه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم وآله ».[1]
ولهذا وقف الظاهرية إلى جوار الإمامية .

– والشيعة يستندون إلى قول النبى صلى الله عليه وسلم وآله : « تعمل هذه الأمة برهة بالكتاب وبرهة بالسنة وبرهة بالقياس ، وإذا فعلوا ذلك فقد ضلوا » . وإلى قوله :« ستفترق أمتى على بضعة وسبعين فرقة ، أعظمهم فتنة يوم القيامة قوم يقيمون الأموربرأيهم ، فيحرِّمون الحلال ، ويحللون الحرام » . وبعلق الشيخ أبو زهرة على هذيْن الحديثين فيقول إنهما لا يَصْدُقان على القياس عند أهل السُّنة ، لأنهم لايستعملون القياس إلا حين لا يوجد نص فى الموضوع.[2]

– ومن جهة أخرى أجاز بعض الإمامية العمل بالقياس إذا كانت العلة المقترنة بالحكم منصوص عليها ، كما فى قول القائل :« حرمت الخمر لإسْكَارِها » .

– ولا ريب أن القيـاس المبنى على علة مستنبطة قد يفضى إلى أحكام خاطئة؛ مثال ذلك حكم المعاملات المصرفية الحديثة . فقد انقسم الفقهاء إلى قائل بحلها وقائل بحرمتها ، استناداً إلى قياسات خاطئة.[3]

لكن الإمام الشافعى وضع أصولاً للقياس لتحاشى سوء استعماله . فالقياس والاجتهاد عنده لفظان بمعنى واحد . ولا مفر من الاجتهاد ، فالنصوص الشرعية تشتمل على أحكام ، وعلى دلالات . وبالاجتهاد نصل إلى الدلالات ، أى نصل إليها بالقياس .

– والقياس يجب أن يستند على الظاهر من النصوص ، لا على الباطن ، كما يحكم القاضى على الأمور بظاهر أقوال الشهود ، ولو كان بعضهم مزوراً !

– والحكم ، أو القاعدة ، أو العلم ، الذى يصل إليه الفقيه بالقياس هو حق عند هذا الفقيه ، ولا يمكن فرضه على سائر الفقهاء ، وعلى كل فقيه أن يتبع نتائج

---

(١) المحلى ؛ المسألة رقم ١٠٠ جـ١ ص ٥٦
(٢) أبو زهرة ؛ السابق ؛ فقرة رقم ٤١٠ ص ٥٣٠
(٣) راجع كتابى : نقد الإسلاميين المعاصرين ؛ سنة ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م

اجتهاده . والمجتهد المصيب منهما له أجران والمخطئ له أجر .[1] أما الاستحسان فمرفوض عند الشافعي رفضاً باتاً .

ولا أظن أن أى عالم شيعى مدقق يمكن أن يصدق ما يقوله الشيرازى من أن الشيعة أخذوا دينهم عن آل البيت :« وموضع الوحي والرسالة عليهم السلام ، وأنتم أهل السنة أخذتم من الذين ابتدعوا القياس والاستحسان حسب ما تراه عقولهم وتحكم أفكارهم ليستغنوا عن عترة نبيهم صلى الله عليه وسلم وآله » .[2]

**كيف يجرؤ كاتب مسلم على تسطير هذه الافتراءات ؟ ! لا أدرى !**

**● الاجتهاد : هل أغلقت أبوابه ؟**

ويسارع معظم النقاد الشيعة إلى القول إن الشيعة تختلف مع أهل السُّنة فى الأخذ بالاجتهاد . فالشيعة أبقت أبواب الاجتهاد مفتوحة على مصراعيها ، فى حين أغلقها أهل السنة .

– هذا الكلام غير صحيح . **فأصول مذهب أهل السُّنة تفتح أبواب الاجتهاد** ، وقد رأينا كيف أن الإمام الشافعى يوحِّد معنى القياس والاجتهاد ، فهما اسمان لشىء واحد بعينه ، ولم يكف أهل السُّنة عن القياس أو الاجتهاد ، لأنه ليس بوسع أحد أن يحرِّمه . وقد عرض الإمام الغزالى موضوع الاجتهاد فى كتابه « المستصفى » فى فصول استغرقت ستين صفحة فى النسخة المطبوعة ![3] وقد انتقد الغزالى طوائف من الحشوية الذين قالوا : إن التقليد هو طريق معرفة الحق، **وأدان الغزالى التقليد باعتباره قبولاً للأحكام بلا حجة : «ولا يحل تقليد أحد سوى النبى عليه السلام»**.[4]

– أما واقع الحياة الإسلامية فقد عَانَى من الركود الشامل عدة قرون ، لم يظهر

---

(١) الرسالة ؛ أرقام ١٣٢٤ ، ١٣٣٢ ، ١٣٨٨ ، ١٨٠٦

(٢) ليالى بيشاور ؛ ص ٣٠٦

(٣) من ص ٤٧٨ إلى ص ٥٣٨

(٤) نفسه ؛ ص ٥١٩

فيها جديد ، ولم تمس الحاجة إلى ممارسة الاجتهاد لاستنباط أحكام جديدة ، ومَالَ الشيوخ إلى تقليد شيوخهم ، طلباً للأمن من الخطأ ، وانتهت التطورات إلى اعتبار آراء شيوخهم أصولاً عندهم وليس الكتاب والسنة! (١)

– وعلى الرغم من هذه الحقيقة فإن من الخطأ أن يقال إن باب الاجتهاد قد أُغلق كليةً ، بمعنى تحريم الاجتهاد ، لأن أصول مذهب أهل السُّنة لا تسمح بذلك ، وكل ما يمكن أن يقال بصدق هو أن الميل إلى التقليد كان غالباً . وحين هجم الاستعمار على بلاد المسلمين ، شَرَعْنَا فى الاجتهاد لمواجهة المستجدات العديدة .

**وهكذا تظهر معالم الاتحاد والتقارب بين السُّنة والشيعة من وراء اللافتة الرعناء المرفوعة إعلاناً بالخلاف!**

---

(١) المودودى ؛ نحن والحضارة الغربية ؛ ص ١٩٩ – ٢٠٦

## المبحث الثانى عشر

# المسائل العملية

- التقية
- الأذان
- الوضوء : غسل الرجلين أم مسحهما ؟
- الجمع بين الصلاتين
- صلاة الجمعة وصلاة التراويح
- الركعتان بعد العصر
- الصلاة على مَوْتَى المنافقين
- سَهْم المؤلفة قلوبهم
- التمتع فى الحج
- زواج المتعة .. حلال أم حرام ؟
- الطلاق
- عدة المتوفى عنها زوجها
- عدة زوجة المفقود
- قسْمة الخمس من الغنائم

## ● التقية

– تأتى مسألة « التقية » على رأس قائمة المسائل الخلافية فى المجال العملى ، فيأخذ بعض أهل السُّنة على الشيعة اتخاذهم التقية ، واعتبارهم منافقين ! [١]

وأصـل التقـيـة قـول الله تعـالى ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ﴾ [آل عمران :٢٨ ] وقد فسرها ابن عباس فقال :« هو أن يتكلم ( المسلم ) بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولايقتل ، ولا يأتى مأثماً . وقال الحسن البصرى :« **التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة ، ولا تقية فى القتل** » وقيل : إن المؤمن إذا كان قائماً بين الكفار فله أن يداريهم باللسان ، إذا كان خائفاً على نفسه ، وقلبه مطمئن بالإيمان . والتقية لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم » .[٢]

ويؤكد الإمام جعفر الصادق القول بالتقية ويثبت مشروعيتها استناداً إلى الكتاب والسنة والإجماع .[٣]

وينكر ابن تيمية أن يكون أهل البيت قد قالوا بالتقية :« الذين برأهم الله عن ذلك » . إن الشيعة تقول إن جعفر الصادق قال : « التقية دينى ودين آبائى » ، لكن ابن تيمية ينفى أن يكون الصادق أو غيره من أهل البيت قد قال ذلك ، بل كانوا من أعظم الناس صدقاً وتحقيقاً للإيمان ، وكان دينهم التقوى لا التقية » . وفى رأى ابن تيمية أن الآية الكريمة إنما تأمر بالاتقاء من الكفار ، ولا تأمر بالنفاق والكذب . . والله تعالى قد أباح لمن أكره على كلمة الكفر أن يتكلم بها إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان . ثم يقول : إن أحداً لم يكره أحداً من آل البيت على مبايعة أبى بكر ، فضلاً عن أن يكرههم على مدحه والثناء عليه ، بل كان « علي » وغيره من أهل

---

( ١ ) أحمد بن عبد العزيز الحمدان؛ مكتبة وهبة؛ بالقاهرة سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ص ١١
( ٢ ) تفسير القرطبى ؛ المجلد الثانى ؛ ط . الشعب ص ١٢٩٩
( ٣ ) محمد الحسينى المظفرى ؛ الإمام الصادق ؛ ص ١٩١

البيت يظهرون ذكر فضائل الصحابة والثناء عليهم ، والترحم عليهم ، والدعاء لهم، ولم يكن أحد يكرههم على شيء منه باتفاق الناس».[1]

ولاجدال أن الراشدين لم يكرهوا أحداً على قول شيء أو عمل شيء يعتقد هو أنه خطأ أو حرام . **ولكن من المؤكد أن الشيعة تعرضوا لصنوف من العدوان والقهر والعَسْف في العهدين الأموى والعباسي** . وكان عليهم ممارسة التقية إزاء سلطات مستبدة جائرة تستحل دماء المسلمين . وقد كان خلفاء بني أمية يفرضون على أئمة المساجد لعن علي بن أبي طالب . ومعروف أنهم قتلوا منهم أعداداً كبيرة ، على رأسها تلك المجزرة التي قُتل فيها الإمام الحسين – رضي الله عنه – في عهد يزيد بن معاوية ، وقتل معه ثلاثة عشر رجلاً من أبناء «علي» وأبناء أخيه .

**واليوم يتعرض الشيعة للتفرقة في المعاملة في البلاد السُّنية التي تعيش فيها أقليات شيعية** . وفي مثل هذه الظروف الظالمة لا حرج على الشيعي أن يلجأ إلى التقية لدرء خطر يتهدد حياته أو رزقه أو أسرته . والشيء نفسه يقال للسُّني الذي يعيش ضمن أقلية في مجتمع شيعي . وتحت حكم الطغاة من أمثال أتاتورك وعبد الناصر وسوكارنو وصدام حسين ، يجوز للمرء المسلم أن يلجأ إلى التقية ، فيعلن تأييده للطاغية ، وهو يضمر له الكراهية والرفض والاحتقار . وقد حدث هذا ، فانضم بعض الإسلاميين إلى الحزب الحاكم أو إلى الجماعات الصوفية أو الأحزاب العلمانية اتقاءً لشرور النظام الطاغوتي الحاكم في مصر وفي غير مصر .

وفي عهد هارون الرشيد حُبِس موسى بن جعفر الكاظم في بغداد حتى مات سنة ١٨٣ هـ دون ذنب جناه . وقد كان موسى مشهوراً بالعبادة ، والبعد عن السياسة . كل ما في الأمر أن الرشيد زار مسجد النبي – ﷺ – في المدينة المنورة، ومعه موسى الكاظم . وقال الرشيد مخاطباً النبي : **السلام عليك يا بن عمي ! فقال الكاظم : السلام عليكم يا أبتاه !**»[2] وربما كان حَبْسُه خوفًا من طموحاته .

ومحنة الإمام أحمد بن حنبل معروفة ، وكانت جنايته أنه رفض القول بأن

---

(١) ابن تيمية ؛ منهاج السنة النبوية ؛ جـ ١ ص ١٥٩

(٢) د . حمزة النشرتي ؛ يسألونك عن الشيعة ؛ ص ١٥٥

القرآن مخلوق ، وقال للجلادين من خلفاء بنى العباس : هاتوا حديثًا يسوّغ القول إن القرآن مخلوق أو غير مخلوق ! وبعض الفقهاء لجأوا إلى التقية فنجوا من العذاب الأليم الذى مارسه الخليفة المأمون ، ومن بعده المعتصم . وكان بوسع أحمد ابن حنبل أن يفعل مثلهم ، لكنه خاطر بحياته ! ولو لجأ إلى التقية لما كان آثمًا ، رحمه الله رحمةً واسعة .

**● الخمينى يحرم التقية**

**● وقد أفتَى الإمام الخمينى بتحريم التقية وقال فى فتواه :«التقية حرام ، وإظهار الحقائق واجب مهما كانت النتيجة . ولا ينبغى على فقهاء الإسلام استعمال التقية فى المواقف التى تجوز فيها التقية لغيرهم . وإن التقية تتعلق بالفروع ، لكن حينما تكون كرامة الإسلام في خطر ، وأصول الإسلام فى خطر ، فلا مجال للتقية والسكون ! ووالله إنَّ مَنْ لا يصرخ (بالحقائق) لآثم ؟ والله إن من لا يشكو لُمرتكبٌ للكبيرة !»** [1] قال الخمينى هذا وهو فى المنفى ، وبلاده ترزح تحت حكم الشاه الطاغوتى . وقد أيقن أن مجاراة الشاه ومداهنة نظامه خطر جسيم على الإسلام وأهله ومستقبله.

وفى اعتقادى أن «فقه الحال» واجب على المسلم فى مواجهة المواقف الصعبة التى يواجهها ، فالإسلام لا يعطى رخصة مطلقة بالتقية ولا يحرّمها تحريمًا باتًّا قاطعاً . فالمواقف الصعبة تتباين ، وقدرة الأفراد على المواجهة تتباين أيضاً ، و **﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾** [البقرة:٢٨٦] **وهكذا نجد أن التقية لا يجب أن تكون موضع نزاع ، وذريعة فُرقة ، وأداة تكفير بين أهل السُّنة والشيعة .**

**● الأذان**

واختلف أهل السُّنة والشيعة فى الأذان . فيرى الشيعة أن الأذان وحي من الله تعالى ، ويستنكرون أن يكون طيفاً رآه بعض الصحابة فى المنام .[2]

---

(١) د . إبراهيم الدسوقى شتا ؛ الثورة الإسلامية ؛ ص ٣٤ ، ص ١٦٥

(٢) المجلسى ؛ الأنوار ؛ جـ٧٩باب ٢ ـ٢٣٢

وقد أورد ابن حجر حديثين فى كتاب الأذان ـ ١ ـ باب بدء الأذان ، وشرح المسألة شرحاً وافياً .[١] ومن الحديثين يتبين أن مسألة الأذان عرضت للنبى ﷺ بعد فرض الصلاة ، فبرز السؤال : كيف يكون الإعلان عن حلول وقت الصلاة ؟

ـ ورفض النبى ﷺ اقترحًا بأن يكون الإعلان عن طريق بُوق ، كما كان يفعل اليهود ، كما رفض اقترحًا آخر بأن يكون الإعلان بدق ناقوس كما كانت تفعل النصارى . وانشغل الصحابة بالمسألة . **وفي اليوم التالى جاء عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب بفكرة الأذان بالنداء : الله أكبر .. الله أكبر .. الخ ، عرض الفكرة على النبى ـ ﷺ ـ فقال : «سبقك بذلك الوحى.»[٢] فالأذان وحي من عند الله تعالى ، عند أهل السُّنة وعند الشيعة** ، وهو من حيث مصدره موضع اتفاق .

لكنهم اختلفوا فى صيغة الأذان .

فأهل السُّنة أخذوا الصيغة من حديث أبى محذورة فى صحيح مسلم وغيره من الصحاح ، وهى نفسها الصيغة المعتمدة اليوم لدى أهل السُّنة .

فعن محمد بن عبد الملك بن أبى محذورة ، عن أبيه ، عن جده قال : قلتُ يارسول الله ! علمنى سنة الأذان ، فعلَّمه ، بالصيغة التى اعتمدها أهل السُّنة دائماً. وقال النبى ﷺ لأبى محذورة : «فإن كان الأذان لصلاة الصبح ، قل : الصلاة خيرمن النوم ، الله أكبر . الله أكبر . لاإِله إِلاَّ الله»[٣] وهذاهو ما يسمَّى التثويب .

غير أن الشافعى قال : «لا أحب التثويب فى الصبح ولا فى غيرها ، لأن أبا محذورة لم يحك عن النبى ﷺ أنه أمر بالتثويب ، فأكره الزيادة فى الأذان ، وأكره التثويب بعده»[٤] والشافعى يبدو هنا أنه لم تبلغه الصيغة التى فيها التثويب . فهذا خلاف بين أهل السُّنة فى صيغة الأذان .

---

(١) فتح البارى ؛ كتاب الأذان . شرح الحديثين رقم ٦٠٣و٦٠٤ جـ٢ ص٧٧ـ٨٢
(٢) نفسه .
(٣) السنن الكبرى للبيهقى ١؛ / ٤٢١ كتاب الصلاة ؛ والمحلَّى لابن حزم ؛ ٣ / ١٤٩ رقم ٣٣١
(٤) الأم ؛ جـ١ص٧٣ـ٧٤ ط . الشعب

وقد أضاف بعض المتصوفة من أهل السُّنة كلمة « سيدنا » قبل لفظ « محمد » في الأذان . ولا يزالون يحافظون على هذه الكلمة إلى اليوم ويعتبرونها رمزاً يميزهم عن الفئات الأخرى من أهل السُّنة .

**أما الشيعة فأضاف بعضهم عبارة «علي ولي الله»** ، وأنكرها بعضهم ، فكانت موضع خلاف شيعي شيعي ، وشيعي سُنِّي . يقول السيد المرتضى ـ وهو من كبار علماء الشيعة في القرن الخامس الهجري ـ **إن إضافة عبارة «علي ولي الله إلى الأذان عمل محرم** » [1] ولا ريب عند السُّنة والشيعة جميعاً أن علياً ولي الله؛ ولكن إضافة العبارة إلى الأذان هي التي كانت موضع خلاف . [2]

**ـ وكان الفاطميون ، وهم طائفة كبيرة من الشيعة ، حتى سنة ٥٦٥هـ في مصر يضيفون عبارات تقول «حَيَّ على خير العمل ، محمد وعلي خير البشر»[3] إلى أن منعها صلاح الدين الأيوبي .**

وهكذا نرى أن أهل السُّنة اختلفوا في الصيغة ، وأصر بعضهم على إضافة التثويب بسند من السنة، وأصر بعضهم على إضافة كلمة « سيدنا » تعسفاً . واختلف الشيعة أيضاً فرفض بعضهم أية إضافة ، وأصر آخرون على الإضافة ، **وبذلك صارت صيغة الأذان موضع خلاف بين أنصار الإضافات ، وبين الرافضين لأية إضافة إلى الصيغة التي أملاها الوحي على رسول الله ﷺ .**

وأحسب أن الالتزام بالصيغة التي جاء بها جبريل هو الصواب ، وهو الذي يزيل الخلاف في هذه المسألة .

### ● الوضوء : غسل الرجلين أم المسح عليهما ؟

واختلف أهل السُّنة والشيعة في الوضوء ، وعلى وجه التحديد في غسل القدمين أو المسح عليهما !

---

( ١ ) د. موسى الموسوي ؛ الشيعة والتصحيح ؛ ١٠٤

( ٢ ) الدارقطني ؛ ١ / ٢٣٤ ، أبو دواد ؛ ١ / ١٣٨ ؛ والترمذي ؛ ١ / ٣٣٦ ؛ وابن خزيمة ؛ رقم ٣١-٣٧ جـ ١ ص١٨٨

( ٣ ) المقريزي اتعاظ الحنفا ؛ جـ ٣ ص٣١٧

ـ قال الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾ [المائدة: ٦] فقرأها أهل السنة بنصب اللام فى « أرجلكم » : أى أنهم عطفوا الأرجل على الوجوه والأيدى ، وبذلك أَوْجَبوا غَسْل الرجليْن .

ـ أما الشيعة فقرأوا « وأرجلُكم » بالضم ، عطفاً على الرؤوس ، ومن ثم أَوْجبوا المسح على الأرجل ، واعتبروا إيجاب غسلهما مخالف للآية الكريمة . والسياق اللغوى للآية يؤيد قراءة الشيعة .

لكن السُّنة النبوية تقطع بصحة قراءة أهل السُّنة . وقد أخرج البيهقى أخباراً عديدة تبين أن غَسْل الرجلين فرض ، وأن مسحهما لا يجزئ . [1] وأخرج البخارى عن عبد الله بن زيد حين سئل عن وضوء رسول الله ﷺ أنه : « دعا بماء ، فأفرغ على يديه فغسل مرتين ، ثم مضمض واستنثر ثلاثاً ، ثم غسل يديه مرتين ، ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر ، بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ، ثم ردهما إلى المكان الذى بدأ منه ، ثم **غَسَل رجليْه** »[2]

ـ وجاء فى البخارى ومسلم وَصْفُ وضوء النبى ﷺ . [3]

ـ وقال الشافعى إن السُّنة بيان لبعض القرآن ، وأن النبى ، دَلَّ على أن الكعبْين والمرفقيْن مما يُغْسَل ، لأن الآية تحتمل أن يكونا حدَّين للغَسْل ، وأن يكونا داخلين فى الغَسْل . ولما قال رسول الله ﷺ : « **ويل للأعقاب من النار** » دَلّ على أنه غَسْل لا مسح »[4] وعلى هذا أوجب الشافعى غَسْل القدميْن، وقال : « إنه لا يجزئ متوضئًا إلا أن يغسل ظهور قدميه وبُطونهما وأعقابهما وكعبيه معاً » واستند إلى

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى ؛ ١ / ٦٨

(٢) فتح البارى ؛ ٤ كتاب الوضوء ؛ رقم ١٨٥ جـ١ ص٢٨٩ وأيضاً رقم ١٨٦

(٣) فتح البارى ؛ ٤ كتاب الوضوء ؛ ـ ٣٩ باب غسل الرجلين ؛ رقم ١٨٦ ص٢٩٤ جـ ١ ص٢٩٤ ومسلم ؛ جـ ٣ ص١٢٧

(٤) الرسالة ؛ ص٢٠

قول النبى :« وَيْلٌ للأعقاب من النار » ؛ وقال الشافعي : إنه لا يقال :« وَيْلٌ لهما من النار »إلا وغسلهما واجب ، لأن العذاب إنما يكون على ترك الواجب »[1]

ـ وأورد الشافعي أخباراً عن علي رضى الله عنه تقول إنه توضأ :« فغسل ظهر قدميه وقال : لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يمسح ظهر قدميه لظننت أن باطنهما أحق » ثم قال الشافعي :« ولَسْنَا ولا إياهم ولا أحد نعلمه يقول بهذا من المفتين »[2]

ويقول ابن تيمية :« إن الذين نقلوا الوضوء عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله قولاً وفعلاً ، والذين تعلموا الوضوء منه ، وتوضؤوا على عهده ، وهو يراهم ويقرهم عليه ، ونقلوه إلى من بعدهم ، أكثر من الذين نقلوا لفظ هذه الآية (آية الوضوء) . ونقلوا عنه ذكر غسل الرجليْن فيما شاء الله من الحديث . وهؤلاء الصحابة هم الذين نقلوا إلينا الآية الكريمة . فإذا شك فيهم الروافض فقد شكوا فى نقل الآية . [3] ويشرح معنى المسح والغسل فيقول :« إن المسح جنس تحته نوعان : الإسالة وغير الإسالة . فما كان بالإسالة فهو الغسل . وإذا خُصَّ أحد النوعين باسم الغُسل فقد يخص النوع الآخر باسم المسح . فالمسح يقال على المسح العام الذى يندرج فيه الغسل ، ويقال على الخاص الذى لا يندرج فيه الغسل »[4]

وأخرج ابن ماجه عن أبى حَيَّة قال :« رأيت علياً توضأ فغسل قدميه إلى الكعبين ثم قال :« أردتُ أن أُريكم طُهور نبيكم صلى الله عليه وسلم وآله »[5]
وأحسب أن الشيعة يكذبون هذا الخبر !

ولكن من الشيعة من اتخذ موقف أهل السُّنة ، وهو الشوكانى ، فقد أجرى بحثاً مفصلاً فى المسألة ، وفى واجب غَسل القدمين ، مستندا إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وآله :« **وَيْل للأعقاب من النار** » حين رأى بعض الصحابة

---

(١) الأم ؛ جـ ١ ص ٢٤ (٢) نفسه ؛ جـ ١ ص ٢٤
(٣) منهاج السنة النبوية ؛ جـ ٢ ص١٥١-١٣٥٢
(٤) منهاج السنة النبوية ؛جـ ٢ص١٥١-١٥٣
(٥) سنن ابن ماجه ؛ رقم٤٥٦ جـ ١ ص١٥٥

يمسحون على أرجلهم .[1] وذكر الشوكانى مُدَاوَمَة النبى صلى الله عليه وسلم وآله على غَسْل رجليه وعركهما فى كل وضوء .

**صفوة القول إذن إن الآية الكريمة تحتمل القراءتين ؛ وقراءة الشيعة أصح لغوياً ، لكن السُّنن العديدة تبين بجلاء أن قرءاة أهل السنة هى الأصوب.**[2] وحتى علي بن أبى طالب نفسه ، أخذ بقراءة أهل السُّنة ، وهو أحد أئمتهم ، وقد وصف وضوء النبى فقال :« . . .**ثم غَسَلَ رجليْه إلى الكعبيْن ثلاثاً ثلاثاً**»[3] ومرة أخرى أقول إن الشيعة يكذبون مثل هذا الخبر !

وظاهر أن المسألة تحتمل الخلاف ، لكنها لاتحتمل شطحات الغلاة الذين يعتبرون الوضوء على مذهبهم شرط لصحة الصلاة ، وبناء على ذلك حرَّموا الصلاة وراء المخالف ! وقد أحسن الإمام الخمينى صُنعاً حين أَفْتى بصحة صلاة الشيعى خلف الإمام السُّنى ، وأحسن شيوخ الازهر الذين أفتوا بجواز الصلاة خلف الشيعى الإمامى ، والتعبد على المذهب الجعفرى .

ولا ينبغى أن ننسى أن المذاهب السُّنية يختلف بعضها مع بعض فى جزئيات الوضوء . مثل المسح على الرأس وهل يجزئ المسح على بعضه أم لا ؟ ومثل لمس يد المرأة ، وأحسب أن الامر لا يختلف لدى الشيعة ، وقد رأينا أنهم يخالفون مذهب الإمام علي ـ إمامهم الأول ـ فى وجوب غَسْل الرجلين .[4] وقد يندفع أحدهم إلى تكفير المخالف فى إحدى الجزئيات ، وقد يحترم بعضهم الخلاف . والبحث العلمى الموضوعى كفيل بإخماد نيران التعصب ، وإزكاء روح المياسرة التى تحفظ أواصر الاخوة بين أبناء الأمة .

لكن بعض الشيعة يمضى بقوة فى الاتجاه العكسى فيقرر أنه :«**يأتى على الرجل ستون وسبعون سنة ما قَبل الله منه صلاة !** . . . «**لأنه يغسل ما أمره الله**

---

( ١ ) نيل الأوطار ؛ باب غسل الرجلين وبيان أنه الفرض ؛ جـ ١ ص١٦٧

( ٢ ) الصنعانى ؛ سبل السلام ؛ جـ ١ ص١٢١

( ٣ ) ابن قدامه ؛ المغنى ؛ جـ ١ ص١٣٣ ؛ ومدونة الفقه المالكى ؛ د . عبد الصادق العريانى ؛ ١ /١٤٢

( ٤ ) المجلى ؛ بحار الأنوار ؛ جـ ٧٧ باب ٣ص٢٣٠

بمسحه» ومعنى هذا أن صلاة أهل السُّنة غير مقبولة ، وصلاة أتباع جميع المذاهب غير الإمامية لن يقبلها الله لأنهم يغسلون القدمين !!!(١)

**● الجمع بين الصلاتين**

وتذكر كتب الفقه الإمامية أنهم استجازوا الجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، بصفة دائمة ، ودون عذر .

وقد بحث الشوكانى المسألة فى «باب جمع المقيم لمطر أو غيره» وأورد حديث ابن عباس القائل إن النبى صلى الله عليه وسلم وآله : «جمع فيه بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر»(٢) وبهذا الحديث استدل الشيعة الإمامية على جواز الجمع بين الصلاتين مطلقاً ويعلق الشوكانى على هذا قائلاً :«وما أدرى ما صحة ذلك ، فإن الذى وجدناه فى كتب بعض هؤلاء الأئمة (الإمامية) وكتب غيرهم ، يقضى بخلاف ذلك . وذهب الجمهور - يعنى أهل السنة - إلى أن الجمع لغير عذر لا يجوز »(٣)

والله تعالى يقول ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء:١٠٣] لهذا اقترب علماء المذهبين أحدهما من الآخر ، كما يقول الشوكانى ، لكن بعض الشيعة ظل على القول بجواز الجمع بين الصلاتين . فيقول الموسوى :«إن أئمة أهل البيت أفتوا بجواز الجمع مطلقاً ، لعذر أو بغير عذر ، فى سفر أم فى حضر ، جمع تقديم - فى أول الوقت ، أو جمع تأخير فى آخر الوقت - والمصلى مخيَّر بين الجمع والتفريق تسهيلاً عليه ودفعاً للحرج . وبما أن الله سبحانه يحب أن يؤخذ برخصه ، اخترنا الجمع بين الصلاتين حتى لا تفوتنا بعض الصلوات غفلة أو كَسلاً»(٤)

**وأنا أرجح صحة كلام الشوكانى ، وأرد كلام الموسوى ،لما عرف عن الأول من الدقة .**

---

(١) الكافى ؛ باب مسح الرأس والقدمين - رقم ٨
(٢) نيل الأوطار ؛ باب مواقيت الصلاة ؛ ح٣ص٢١٥
(٣) نفسه ؛ باب جمع المقيم ؛ ح٣ص٢١٦ ، وابن ماجة ١٠٧٠؛ ح١ص٣٤٠
(٤) ليالى بيشاور ؛ ص٤٠

ويقول الإمام ابن القيم :« وأما جَمْعَه صلى الله عليه وسلم وآله ،وهو نازل غير مسافر ، فلم ينقل ذلك عنه ، إلا بعرفة لأجل اتصال الوقوف »[١]

ـ وأخرج ابن ماجه في سننه عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم وآله قال :« سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السُّنة ويعملون بالبدعة ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها » فقلت: يا رسول الله، إن أدُركتهم، كيف أفعل؟ قال: « تسألني يا بن أم عبد كيف تفعل ؟ لا طاعة لمن عَصَى الله »[٢]

وقد تحققت نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ، ليس بمذهب الجمع بين الصلاتين لدى بعض الشيعة فقط ولكن في تأخير الصلوات عند بني أمية أيضاً ، فاجتمع الأعداء الألداء فيها !

ولقد مر الزُّهْري ، المحدث الكبير ، على أنس بن مالك بدمشق في عهد الوليد بن عبد الملك ، فوجده يبكي ، فسأله : ما يبكيك ؟ قال :« لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة قد ضُيعِّت ! »

وقال ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الخبر :« والمراد أنه لا يعرف شيئاً موجوداً من الطاعات معمولاً به على وجهه غير الصلاة . وهذه الصلاة قد ضُيِّعت ـ والمراد بتضيييعها : تأخيرها عن وقتها المستحب ، لأنهم أخرجوها عن الوقت . فقد صح أن الحجاج وأميره الوليد وغيرهما كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها »[٣]

ومن المدهش أن **أغلب فقهاء الشيعة يفتون باستحباب إتيان الصلوات في أوقاتها المحددة ، ولكن من الناحية العملية يذهبون إلى الجمع** . وقد جرت العادة في مساجد الشيعة على هذا النحو أيضاً، وهذا مخالف لسُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، ولما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .[٤]

---

( ١ ) إعلام الموقعين ؛ جـ ٢ ص١٦٤

( ٢ ) ابن ماجه ؛ رقم ٢٨٦٥ جـ ٢ص٩٥٦ ـ وأيضاً رقم ٢٨٦٣ ، ٢٨٦٤

( ٣ ) فتح الباري ؛ كتاب مواقيت الصلاة ؛ شرح الحديث رقم ٥٣٠ـ جـ ٢ص١٣-١٤

( ٤ ) د . موسى الموسوي ؛ الشيعة والتصحيح ؛ ١٣٨-١٣٩

وذهب بعضهم إلى أن الجمع بين الصلاتين يزيد فى الرزق ! [1] إمعاناً فى مخالفة القرآن والسُّنة وإمام الشيعة الأول !

## ● صلاة الجمعة ، وصلاة التراويح

وصلاة الجمعة واجبة على المقيم في مذهب أهل السُّنة و« من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير عذر ولا علة ، طبع الله على قلبه »[2] ولهذا يحرص عليها السُّنى حرصاً شديداً .

والله تعالى يقول ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الجمعة : ٩] خير فى الصلاة ، وخير فى الاجتماع الأسبوعى ، وخير فى الدرس الذى يتلقاه المصلون فى الخطبة . وقد يكون هذا الدرس هو مصدر المعرفة الدينية الوحيد لبعض المسلمين .

وأما الشيعة الإمامية فقد عطلوا صلاة الجمعة بحجة غيبة الإمام . وظلت الجمعة معطلة إلى أن قامت الثورة الإسلامية فى إيران وتسلم الفقهاء الكبار قيادة الأمة ، فأعادوا صلاة الجمعة ، وأصبحت مناسبة مهمة جداً لعرض مواقف الأمة الإيرانية من المشكلات المختلفة . ويعرض التلفاز مشاهد للجماهير الغفيرة التى تؤدى الصلاة ، فإذا هى مئات الألوف من المؤمنين ، **ولم يعد هناك خلاف بين المذهبين فى المسألة .**

ومن المؤكد أن تعطيل صلاة الجمعة فوَّتَ على جماهير الشيعة الكثير من الخيرات . فيقول الدكتور موسى الموسوى : « لست أدرى كيف استطاع فقهاؤنا ( الشيعة الاثنا عشرية ) أن يجتهدوا فى نصٍ قرآنى محكم، قطعى الدلالة ، ( هو الآية ٩ من سورة الجمعة ) بالاستناد إلى روايات نسبت إلى أئمة الشيعة . ويقرر د . الموسوى أن تلك الروايات وُضعت كي يمنع الشيعة من حضور صلوات الجمعة التى هى فى حقيقتها تظاهرة إسلامية كبرى ، وعدم الاختلاط بسائر الفرق الإسلامية والمشاركة معها فى شعائر الإسلام العظيم »[3]

---

( ١ ) المجلسى ؛ بحار الأنوار ؛ جـ٧٩ باب ٥ص٣٣٣

( ٢ ) موطأ مالك ـ كتاب الجمعة ـ ٩باب القراءة ـ رقم ٢٢ص٩٠

( ٣ ) د . موسى الموسوى ؛ الشيعة والتصحيح ؛ ص١٢٧

● **صلاة التروايح :**

لكن الخلاف حول صلاة التراويح لا يزال مستمراً . فبعض الشيعة الإمامية يتهمون أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأنه ابتدع صلاة التراويح جماعة فى المساجد. وبعضهم يعبر عن الخلاف بأسلوب قبيح لا يليق بإمام عظيم مثل الفاروق عمر.[1] فماوجه الحق فى المسألة ؟

قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :«صلى النبى صلى الله عليه وسلم وآله التراويح فى المسجد ذات ليلة ، فصلى بصلاته الناس . ثم صلى من القابلة ، وكثر الناس . ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله . فلما أصبح قال :«قد رأيتُ الذى صنعتم ، فلم يمنعنى من الخروج إليكم إلاَّ أنى خشيت أن تفرض عليكم»[2]

وبعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، وفى عهد عمر ، نصح عمر الناس بصلاة التراويح جماعة فى المسجد وراء قارئ واحد ، إحياءً للسنة النبوية . ولم يعد هناك خوف من أن تفرض عليهم . ولما رآهم قد فعلوا ما نصحهم به ، سُرَّ لذلك ، وقال :«نعمت البدعة هذه !» هذا مع العلم بأن عمر كان يصليها فى بيته، وأن الذى أمَّ الناس هو أبى بن كعب رضى الله عنهم جميعاً .[3] **وهى كانت بدعة من حيث أنها أمر مستجد ، نسيه الناس طوال عهد أبى بكر ، لكنها بدعة حسنة لأنها إحياء لسنة نبوية وليست اجتهاداً مناقضًا للنص كما يزعم صاحب كتاب «النص والاجتهاد» ولهذا أمَّ علي بن أبى طالب الناس فى التراويح . ويؤثر عنه قوله حين مر علي المساجد وقد أضيئت بالقناديل فى رمضان استعداداً لصلاة التراويح ، يؤثر عن عليٍّ قوله :«نَوَّر الله على عُمَرِ قبره كما نَوَّر علينا مساجدنا»**[4]

---

(١) مثلاً السيد عبد الحميد شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ ص٢٣١

(٢) رواه مسلم ؛ جـ٦ ص٣٩-٤٢ ؛ وفتح البارى؛ كتاب صلاة التراويح؛ رقم ٢٠١٢ جـ٤ ص٢٥٠

(٣) ابن قدامه ؛ المغنى ؛ جـ٢ ص١٦٥ – ١٦٩

(٤) فتح البارى ؛ كتاب صلاة التراويح ؛ رقم ٢٠١٠ جـ٤ص٢٥٠

من هذا يتضح أن أهل السُّنة متبعون لا مبتدعون . وعمر متبع لا مبتدع . و« علي » وكبار الصحابة رحبوا بإعادة صلاة التراويح فى المسجد جماعة ، وشاركوا فى إمامة الصلاة . ولا ريب أن البعض يجد أن التراويح فى البيت أفضل ، لكن البعض الآخر لا يجد الفرصة فى بيته لصلاة التراويح ، بسبب ضيق الدار ، أو كثرة العيال ، أو العجز عن القراءة . ولذلك وجدنا إقبالاً هائلاً على صلاة التراويح . ويستغل الأئمة الفرصة فيقدمون النصائح والدروس فى فترات الراحة بين الركعات . وتخسر المجتمعات التى ترفض صلاة الترواي فى المساجد فوائد عديدة .

لكن التعصب الموروث لدى غلاة الشيعة الإمامية يغشى على أبصارهم ، فلا يرون من عمرغير الشر ! ومن المؤكد أنهم يكذّبون الخبر القائل إن علياً أمَّ الناس فى صلاة الترواي ، وما أيسر الإنكار على من لا يريد معرفة الحقيقة !

ـ ويتوارث هذا الخلاف بين المذهبين دون أية محاولة لفحص المسائل وتصويب الخطأ . بل يتخذ البعض من هذا الخلاف اليسير ( التراويح فى البيت أم فى المسجد ) فرصة لتجريح الخليفة الراشد المثالى الفاروق عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه . وأهل السُّنة ـ كما هو معلوم ـ يجيزون الصلاة فى البيت ، كما يفعل الشيعة ، ولا يطلبون من إخوانهم فى المذاهب الأخرى أن يحذوا حذوهم . ولكن يجب التزام الموضوعية فى البحث ، والتأدب فى أساليب نقد الأئمة .

### ● الركعتان بعد العصر

يقول شرف الدين :« إن النبى صلى الله عليه وسلم وآله صلاهما . لكن عمر ابن الخطاب كان ينهى عنهما ويضرب من يقيمهما من المسلمين »[1] وهو يسمى ذلك اجتهاداً فى مقابل النص ، أو هو رأيٌ يلغى نصاً . وتلك جريمة فى موازين الإسلام . ويحيلنا شرف الدين إلى صحيح مسلم لمراجعة النص المنتهك !

ونراجع صحيح مسلم فلا نجد كلمة واحدة تثبت أن النبى صلى الركعتين المذكورتين . وننتقل إلى صحيح ابن خزيمة فنجده أخرج عن ابن عباس حديثاً قال

---

( ١ ) النص والاجتهاد ؛ ص٢٤٩

فيه أنه سمع من غير واحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، منهم عمر، أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله : **نهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس**»[1] وفى السنن الكبرى للبيهقى لم يرد ذكر لهاتين الركعتين بعد العصر على الإطلاق .[2] ولم يثبتها الإمام أبو حامد الغزالى فى «إحياء علوم الدين»[3]

ـ وقد بيَّن ابن تيمية صلوات التطوع التى صلاها النبى صلى الله عليه وسلم وآله . ولم يثبت له صلاة بعد العصر .[4] وأورد ابن القيم عدداً من النصوص . وعرض المسألة بتوسع **وانتهى إلى أنه لا صلاة بعد العصر .[5] لكن ابن حزم أثبت أن كبار الصحابة كانوا يصلون ركعتين بعد العصر . وقد أخذ بذلك .**[6]

وعرض ابن حجر المسألة بالتفصيل ، ووفَّق بين الأخبار التى نهت عن صلاة الركعتين بعد العصر ، والأخبار التى أثبتتهما . قال ابن حجر :«إن صلاة ركعتين بعد العصر فى البيت كان قضاءً للركعتين بعد الظهر حيث كان النبى قد شُغل عنهما . وبناء على هذه الآثار المختلفة يظهر أنه صلى الله عليه وسلم وآله قد نهى عن الصلاة بعد العصر . وإن صلاهما فى بيته فذلك من خصوصياته .[7] ولم يثبت الشوكانى الركعتين .[8]

**صفوة القول إذن إن الأرجح هو عدم الصلاة بعد العصر ، لكن بوسع المسلم أن يصلى ركعتين إن أراد ، كما صلاهما بعض الصحابة بصرف النظر عن المذهب الذى يتبعه .**

---

(١) رقم ١٢٧٢جـ٢ص٢٥٤ (٢) كتاب الصلاة ؛ جـ٢ص٤٧١-٤٧٥
(٣) إحياء علوم الدين ؛جـ١ص١٩٥
(٤) الفتاوى الكبرى ، جـ١ ص١٥٠المسألة رقم ١٤٩
(٥) إعلام الموقعين ؛ جـ١ ص١٠٣
(٦) المحلى ؛ جـ٣ ص٢-٧ ؛ مسألة رقم ٢٨٥
(٧) فتح البارى ؛ كتاب مواقيت الصلاة ؛ رقم ٥٩١-٥٩٢-٥٩٣ج٢ص٦٤
(٨) السيل الجرار ؛ ص١٨٥-١٨٦

## ● الصلاة على موتى المنافقين

والمنافقون كما نعلم جميعاً ، وكما صورهم القرآن الكريم والحديث الشريف، أناس أشرار خبثاء ، يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ، دَرَجوا على الكذب ونكث الوعد وخيانة الأمانة ، وحزمة من الموبقات . وكانوا في المدينة المنورة سبباً في مشكلات عديدة ، وبخاصة حين البأس وحين كانت المدينة تتعرض للخطر . قال تعالى فيهم ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ [المنافقون: ٤] وقال تعالى ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾ [النساء: ١٤٢] وقال جل جلاله ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ﴾ [النساء: ١٤٥] ونزل في كبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول قوله تعالى ﴿ **يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ** ﴾ [المنافقون: ٨] فتلك مقوله زعيم المنافقين عبد الله ابن سلول ، وكان يقصد النبي صلى الله عليه وسلم وآله .

ولما هلك ابن سلول جاء ابنه عبد الله ، وكان من صلحاء الصحابة ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، والتمس منه أن يصلي على أبيه ، فأجابه النبي إلى طلبه .وعندئذ ثارت ثائرة عمر بن الخطاب ، فأَخَذَ بثوب النبي وقال : يا رسول الله ! أتصلّي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم وآله :«إنما خَيَّرني الله فقال ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** ﴾[التوبة: ٨٠] وسأزيده على السبعين»(١)

هذه هي الحادثة التي اعتبرها الناقد الشيعي اجتهاداً مضاداً للنص ، وصوَّر الفاروق على أنه بلطجي : وقف في طريق النبي إزاء صدره يمنعه من الصلاة!»(٢) وهذه صورة مزيفة ، في حين جاء الخبر في البخاري ومسلم بعبارة «أَخَذَ بثوبه» . كان عمر يحفظ الآيات التي نزلت في المنافقين وحَرَّمَتْ الصلاة عليهم ، كقوله تعالى ﴿ **وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ**

---

(١) فتح الباري ؛ كتاب التفسير -١٢باب (استغفرلهم) رقم ٤٦٧٠،٤٦٧٢ ؛ جـ٨ ص٣٣٣، ٣٣٧ . وصحيح مسلم جـ١٥ ص١٦٧

(٢) النص والاجتهاد ؛ ص١٩٥-١٩٧

وَرَسُولِه وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[ التوبة : ٨٤ ] وكان النبى يحفظ كل تلك الآيات خيراً من عمر ألف مرة ، لكنها الحمية العمرية المعروفة ، غيرة على دين الله تعالى . وقد ربَّاه النبى على ذلك ، وشجعه ـ كما شجع الصحابة ـ على إعلان آرائهم ، إذا لم يكن فى الأمر نص ، وكان القرار أساسه الرأي ، لا الوحي ، لهذا تقبل النبى موقف عمر ، وصلى على زعيم المنافقين ! وصلى عمر خلفه ! **فلم يكن عمر ضد نص بل حفاظاً على نصوص .**

ولأن هذا الخبر يتعارض مع آيات القرآن الكريم ، اعتبره بعض نقاد الحديث مشكلاً من جهات عديدة ، بل أنكره كثير من المحدثين ، لأن التناقض مع القرآن دليل على كذب الخبر وعلى عدم صحته . **فإذا أخذنا برأى الرافضين لهذا الخبر ، لم تعد لدينا مشكلة أصلاً !** **فالنبى** صلى الله عليه وسلم وآله **لم يصل على عبد الله بن أبى بن سلول والحادثة كلهابكل تفاصيلها زائفة** . والحق أن تناقض الخبر مع القرآن يزيِّفه . أما إن أراد ناقد النيل من عمر ، فإنه سوف يواجه التناقضات التى لا مخرج منها ! وسوف يتسع الخلاف بين أتباع المذهبين !

يقول العقاد رحمه الله إنه لم يكن أحد يُعجب بمحمد ـ **صلى الله عليه وسلم وآله** ـ أكبر من إعجاب عمر ، **ولم يكن أحد مستقل برأيه فى مشورة محمد أكبر من استقلال عمر ! فهو آية الآيات على أن فضيلة الإعجاب لا تغض من صراحة الرأى عند ذى الرأي الصريح »**[1] **فعمر يستحيل أن يتمرد على النبى أو يعصاه .**

## ● الصلاة على موتى المنافقين والدعاء عليهم !

أما رواية الكلينى فى كتابه « الكافى » فتقول إن النبى ردّ على عمر بقوله : ويلك ، وما يدريك ما قلت ؟ إنى قلتُ : اللهم احْشُ جوفه ناراً ، وامْلأ قبره ناراً ، وأَصْله ناراً ! » قال أبو عبيدة : فَأَبْدَى من رسول الله ما كان يكره ! [2] والقرآن يقول للنبى ﷺ : ﴿ **وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ** ﴾ [ التوبة : ٨٤ ] .

---

( ١ ) عبقرية محمد ؛ ص١٨٨

( ٢ ) باب الصلاة على الناصب ؛ رقم ١

ـ ويؤكد هذا أن الحسين بن على فعل ذلك ونصح آخر بالاقتداء به . فَبَعْدَ أن كَبَّر قال : **اللهم الْعن فلاناً عبدك ألف لعنة مؤتلفة غير مختلفة ! اللهم اخز عبدك فى عبادك وبلادك واصْله حرَّ نارك وأذقه أشَدَّ عذابك ، فإنه كان يتولى أعداءك ويعادى أولياءك ويبغض أهل بيت نبيك**»[1] ثم أورد سبع أحاديث فى الباب تؤكد هذا المذهب .

ـ ومن الجلى أن ما جاء فى الباب يناقض القرآن الذى نَهى عن الصلاة على المنافقين نهيًا قاطعاً باتاً . ويلاحظ التوسع فيمن يُصَلّى عليهم هذه الصلاة الباطلة، فحشر فيهم أعداء الشيعة إلى جانب المنافقين . والواجب الشرعى هو الامتناع عن الصلاة على موتى المنافقين . **أما التظاهر بالصلاة عليهم ، ثم الدعاء عليهم ، فلا أصل له ، ولم يفعله النبى ﷺ ويستحيل أن يفعله لأنه نوع من الغش والخداع ، والمسلم أزكى من أن يفعل ذلك الفعل القبيح ، ولديه الشجاعة ليعلن أن دينه يحرم الصلاة على موتى المنافقين** ، ويتفق السُّنة والشيعة فى رفض الخداع فى الصلاة وفى كل شىء !

## ● سهم المؤلفة قلوبهم

ويتهم الناقد الشيعى **عمر بن الخطاب بأنه قدم رأيه على نص القرآن الكريم حين أوقف صرف سهم المؤلفة قلوبهم .**[2]

والمؤلفة قلوبهم كانوا قوماً حديثى عهد بالإسلام ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم وآله يتألفهم بإعطائهم سهماً من الصدقات . وقد قال عليه الصلاة والسلام :«**إنى أعطى قريشاً أتألفهم ، لأنهم حديثو عهد بجاهلية**»[3] أوهم ـ كما قال عليه الصلاة والسلام ـ :«مَنْ أسلم ونيته ضعيفة»[4] حين سأل سعد ابن أبى وقاص النبى أن يعطى رجلاً مؤمناً ، قال عليه وآله الصلاة والسلام :«إنى

(١) نفسه ؛ رقم ٢ (وسبع أحاديث فى الباب)
(٢) النص والاجتهاد ؛ ص١٠٦-١٠٩
(٣) فتح البارى ؛ كتاب فرض الخمس ؛ رقم ٣١٤٦جـ٦ص٢٥٠
(٤) نفسه ؛ ص٢٥٢

لأعطى الرجل ، وغيره أَحَبُّ إليّ منه ، مخافة أن يكبَّه الله فى النار» وشرح النووى هذا الحديث فقال :«أي أتألف قلبه بالإعطاء مخافة كفره إذا لم يُعط»[1]

ويقول الشعبى إنه لم يبق من المؤلفة قلوبهم أحد ، إنما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله . فلما استخلف أبو بكر رضى الله عنه ، انقطعت الرشا . وعن الحسن قال : أما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم»[2] يعنى أن الإسلام لم يعد بحاجة إلى أحد منهم وأن إيمانهم قوى واستقر .

ـ وقد أخرج البخارى عن عروة بن الزبير أن حكيم بن حزام كان يأخذ من سهم المؤلفة قلوبهم ، لكنه فى عهد أبى بكر تورع عن الأخذ منه . وعرض عليه عمر حقه من السهم ، فَأَبَى أن يأخذه .[3] ولو قبل لكان ذلك دليلاً على ضعف إيمانه، لكنه رفض لأنه رأى أنه لم يعد من المؤلفة قلوبهم .

من هذا نتبين لماذا أوقف أبو بكر وعمر إعطاء المؤلفة قلوبهم .. فَوضْع الإسلام تغير من ضعف إلى قوة . وأحوال المؤلفة قلوبهم تغيرت من ضعف الإيمان إلى الرسوخ فيه ، حتى أن بعضهم رفض أخذ نصيبه تورعًا ، كما رأينا، لكن البعض أراد الاستمرار فى الأخذ على الرغم من تغير الظروف جذرياً ، فرفض أبوبكر إعطاءهم من السهم .

ـ فعن ابن سيرين عن عبيدة قال :جاء عُيَيْنَة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبى بكر رضى الله عنه فقالا : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كَلا ولا منفعة ، فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها ونزرعها ! فقال أبوبكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله كان يتألفكما والإسلام يومئذ ضعيف . وإن الله قد أعز الإسلام ، فاذهبا فاجهدا جهدكما ، لا أرعى الله عليكما إن رعيتما»[4]

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ جـ٢ص١٨٠
(٢) البيهقى ؛ السنن الكبرى ؛ جـ٦ص٢٠
(٣) فتح البارى ؛ كتاب فرض الخمس ؛ رقم ٣١٤٣جـ٦ص٢٥٠
(٤) السنن الكبرى ؛ للبيهقى ؛ جـ٧ص٢٠

**وهذا هو العدل . لقد زالت صفة المؤلفة قلوبهم عنهم ، فلم يعودوا يستحقون السهم** . والشيء نفسه يقال على الفقراء والمساكين ، أعني أنه إذا زالت صفة الفقير والمسكين عن أحد منهم ، وصار غنياً ، وجب وقف صرف نصيبه من السهم . وهذا ليس اجتهاداً مناقضاً للنص ، بل هو تدقيق في تطبيق النص لكي يصل إلى مستحقية الشرعيين . **ولا أظن أن أحداً من كبار علماء الشيعة يمكن أن يعترض على ما صنعه الشيخان ؛ وما صادفته من نقد وخلاف لدى بعض الكتاب الشيعة فلا مسوغ له . وهو يمثل درجة من الغلو في مقت الشيخين رضي الله عنهما ، ويجب أن يوضع له حد ، صوناً لوحدة المسلمين .**

ومن المهم أن نفكر اليوم في مصارف جديدة لسهم المؤلفة قلوبهم :« في مقاومة الردة والإلحاد . وإن لسهم المؤلفة قلوبهم مصرفاً في تحرير الشعوب المستعمره من الاستعباد إذا لم يكن له مصرف في تحرير الأفراد، وإن لسهم « في سبيل الله » مصرفاً في السعي لإعادة حكم الإسلام ، وهو أهم من الجهاد لحفظه في حال وجوده من عدوان الكفار ، ومصرفاً آخر في الدعوة إليه والدفاع عنه بالألسنة والأقلام ، إذا تعذر الدفاع عنه بالسيوف والأسنَّة وبألسنة النيران »[1]

ويقول ابن سلام رحمه الله :« إنه إذا انقرض هذا الصنف من الناس توقف صرف السهم ، وحُوِّل إلى فئة أخرى من المستحقين . وإذا احتاجت الأمة من جديد إلى تأليف قلوب البعض عاد صرف السهم لمن يُرجَى إسلامهم أو تأييدهم للمسلمين أو كف أذاهم عنهم . وهذا ما قاله الحسن وابن شهاب ، باعتبار الآية محكمة : « لا نعلم لها ناسخًا من كتاب ولا سنة »[2]

وما أكثر الذين يمكن تألُّف قلوبهم اليوم من الصحافيين والمؤلفين والفنانين ، ليقولوا كلمة الحق ويدحضوا الأباطيل التي يروِّج لها في الغرب ضد الإسلام والمسلمين !

---

( ١ ) رشيد رضا ؛تفسير المنار ؛سورة التوبة رقم٩ـ جـ ١٠ص٤٤٤
( ٢ ) ابن سلام( أبو عبيد القاسم )؛ كتاب الأموال ؛ ص٥٣٧

## ● التمتع فى الحج

يصوِّر بعض النقاد الشيعة عمر بن الخطاب فى صورة المتمرد على شريعة الله، الذى أحل رأيه محل النصوص القرآنية والحديثية ! ولا بد أن يسفر ذلك عن خلاف واسع عميق بين أهل السُّنة الذين يسيرون بحسب « رأي » عمر وبين الشيعة الاثنا عشرية الذين يقفون عند حدود النصوص !

وقد زعم أحُدهم **أن عمر بن الخطاب وقف على المنبر فى المدينة المنورة وقال للناس : أحلَّ لكم النبى مُتعتيْن ، متعة الحج ومتعة النساء ، وأنا أحرمهما عليكم ، وأعاقب كل من يتمتع بهما !** [1] كأن عمر جاء بشريعة جديدة تنسخ شريعة الإسلام وتلغيها !

وهذه التهمه قديمة ، ورد شيخ الإسلام ابن تيمية عليها ، ومع ذلك لا تزال تتردد فى مؤلفات الشيعة إلى اليوم .

ونبدأ بمسألة حج التمتع ، فنقول إنه شريعة قرآنية ،ويستحيل أن يجسر على إلغائها إمام أو حاكم ، أو أية قوة أو سلطة على ظهر الأرض ! قال تعالى **﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾** [ البقرة:١٩٦ ] ثم حدد القرآن التعاليم التى ينبغى احترامها فى حج التمتع . وقد سئل الإمام الشافعى رحمه الله عن التمتع بالعمرة إلى الحج فقال :« إنه حَسَنٌ غير مكروه ، وقد فُعل ذلك بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وآله ؛ **وإنما اخترنا الإفراد لأنه ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله أفرد ، غير كراهية للتمتع** . ولا يجوز ـ إذا كان فعل التمتع بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وآله أن يكون مكروهاً »[2] ثم عقب الشافعى بقوله إن عمر بن الخطاب فضل الفصل بين الحج والعمرة ؛ وهذا لا يخالف السُّنة .[3]

وأورد البيهقى أخباراً عديدة عن هذه المسألة ، ومن ضمنها حوار جرى بين « علي » و« عمر » رضى الله عنهما .

---

( ١ ) عبد الحسين شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ ص٢٢٥
( ٢ ) الشافعى ؛ الام ؛ جـ٧ص ١٩٩
( ٣ ) نفسه .

- قال علي : أَنَهَيْتَ عن المتعة ؟

- قال عمر : لا ولكنى أردت كثرة زيارة البيت .

- قال علي : مَن أفرد الحج فَحسَنٌ ، ومَن تمتع فقد أخذ بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآله .

من هذا نفهم أن عمر لم ينه عن التمتع ولا حَرَّمه كما يزعم غلاة الشيعة، ولكنه أراد الإكثار من زيارة المسلمين لبيت الله الحرام، فلا يُهجر فى أى فترة من العام . وهذا هو ما يسمى « العمل بالأفضل » وهذا هو ما أيده عثمان بن عفان رضى الله عنه . وخاف « علي » أن يفهم البعض أنه نَهْى عن التمتع، ولذلك عارضه، « وكل منهما مجتهد مأجور »[1] ونحن نعلم أن الحج مستمر إلى اليوم : إفراداً وتمتعاً وقراناً : **تلك شريعة الله : « لأبد الأبد » كما قال النبى** صلى الله عليه وسلم وآله .[2]

ويقول ابن القيم رحمه الله إن عمر لم ينه عن حج التمتع وإنما قال : « **إن تمام حجكم وعمرتكم أن تفصلوا بينهما** » وبهذا اختار عمر أفضل الأمور وهو إفراد كل من الحج والعمرة بسفر ينشئه من بلده . وهذا أفضل من القران والتمتع الخاص بدون سَفْرة أخرى »[3] وعن طاوس فى قوله تعالى : ﴿ **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ** ﴾ [ البقرة : ١٩٦ ] قال : « تفردهما مؤقتتين ، من أهلك ، فذلك تمامهما » وقال قتادة : « تمام العمرة ما كان فى غير أشهر الحج . ومن كان فى أشهر الحج ، ثم أقام حتى يحج ، فهى متعة » ( تفسير الطبرى ؛ البقرة ؛ الآية ١٩٦ )

**- وليس ثمة خلاف هنا بين أهل السُّنة والشيعة ، أو بين عمر وعلي وعثمان ، والحمد لله رب العالمين . الشيء الوحيد المرفوض هو الاتهامات الطائشة لأبى بكر وعمر ، والأساليب العدائية فى الكتابة عنهما .**

---

( ١ ) فتح البارى ؛ كتاب الحج ؛ رقم ١٥٦٣ـ الشرح ؛ جـ ٣ ص ٤٢٥

( ٢ ) ابن ماجه ؛ سنن ابن ماجه ؛ رقم ٢٩٨٠ـ جـ ٢ ص ٩٩٢

( ٣ ) إعلام الموقعين ؛ جـ ١ ص ٢٥٨

ويزعم بعض نقاد الشيعة أن عمر بن الخطاب وقف على المنبر ذات يوم وقال: أَحَلَّ النبى متعتين ـ متعة الحج ومتعة النساء ـ وأنا أحرمهما عليكم ، وأعاقب كل من يتمتع بهما»[1] ( كما سبق أن رأينا فى متعة الحج ).

ـ وقد رأينا الحقائق الخاصة بمتعة الحج ، وكيف تدحض تلك التهمة التى يراد إلصاقها بعمر الفاروق ، رضى الله عنه . وسوف نرى فيما يلى الحقائق التى تثبت تحريم زواج المتعة ، وتثبت براءة الفاروق رضى الله عنه من تهمة التمرد على شريعة الله تعالى ، وتؤكد حرصه على الامتثال لها .

وعند الشيعة ، متعة النساء :«قد شرعها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وآله، وأباحها وعمل بها جماعة من الصحابة فى حياته وبعد وفاته »[2] **ويقرر كاشف الغطاء أن القول بحل زواج المتعة :«قد صار شعاراً لأهل البيت وشارة لهم»[3]** وهذا كلام خطير جداً ، وأهل البيت بُرآءُ منه !

ـ والحق أن زواج المتعة أُحِلَّ فى أول الإسلام ، ثم حرمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم عام الفتح فى رواية ، وعام خيبر فى رواية أخرى :«وكان ابن عباس يجيز المتعة وأكل لحوم الحمر ، فأنكر علي بن أبى طالب ذلك عليه ، وقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله حَرَّم متعة النساء ، وحرم لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر ... **ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه رجع عن ذلك لـمَّا بَلَغَه حديث النهي عنهما»[4] ومعنى هذا أن الشيعة المتأخرين خالفوا السُّنة النبوية وخالفوا إمامهم الأول عَليَّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأن أهل السُّنة متبعون للنبى ولعلي وعمر، وسائر الصحابة** . لكن الشيعة يردون الأخبار التى تقول إن النبى حرَّم زواج المتعة وأن علياً حرمها تبعاً لذلك .

---

( ١ ) عبد الحميد شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ص٢٢٥

( ٢ ) كاشف الغطاء ، أصل الشيعة ؛ ص١٦٧

( ٣ ) نفسه ؛ص١٧٤ ( ٤ ) الشافعى ؛ الأم ؛ جـ٧ص١٦١

ـ وعن الربيع بن سبرة أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله كان قد أباح نكاح المتعة ، ثم حرمها ، وقال :«**هى حرام إلى يوم القيامة**» ويؤيد الشافعى موقف أهل السُّنة الذى يحرم نكاح المتعة بالقواعد القرآنية الخاصة بالزواج والطلاق ، من ذلك قوله تعالى ﴿ **إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ** ﴾ [الأحزاب:٤٩] فلم يحرّمهن الله على الأزواج إلا بالطلاق ؛ وهذا ما يفتقر إليه زواج المتعة وقال تعالى ﴿ **فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ﴾ [البقرة:٢٢٩] وقال تعالى ﴿ **وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ** ﴾ [النساء:٢٠] فجعل إلى الأزواج فُرقة مَنْ عقدوا عليه النكاح ، مع أحكام ما بين الأزواج . **فكان بيِّنا ـ والله أعلم ـ أن نكاح المتعة منسوخ بالقرآن والسُّنة ، لأنه إلى مدة ، ثم نجده ينفسخ بلا إحداث طلاق فيه ، ولا فيه أحكام الأزواج**»[١]

وقد عرض الإمام النووى رحمه الله للمسالة فى شرحه لصحيح مسلم ، فاورد روايات عديدة ، ومتعارضة ، ثم انتهى إلى القول إن :«الصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتيْن . وكانت المتعة حلالاً قبل خيبر **ثم حُرِّمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة . واستمر التحريم** . واتفق العلماء على أن هذه المتعة كانت نكاحاً إلى أجل ، لا ميراث فيها . وفراقها يحصل بانقضاء الأجل من غير طلاق . ووقع الإجماع بعد ذلك على تحريمها من جميع العلماء ، إلا الروافض»[٢]

**ـ فلم يكن لعمر بن الخطاب يد فى إجازة زواج المتعة أو تحريمه ، اللهم إلا بوصفه خليفة لرسول الله** صلى الله عليه وسلم وآله **ومسؤولاً عن احترام الجميع لشريعته .**

وتوسع الإمام ابن حجر رحمه الله فى عرض المسالة ، وانتهى إلى أن إباحة المتعة نُسخت ، وأن الإجماع انعقد على ذلك فى عهد عمر : «فالمخالف بعد هذا الإجماع مُنابِذٌ له وللجمهور»[٣]

---

(١) الأم ؛ مختصر المازنى على الهامش ، جـ٣ ص ٢-٣

(٢) صحيح مسلم ؛ جـ٩ص١٨١

(٣) فتح البارى ؛ كتاب الطلاق ؛ رقم ٥٢٦١-جـ٩ص٣٦٥

ـ وأورد البيهقى أخباراً عديدة فى المسألة ، وأهمها حديث لعلي بن أبى طالب رضى الله عنه قال فيه :« نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله عن المتعة » . قال : وإنما كانت لمن لم يجد ، فلما نزل النكاح والطلاق والعدة والميراث بين الزوج والمرأة نُسخت . (١)

ـ وأخرج ابن ماجه عن علي بن أبى طالب أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله :« نَهَى عن متعة النساء يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية »(٢)

**ـ فالشيعة المتأخرون يخالفون إمامهم الذى نقل إلينا السُّنة الصحيحة وأهل السُّنة يتبعون التحريم الذى جاءهم من طرق عديدة.** وكان عمر بن الخطاب ـ بناء على هذا ـ محقاً حين عاقب المخالفين . قال ابن عمر « لما وَلي عمر بن الخطاب خطب الناس فقال : إن رسول الله ﷺ أذن لنا فى المتعة ثلاثاً ، ثم حرمها . والله لا أعلم أحداً يتمتع ، وهو محصن ، إلا رجمته بالحجارة ، إلا أن يأتينى بأربعة يشهدون أن رسول الله أحلها بعد إذْ حرمها »(٣)

## ● الشيعة الإصلاحيون

ويقرر الدكتور موسى الموسوى ، وهو أحد الشيعة الإصلاحيين المعاصرين **أن زواج المتعة زنا صريح ، وإرث جاهلى ، وانحطاط أخلاقى يستحيل أن يجيزه الإسلام الحنيف الذى يعرف للمرأة قدرها ، ويستحيل أن يشرِّع للعبث بها وامتهان آدميتها . ولذلك طالب الشيعة بتحريمه .** (٤)

ولعل مثل هذه المشاعر النبيلة استولت على قلب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، فاشتد فى تحريم المتعة وأصر على معاقبة مستحليها !

ـ إن زواج المتعة بدون شهود !

---

( ١ ) السنن الكبرى للبيهقى ؛ كتاب النكاح ـ جـ ٧ ص٢٠٧

( ٢ ) سنن ابن ماجه ؛ رقم ١٩٦١ جـ ١ ص٦٣٠ ـ وأيضاً : فتح البارى ؛ كتاب النكاح ـ رقم ٥١١٥ جـ ٩ ص١٦٦

( ٣ ) سنن ابن ماجه ؛ رقم ١٩٦٣ جـ ١ ص٦٣١

( ٤ ) الشيعة والتصحيح ؛ ص١٠٨-١١٣

- وليس على الرجل نفقة لامرأته !

- وهو يجيز للرجل الجمع بين أكثر من أربع !

- والزوجة لا ترث !

- وليس من شروطه موافقة الأب !

- وقد تكون مدة الزواج ساعة واحدة أو أقل !

- وينفسخ العقد دون شهود !

- وعدة المرأة هى عدة الأمة ! أى نصف مدة عدة الحرة ! (١)

**ونكاح المتعة بهذه الأوصاف زنا صريح . ولا يجوز بحال أن يقال إنه شعار لآل البيت أو شارة لهم ! إن عليهم إبطاله فوراً** . ولقد كان الخليفة المأمون العباسى ( توفى سنة ٢١٨هـ) يبيح المتعة ، غير أنه حرمها بمجرد أن أثبت له « يحيى بن أكثم » صحة حديث عليٍّ عن تحريمها عام خيبر . (٢) والشيعة المعاصرون لا يقلون غيرة على الشريعة من المأمون العباسى !

ولا ننسى أن بعض أهل السُّنة يجيز زواج المتعة فى بعض بلاد آسيا الإسلامية، ويتعرضون بسبب ذلك للإنكار الشديد . **ومعنى هذا أن زواج المتعة يجد بين الشيعة وأهل السُّنة من يبيحه ومن يحرمه** . والأمل أن يتفقوا جميعاً على تحريمه ، صيانة للسُّنة المطهرة التى حرمته ، وتحقيقاً لوحدة الأمة فى المجال الاجتماعى ونظام الزواج الشرعى .

**● الطلاق**

يزعم غلاة الشيعة أن عمر بن الخطاب عارض النص برأيه فى مسألة الطلاق ، فجعل الطلاق ثلاثاً فى كلمة واحدة ، طلقة بائنة ، فى حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يجعلها رجعية »(٣)

---

( ١ ) نفسه ؛ ص١١١ ( ٢ ) فوات الوفيات ؛ جـ ٢ ص٢٣٨

( ٣ ) الكلينى ؛ الكافى ؛ كتاب الطلاق ؛ رقم ١٠

وقد عرض ابن القيم للمسألة عَرضاً مفصلاً ، بَّين فيه **أن الرسول** صلى الله عليه وسلم وآله **جعل الثلاث ــ أحياناً ــ طلاقاً بائنًا** ـ وهذا هو ما أخذ به عمر ، دون أن يحرِّم اعتبار الثلاث واحدة رجعية . فعمر ـ اتباعاً للسُّنة ـ جعل الثلاث طلقات في مجلس واحد طلاقاً بائنًا عقوبة لمن يخالف السُّنة .

ومن عرض ابن القيم للمسألة نتبين أن في المسألة مذهبين ، استنادًا لأحاديث نبوية . وحاول عمر التوفيق بين النصوص . وقال ابن القيم للذين خالفوا عمر : « وأنتم لم يمكنكم ذلك ـ يعني مخالفته ـ إلا بإلغاء أحد المذهبين، فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذا المقام الضنك والمعترك الصَّعب »[1]

ومعنى هذا أن عمر أبقى العمل بالمذهبين في المسألة ، وإن فضَّل أحدهما في التطبيق .

وأفتى ابن عباس بفتوى عمر التي تجعل الطلاق بالثلاث في مجلس واحد طلاقاً بائناً . وقد جاء رجل إلى ابن عباس فقال إنه طلق امرأته ثلاثاً ، فسكت ابن عباس حتى ظن الحاضرون أنه سيردها إليه ( باعتبار الثلاث في كلمة واحدة طلقة واحدة ) لكن ابن عباس غضب من الرجل غضباً شديداً ، وقال له لائماً :« ينطلق أحدكم فيركب الحموقة ، ثم يقول : يا بن عباس يابن عباس ! وإن الله جل ثناؤه قال ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ [ الطلاق : ٢ ] وإنك لم تتق الله ، فلا أجد لك مخرجاً : عصيت ربَّك ، وبَانَتْ منك امرأتك ! وإن الله تعالى قال ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ** ﴾ [ الطلاق : ١ ][2] والطلاق بالثلاث ـ في مجلس واحد ـ طلاق بائن عند ابن عباس ، فلا عدَّة فيه . وهذا الطلاق مخالف لشريعة الله ، ولذلك قال للرجل : عصيتَ ربَّك !

وهكذا نرى أن ابن عباس ، مثل عمر بن الخطاب ، يفتي استنادًا إلى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله .

ـ لكن ابن عباس قال كلاماً يُفهم منه أن عمر بن الخطاب هو الذي جعل

---

( ١ ) إعلام الموقعين ؛ جـ ٤ ص٧٧

( ٢ ) السنن الكبرى للبيهقي ؛ كتاب الخلع والطلاق ؛ جـ ٧ ص٣٣١ ، ٣٣٣

الطلاق ثلاث في قول واحد طلاقاً بائناً . قال ابن عباس :« كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر رضي الله عنه : طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمرٍ كانت لهم فيه أناة ! فَلَوْ أمضيناه عليهم ! فَأَمْضَاه عليهم ! »[1]

ـ والحق ، كما ذكر ابن القيم ، أن عمر لم يبتدع شريعة جديدة ، بل طبق شريعة سبق أن طبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله .[2] ويقول المازري إن عمر لا يمكن أن ينسخ السُّنة :« ولو نَسَخَ ـ وحاشاه ! ـ لَبَادَرتْ الصحابة إلى إنكاره »[3]

## ● الإشهاد في الطلاق

ـ واختلف العلماء في وجوب الإشهاد في الطلاق .

**ـ فالشيعة الإمامية يقولون : إن الطلاق بدون شاهدي عدل يقع باطلاً**»[4] والله تعالى يقول ﴿ **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ** ﴾ [ الطلاق : ٢ ] واختلف علماء أهل السُّنة في فهمهم للأمر القرآني ﴿ **وَأَشْهِدُوا** ﴾ هل هو للوجوب أم للندب . فقال الشافعي بالوجوب في قول ، وبعدم الوجوب في آخر . وقال القرطبي في تفسير الآية الثانية من سورة الطلاق ﴿ **وَأَشْهِدُوا** ﴾ **أَمْرٌ** بالإشهاد على الطلاق وقيل : على الرجعة . والظاهر رجوعه إلى الرجعة لا إلى الطلاق . فإن راجع ( الزوج ) من غير إشهاد ففي صحة الرجعة قولان للفقهاء . وقيل : المعنى **وأشهدوا عند الرجعة والفُرقة جميعاً** . وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة ... وعند الشافعي : واجب في الرجعة ، مندوب إليه في الفُرقة . وفائدة الإشهاد أَلاَّ يقع بينهما التجاحد ، وألا يُتهم في إمساكه ، ولئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث »[5] **وهذه المصالح الكبيرة المهمة ترجِّح وجوب الإشهاد في الفرقة**

---

( ١ ) صحيح مسلم ؛ جـ ١٠ ص٦٩-٧٠ ( ٢ ) إعلام الموقعين؛ جـ ٤ ص٧٧

( ٣ ) صحيح مسلم ؛ جـ ١٠ ص٧١ ـ الشرح

( ٤ ) كاشف الغطاء ؛ أصل الشيعة ؛ ص١٩٥-١٩٦

( ٥ ) تفسير القرطبي ؛ المجلد الثامن ـ ط . الشعب ؛ ص٦٩٣٦

والرجعة . **والإشهاد لا يكلف شيئاً . وأنا أقترح على أهل السُّنة والشيعة جميعاً أن يُلزموا الأزواج بتدوين حالات الطلاق ، والألفاظ التى استعملت على لسان الزوج ، وحالة الزوجة من حيث الطهر ، وهل واقعها الزوج فيه أم لا ، وتاريخ كل طلاق ، لأن هذه المعلومات ضرورية للمفتى لتقرير إمكان الرجعةأو عدمه . والإشهاد على ذلك مفيد جداً** . ومن الناحية العملية لن يكون هناك فرق بين من يُوجب الإشهاد ومن يرى أنه مندوب . ففى الحالتين سُيلتَزم بالإشهاد كواجب أو كمندوب .

ويضيف الشافعى شرطاً آخر إلى الإشهاد ، وهو أن يصرح الزوج بالكلام المعبر عن استرجاع امرأته ، طالما كانت فى العدة من طلقة رجعية . ولا يشترط جماعاً أو غيره ، كان يقول : قد راجعتها أو قد ارتجعتها أو رددتها : **«فإذا تكلم بهذا فهى زوجه»** وقال : **«فحكمنا : أن لا رجعة إلا بالكلام** . فإن تكلم بالرجعة، قبل أن تحيض الثالثة ، فهى رجعة . وإن لم يتكلم بها حتى تحيض الثالثة فلا رجعة عليها ، ولها عليه مهر مثلها»[1]

## ● هل يقع الطلاق البدعى ؟

واختلف الفقهاء من أهل السُّنة فى وقوع الطلاق البدعى ، **وإن تمسك معظمهم بأنه يقع** . أما الشيعة : **«فذهب الباقر والصادق ... إلى أنه لايقع»** وتمسك الخوارج ـ أيضاً ـ بأنه لايقع . وكذلك اتفق بعض فقهاء المعْتزلة مع الشيعة والخوارج . واتخذ ابن حزم الظاهرى الموقف نفسه .[2]

فالخلاف ليس بين الشيعة وأهل السُّنة ، لأن من فقهاء أهل السُّنة من يقول بقول الشيعة . **ولأن حرمة الأبضاع عظيمة فى شرع الله ، كان القول إن الطلاق البدعي يقع أحوط ، وأشد زجراً للأزواج** . ولكن القول إنه لا يقع يفتح مخرجاً شرعياً لآلاف الأزواج الذين يتورطون فى الطلاق دون حذر وبذلك يدمرون الأسر ويشردون الأولاد . ولذلك يميل الفقهاء المعاصرون إلى القول إن الطلاق لا يقع إلا باستيفاء شروطه الشرعية .[3] أى أنهم وافقوا الشيعة فى مذهبهم .

---

(١) الأم ؛ جـ ٥ ص٢٢٥-٢٢٦

(٢) نيل الأوطار ؛ باب النهى عن الطلاق فى الحيض ؛ جـ٦ ص٢٢١ - ٢٢٤

(٣) الشيخ كمال أحمد عون ؛ المرأة فى الإسلام ؛ص١٢٠

وهذه مسألة خطيرة جداً . فقد يحرِّم المفتى المرأة على زوجها وهى ليست حراماً ! وقد يحلها له وهى ليست حلالاً !! **لأنه لا يعرف على وجه اليقين عدد الطلقات ، ولا ظروف المرأة من حيث الطهر أو عدمه ، ولا يعرف ماذا قال الزوج ، وماذا كانت نيته !!** ولا الزوجان يعرفان ؟

فَلْيتعاون أهل السُّنة والشيعة وغيرهم لعلاج هذه القضية المهمة ويضعوا القواعد الكفيلة بالقضاء على المشكلات العديدة فى مجال الأحوال الشخصية ، ولْيكن ذلك لَبِنَةً فى وحدة الأمة المسلمة ، والله تعالى ولي الصالحين .

## ● عدة المتوفى عنها زوجها

واختلف أهل السُّنة والشيعة فى عدة المتوفَّى عنها زوجها .

ـ مذهب الشيعة أنه يجب إنفاذ الآيتين الحاكمتين فى المسألة . الأولى قوله تعالى ﴿ **وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾ [ الطلاق : ٤ ] والثانية قوله جل جلاله ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** ﴾ [ البقرة : ٢٣٤ ] فيقول الشيعة الإمامية إن على المرأة أن تتربص إلى أبعد الأجلين . فَلَو وضَعْت حملها بعد وفاة زوجها بشهر ـ مثلاً ـ وجب عليها أن تتربص أربعة أشهر وعشراً . ولو انقضت مدة الأربعة أشهر وعشراً دون أن تضع حملها وجب عليها أن تتربص حتى تضع حملها .

وأما أهل السُّنة فيقولون إن من حق المرأة أن تتزوج بمجرد وضع حملها ( وبعد مدة النفاس ) وقبل مرور أربعة أشهر وعشراً . وقد استندوا إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله لامرأة اسمها « سُبَيْعة الأسلمية »نَفَسَتَ بعد وفاة زوجها بليال، بأن تتزوج وقد أخرج هذا الأمر فى الصحيحين ؛ وهو تطبيق للآية الكريمة ﴿ **وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ** ﴾ [ الطلاق : ٤ ] (١)

---

( ١ ) راجع :الأم للشافعى ؛ ح٧ص١٦٠ـوفتح البارى ؛ كتاب الطلاق ؛ رقم ٥٣١٩ ـ جـ ٩ ص٤٦٩ـ وتفسير الطبرى ؛ سورة البقرة ـ الآية رقم ٢٣٤ـ رقم ٥٠٧٠جـ ٥ ص٧٩ـ وتفسير القرطبى للآية ٢٣٤ من البقرة جـ ٢ ص٩٨١ ـ وصحيح مسلم بشرح النووى ؛ جـ١٠ ص١٠٨ حديث خبر سُبَيعة الأسلمية .

وقد يُقال فى المذهب الإمامى المستند إلى أقوال علي بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهما :«إن عدة المتوفى عنها زوجها لُوحظ فيها أمران :**براءة الرحم، وحرمة الزوج المتوفى ورعاية خاطر أهله الأحياء»**[1] **ولُوحظ فى مذهب أهل السُّنة الامتثال لأمر النبى صلى الله عليه وسلم وآله وما يتضمنه من اتساق مع القرآن ، وتقدير ظروف المرأة التى قد تكون بحاجة إلى زوج** .[2]

ولأن حالات النساء متباينة إلى حد بعيد ، **وَجَبَ التزام فقه الحال فى الإفتاء على المذهبين . وعندئذ سيجد المفتى أن الأحرى فى حالة معينة تطبيق المذهب الإمامى ، وفى حالة أخرى المذهب السُّنى** .

**ـ وإذا نظرنا إلى المذهبين من حيث احترام النص وجدنا المذهب السُّنى أكثر التزاماً بالكتاب والسُّنة ، ووجدنا المذهب الإمامى يراعى مصلحة الزوج وأهله** . وهذه النظرة تثبت خطأ النقد القائل إن أهل السُّنة قدموا الرأي على النص، أو خالفوا النص إعمالاً لمصلحة ![3] لكن بعض الشيعة يعتبر مذهب أهل السُّنة بدعة عمر بن الخطاب ![4] غفر الله لهم !

**عدة زوجة المفقود**

والناقد الشيعى يتهم عمر بن الخطاب بأنه شرَّع برأيه فى المسألة ، فى حين يتبع الإمامية مدلول الأخبار الصحيحة .[5]

ـ ومذهب عمر ينص على أن على امرأة المفقود زوجها أن تتربص أربع سنوات ، ثم يحل لها بعدها أن تنكح . وقال الإمام مالك فى«الموطأ»بعد أن أورد حديث عمر فى المسألة :«**وذلك الأمر عندنا**»[6] ومعنى هذه العبارة أن ذلك هو مذهب أهل المدينة . وهُم أتْبع الناس للسُّنة . وعمر كان واحداً من علماء المدينة ، أخذ عنهم وأخذوا عنه ، وطبق الشريعة فى الحياة ، ولم يقف عند الحفظ والتدوين.

---

(١) عبد الرحمن الجزيرى ؛ الفقه على المذاهب الاربعة ؛ ص٥٢٩
(٢) ابن حزم ؛المحلى ؛ رقم١٩٩١-جـ١ص٢٦٣
(٣) عبد الحميد شرف الدين ؛النص والاجتهاد ؛ص٢٤٣
(٤) المجلسى ؛ بحار الأنوار ؛ جـ١٠١ باب٢ ص١
(٥) النص والاجتهاد ؛ص٢٤٥
(٦) كتاب الطلاق ـ باب عدة التى تفقد زوجها ؛ ص٣٥٥

وقد رُوى عن «علي» موقوفاً أن «امرأة المفقود ابتليت ، فَلْتصبر حتى يأتيها يقين موته !» [1]

**وأخذ أبو حنيفة والشافعى** بقول «علي» فذهبا إلى أن المرأة لا تخرج عن الزوجية حتى يصح لها موته أو طلاقه أو رِدته ، ولابد من تيقن ذلك . قالوا : لأن عقدها ثابت بيقين فلا يرتفع إلا بيقين» . ويدل على صحة هذا ما رواه الشافعى عن علي موقوفاً» [2]

ويرجِّح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مذهب عمر ، فيقول : «والصواب فى امرأة المفقود مذهب عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة ، **وهو : أنها تتربص أربع ، ثم تعتد للوفاة ، ويجوز لها أن تتزوج بعد ذلك وهى زوجة الثانى ظاهراً وباطناً .. ثم إذا قدم زوجُها الأول بعد تزوجها خُيِّر بين امرأته وبين مهـرها . ولا فرق بين أن يَقْدم قبل الدخول وبعده»** [3] وعند الشافعى :« تعتد المرأة من يوم يكون الطلاق أو الوفاة» [4]

● **السؤال الآن هو :**

إلى متى تسطيع المرأة أن تصبر ، خصوصاً فى عصرنا هذا ؟

وقد تكون المرأة شابة ، وفى عنفوان الشباب ، ومن حولها الغواية من كل لون ، وتعتصرها الاحتياجات المادية من طعام ومسكن وكساء ، وفواتير شهرية من كل لون ، وقد يكون لها دخل شهرى ، وقد لا يكون . فهل يستطيع المفتى أن يقنعها بالمذهب الإمامى الذى يحكم عليها بالانتظار الذى لا يعلم مداه إلا الله ؟

إن المذهب الإمامى فى حالات عديدة سيضطر إلى تكليف المرأة ما لاتطيق ، وهو ما تأباه الشريعة الغراء التى يحكمها المبدأ القرآنى العام : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

وواضح أن إماما أهل السُّنَّة ـ **أبو حنيفة والشافعىُّ ـ أخذا بقول «علي»**

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى ؛ جـ٧ص٤٤٤
(٢) سُبُل السلام ؛ص٣٤٠
(٣) الفتاوى الكبرى ؛ جـ٤ص٤٢٩
(٤) الأم ؛ جـ٥ ص ١٩٨

رضى الله عنه ، ولم يأخذا بقول عمر ، الذى أخذبه مالك». فليس الخلاف هنا بين الشيعة والسُّنة . وأهم من هذا أن عمر رضى الله عنه لم يقل فى المسألة برأى منفرد ، وإنما أخذ بما كان سائداً فى المدينة ، وهذا عمل مشروع أصولياً فى مسألة ليس فيها نص بحسب مذهب أهل السُّنة ، أما الشيعة فقول «علي» نص يتحتم عليهم العمل به .

● **قسْمة الخُمس من الغنائم**

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ [الأنفال: ٤١]

ويقول القرطبى إن الأئمة اختلفوا فى تفسير هذه الآية الكريمة ، وأرجح الأقوال قول الإمام مالك رحمه الله إن تقسيم الخُمس: «موكول إلى نظر الإمام واجتهاده ، فيأخذ من غير تقدير ، ويعطى منه القرابة - قرابة النبى صلى الله عليه وسلم وآله - باجتهاد ، ويصرف الباقى فى مصالح المسلمين .ومذهب مالك يتفق مع تطبيقات الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم . ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وآله : «مالى مما أفاء الله عليكم إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم»، فإنه لم يقسمه أخماسًا ولا أثلاثًا ، وأنه ذكر فى الآية من ذكر على وجه التنبية عليهم ، لأنهم أهم من يُدفع إليه»(١)

الناقد الشيعى يدعى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حَرَم ذوى قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، كما حَرَمَ أبو بكر السيدة فاطمة الزهراء من ميراثها فى أرض« فدك » ظلماً وجوراً ! (٢)

والحق أن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا حريصين أشد الحرص على أن يعيش قرابة رسول الله عيشاً كريماً ، فكانوا يعطونهم من الخمس كما كان يعطيهم النبى

(١) تفسير القرطبى ؛ سورة الأنفال ؛ الآية ٤١- جـ ٤ ص ٢٨٥٠

(٢) عبد الحسين شرف الدين ؛النص والاجتهاد ؛ ص١٤٤

نفسه ، وما بقى كان يصرف فى مصالح المسلمين بحسب السُّنة النبوية لا بحسب اجتهاد أحد . وقد سار « علي » حين صار أميراً للمؤمنين سيرة الخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه ، وهى نفسها السُّنة التى عمل بها النبى صلى الله عليه وسلم وآله .

وحين فتح الله على المسلمين الفتوحات العظيمة فى عهد عمر بن الخطاب ، وكثرت الغنائم من بلاد الشام ومصر وفارس ، أنشأ عمر الدواوين التى تشرف على الغنائم ، وقرر أن يعطى الناس رواتب ومعاشات ، فاستشار المسلمين وقال : بمن نبدأ ؟ قالوا : بنفسك فابدأ - يوصفه أمير المؤمنين - قال عمر : لا ! إن رسول الله صلى الله عليه وآله إمامنا ، فَبَرهطه نبدأ ، ثم بالأقرب فالأقرب »[1] وكتب عائشة أم المؤمنين فى اثنى عشر ألفاً ، وكتب سائر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وآله فى عشرة آلاف .. وفرض لعلي بن أبى طالب خمسة آلاف ، ولمن شهد بدراً من بنى هاشم، وفرض عمر للحسن والحسين فى خمسة آلاف ، وفرض لمن حضر بدراً من المهاجرين خمسة آلاف ، وفرض لأسامة بن زيد ألفين ، ولعبد الله بن عمر ألفاً وخمسمائة ! (وقال له : لأن أسامة وأباه كانا أحب إلى رسول الله من أبيك!)[2]

فهذه أدلة عملية على حرص عمر رضى الله عنه على قرابة رسول الله وعلى أن يعيشوا فى بحبوحة ورضا ، وأن يتميزوا عن سائر الناس بمن فيهم أمير المؤمنين عمر نفسه !

ويجب أن نتذكر دائماً عند الحديث عن أموال الدولة المسلمة أنها فى عهدى أبى بكر وعمر كانت مشتبكة فى حروب طاحنة ضد الامبراطوريتين الرومانية والفارسية - أعظم قوتين فى العالم في ذلك الزمان - وكان ذلك يضع على كاهل الإمام المسؤول عبئًا باهظاً ، مالياً وإدارياً وعسكرياً .

لقد كان عمر دائماً مثلاً أعْلى فى حُبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وحب آل بيته رضى الله عنهم ، وكان أبعد ما يكون عن ظلمهم كما يدعى المرجفون .

---

(١) ابن سلاَّم ؛ كتاب الأموال ؛ ص٢١١ (٢) نفسه ؛ ص٢١٤

## المبحث الثالث عشر

# حركة التقريب

### ● التقريب فى مصر

يقول مؤرخو حركة التقريب المعاصرة بين أهل السُّنة والشيعة إنها بدأت فى مصر سنة ١٩٤٨م بقيادة شيخ الأزهر عبد المجيد سليم . وتشكلت جماعة التقريب من مجموعة من الشخصيات البارزة فى ذلك الوقت ، وهم :

- الشيخ محمود شلتوت الذى صار شيخاً للأزهر فيما بعد .
- والعلامة محمد تقي الدين القمى ، وقد تقلد منصب الأمين العام للجماعة ، وكان الشيعى الوحيد فى الجماعة .
- والحاج أمين الحسينى ، مفتى فلسطين ، عضواً .
- والأستاذ حسن البنا المرشد العام الأول لجماعة الإخوان المسلمون، عضواً .
- واللوء صالح حرب رئيس جمعية الشُّبان المسلمين ، عضواً .
- ومحمد على علوبة باشا ، عضواً .[1]

وسادت روح الأخوة بين أعضاء الجماعة على الرغم من تباين مذاهبهم فأصدروا مجلة «رسالة الإسلام» التى استمر صدورها ستة عشر عاماً ، ولم تتوقف إلا سنة ١٩٦٤ . **وقد حملت إلي القراء روح التقارب ؛ وكان شعارها قول الله تعالى ﴿ إنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾** [الأنبياء:٩٢]

وعبَّر الشيخ شلتوت عن روح التقريب بفتواه التى أجازت للمسلمين التعبد على مذهب الإمامية الاثنا عشرية كسائر مذاهب أهل السُّنة الأربعة .

---

(١) فهمى هويدى ؛ إيران من الداخل ؛ ص٣٢٨

ـ والمصريون منذ الفتح الإسلامى يتبعون أهل السُّنة والمذهب الشافعى فى الفروع ، ولم يتشيعوا مع الفاطميين . لكن الميل إلى محبة أهل البيت لم يتأثر بتغيير المذاهب ، ربما بحكم موالاة أهل السُّنة لآل البيت وميل الشافعى وأتباعه إليهم ، حتى اتهمه العباسيون بالتشيع . ولا يزال هذا الميل قوياً إلى اليوم ، وإن لم يعد للشيعة عند المصريين وجود ملحوظ .[1] وربما كان هذا الوضع هو ما يفسر انعدام العداء للشيعة ، بل إن كثيراً منهم لا يكادون يعرفون عنهم شيئاً ، وكثير من المصريين لا يعرفون أنهم على مذهب أهل السُّنة ، والسُّنِّى فى لغة العوام هو من يعفى لحيته !

وثمة مظاهر عديدة لا نفتاح المصريين على فقه الإمامية . من ذلك مثلاً أن « مجلة القضاة » ، التى يصدرها نادى القضاة بالقاهرة وضعت كتابى « المختصر النافع » و « الروضة » ـ وهما فى الفقه الشيعى ـ كمرجعين يمكن للقضاة الاعتماد عليهما فى نقد المذاهب الإسلامية الأخرى .[2]

**ومن الجانب الشيعى ظهرت بوادر إيجابية وأصداء مشجعة لحركة التقريب ومجلتها فى مصر** . فهذا السيد كاشف الغطاء يقرر أن المسلم الذى لا يشاطر الشيعة الاعتقاد فى الإمامة ، مسلم مؤمن ، دَمُهُ وماله وعرضه مصون .[3] وفى عام ١٩٦٩م هاجم الدكتور علي شريعتى المفكر الإيرانى التعصب هجوماً عنيفاً ، لأنه يلهى المسلمين عن معركة الإسلام ضد الصهيونية .[4] وكتب الشيخ أبو زهرة كتاباً عن « الإمام الصادق » سادته روح أخوية إيجابية دون مساس بالحقائق . وفى تحليله لبعض النصوص التى اقتبسها عن كتاب أحمد مغنية ( عن الإمام جعفر الصادق ) لاحظ أن فكرة الإمامة السياسية بالوصاية واعتبار الإمام إماماً حاكماً أو خليفة وإن لم يخرج داعياً لنفسه ( وهى الفكرة المركزية فى المذهب كما سبق أن رأينا ) قد بدأت تذهب من تفكير بعض إخواننا ( الشيعة ) إذ ذكروا أن

---

( ١ ) المقريزى ؛ اتعاظ الحنفا ؛ جـ٣ ـ ص٣١٩ـ٣٢٠

( ٢ ) مجلد الأحوال الشخصية ؛ المقدمة للمستشار يحيى الرفاعى ؛ سنة ١٩٨٠

( ٣ ) أصل الشيعة ؛ ص١٢٨ ( ٤ ) فهمى هويدى ؛ السابق ؛ ص٣١٧

الإمامة تحتاج إلى ترشيح ، وإن هذا يدل على أن تلاقى الأفكار قريب إن شاء الله تعالى»[١] ونحن نشاهد الآن كيف تجرى الانتخابات فى إيران على الطريقة الديموقراطية وكيف تتبادل القوى السياسية السلطة ، وقد تداولها عدد من كبار رجال الدولة ، وكيف يُنتخب مجلس الشورى والمجالس البلدية ، مع تحويرات يسيرة تميزها عن النظم الديموقراطية العلمانية .

**ـ وأنشأ الشيعة فى إيران «جمعية التقريب بين المذاهب» منذ أكثر من نصف قرن . ويحرص زعماء إيران اليوم على التقريب والأخوة** ، ووحدة الأمة المسلمة . وقد قال السيد هاشمى رافسنجانى ، الرئيس الأسبق لإيران إن علينا ألا نقصر فى بذل أقصى الجهد للتقليل من دواعى الفرقة وتوسيع دائرة الاتفاق . وعلى العلماء أن يستشعروا حقيقة المخاطر التى تهدد الأمة الإسلامية الآن ، فهذا يفتح العقول على ضرورة معالجة الخلافات فى حجمها الصحيح بلا مبالغة، وحتى نكون تبعاً لذلك قادرين على تشكيل جبهة واحدة ضد أعداء الأمة الإسلامية»[٢] وسار على هذا الخط الفكرى نفسه السيد علي خامنئ المرشد الأعلى للثورة الإسلامية الحالى .

وهؤلاء يرددون أفكار إمامهم الخمينى رحمه الله ، كما سنرى بعد قليل . ومن المؤسف أن تكون استجابة الدول المسلمة سلبية . ومرد ذلك إلى خضوعها للهيمنة الأمريكية . والأمة المسلمة تخسر خسائر فادحة بسبب هذه السلبيةولو أن دولة كمصر مَدَّتْ يدها لإيران لتَغيَّر وجه المنطقة العربية الشاحب الآن ، ودبت فيه الحيوية والقوة والنضارة .

ويرى الدكتور إبراهيم الدسوقى شتا أن المذهب الاثنا عشرى «أقرب المذاهب ـ فى الأصول ـ إلى أهل السُّنة .. وأكثر اعتدالاً وأقل اختلافاً من كثير من المذاهب التى أقيمت لشيوخها احتفالات فى الأزهرالشريف فى السنوات الأخيرة»[٣] وأنا

---

(١) أبوزهرة ؛ الإمام الصادق ؛ فقرة رقم ١٦٥ص٢٠٧
(٢) عادل حسين ؛ إيران الإسلامية ؛ ماذا تعنى ؟ ص١١٩
(٣) انظر كتابه – الثورة الإيرانية ـ الجذور الأيديولوجية ؛ص١٥

لا أستطيع الموافقة على هذا الرأى ، بعد الدراسة المقارنة التى أجريتها ، ودون أن أعرف المذاهب التى يشير إليها الدكتور شتا . ولقد رأينا أن أصل الأصول كلها - القرآن الكريم - هوهو ، حرفاً حرفاً عند السُّنة والشيعة ، لكن التعسف فى التفسير عند الشيعة يبدد الوحدة التى يضمنها القرآن بين المذهبين . يضاف إلى ذلك أن الشيعة يعتبرون أقوال أئمتهم سُنة مثل سُنة النبى ﷺ ، وبذلك اتسع الخلاف فى الموقف من الأصل الثانى للشريعة . ولهذا اقترحْت وضع ضوابط لتنقية السُّنة من الأكدار والزيف ، بالاتفاق على معايير للصحة ، وعندنا تراث باذخ فى علوم الحديث يمكن الاعتماد عليه .

ولعل كتاب «كلنا أخوة شيعة وسنة» للدكتور عبد الودود شلبى صدى لآثار مجلة «رسالة الإسلام» التى أصدرتها جماعة التقريب الأولى فى مصر . رأى شلبى أن التراث الإسلامى عامر بالأدلة التى تؤكد الأخوة الإسلامية ، بعد أن أشاح بوجهه عن الغلاة ، وتناسى الصدامات التاريخية . وبصفة عامة اصطبغ كتابه بالعاطفية ، ولم يتعمق المذهبين فى العقائد والأصول والفقه ، كما فعلت أنا فى دراستى هذه . (١)

وركز الأستاذ عبد الملك الشافعى دراسته على نفى البغضاء بين الصحابة وبين العترة الطاهرة ، رضى الله عنهم جميعاً . ومن الإنصاف أن نقول إن هذا النفى صحيح إلى حد كبير ، لكنه لا يمكن تعميمه ؛ ومع ذلك هو إسهام إيجابى فى دفع التقريب بين السُّنَّة والشيعة . (٢)

**- وبصفة عامة ، لا يزال المجال خالياً من الدراسات العلمية المقارنة التى تمد أدوات التحليل إلى جوانب العقيدة والفقه وأصوله ، وإلى مواضع الخلاف والصدام ، وهذا هو ما حاولت عمله فى دراستى هذه المتواضعة . ولاريب أن فى هذه الدراسة قصور وأخطاء ، ولعل الله يوفق لإصلاحها .**

---

(١) نشرت كتابه : الدار المصرية اللبنانية ؛ ط ١ سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

(٢) انظر كتابه : «نفى البغضاء بين الصحابة» - رضى الله عنهم - والعترة الطاهرة ؛ دار المصطفى بالقاهرة ؛ ط ١ سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

## ● الإمام الخمينى رائد التقريب

يرجع المؤرخون حركة التقريب إلى الملك نادر شاه (الذى توفى سنة ١٧٤٧م) والذى سعى حثيثاً لعقد صلح مع الأتراك السُّنة ، وَوَضَعَ مشروعاً لتنقية الأجواء بين الشيعة والسُّنَّة ، لكن المنية عاجلته ، فلم ينفذ مشروعه ، ولم يتبنَّاه أحد من بعده .

ـ وانتظرت الأمة المسلمة إلى **أن جاء جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، لكى تسمع من جديد نداءات تذكرها بالوحدة الإسلامية** . وبعد حوالى نصف قرن ظهرت جماعة التقريب بالقاهرة سنة ١٩٤٧م ، واستقطبت أسماء كبيرة من العلماء السُّنة والشيعة .

لكن الثورة الإسلامية فى إيران بقيادة الإمام الخمينى ، زودت حركة التقريب بوقود جديد ، وروح جديدة ، وظهر ذلك فى توكيده المتواصل على وحدة العالم الإسلامى . وجاء خلفه السيد علي الخامنئى ليمضى فى المشروع بنشاط واقتناع حتى أسس «المجمع العلمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية» فهذه دولة غنية كبيرة ترعى التقريب وليس مجرد جماعة من العلماء .

قال الخمينى رحمه الله «برنامجنا هو الإسلام ، ووحدة كلمة المسلمين ، والاتحاد مع الدول الإسلامية ضد الصهيونية وضد إسرائيل وضد الدول الاستعمارية ، وضد أولئك الذين يسلبون كنوز هذه الأمة الفقيرة بالمجان»[1] وقال أيضاً : **«إننى أَمُدُّ يَدَ الأخوة إلى كل الشعوب الإسلامية فى الشرق والغرب وأشد على أيديها»[2]**

لكنه للأسف الشديد لم يلق الاستجابة من الساسة الذين يرتبطون بأمريكا المعادية للخمينى وثورته الإسلامية ، بل حرضوا العراق على الهجوم على إيران لإسقاط ثورتها وإعادة الشاه إلى الحكم ! وتبرعت الدول العربية بالمال الوفير والسلاح الكثير للعراق بأوامر من أمريكا بطبيعة الحال وقال كاتب مصرى إن صدام حسين يقف حارساً على البوابة الشرقية للعالم العربى ضد الزحف المجوسى !!

---

(١) د.إبراهيم دسوقى شتا ؛ الثورة الإسلامية ؛ ص١٦٣ (٢) نفسه ؛ ص ١٦٨

وفشلت الحرب ، وبقيت الثورة ، وأعلن صدام حسين العودة إلى الحدود الدولية صاغراً .

وفى تلك الأجواء كانت الدعوة إلى التقريب شبه مجمدة ، وساد العداء بين العرب وإيران حتى صارت الخمينية تهمة شنيعة تلصق بكل من ينادى بالتقارب مع إيران وتجلب له المتاعب . وكانت جريمة الخمينى الحقيقة أنه أثبت إمكان إقامة دولة إسلامية معاصرة ، وهو ما كانت الدوائر العلمانية تؤكد استحالته .

**ـ وفى اعتقادى أن الخمينى أدرك أن إيران الإسلامية لابد أن يكون لها ظهير يُعتمد عليه لتستطيع البقاء والصمود فى مواجهة أمريكا ، فكانت الوحدة الإسلامية ، كما جاء فى كلامه ، ضرورة حياتية وسياسية قبل أن تكون واجباً دينياً .**

وإذا لم يستطيع الخمينى أن ينجز الكثير ، إلا أنه وضع دستور الوحدة الإسلامية ، بحيث لا يستطع أحد أن يتجاوزه ، ولا يحق لتلاميذه أن يتخلوا عنه .

ففى عهد خلفه آية الله الإمام الخامنئى نشط العمل فى مجالات التقريب ، وتجسد فى «**المجمع العلمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية**» الذى أنشئ بقرار من السيد الخامنئى ، وتم تكوين مجلسه الأعلى من واحد وعشرين شخصية عالمية من أربعة عشر بلداً ليس **من بينها مصر والسعودية ، ومعظم الأعضاء إيرانيين ولبنانيين** . ويعقد «المجمع» كل عام : المؤتمر العالمى للوحدة الإسلامية ، لخدمة حركة التقريب ، كما يمارس أنشطة أخرى للغاية نفسها .

لكن يجب ألا ننسى أن السياسات تلعب دوراً سلبياً خطيراً يحبط جهود العاملين للتقريب . وقد أشرت إلى سياسات الدول العربية المرتبطة بأمريكا وأثرها . **وأذكّر هنا بسياسة إيران التى ساعدت أمريكا على قهر طالبان . وكانت صور الضباط الإيرانيين مع الامريكيين وضباط من ميلشيات الطاجيك تُنشر على العالمين** ، ولم ينتبه الساسة الإيرانيون إلى الأثر السلبى المدمر لسياستهم تلك على سمعة الثورة الإيرانية وصورتها ، وعلى إثارة الغضب فى قلوب أهل السُّنة . **وما معنى التقريب وإيران تساعد أمريكا لتدمير أفغانستان ؟!** وكذلك كان موقف إيران سلبياً وملتبساً من غزو أمريكا للعراق ، وقد قضى على حصة كبيرة من الاحترام والحب الذى يكنه أهل السُّنة للثورة الإسلامية .

**لقد وقعت إيران فريسة للضغائن الطائفية الموروثة ولم تستطع أن ترتفع فوقها .**

● **أدوات التقريب**

وقد اتخذت حركة التقريب أدوات محددة منذ نشأتها ، فكانت مجلة « رسالة الإسلام » أداة أساسية لنشر فكر التقريب . والمجلة فى جوهرها مقالات وأبحاث . ومن الطبيعى أن يكون أعضاء جماعة التقريب قد نظموا لقاءات دورية للحوار حول قضيتهم ، وحول ما يطرحه الأعضاء من افكار وما ينشر فى المجلة من مواد . هكذا كانت أدواتهم .

وقد تطورت أدوات الحوار كثيراً بعد أن تبنَّت قضية التقريب الدولة فى إيران الإسلامية ، **فَعُقدت نَدْوات ومؤتمرات دولية للبحث فى قضايا التقريب** . ومن المفيد أن ننظر فى هذه الأدوات ، ونقوِّم إسهامها ، ونصحح مساراتها ، وقد نقترح وسائل جديدة .

**وأبدأ بالمحاولات الشخصية** التى نُشرت فى كتب ، **فأقول** : إن الحوار منهج فَعَّال جداً فى تحقيق التقريب ، **أو فى « الكشف عن القرب »** كما أسميه ، غير أن بعض ما سُمِّى حواراً ونُشر فى كتب ، لم يكن حواراً حقيقياً ، بل عَرْض لوجهة نظر طرف واحد ، وقد حاور نفسه ، ومثل الطرفين معاً !

إن هذا هو ما حدث فى « الحوار » بين السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوى والشيخ سليم البشرى ، الذى نشر فى كتاب بعنوان : « الاجتهاد فى مقابل النص » . جرى « الحوار » سنة ١٩٢٠م ، ونشر الكتاب مرات عديدة ، آخرها طبعة سنة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م . **ومحتوى الكتاب عبارة عن نقد لاذع لأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، أساسه أنهما انتهكا الكتاب والسُّنة باجتهاداتهما وآرائهما الخاطئة !**

● **وهذا ما أثبت زيفه !**

ـ وذكرنى ذلك « الحوار » بالمحاورات الأفلاطونية التى ألفها أفلاطون لعرض فلسفة أستاذه سقراط ، ووضعها فى شكل محاورات لكى يبث فيها الحيوية ، ويضمن لها القبول . والمتحدث دائماً هو سقراط ، وأما الطرف الآخر فليس عنده شىء ليقوله سوى عبارات من قبيل : وكيف ذلك ياسقراط ؟ وهل يجيز العقل

ذلك؟ ولماذا إذن ؟ هكذا كان دور شيخ الأزهر الشيخ سليم البشرى ، وكان دور سقراط للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوى ! فيعرض الشيخ البشرى مذهب أهل السُّنة فى مسألة ما فى صفحتين أو ثلاث صفحات ، فيرد عليه الموسوى بثلاثين صفحة ، يحشد فيها كل ما يلقاه من نصوص فى التراث الشيعى ، **فى حملة شعواء مريرة وعدوانية على الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .**

وقد عالجت عدداً من المشكلات التى أثارها فى فصول دراستى هذه ، فى الإمامة والأصول ، والخلافات الفقهية . **وثبت لى صحة الموقف السُّنى ، وسلامة مواقف الشيخين العظيمين أبى بكر وعمر ، وتبين لى أن الموسوى مغرق فى الغلو والتحامل ، و«حواره» الزائف يدفع عجلة التقريب إلى الوراء .** وقد عُنِيَتَ جهات معادية للتقريب بنشر كتابه مرة باسم «النص والاجتهاد» ، ومرة باسم «المراجعات» وكررت الطبعات ، وفخَّمت إخراجه لإثبات أن أبا بكر وعمر تمردا على الكتاب والسنة باسم الاجتهاد ، وأن الشيعة هم الذين تمسكوا بهما وبتراث آل البيت !

وتلك أكذوبة كبرى لا يمكن أن يقبلها سوى عقول الغلاة الذين يعششون فى بيروت ويرتزقون من إعادة نشر مثل هذه الترهات .

وفى التقديم لهذا الكتاب الساقط قال محمد تقى الحكيم :« إن الجدل والصراع فى سبيل الحق ، متى ابتعدا عن التهريج واستغلال الرأى العام بالأساليب الخطابية ، واقتربا فى مناهجهما من المناهج العلمية المحدثة ، كانا من أفضل عوامل التقريب »[١] ومن المؤكد أن تكرار نشر ذلك الكتاب الردئ له صلة بالأجواء المحتقنة فى بيروت بين الشيعة والسُّنة، ويراد منه أن يسهم فى إشعال الاحتقان ناراً .

ولو كان «الحوار» جرى فعلا بالصورة المنشورة لكان من الضرورى أن يتحول الشيخ البشرى إلى المذهب الإمامى . لكن ذلك لم يحدث ، ببساطة ، لأن ما جرى من حوار شىء آخر غير الهراء الذى نشر !

وإننى أشعر أن من واجبى أن أضع الصورة الكاملة لعلماء الشيعة أمام القارئ، **وهى صورة مخالفة لصور ذلك المزور الكذوب الذى يناطح أرسخ الحقائق الإسلامية .**

---

(١) النص والاجتهاد ؛ ص ٧٠

ولقد أكد علي شريعتي : « أن الخلاف بين الشيعة والسُّنة هو خلاف بين مجتهدين من دين واحد ، يستنبطون حكماً من مرجع واحد » . (١) وهذه حقيقة أكدتها دراستي هذه ، لكن التفسير المتعسف لآيات القرآن الكريم يُعَكِّر عليها !

ويثني كاشف الغطاء على أبي بكر وعمر وسائر الصحابة الذين لم يشايعوا علي بن أبي طالب . وقال: « **إن الشيخين بذلا أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ، ولم يستأثروا ولم يستبدوا ، وبايعهما علي وسالمهما ، وأغْضَى عما يراه حقاً له** »(٢)

● **المؤتمرات**

وعُقدت مؤتمرات دولية عديدة للبحث في قضايا التقريب ، منها ندوة التقريب العالمية في مكة المكرمة ولعامين متتاليين ( ١٤١١-١٤١٢هـ )؛ والمؤتمر العالمي الخامس للوحدة الإسلامية الذي عقد في ١٣/٩/١٩٩٢ .. وعقد المؤتمر الإسلامي الدولي في عمان سنة ٢٠٠٥م في شهر يوليو ، وصدر عنه بيان أكد أن : « **كل من يتبع المذاهب الثمانية ،الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والجعفري والزيدي والإباضي والظاهري ، هو مسلم لا يجوز تكفيره ويحرم دمه وعرضه وماله ، كما لا يجوز تكفير أصحاب العقيدة الأشعرية ومن يمارس التصوف الحقيقي وأصحاب الفكر السلفي الصحيح ، أو أي فئة أخرى من المسلمين تؤمن بالله سبحانه وتعالى ولا تنكر معلوماً من الدين بالضرورة** » ووقع البيان علماء من الشيعة وأهل السُّنة ومن أتباع المذاهب المختلفة من بلاد عديدة .

ولا ريب أن هذه نتائج طيبة ، مفيدة للتقريب . لكن ضمان الاستفادة من المؤتمرات والندوات يتطلب الإعداد لها قبل عقدها بسنة على الأقل لكي يتيسر لمن يشارك فيها تقديم بحوث علمية رصينة ، ولا يُدْعَى إليها إلاّ من يُعدُّ بحثا علمياً ، تقدره اللجنة العلمية المكلفة بتنظيم المؤتمر . وإنني أخشى أن يسيطر الرسميون على هذه المؤتمرات ، ويحيلوها إلى لقاءات للمجاملة . وقد شهدْتُ مؤتمرات من النوعين ، واعتذرت عن كل دعوة لندوة أو مؤتمر للمجاملة .

● **الأدوات الفنية**

**ويلاحظ أن الفنون ، وخاصة المسرح والسينما والتليفزيون ، ظلت غائبة**

---

( ١ ) فهمي هويدي ؛ السابق ؛ ص٣١٩

( ٢ ) أصل الشيعة ؛ ص١١٥

**عن ميادين العمل من أجل التقريب ، ومن حقل الدعوة الإسلامية عامة .** وفى حسبانى أن علينا أن نلتمس هذه الوسائل بأسرع ما يمكن ، لأن الغالبية العظمى من الناس تفضل مشاهدة الفنون على القراءة . ثم إن الندوات والمؤتمرات لا يؤمها إلا النخبة وقليل من المهتمين بالشأن الإسلامى العام .

**ـ لذلك أقترح أن تنشىء إيران بالذات ـ الدولة المهتمة بالتقريب ـ هيئة فنيه للإنتاج السينمائى والتلفزيونى للدعوة إلى الإسلام عامة وإلى التقريب بين الشيعة والسُنة ، وإلى الوحدة الإسلامية .** ولا بأس أن تنشئ أي دولة أخرى هيئة مماثلة تتعاون مع غيرها ، وتتنافس معها فى الإتقان والإحسان .

ومن المؤسف أن ألاحظ عزوفاً لا مسوغ له عن التماس الفنون الحديثة للدعوة الإسلامية عامة ، وللتقريب ، ولقضايا الأمة المسلمة ، فى حين يعتمد أعداؤنا عليها اعتماداً كبيراً ، وقد نجحوا فى إذاعة فكرهم المادى ، وتوجهاتهم المعادية لديننا وأمتنا ، وأخلاقياتهم الأنانية والإباحية عَبْر عشرات الأفلام السينمائية والتليفزيونية ، ونحن نشتريها بأموالنا ونعرضها على أولادنا فى غباء وبلاهة لا نحسد عليها . فمتى نضع حداً لهذه المأساة ؟ ومن ذا الذى يقتحم ذلك المجال الفنى رافعاً رايات الإسلام والوحدة الإسلامية والأخوة الإسلامية ؟

### ● أسس التقريب

لم يكن من الممكن القيام بأى جهد فى سبيل التقريب بدون أسس شرعية يستند إليها . والقرآن الكريم هو الأساس الأول والأكبر للتقريب . وقد كان شعار التقريب دائماً هو قوله تعالى ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء:٩٢]

وكان الإمام الخمينى رحمه الله هو الرائد لبعث حركة التقريب فى إيران . ولم يكن أحد قبله يجرؤ على الترضِّى على الخلفاء . ففى حديثه عن الحكومة الإسلامية قال إنها تحكم بالشريعة التى جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم وآله، **وسائر الخلفاء رضوان الله عليهم»**(١) **فهذا تطور كبير جداً فى موقف الإمامية من الخلفاء رضى الله عنهم .**

---

(١) د.إبراهيم دسوقى شتا ؛السابق ؛ ص١٦٦

ـ كان الخميني مجتهداً ، جريئاً في المذهب الإمامي الذى يكن للخلفاء عَدَاءً مريراً . [١] وقد فتح الباب على مصراعيه للمجتهدين . **فكتب الدكتور محمد خاتمي ، الرئيس السابق للجمهورية ، يقول إن المذهب ، أيا كان ، ليس هو الإسلام في ذاته . ولذلك تباينت المذاهب ضمن الدين الواحد .** [٢] **وهذه الحقيقة الكبرى تمثل الأساس لمشروعية المذاهب الإسلامية كلها** . ويقول خاتمي إن أصعب المشكلات التى واجهت الثورة هى أن :« الكثير من المتدينين ينقلون القداسة والإطلاق والسمو ، التى هى صفات جوهر الدين وحقيقته ، إلى تصوراتهم النسبية المحدودة وإلى فهمهم للدين» [٣] **وهذه الآراء ضربة قاصمة للتعصُّب المذهبي الضيق.**

ـ ويذكر خاتمي أن الإمام الخميني هاجم المتاجرين المتظاهرين بالقداسة ، وقال الخميني :« إنه في الحوزات العلمية مَنْ ينشط ضد الثورة وضد الإسلام المحمدى الأصيل» [٤] فلم يذكر المذهب ، ولا قال دين آل البيت أو الإسلام العَلوى أو الشيعى . **وهذه ثورة في المذهب الاثنا عشرى** ، ولذلك قاومته الحوزات العلمية مقاومة شرسة .

**ـ ومن اجتهادات الخميني الثورية فتواه بصحة صلاة الشيعي خلف إمام سُنّى سنة ١٩٧٩م** . وعلى أساس هذه الفتوى كان العلماء السُّنة والعلماء الشيعة يتناوبون إمامة الصلاة طوال أيام انعقاد « مؤتمر أئمة الجمعة والجماعة » الذى عقد بطهران في الفترة من ٦ إلى ١٤ أبريل سنة ١٩٨٤م . وكانت قضية الوحدة الإسلامية هى محور البحوث والمناقشات . وقد طرحها السيد علي خامنئي الذى كان رئيساً للجمهورية ، والذى أصبح المرشد الأعلى للثورة الإسلامية بعد وفاة الخميني ، وقال خامنئي :« إن الوحدة الإسلامية واجب دينى بالإضافة إلى أنها حركة سياسية » . وقال :« إن الخلافات المذهبية لا تَحُول دون تلك الوحدة» [٥] .

**ـ وكان عليه أن يقول إن الوحدة الإسلامية هي السبيل الوحيد لإبقاء الأمة المسلمة على قيد الحياة** . وهى بالنسبة لإيران أهم منها إلى غيرها من الدول، لأن إيران ليس لها ظهير عرقى ، فارسى ، مثلما هى الحال بالنسبة للدول العربية .

---

( ١ ) راجع الباب الأول من هذه الدراسة .
( ٢ ) انظر كتابه : « الدين والدولة » ؛ الترجمة العربية ؛ ص١٧ ( ٣ ) نفسه ؛ ص ٢٢
( ٤ ) الدين والدولة ؛ الترجمة العربية ؛ ص٦٨
( ٥ ) فهمى هويدى ؛ السابق ؛ ص ٣٣٨

ولولا اجتهادات الخمينى الثورية لما جاءت هذه التطورات الإيجابية .

وفى بيروت قامت المظاهرة الكبرى فى ديسمبر سنة ٢٠٠٦م . ويوم الجمعة ٨/١٢/٢٠٠٦م صلّت الجماهير الشيعية خلف إمام سُنّى هو الأستاذ فتحى يكن الأمين العام لجماعة «الإخوان المسلمون» فى لبنان . وفى أثناء العدوان الإسرائيلى على لبنان (ابتداءً من ١٢/٧/٢٠٠٦م) وقف الإخوان المسلمون فى جميع أنحاء العالم مع حزب الله الشيعى اللبنانى .

ولكن أهل السُّنة الإيرانيين للأسف محرومون من شغل كثير من الوظائف القيادية . وهم حوالى ٧ ملايين نسمة ، مع أن خاتمى يرى أن من حقهم ذلك ، باستثناء منصب قائد الثورة ورئيس الجمهورية . فهل تَمَّ إنصافهم الآن ؟

## ● انعكاسات الروح الجديدة فى التعليم

وقد قدم الأستاذ فهمى هويدى صورة مدهشة لانعكاس الروح الخمينية الجديدة فى التعليم فقال : «إنه بالمعايير الموضوعية الخالصة فإن أحداً لا يستطيع أن يجادل فى أن مناهج الدراسة (فى المدارس الإيرانية - ابتدائية وإعدادية وثانوية) **تعكس مؤشرات إيجابية عديدة فى صياغة العلاقة مع أهل السُّنة ، فضلاً عن أنها تُعَدُّ خطوة كبيرة إلى الإمام لا يمكن تجاهلها أو الإقلال من شأنها**»[1] ومن المسَلّم به أن هذا كله ثمرة للمبادئ التى أرساها الخمينى ومن بعده خلفه الخامنئى .

ففى كتاب الثقافة الإسلامية للسنة الثالثة الابتدائية قالوا إن الرسول صلى الله عليه وسلم وآله هو **الذى أطلق على أبى بكر لقب الصديق ؛ وقد كان أعظم الصحابة ، وتولى الخلافة بعد النبى صلى الله عليه** وسلم وآله .[2]

وهذا الكلام ينسخ مزاعم الغلاة فى حق الصّديق ويؤكد مشروعية خلافته لملايين الأطفال من أبناء الشيعة ، مما يبشر بأجيال جديدة من الشيعة المحبّين لأهل السُّنة والمؤمنين بالتقريب والأخوة الإسلامية .

وفى كتاب السنة الرابعة الابتدائية قالوا **إن الخلفاء الذين جاءوا بعد الرسول خمسة** ، وهم : **أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن بن علي وقالوا عن الفاروق عمر بن الخطاب إنه ثانى الخلفاء . وكان رجل الدولة والسياسة**

---

(١) إيران من الداخل ؛ص٣٥١ (٢) نفسه ؛ ص٣٤١

**والفتوح . و«الفاروق» هو الذى يفرق بين الحق والباطل** ؛ وقد أطلق عليه المسلمون هذا اللقب لعدالته . (١)

وفى ذلك الكتاب نفسه عَرَّفوا «السُّنّى» بانه الشخص الذى يتبع تعاليم الرسول وطريقته فى الحياة ، ويفعل ما كان يفعله الصحابة وآل البيت . والسُّنة أصدقاء لأهل بيت الرسول وصحابته»

ومن الجلى أن **هذه رؤية جديدة لأهل السُّنة تخالف ما كُتب عنها فى التراث الشيعى . وهى رؤية صحيحة بمعايير أئمة الشيعة الكبار ، التى سبق أن عَرضْت لها عبر فصول هذه الدراسة** . وهى تزيل التناقض بين أقوال أئمة الشيعة وبين تراث القرون الذى انفلت منها وأنشأ مذاهب غالية بدرجات متباينة من الانحراف والعداء لأهل السنة .

**ومن الواضح أن هذه المناهج أهم لقضية التقريب من كل الأدوات الأخرى، لأن هذه المبادئ تغرس فى عقول الملايين من التلاميذ على امتداد الأعوام الدراسية ، ثم تجرى امتحانات واختبارات تحتم عليهم أن يدرسوها بكل جدية .**

وكم أتمنى أن نقدّم لأولادنا الصغار فكرة صحيحة من خلال المناهج المدرسية عن الشيعة وعن الفرق الإسلامية . **ومن العار أن يجهل امرؤ أنه سُنّى ! وأما الشيعة فلا يكاد يعرف عنهم شيئاً** ، وأشيع ما يعرفه المصريون عن الشيعة أنهم الذين يعتقدون أن جبريل عليه السلام أخطأ ونزل بالرسالة على محمد ، فى حين أنها كانت لـ«عليّ» ! **نريد أن نعدل بعض المناهج الدراسية فى مصر وفى الدول السُّنية لوضع الحقائق أمام أعين الطلاب بما يخدم الحقيقة أولاً وقبل كل شيء وبما يخدم قضايا التقريب والوحدة ثانياً** . لكن هذا أمل بعيد المنال طالما كانت المناهج بأيدى العلمانيين الذين يتاجرون بإظهار العداء للإسلام عامة ولإيران خاصة، وطالما سيطرت على مقاليد الحكم نظم علمانية ترتبط بأمريكا التى تَعْتبر الإسلام إرهاباً، وتعتبر إيران الشيعية أهم دولة فى محور الشر ! **وهكذا سوف يظل العمل من أجل التقريب ينشط من طرف واحد هو الطرف الإيرانى ، ويظل الطرف السُّنى مكبلاً بأغلال السياسة وقيودها الثقال !**

---

(١) نفسه ؛ ص٣٤٣

ويعْرضُ الكتابُ المدرسي سالف الذكر عقيدة الشيعة الاثنا عشرية ثم يعرض عقيدة أهل السُّنة فيقول :« هناك فريق آخر من المسلمين يسمُّون السُّنة، وهم يعرفون الإمام عليّاً بأنه الخليفة الرابع ، ويحبونه . وكل المسلمين - سُنة وشيعة - يعبدون الله تعالى ويؤمنون برسوله ، ويؤمنون بالقرآن ككتاب سماوى ، ويعارضون الشرك وعبدة الأصنام ويعتبرون ذلك كفراً . وهم يتبعون أحكام الإسلام وتعاليمه، ويعرف بعضهم بعضاً كأخوة لهم عقيدة واحدة . وهم محبون بعضهم لبعض ، ويحاربون أعداء الإسلام »

**- وهذا التعريف فيه حقائق ، وفيه تمنيات ينبغى أن تتحقق . فأهل السنة اليوم يتبعون أحكام الإسلام جزئيًا فقط للأسف !** وقد تراخت رابطة الأخوة الإسلامية بين المسلمين عامة ، وجرت محاولات عديدة لإحلال الكراهية محلها ، حتى اندلعت الحروب بين مصر وليبيا وبين العراق وإيران ، والعراق والكويت ، والمغرب والجزائر ، وسوريا والأردن ، وليبيا وتشاد ، والسودان وتشاد ، وباكستان وبنجلادش . ولم تعد وحدة العقيدة سائدة .

## ● القسمة الحالية للأمة المسلمة

وقبل قيام الثورة الإيرانية سنة١٩٧٩ كانت الانقسامات المذهبية الموروثة ( سُنة وشيعة وخوارج ومعتزلة ومرجئة ) قد توارت ، ولم يعد يذكرها إلا الدارسون فى أقسام الدراسات الجامعية المختصة ، وربما إلى حدما فى البلاد التى يعيش فيها السُّنَّة والشيعة معاً ، بحكم الامتزاج الاجتماعى والتعامل اليومى . وبعد الغزو الأمريكى للعراق ، تجدد الحديث عن الشيعة والسُّنة ، ثم أصبح الصدام بينهما الشغل الشاغل للرأى العام والإسلامى .

ولكن وراء هذا الوضع الجديد **انقساماً آخر حقيقياً** ، **وخطيراً** ، **يضرب العالم الإسلامى طولاً وعرضاً** ، **سُنة وشيعة ، وهو الذى يشطر الشعوب المسلمة إلى معسكرين متضادين ، متناحرين ، وربما تطور إلى حروب أهلية بين المعسكرين .**

المعسكر الأول يؤمن أن الإسلام كيان واحد ، عضوى ، يجب أن يؤخذ كله، ويُعمل به كله ، دون انتقاء أو اجتزاء . لأن نَبْذَ حرف واحد من القرآن معناه نبذ القرآن كله ، ومن ثم الخروج من الملة .

والمعسكر الآخر يرى أن التطورات التى شهدتها المجتمعات المسلمة لم تعد

تسمح بتطبيق الإسلام كاملاً ، **وأنه يتحتم انتقاء التعاليم التى تتفق مع الحضارة العالمية الحديثة ، وترك ما يتجافى معها ، مثل حد الزنا وحد السرقة والعقوبة على الإلحاد ، ومنع المرأة من التصرف فى جسدها ، واعتناق الشيوعية والمادية وشرب الخمر ولعب الميسر ، وحرية اختلاط الجنسين .. إلخ** . وهذا الفريق نجح فى القبض على مقاليد الحكم فى معظم البلاد السُنية ، وهو يقتبس الأفكار والنظم والقوانين العلمانية من الشرق والغرب ، ويحلها محل نظائرها الإسلامية . **ومع مرور الزمن صارت هذه البلاد شبه أوروبية ، أو هى خليط من النظم الإسلامية والنظم المادية ، أو «هجين»** اجتماعى وسياسى وثقافى .

وكانت إيران فى عهد الشاه مثل البلاد السنية منقسمة إلى علمانيين وإسلاميين ، وكانت القسمة القديمة ( سنة شيعة ) متوارية تحت ضجيج الانقسام الجديد . وبعد الثورة احتد الصدام بين الإسلاميين بقيادة الإمام الخمينى وبين فلول العلمانيين الذين كانوا يروجون للإسلام المنقوص أو المبتور ، الذى أسماه الخمينى **« الإسلام الأمريكانى »** فى مواجهة **« الإسلام المحمدى »** الذى تبنته الثورة، وهو الإسلام الذى لا يردُّ حرفاً من كتاب الله أو من سُنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآله .[1] وكان من الطبيعى للثورة الإيرانية أن تسعى لإخماد القسمة القديمة ( سُنة شيعة ) ، للتفرغ لمواجهة العلمانيين ، فضلاً عن العلماء التقليديين فى الحوزات العلمية . وكان أعداء الثورة يسعون إلى إزكاء الصراع الشيعى السُّنى ، لمحاصرة الثورة فى الداخل وإشغالها بسبعة ملايين مسلم إيرانى ، وإبعاد أصدائها الثورية عن العالم السُّنى وآفاقه .

وقد شَهِدَتْ ندوات ومؤتمرات عديدة فى عدد من البلاد السُّنية ، غايتها الوحيدة تكفير الخمينى وتكفير الشيعة الذين يحرفون القرآن الكريم !

ويلاحظ أن الخمينى استخدم مصطلح الإسلام المحمدى ، لا العَلَوى ، ولا الشيعى ولا الإمامى ، **فكانت دعوته :«تتضمن تجاوز الخلاف الموروث بين الشيعة والسُّنة ، لكى يصبح الخلاف بين المسلمين المسايرين للمستكبرين** ( أى العلمانيون الاجتزائيون ) فى سياساتهم وأنماط حياتهم ( أيا كانت مذاهبهم ) وبين المسلمين المجاهدين ( أيا كانت مذاهبهم أيضاً ) . [2] وفى إيجاز شديد : **بين الإسلاميين والعلمانيين** .

---

( ١ ) عادل حسين ؛ إيران الدولة الإسلامية .. ماذا تعنى ؟ ص ١٦٣
( ٢ ) الموضع نفسه .

وفى الصدام الشامل والدائم بين المعسكرين أنفقت أموال باهظة ، وجهود جبارة ، وأزمنة متطاولة ، وسالت الدماء أحياناً ، واكتظت السجون والمعتقلات بآلاف مؤلفة من الشباب البرئ ، دون محاكمة . وكان ذلك سبباً أساسياً فى تخلف البلاد المسلمة وسقوطها فريسة للديون ، والتبعية للغرب تبعاً لذلك .

ولم يكن بوسع الحكام العلمانيين اتخاذ النظام الديموقراطى ، لأن أية انتخابات حرة كفيلة بالإتيان بالإسلاميين إلى الحكم ، فسادت البلاد السُّنية نظم فردية واستبدادية ، مما شَلَّ قواها فى كل المجالات ، وبدد ثرواتها على قوى الأمن .

ومن البدهى فى ضوء هذه الحقائق أن يتناسى الإسلاميون سُنةً وشيعة خلافاتهم المذهبية ، ويتحدوا فى مواجهة العلمانيين والاستعماريين ، لكن هؤلاء الأخيرين ، تحقيقاً لمصالحهم ، سعوا لإشعال الخلاف المذهبى ، لشق الصَّف الإسلامى . **وقد وجدوا لدى الغلاة كل ما يحتاجونه من أقوال ومأثورات ، لتحريك الجماهير المسلمة الغافلة ضد الغايات الإسلامية الوحدوية** . فرأينا المجازر الدموية المحزنة تجرى يومياً فى شوارع بغداد والمدن العراقية . وبعد أن اشتعلت المعارك أصبح إطفاؤها عسيراً . والمسلم لا يقتل المسلم إلا إذا اعتقد أنه كافر . فأساس تلك المعارك هو التكفير المتبادل ، وتلك لعبة الغلاة من الطرفين !

وحين هاجمت إسرائيل حزب الله الشيعى اللبنانى فى ١٢/٧/٢٠٠٦م وقف الإسلاميون وراءه وأيدوه بكل ما يملكون ، ووقف العلمانيون مع إسرائيل وأيدوها ! وحاول بعض الشيوخ هز الوحدة الرائعة التى وقفها الإسلاميون ، باللجوء إلى تراث الغلاة ، لكنهم أخفقوا وأدينوا **وكان من المنطقى أن يتحد الإسلاميون السُّنة والشيعة فى العراق ، ضد العلمانيين المؤيدين للمحتلين الأمريكيين ، لكنهم انقادوا للغلاة من الجانبين بتحريض من المحتلين وتشجيع من العلمانيين ، فحلَّت الكارثة بهم !**

ولله الأمر من قبل ومن بعد ؛

**انتهى الكتاب والحمد لله**

# توصيات

● خلال الدراسة أوصيت باتخاذ خطوات وإجراءات لخدمة قضية التقريب . وها هنا ألخص بعضها :

**١ - المواقف السياسية تؤثر فى تقريب الجماهير المسلمة ، وقد تباعد بينها** . فعلى رعاة التقريب أن يتصلوا بالسياسيين ويطالبوهم بمراعاة المقاصد العليا للحركة ، وهى مفيدة للتقريب كما هى مفيدة للسياسة .

**٢ - الأبحاث العلمية هى الأساس المتين لكل أنشطة التقريب** ، فلا بد من تدعيم مراكز البحوث للقيام بواجباتها على أكمل وجه .

٣- **المناهج الدراسية هى أهم الأدوات لنشر فكر التقريب** ، لأنها هى التى ترسخ الحقائق فى أذهان الملايين من أبناء المسلمين . فيجب أن تصاغ صياغة علمية شرعية لتحقيق الغايات الإسلامية .

**٤ - لا بد من استخدام الفنون عامة فى خدمة التقريب وفى خدمة الدعوة** الإسلامية ، وخاصة المسرح والتليفزيون والسينما . ولهذا يجب إنشاء مؤسسة متخصصة لهذا الغرض .

٥- **يجب وضع ميثاق شرف إعلامى يمنع دعاة الفرقة والتحريض والتكفير** من استخدام الصحف والقنوات الفضائية والكتب لإفساد جهود التقريب .

٦- **لا بد من ترشيد المؤتمرات والندوات** لتكون أداة علمية فعالة فى التقريب لا مجرد تجمعات للمجاملة .

٧- **القرآن هو الذى يقربنا . لكن التفسير المتعسف يفرقنا ! فلا بد من وضع ميثاق** علمى يتفق عليه لإعادة الاحترام لأصول التفسير وقد يكون هذا هو الموضوع الرئيسى لأحد المؤتمرات .

٨- الموقف العلمى السديد من السنة النبوية هو : **قبول كل رواية تثبت صحتها ، ورد** كل رواية لا تثبت صحتها ، تطبيقاً لمبدأ أن المعول عليه هو : **عدالة الراوى لا مذهبه .**

● **والله تعالى من وراء القصد ؛**

**د . أحمد عبد الرحمن**

# ثبت المصادر والمراجع


١- إبراهيم الدسوقى شتا ( دكتور ) الثورة الإيرانية ، الجذور - الأيديولوجية؛ نشر الوطن العربى ، سنة ١٩٧٩ .

٢- ابن تيمية ( شيخ الإسلام تقى الدين ) ؛ جامع الرسائل ؛ المجموعة الأولى ؛ تحقيق د . محمد رشاد سالم ؛ ط ١ ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

٣- ابن تيمية ؛ منهاج السنة النبوية ؛ المطبعة الأميرية الكبرى ، بالقاهرة . سنة ١٣٢٢ هـ .

٤- ابن الجوزى ؛ العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية ؛ تحقيق إرشاد الحق الأثرى ؛ نشر دار الكتب الإسلامية ؛ لا هور - باكستان ؛ سنة ١٣٩٩ هـ .

٥- ابن الجوزى ؛ مناقب الإمام أحمد بن حنبل ؛ تحقيق د . عبد الله التركى ؛ نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ؛ ط١ سنة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .

٦- ابن حزم ( علي بن أحمد بن سعيد ) ؛ المحُلَّى ؛ تحقيق أحمد محمد شاكر ؛ نشر المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ؛ بيروت دون تاريخ ،

٧- ابن حزم ؛ الفُصَل ؛ تحقيق د . محمد إبراهيم نصر و د . عبد الرحمن عميرة ؛ دار الجيل ؛ بيروت ( دون تاريخ )

٨- ابن حجر ( أحمد بن علي ) ؛ فتح البارى بشرح صحيح البخارى الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ؛ نشر المطبعة السلفية ومكتبتها ، بالقاهرة ( دون تاريخ ) .

٩- ابن حجر ؛ الإصابة فى تمييز الصحابة ؛ نشر دار الفكر ؛ بيروت .

١٠- حمزة النشرتى ( دكتور ) ؛ يسألونك عن الشيعة؛ دار النشرتى سنة ٢٠٠٦م.

١١- ابن خلدون ( عبد الرحمن )؛ مقدمة ابن خلدون ؛ نشر دار الشعب بالقاهرة؛ تحقيق د . عبد الواحد وافى ( دون تاريخ ) .

١٢- ابن خزيمة ( أبو بكر محمد بن إسحاق ) ؛ تحقيق د . محمد مصطفى الأعظمى ؛ نشر المكتب الإسلامى ؛ سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

١٣- ابن رشد ( محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ) ؛ بداية المجتهد ونهاية المقتصد ؛ تحقيق د محمد سالم محيسن ،د شعبان محمد إسماعيل ؛ نشر مكتبة الكليات الأزهرية ؛ بالقاهرة ؛ سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣ م
١٤- ابن سعد ( محمد ) ؛ الطبقات الكبرى ؛ تحقيق د . حمزة النشرتى ؛ نشر المكتبة القيمة ( دون تاريخ ) .
١٥- ابن سلام ( أبو عبيد القاسمى ) ؛ كتاب الأموال ؛ مكتبة الكليات الأزهرية ؛ ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.
١٦- ابن عربى ( محي الدين ) ؛ فصوص الحكَم ؛ تعليق د . أبو العلا عفيفى ، نشر عيسى البابى الحلبى بالقاهرة ؛ ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
١٧- ابن عربى ؛ الفتوحات المكية ؛ تحقيق د .عثمان يحيى ؛ نشر الهيئة المصرية العامة ، بالقاهرة ؛ سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
١٨- ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح ؛ نشر دار الحديث بالقاهرة ؛ سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
١٩- ابن ماجة ( محمد بن يزيد القزوينى ) ؛ سنن ابن ماجة ؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ؛ نشر عيسى البابى الحلبى بالقاهرة ( دون تاريخ ) .
٢٠- ابن المطهر الحلى ؛ منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة ؛ تحقيق عبد الرحيم مبارك ؛ مشهد - تاسوعا - سنة ١٣٧٩ هـ .
٢١- ابن القيم ( محمد ابن أبى بكر ) ؛ مدارج السالكين ؛ تحقيق محمد حامد الفقي؛ نشر مكتبة السُنة المحمدية ( دون تاريخ ) .
٢٢- ابن هشام ؛ السير النبوية ؛ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى ؛ نشر مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ؛ ط٢ سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م .
٢٣- أحمد بن عبد العزيز الحمدان ؛ ما يجب أن يعرفه المسلم عن عقائد الروافض الإمامية ؛ نشر مكتبة وهبة بالقاهرة ؛ ط سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
٢٤- أبو زهرة ( الشيخ محمد ) ؛ الإمام الصادق ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ، نشر دار الفكر العربى ؛ بالقاهرة ( دون تاريخ ) .
٢٥- أبو زهرة ؛ أصول الفقه ؛ دار الفكر العربى ؛ بالقاهرة .
٢٦- أبو الفضل البرقعى (آية الله العظمى ) ؛ كسر الصنم ( أو ما ورد فى الكتب

المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن الكريم والعقل ، ( نقض كتاب أصول الكافي ) ترجمة عبد الرحيم ملا زاده البلوشي ؛ نشر دار الثقافة ؛ قطر ؛ ط١ سنة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
٢٧- الأشعري ( علي بن إسماعيل ) ؛ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ؛ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ؛ نشر مكتبة النهضة المصرية ؛ ط٢ سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م .
٢٨- الأصفهاني ( أبو الفرج ) ؛ مَقَاتِل الطالبيين ؛ نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة؛ سلسلة الذخائر ؛ تحقيق السيد أحمد صقر .
٢٩- أمين محمد جمال الدين ؛ عُمُر أُمَّة الإسلام وقرب ظهور المهدى عليه السلام؛ نشر المكتبة التوفيقية بالقاهرة ؛ ط٢ سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م .
٣٠- الألباني ( محمد ناصر ) ؛ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ؛ نشر المكتب الإسلامي ؛ بيروت ؛ ط١ سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٣١- البنا ( أحمد عبد الرحمن ) ؛ الفتح الرباني ؛ مع شرحه ؛ بلوغ الأماني ؛ نشر دار الشهاب بالقاهرة ( دون تاريخ ) .
٣٢- جابر فتوح ؛ مَوْقف الشيعة الإمامية الاثنا عشرية من الخلفاء الراشدين ؛ مكتب الأشول للطباعة ؛ طنطا ؛ سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م .
٣٣- جعفر السبحاني ؛ أهل البيت ، سماتهم وحقوقهم في القرآن الكريم ؛ نشر مؤسسة الإمام الصادق ؛ ط٢ سنة ١٤٢٥ هـ .
٣٤- جواد علي الكسار ؛ بحوث حول الأئمة ( حوار مع السيد كمال الحيدرى ) نشر دار فرائد ؛ سنة ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م .
٣٥- الحنفي ( علي بن علي بن محمد أبي العز )؛ مختصر شرح العقيدة الطحاوية؛ تحقيق محمد ناصر الألباني ؛ نشر دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية ( دون تاريخ ) .
٣٦- الحسيني ( السيد حيدر الحلي ) ؛ الكلام الجلي في ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام ؛ مؤسسة الوفاء ؛ بيروت ؛ ط١ سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م .
٣٧- خاتمي ( الدكتور محمد ) ؛ الدين والدولة ؛ نشر الدار العالمية للكتب والنشر؛ بالقاهرة ؛ سنة ١٩٩٨ .
٣٨- خالد محسن ( منسق ومحرر )؛ مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية ،

مركز الإعلام العربى بالقاهرة ؛ ط١ سنة ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .
٣٩– خالد محمد خالد ؛ وجاء أبو بكر ؛ نشر دار المعارف؛ بالقاهرة ؛ ١٩٨٠ م .
٤٠– الذهبى ( محمد بن أحمد بن عثمان ) ؛ العِبَر فى خَبَرَ مَنْ غَبَر ؛ تحقيق محمد السعيد ؛ نشر دار الكتب العلمية ؛ بيروت ( دون تاريخ )
٤١– الذهبى ؛ ( ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ؛ تحقيق على محمد البجاوى ؛ دار المعرفة ؛ بيروت ( دون تاريخ ) .
٤٢– الرازى ( عبد الرحمن بن أبى حاتم ) ؛ آداب الشافعى ومناقبه ؛ تحقيق عبد الغنى عبد الخالق ؛ نشر مكتبة التراث الإسلامى ؛ حلب – سوريا ( دون تاريخ ) .
٤٣– رشيد رضا ( الإمام محمد ) ؛ تفسير المنار ؛ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ( دون تاريخ )
٤٤– السهروردى ( شهاب الدين عمر ) ؛ عوارف المعارف ؛ تحقيق د . عبد الحليم محمود ود . محمود بن الشريف . نشر دار الكتب الحديثة ( دون تاريخ ) .
٤٥– سيد بن حسين العفانى ؛ ( دكتور ) ؛ حزب الله الرافضى ( تاريخ أسود وافتراءات ) ؛ نشر دار العفانى بالقاهرة ؛ ط١ سنة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م .
٤٦– السيد سابق ؛ فقه السُّنة ؛ دار الفكر العربى ؛ ط٥ سنة ١٤٠٣ هـ –١٩٩٣م .
٤٧– السيوطى ( جلال الدين عبد الرحمن ) ؛ الإتقان فى علوم القرآن ؛ نشر مصطفى البابى الحلبى ، بالقاهرة ؛ ط٤ سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .
٤٨– الشاطبى ( أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ) ؛ الموافقات فى أصول الأحكام ؛ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ؛ نشر مكتبة محمد على صبيح ( دون تاريخ ) .
٤٩– الشافعى ( الإمام محمد بن إدريس ) ؛ الرسالة ؛ تحقيق محمد سيد كيلانى ؛ نشر البابى الحلبى ؛ بالقاهرة ؛ ط٢ سنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
٥٠– الشافعى ؛ الأم ؛ طبع دار الشعب ؛ ( دون تاريخ ) .
٥١– الشعرانى ( الشيخ عبد الوهاب ) ؛ الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية ؛ تحقيق د . عبد البارى محمود داود ؛ نشر مكتبة أم القرى بالقاهرة ؛ ط١ ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م .
٥٢– الشعرانى ؛ درر الغواص على فتاوى سيد على الخواص ؛ نشر المكتبة الأزهرية للتراث ؛ ط١ ( دون تاريخ ) .
٥٣– الشعرانى ؛ كتاب الجواهر والدرر ؛ نشر المكتبة الأزهرية للتراث ، ( دون تاريخ ) .

٥٤- الشعرانى ؛ تنبيه المغترين ؛ طبع الزهراء للإعلام العربى ؛ ٢٠٠٥ م .

٥٥- الشوكانى ( محمد بن على ) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ؛ نشر وزارة الأوقاف المصرية ؛ سنة ١٤١٤هـ- ١٩٩٣ م .

٥٦- الشوكانى ؛ فتح القدير ؛ مكتبة الرُّشد ، بالرياض ؛ ط١ سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .

٥٧- الشوكانى ؛ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ؛ نشر مكتبة الدعوة الإسلامية ؛ بالقاهرة ( دون تاريخ ) .

٥٨- الشهر ستانى ( محمد بن عبد الكريم ) ؛ الملل والنحل ؛ نشر الحلبى وشركاه بالقاهرة ؛ سنة ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م .

٥٩- الشيرازى ( مكارم ، آية الله العظمى ) ؛ آيات الولاية فى القرآن ؛ نشر دار جواد الأئمة ؛ بيروت ؛ ط١ سنة ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥م .

٦٠- الصادق عبد الرحمن الغريانى ( دكتور ) ؛ مدونة الفقه المالكى ؛ نشر مؤسسة الريان ؛ بيروت ؛ سنة ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٦م .

٦١- الصنعانى ( محمد بن إسماعيل ) ؛ سُبُل السلام شرح بلوغ المرام ( لابن حجر ) تحقيق محمد عصام الدين أمين ؛ مكتبة الإيمان بالمنصورة ؛ مصر ؛ ( دون تاريخ )

٦٢- الطبرى ( أبو جعفر محمد بن جرير )؛ تفسير الطبرى ؛ تحقيق محمود محمد شاكر ؛ نشر دار المعارف ؛ بمصر ( دون تاريخ ) .

٦٣- عباس القمى ؛ تاريخ الإمام الثانى عشر ؛ ترجمة السيد هاشم الميلانى ؛ نشر جواد الأئمة ؛ بيروت ؛ ط١ سنة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .

٦٤- عبد الحسين شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ نشر مؤسسة الأعلمى ؛ بيروت؛ ط ١١ ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م .

٦٥- عادل حسين ؛ إيران .. الدولة الإسلامية ماذا تعنى ؟ نشر المكتب العربى الإسلامى ؛ بالقاهرة ( دون تاريخ ) .

٦٦- عباس محمود العقاد ؛ عبقرية عمر ؛ نشر وزارة التربية والتعليم المصرية ؛ سنة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

٦٧- عبد الرحمن بدوى ( دكتور ) ؛ شخصيات قلقة فى الإسلام ؛ مكتبة النهضة

المصرية ؛ بالقاهرة ؛ سنة ١٩٤٦م .

٦٨- عبد الرحمن الجزيرى ؛ كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ؛ الجزء الرابع ؛ قسم الأحوال الشخصية ؛ نشر دار الحرم للتراث ؛ بالقاهرة ؛ سنة ١٩٧٠ م .

٦٩- عبد الرسول الموسوى ؛ الشيعة فى التاريخ ؛ مكتبة مدبولى ؛ ط٢ سنة ٢٠٠٤ م .

٧٠- عبد المنعم النمر ( دكتور ) ؛ الشيعة ، المهدى - الدروز - تاريخ ووثائق ؛ نشر دار الحرية ؛ ط١ سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧ م .

٧١- عبد الملك عبد الرحمن الشافعى ؛ إمامة الشيعة توجب الاعتقاد بتحريف القرآن ؛ مكتبة الرضوان ؛ ط٢ سنة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م .

٧٢- عبد الملك عبد الرحمن الشافعى ؛ إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة؛ الناشر نفسه ؛ والتاريخ نفسه .

٧٣- عبد الودود شلبى ( دكتور ) ؛ كلنا إخوة شيعة وسُنَّة ؛ الدار المصرية اللبنانية؛ ط١ سنة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨ م .

٧٤- عباس محمود العقاد ؛ عبقرية علي ؛ نهضة مصر ؛ بالقاهرة ؛ ( دون تاريخ ) .

٧٥- عمر عبد الله كامل ( دكتور ) ؛ الأدلة الباهرة على نفي البغضاء بين الصحابة والعترة الطاهرة ؛ دار المصطفى ؛ ط١ سنة ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م .

٧٦- علي بن أبى طالب ( الإمام ) ؛ نهج البلاغة ؛ شرح الإمام محمد عبده ؛ تحقيق محمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا؛ ط . دار الشعب؛ بالقاهرة .

٧٧- الغرناطى ( محمد بن أحمد بن جزى الكلابى ) ؛ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ؛ تحقيق محمد عبد المنعم اليونسى وإبراهيم عطوة عوض ؛ نشر دار الكتاب الحديثة ؛ بالقاهرة ؛ ( دون تاريخ ) .

٧٨- الغزالى ( محمد بن محمد بن محمد الإمام ) ؛ معارج القدس فى مدارج معرفة النفس ، ومعه قانون التأويل ؛ نشر مكتبة الجندى ؛ تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ( دون تاريخ )

٧٩- الغزالى (الإمام) ؛ المستصفى ؛ تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ؛ نشر مكتبة الجندى ( دون تاريخ ) .

٨٠- الغزالى ( الإمام ) ؛ إحياء علوم الدين ؛ نشر عيسى البابى الحلبى وشركاه

( دون تاريخ ) .
٨١- فهمي هويدى ؛ إيران من الداخل ؛ نشر مؤسسة الأهرام .
٨٢- القبانجي ( صدر الدين ) ؛ تاريخ التشيع الفكر والسياسي ؛ إعداد مركز البحوث العقائدية ( ٢٠٥ ) .
٨٣- القرطبى ( محمد بن أحمد الأنصارى ) الجامع لأحكام القرآن ( تفسير القرطبى ) ؛ طبع الشعب ( دون تاريخ ) .
٨٤- القشيرى ( عبد الكريم ) ؛ الرسالة القشيرية ؛ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ؛ نشر دار الكتب الحديثة .
٨٥- الكتبي ( محمد بن شاكر ) ؛ فوات الوفيات – والذيل عليها ؛ تحقيق الدكتور إحسان عباس ؛ دار الثقافة ، بيروت ، سنة ١٩٧٣ .
٨٦- الكواكبى ( عبد الرحمن ) ؛ الأعمال الكاملة ؛ تحقيق د . محمد عمارة ؛ نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ؛ القاهرة ؛ سنة ١٩٧٠ م .
٨٧- كونسلمان ( جرهارد ) ، سطوع نجم الشيعة ؛ مكتبة مدبولى ط٣ سنة ٢٠٠٤م ( الثورة الإيرانية من ١٩٧٩ إلى ١٩٨٩ )
٨٨- مالك ( الإمام مالك بن أنس ) ؛ الموطأ ؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ؛ كتاب الشعب ( دون تاريخ ) .
٨٩- الماوردى ( على بن محمد بن حبيب ) ؛ الأحكام السلطانية والولايات الدينية؛ دار الكتب العلمية ؛ بيروت .
٩٠- المتنبى ( أبو الطيب ) ؛ شرح ديوان المتنبى ؛ وضع عبد الرحمن البرقوقى ؛ دار الكتب العلمية ؛ بيروت ؛ ط١ سنة ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١ م .
٩١- المحاسبى ( الحارث بن أسد )؛ الرعاية لحقوق الله ؛ تحقيق عبد القادر أحمد عطا ؛ نشر دار الكتب الحديثة ؛ ط٣ سنة ١٣٩٠هـ– ١٩٧٠م .
٩٢- محمد باقر الناصرى؛ محاضرات فى الصحوة الإسلامية المعاصرة؛ دار الزهراء؛ بيروت ؛ ط١ سنة ١٤٠٦ هـ١٩٨٦م .
٩٣- محمد باقر المجلسى ؛ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ؛ مؤسسة الوفاء ؛ بيروت ؛ ط٢ سنة ١٤٠٣ هـ– ١٩٨٣م .
٩٤- محمد جمال (آية الله السيد ) ؛ الهاشميات ؛ أو مع النبى وآله عليهم أفضل الصلاة والسلام ؛ مؤسسة أهل البيت ؛ بيروت ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م .

٩٥- محمد الحسين كاشف الغطاء ؛ أصل الشيعة وأصولها ؛ نشر مرتضى السيد محمد الرضوى ؛ القاهرة ؛ سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .

٩٦- الشيرازى ( الإمام المرجع السيد محمد الحسينى ) ؛ العقائد الإسلامية ؛ دار الجميع للنشر ؛ بيروت ؛ ط١ سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م .

٩٧- محمد الحسينى المظفرى ؛ الإمام الصادق ؛ المطبعة الحيدرية فى النجف ؛ ط٢ سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

٩٨- محمد حسين الذهبى ( دكتور ) ؛ التفسير والمفسرون ؛ نشر مكتبة وهبة ؛ بالقاهرة ؛ ط٦ سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٩٩- محمد حسين هيكل ( دكتور ) ؛ حياة محمد ؛ مكتبة النهضة المصرية ؛ بالقاهرة ؛ ط ٩ .

١٠٠- محمد على قطب ؛ الشيعة والتصحيح؛ مكتبة التراث الإسلامى؛ بالقاهرة.

١٠١- محمد عمارة ( دكتور - محقق ) ؛ رسائل العدل والتوحيد ؛ نشر دار الهلال؛ سنة ١٩٧١ م .

١٠٢- محمد عبده ( الأستاذ الإمام ) ؛ رسالة التوحيد ؛ تحقيق طاهر الطناحى ؛ نشر دار الهلال ؛ سنة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

١٠٣- محمد ضياء الدين الريس ( دكتور ) ؛ الإسلام والخلافة فى العصر الحديث؛ نشر مكتبة التراث ؛ بالقاهرة ؛ سنة ١٩٧٦ م .

١٠٤- محمد ماهر حمادة ( دكتور ) ؛ الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموى ؛ مؤسسة الرسالة ؛ ط١ سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

١٠٥- محمد مال الله ؛ الشيعة وتحريف القرآن ؛ توزيع المكتبة الإسلامية ؛ عمان الأردن ؛ سنة ١٩٨٥ م .

١٠٦- محمد هادى الحسينى (آية الله العظمى السيد الميلانى ) ؛ قادتنا .. كيف نعرفهم ؟ مؤسسة الوفاء ؛ بيروت ط١ سنة ١٤٠٦ هـ .

١٠٧- المقريزى ( تقى الدين ) ؛ النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم؛ إعداد وتعليق صالح الوردانى ؛ الهدف للإعلام والنشر ؛ بالقاهرة .

١٠٨- المقريزى ( تقى الدين أحمد بن على ) ؛ اتّعاظ الحُنَفَا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلَفَا ؛ تحقيق د . جمال الدين الشيال ؛ الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ؛ سلسلة الذخائر - ٥٨ .

١٠٩- المكى ( مكى بن أبى طالب ) ؛ الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ؛ تحقيق د. أحمد حسن فرحات ؛ نشر المؤلف ؛ سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

١١٠- موسى الموسوى ( دكتور ) ؛ الشيعة والتصحيح ؛ الصراع بين الشيعة والتشيع ؛ نشر المؤلف ؛ سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٧٨ م .

١١١- المودودى ( السيد أبو الأعلى ) ؛ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ؛ ترجمة محمد عاصم حداد ؛ نشر دار الخلافة للطباعة والنشر ( دون تاريخ )

١١٢- المودودى ؛ نحن والحضارة الغربية ؛ نشر مؤسسة الرسالة ؛ بيروت .

١١٣- ناصر مكارم الشيرازى ؛ عقيدنا - مختصر عقيدة الشيعة الإمامية ؛ الهدف للإعلام والنشر ؛ بالقاهرة ؛ سنة ٢٠٠١ م .

١١٤- نزار المنصورى ؛ النصرة لشيعة البصرة ؛ مكتبة مدبولى ؛ بالقاهرة ؛ ط٢ سنة ٢٠٠٤ م .

١١٥- نور الدين الحلبى ؛ سيرة السيد أحمد البدوى ؛ تحقيق أحمد عز الدين عبد الله ؛ نشر المكتبة الأزهرية للتراث ؛ بالقاهرة ؛ سنة ١٩٩٧ م .

١١٦- يوسف القرضاوى ؛ كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف ؟ نشر مكتبة وهبة ؛ بالقاهرة ؛ سنة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

# كتب للمؤلف

(١) الفضائل الخلقية فى الإسلام؛ نشر مكتبة دار العلوم بالرياض، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ . ونشر دار الوفاء بالمنصورة (طبعة ثانية) سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٢) نقد الثقافة الإلحادية؛ نشر دار هجر؛ مصر؛ سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

(٣) خُلُق القرآن؛ نشر المؤلف؛ سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

(٤) موقف الإسلام من الدنيا؛ نشر دار هجر؛ مصر؛ سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(٥) الإسلام وأمن المجتمع - التدابير الوقائية فى الإسلام -؛ نشر دار الاعتصام؛ مصر؛ سنة١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

(٦) أساطير المعاصرين؛ نشر بيت الحكمة؛ مصر؛ سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

(٧) الإسلام والقتال؛ نشر دار الشرق الأوسط؛ مصر سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٨) مَنْ ذا الذى ينتهك حقوق الإنسان ؟ الإسلام أم الأمم المتحدة ؟ نشر مركز الإعلام العربى؛ سنة ١٩٩٣م (كتيب) .

(٩) العلمانية والخداع الثقافى؛ نشر مركز الإعلام العربى؛ سنة ١٩٩٣م (كتيب) .

(١٠) رسالة إلى خطيب مسجدنا؛ نشر دار الاعتصام؛ سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

(١١) قانون النصر فى العقيدة القتالية الإسلامية؛ دار الوفاء بالمنصورة؛ سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .

(١٢) «السماء تمطر ذهبا»؛ مسرحية فى فصل واحد؛ نشر دار سفير؛ مصر؛ سنة ١٤١١ هـ - ١٩٩١م .

(١٣) «ملهاة آل الطيب» - مسرحية فى ثلاثة فصول؛ نشر دار هجر؛ سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

(١٤) مفهوم القلب فى القرآن الكريم - نشر المؤلف؛ سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

( ١٥ ) نقد الإسلاميين المعاصرين؛ نشر المؤلف؛ سنة ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

( ١٦ ) الاستشراق؛ دراسات تطبيقية؛ مكتبة وهبة سنة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

( ١٧ ) كـيف ولماذا التـشكيك فى السُّنة؟ نشـر وزارة الأوقـاف فى قطر على الإنترنت، موقع Islam Web؛ سنة ٢٠٠١م، ونشر مكتبة وهبة ط الأولى سنة ٢٠٠٧م .

( ١٨ ) مرض كراهية الإسلام؛ نشر دار التحرير بالقاهرة؛ كتاب الجمهورية؛ جزاءن، أغسطس وسبتمبر؛ سنة ٢٠٠٣م .

( ١٩ ) تطوير الإسلام؛ نشر دار الحكمة؛ مصر؛ سنة ٢٠٠٤م .

( ٢٠ ) البديل الأمريكى للإسلام؛ نشر دار التحرير؛ مصر؛ سنة ٢٠٠٥ م.

( ٢١ ) الحـوارات العطرة ( فى السـيـرة النبـوية ) ؛ نشـر دار التـحـرير؛ مـصـر؛ سنة ٢٠٠٦م .

( ٢٢ ) نقد أعلام الفكر المصر المعاصر ؛ نشر مكتبة وهبة ط الأولى سنة ٢٠٠٧ .

( ٢٣ ) تحرِّى الرُّشد – بحوث فـى العـقـيـدة والسـيـاسـة والتـاريـخ، الإسـلامـى . دار التوزيع والنشر ٢٠٠٦ م .

## كتب تحت الطبع :

( ١ ) لماذا أسلم هؤلاء ( محمد أسد، مريم جميلة ، مراد هوفمان ) .

( ٢ ) التأصيل الإسلامى لعلوم التاريخ والجغرافيا والاجتماع والخدمة الاجتماعية .

( ٣ ) تطوير الخطاب الدينى – تطوير الدعوة .

( ٤ ) قيمة التراث الإسلامى فى حياة الأمة .

( ٥ ) منهج الحياة الإسلامية؛ للإمام المودودى ( ترجمة ) .

( ٦ ) الخطابة العلمية ( نماذج لعام كامل: ٥٢ خطبة ) .

* * *

# الفهـــرس

الموضـــــــوع | الصفحة

## المقدمـــة

(٩ - ١٨)

## المبحث الأول

### الخليفة الأول أبو بكر الصديق

### من النبوة إلى الخلافة

(١٩ - ٦٥)

## المبحث الثاني

### الفاروق عمر بن الخطاب الخليفة الثاني

(٦٦-٧٨)



## المبحث الثالث

### عثمان بن عفان

(٧٩-٩٤)

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |


## المبحث الرابع

### علي بن أبي طالب أميراً للمؤمنين

### (٩٥-١٠٧)



## المبحث الخامس

### الخلافة شورى أم وصية ؟

### (١٠٨-١٣٠)

## المبحث السادس

### الغلاة

### (١٣١ - ١٦٠)

## المبحث السابع
### الـغـلاة مـن أهـل الـسُّنة
### ( ١٦١ - ١٧١ )



## المبحث الثامن
### المذهب الإمامى ورؤية أهل السُّنة له
### ( ١٧٢ - ١٩١ )

## المبحث التاسع
## الاثنا عشر والمهدى المنتظر
## ( ١٩٢ - ٢٢٩ )



## المبحث العاشر
## العقائد
## ( ٢٣٠ - ٢٥٤ )

الموضـــــوع | الصفحة



## المبحث الحادى عشر

### مصادر التشريع

### (٢٥٥-٢٩٠)

الموضـــــوع | الصفحة



## المبحث الثانى عشر

### المسائل العملية

### (٢٩١ - ٣٢٤)



## المبحث الثالث

### عشر حركة التقريب

### (٣٢٥ - ٣٤٢)